kitabweb-2013.forumsmaroc.com

الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية

وعد بعض مفاخرها غير المتناهية

تأليف

محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي

(1255 - 1334 هـ / 1839 - 1916 م)

الجزء الأول

دراسة وتحقيق

إدريس بوهليلة

منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - المملكة المغربية

الحلل البهية
في ملوك الدولة العلوية
وعد بعض مفاخرها غير المتناهية

الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية

وعد بعض مفاخرها غير المتناهية

تأليف

محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي

(1255 - 1334 هـ / 1839 - 1916 م)

دراسة وتحقيق

الجزء الأول

إعداد: إدريس بوهليلة

الكتاب : الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية
وعد بعض مفاخرها غير المتناهية
لمحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي
دراسة وتحقيق : إدريس بوهليلة
الناشر : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية
الحقوق : جميع الحقوق محفوظة للوزارة
الطبعــة الأولى : 2005 - الجزء الأول-
رقم الإيداع القانوني : 1782/ 2005
ردمك : 5 -5035 - 0 - 9954

التصفيف والاخراج الفني والطباعة
دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10، شارع العلويين رقم 3 حسان الرباط
الهاتف : 83 75 20 037 - الفاكس : 89 75 20 037
البريد الإلكتروني : E-mail:editbouregreg@iam.net.ma

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وبعد، يعد كتاب «الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية» لمؤلفه محمد المشرفي (1255ـ 1334 هـ / 1839 ـ 1916 م) من المصادر الأساسية القيِّمة فكراً ومنهجا، معرفةً وأسلوبا، قبولا ورداً، إطراء ونقداً، والتي تؤرخ لملوك الدولة العلوية بالمغرب الأقصى.

وهو الكتاب الذي يمكن تقسيمه، حسب تاريخ تأليفه ومادته المعرفية التاريخية إلى قسمين : القسم الأول : يعتبر الأصل الأول للكتاب، خصصه المشرفي لشرح منظومة الغالي ابن المكي بن سليمان (ت 1317 هـ / 1899 م)، في عدّ ملوك الدولة العلوية من نشأتها إلى أواخر عهد المولى الحسن (1310 هـ / 1893م).

وهذا الكتاب، هو الذي قدّمه المؤلف هديّةً للسلطان المولى الحسن في أواخر سنة 1310هـ/1893م)، أثناء وجوده بالقصر السلطاني بمدينة فاس، فاستحسنه السلطان وأعجب به، فجزاه عنه خير الجزاء، كعادة الملوك العلويين، في العناية بالعلم والعلماء والمؤرخين.

والقسم الثاني : عبارة عن تكملة ذيّل بها المشرفي كتابه الحلل البهية سنة 1321 هـ/ 1903 م) وأنهى فيها ترجمة السلطان المولى الحسن، وأضاف لها معلومات تاريخية مستفيضة عن عهد المولى عبد العزيز إلى حدود سنة 1902 م مع إدخال تعديلات في مضمون الكتاب الأصل.

والكتاب بقسميه (الشرح والتكملة)، أفاض فيه المشرفي وبسط وأفاد، حيث أتى بمعلومات تاريخية فريدة، ووثائق نفيسة، وأفكار مستنيرة جريئة، واستطرادات تأويلية طريفة، وكل ذلك باتباعه لمنهجية تاريخية صارمة، في تحليل وعرض تاريخ ملوك الدولة العلوية، بدءاً بالمولى الشريف وأبنائه المولى محمد والمولى الرشيد والمولى إسماعيل، مروراً بالمولى عبد الله والمولى محمد بن عبد الله، والمولى سليمان والمولى عبد الرحمان والمولى محمد بن عبد الرحمان. والمولى الحسن، وانتهاءً بالمولى عبد العزيز، مسجلاً أولاً بأول، أعمالهم ومنجزاتهم ومفاخرهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية، والعمرانية المدنية والعسكرية والدينية، مستجليا كل ذلك نقلاً عن مصادر موثوقة تارة، ومشاهدة أو سماعاً تارة أخرى.

والمؤلف المشرفي، كان شغوفاً بعلم التاريخ واعيا بأهميته ومنزلته ضمن العلوم الإنسانية الأخرى، لأن التاريخ - حسب تعبيره - من أجل العلوم قدراً، يكسب صاحبه النباهة حتى يفوق أمثاله، وبواسطته تستنير الفكر والألباب وتعلم حوادث الأزمنة والأحقاب.

والمشرفي - فضلا عن ذلك - كان نبيها، مشاركاً في الأحداث السياسية المستجدة، متأثر ومؤثر فيها، بسبب منصبه في القضاء الحسني والعزيزي، الذي خوّل له إمكانية الاطلاع على أسرار الدولة وخبايا المخزن، وحق المشاركة والتفاعل والتأثير، فقد عايش كل التطورات والأحداث التي مرّ بها المغرب، ابتداء من عهد السلطان المولى عبد الرحمان إلى عهد المولى عبد العزيز.

لم يعايش المشرفي الأحداث بوجوده، وإنما عايشها بوجوده وفكره وقلمه السيال، فسجل ما لفت نظره أو أثر على نفسيته، ورآه جديراً بالتسجيل، ولم يتوان عن تقديم الاقتراحات السياسية والاجتماعية التي كان يراها مناسبة للنهضة والتحديث، واستشراف المستقبل، سائلا ومجيبا عن قضايا العصر بقلم ثابت رصين، كما لم يفته إبداء مواقفه بكل جرأة وحماس الرجل الوطني الغيور على بلده وهويته الحضارية.

ومما زاد كتاب «الحلل البهية» قيمة، ما قام به محققه الأستاذ الباحث إدريس بوهليلة، من مجهود في توثيق نصوصه وتصحيحها ومقارنة نسخها بالرجوع إلى الأصول، والتعريف بالأعلام البشرية والجغرافية، وتوضيح ما استبهم من الكلام، فضلا عن وضع الفهارس المفيدة، مطبقا في ذلك قواعد علم تحقيق النصوص ونشرها. وختم عمله بإنجاز دراسة صدّر بها الكتاب.

ووعيا منها بأهمية الكتاب وجدواه في الكتابة التاريخية، وضرورة إخراجه إلى جمهور القراء باحثين مختصين، ومهتمين وطلبة، أبت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلا أن تطبعه، متبعة نهجها القويم بتشجيعها للبحث العلمي في المغرب، في مختلف التخصصات، خاصة منها الفقهية والصوفية والأدبية والتاريخية، وكل ما يمت إلى العلوم الإنسانية بصلة، متسرشدة بتعاليم الدين الإسلامي الحنيف الذي يدعو ويحث على التعلم والتعليم.

ومهتدية بالأفكار النيرة، والتوجهات السديدة لجلالة الملك سيدي محمد السادس نصره الله وأيده، وأدام عزه وجعله ذخراً وملاذاً لهذه الأمة. كما نسأل العلي القدير أن يقر عين مولانا بولي عهده المحبوب مولاي الحسن، و بصنوه المجيد مولاي الرشيد وسائر أفراد الأسرة الملكية الشريفة. آمين والحمد لله رب العالمين.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
أحمد التوفيق

القسم الأول

الدراسة

مقدمة: اختيار الموضوع

لماذا اختيار التحقيق؟

الجواب عن هذا السؤال يتوقف على معرفة قيمة التحقيق، وأهميته العلمية في الحقل المعرفي والحضاري.

إن التحقيق هو الضبط والإثبات والتصحيح. وفي الاصطلاح بذل العناية بالكتب المخطوطة حفظا ودراسة وتحقيقا.

إنه عمل يندرج في مجال معرفي خصب واسع، وهو مجال إحياء التراث، والتعريف به، وتقديمه في صورته الكاملة دقة وصحة وسلامة، لتكون الفائدة منه أكثر جدوى ونفعا.

إلا أن هذا التراث التاريخي، مفعم بأساليب سلوك، وطرائق تفكير وأفعال. فهل على باعث هذا التراث أن يتقيد بهذه الأساليب والطرائق، يمجدها ويمجد الشخصيات الفاعلة لها؟

إن مناقشة التراث ونقده من الأمور الموضوعية المسلم بها علميا، لأن التراث يحتمل فيه الخطأ كما يحتمل فيه الصواب.

لهذا فإحياء التراث بتحقيقه، وضبطه، ومناقشته ونقده، وتقديمه في أكمل صورة له مزية علمية لا تخفى ولا تقدر، ليس في مجال دون آخر، وإنما في جميع مجالات العلوم الإنسانية.

وإن مجال البحث في التراث التاريخي العربي الإسلامي مجال حي خصب للحوار بين جيل الحاضر وجيل الماضي، على المستوى الفكري والحضاري، على أساس أن يكون هذا الحوار بناء يحتكم إلى العقل واستلهام التجربة الحضارية، حوار يتعدى الاستمتاع بلذة النص وحب الإطلاع المعرفي، إلى النظر والتأمل في الحلول الناجعة لإشكالات الواقع، واقع الحاضر المعيش، وتلمس طريق المستقبل المؤمل والمنشود، لتلبية مصالح الوطن والأمة والإنسانية عامة.

والحوار بين الماضي والحاضر والمستقبل، حوار مستمر لا يتوقف في الفكر البشري، ويجب أن لا يتوقف.

إن وعيي بالقيمة والأهمية العلمية والمعرفية والحضارية التي تكتسيها عملية تحقيق التراث والبحث فيه، هو الذي حدا بي إلى اختيار مخطوط يعالج تاريخ المغرب العام، وتاريخ المغرب الحديث والمعاصر على وجه الخصوص.

فلماذا اختيار مخطوط : الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية لمؤلفه محمد المشرفي؟

بعد الاتفاق المبدئي مع أستاذي الدكتور إبراهيم حركات، على أن يكون موضوع البحث هو تحقيق مخطوط يتعلق بتاريخ المغرب، ذهبت أفتش عن المخطوط المناسب، في أهم خزائن المدن المغربية المعروفة بادخارها للمخطوطات النفيسة، مثل مدينة الرباط، فاس، تطوان، ومراكش، كما اتصلت ببعض الأساتذة المحترمين المعروفين باهتماماتهم وخبرتهم بالمخطوطات المغربية، وفي مقدمتهم أستاذي، الباحث الكبير محمد المنوني.

وبعد البحث والتنقيب والتقصي والسؤال، ثم الاطلاع على أهم الكتب المخطوطة التاريخية، التي مازالت لم تعرف - بعد - طريقها إلى التحقيق والنشر، لفت انتباهي مخطوط قيم هو الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، لمؤلفه محمد المشرفي[1]، فاستغربت لكونه - رغم أهميته التاريخية - لم يجرؤ أحد على تحقيقه، فاخترته - على التو - أن يكون موضوع رسالتي الجامعية، دراسة وتحقيقا، مقتحما بذلك أبواب مصاعب التحقيق.

وتأهبت لوضع تقرير عنه، وقدمته لأستاذي الجليل الدكتور إبراهيم حركات، الذي وافق - مشكورا - على طلبي وصادق عليه.

وأهم ما حفزني على اختيار هذا المخطوط بالذات الأسباب التالية :

1 - بعد البحث، تبين لي أن هذا المخطوط لم يحقق بعد رغم قيمته الوثائقية والتاريخية.

2 - أن المخطوط يحتوي على معلومات معرفية تاريخية فريدة تتعلق بتاريخ المغرب، لا توجد -حسب اطلاعي- في أي مصدر من المصادر التاريخية المعروفة، سواء المطبوعة منها أو المخطوطة.

3 - احتواؤه على وثائق تاريخية فريدة، يعدُّ هو المصدر الوحيد لها. وتهم التاريخ المغربي الداخلي والخارجي على السواء.

4 - تضمنه نصوصا تاريخية، نقلها المشرفي من كتب، منها ما هو الآن في طي المفقود ومنها ما يزال مخطوطا.

5 - سرده لتاريخ المغرب عامة وتاريخ الدولة العلوية خاصة. وهذا النوع من التأليف كان قليل الوجود في عصر المؤلف، ومِمَّن اضطلع بهذه المهمة المؤرخ أحمد الناصري في كتابه الاستقصا. فاتبع المشرفي منهجه في كتابه الحلل

---

(1) وهو المخطوط، الذي كان قد اقترحه علي ونبهني إليه أستاذي محمد المنوني بمعية الأستاذ عبدالله التمسماني، في إحدى اللقاءات المباشرة.

البهية، فاعتبر بذلك أهم مصدر تاريخي يعالج تاريخ المغرب العام. خاصة وأنه أتى بوثائق ونصوص تاريخية لا توجد في الاستقصا، أو كتب أخرى.

6 - تسجيل المؤلف لأحداث عاصرها بنفسه، شاهد عن كثب مقدماتها وتطوراتها وتفاعلاتها ونتائجها، فلم يتوان عن تقديم مواقفه إزاءها بكل صراحة وموضوعية، وبكل حزم وجرأة.

7 - توفر عدة نسخ من المخطوط، مما يجعل عملية التحقيق، عملية علمية تمكننا من الاقتراب من النص الصحيح كما أراده المؤلف أن يكون.

8 - سلامة النسخة المعتمدة في المتن، وكذا النسخ الأخرى من الخروم والبلى وأكل الأرضة والتلاشي.. إلخ هذا فضلا عن الخط الواضح الذي كتبت به جميع النسخ.

وكل هذا يجعل من عملية التحقيق عملا في غاية الجودة والإتقان.

هذه، هي أهم الأسباب الكامنة وراء اختياري لهذا الكتاب المخطوط، الذي يستحق المجهود والعناية لإخراجه إلى النور، والتعريف به وبصاحبه المغمور، والاستفادة منه، وإغناء خزانتنا الوطنية والعربية الإسلامية.

وقد بذلت جهد مستطاعي من أجل تحقيق هذه الغاية، فأنفقت فيه أربع سنوات ونصف، كان أثناءها أستاذي الجليل الدكتور إبراهيم حركات - المشرف على هذا العمل - يشجعني غاية التشجيع على مواصلة العمل رغم العوائق التقنية التي اعترضت طريق البحث في وهلته الأولى.

فقد رافقني - جزاه الله خيراً- طيلة مدة إنجازه، بصبر وأناة. فلم يبخل عليَّ لا بوقته ولا بنصائحه السديدة، وتصحيحاته الصائبة وإرشاداته النيرة. فكان خير أستاذ مشرف في توجيهاته، وخير أب عطوف في نصائحه. فسرتُ على خُطى في درب إنجاز هذا العمل، وكل أملي أن أكون عند حسن الظن، حتى أقدم لوطني ولكافة المهتمين بهذا الحقل المعرفي التاريخي، خدمة تكون في المستوى اللائق المرغوب فيه.

ومن نتائج كل ذلك، هذا العمل المتواضع، الذي لا أدعي أنه عمل تتوفر فيه جميع الشروط العلمية، وأنه بلغ درجة الكمال، لأن الكمال لله وحده، فكل عمل له نقائصه وعيوبه، وهو قابل في كل لحظة وحين للنقاش والنقد العلميَيْن، خاصة وأن هذا العمل بالنسبة لي، بمثابة البداية الحقيقية في مجال البحث العلمي فمتى كانت البداية بدون عثرة!

المبحث الأول : المنهج المتبع في التحقيق والدراسة .

إن عملي في تحقيق مخطوط الحلل البهية، أخضعته لمنهج لا أدعي أنه يختلف عن المنهج التقليدي المتبع في تحقيق المخطوطات ونشرها، بل إنه مستمدٌ منه وخاضعٌ لخصوصية المخطوط.

أما القسم المتعلق بالدراسة، فإنني حاولتُ فيه أن أقدم دراسة تحليلية نقدية لعصر المؤلف وبيئته وحياته وكتابه (الحلل البهية)، متبعا المنهج التاريخي، بوضع النصوص في إطارها الزمني التاريخي، ثم تحليلها وتركيبها.

منهج العمل في التحقيق

لكل مخطوط خصوصيته. هذه الخصوصية تختلف شكلا ومضمونا من مخطوط لآخر، الأمر الذي يتطلب أثناء التحقيق العمل بمنهج يتفق وخصوصية المخطوط.

وهذا ما حاولت أن ألتزم به أثناء تحقيقي لمخطوط الحلل البهية، حيث اتبعتُ المنهج العملي الذي ارتأيتُ أنه يستطيع تقديم نص سليم وواضح بمتنه وهوامشه.

فما هي الخطوات المنهجية التي قطعتُها أثناء عملية التحقيق؟

لتحقيق مخطوط الحلل البهية، والخروج بعمل متكامل، خضع عملي فيه للخطوات التالية :

أ - جمع النسخ الخطية للكتاب.

ب - مقابلة النسخ بعضها ببعض.

ج - توثيق جميع أنواع النصوص قدر الا مكان.

د - التعريف بالأعلام والأماكن والكتب.

هـ - ضبط صفحات المخطوط.

و - ترقيم الإحالات في المتن والهامش.

ز - فك الرموز المستعملة في المخطوط.

ح - ضبط التواريخ وموافقتها بالتاريخ الميلادي.

هذه الخطوات المنهجية قابلها عمل منهجيٌ يُعدُ من صميم موضوع التحقيق وغايته. وعلى هذا العمل المنهجي سينبني العمل كله في التحقيق.

1 - دراسة وصفية للنسخ الخطية :

إن دراسة النسخ الخطية للكتاب تكتسي أهمية كبيرة، خاصة في حالة عدم العثور على النسخة الخطية الأصلية للمؤلف، لأنه بواسطة هذه الدراسة سنتمكن من معرفة النسخة الأقرب إلى الأصل، كما سنتمكن من وضع ترتيب لجميع النسخ. وهذا ما توصلتُ إليه بعد إنجاز الدراسة الوصفية لها. فقد قادني البحث والتنقيب عنها إلى العثور على خمس نسخ، توجد جميعها بمدينة الرباط : ثلاث نسخ بالخزانة الحسنية، ونسختان بالخزانة العامة.

وبعد دراسة هذه النسخ، تصفحا وفحصا ومقارنة، توصلتُ إلي وضع ترتيب لها تبعا لمقياس الأهمية والجودة، وهو كالآتي :

أ - نسخة الخزانة العامة : 1463 د . ورمزت لها في التحقيق بحرف : د .

ب - نسخة الخزانة الحسنية : 12489 ز . ورمزت لها في التحقيق بحرف : ز.

ج - نسخة الخزانة الحسنية : 1020 . ورمزت لها في التحقيق بحرف :ح.

د - نسخة الخزانة العامة : 320 ك . ورمزت لها في التحقيق بحرف :ك

هـ - نسخة الخزانة الحسنية : 1019 . ورمزت لها في التحقيق بحرف :م .

أ - نسخة الخزانة العامة : 1463 د :

توجد هذه النسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1463 د. رمزت لها أثناء عملية المقارنة بالنسخ الأخرى بحرف : د، تمييزاً لها عن النسخ الأخرى. تحتوي على 190 ورقة (380 صفحة)، مقياس 17x22 سم وكل صفحة تتألف من 23سطرا ما عدا الصفحة الثانية 18 سطرا.

كُتبتْ هذه النسخة بخط مغربي لابأس به، استُعملَ فيه الحبر الأسود، وتتخلله بعض الألوان، خاصة اللون الأحمر والأزرق. ويبدو أنها كُتبتْ من طرف ناسخَيْن مختلفين، الأول يبدأ من صفحة 2 إلى 339 ، والثاني من صفحة 340 إلى النهاية. وكلا الناسِخَيْن أغفلا كتابة اسميْهما وتاريخ النسخ. ومن خلال مقال لسالمون (G. SALMON) المنشور في مجلة الوثائق المغربية لسنة 1323 هـ / 1905م [1]. أمكنني الاستنتاج بأنها انتسخت بين سنة 1322 و 1323 هـ / 1904 و 1905 م، فقد جعل سالمون من هذه النسخة إحدى مصادره في معالجة مقاله، كما تبيَّن ذلك من ملاحظة التطابق بين أرقام صفحات الموضوعات التي أحال عليها بالحلل البهية مع أرقام صفحات الموضوعات بنسخة الخزانة العامة 1463 د. وهذا يدل على قربها زمنيا من النسخة الأصلية التي كُتبتْ سنة 1321 هـ / 1903 م .

---

(1) - G. SALMON. -Essai sur l'histoire politique du nord Marocain. in Archives Marocaines. 1905 . T.2. Fascicule I. p : 52, 55, 58, 74, 76, 80.

وقد أكدت الدراسة أن هذه النسخة هي أجود النسخ وأقربها إلى الأصل، وذلك لعدة اعتبارات أهمها :

1 - شيوعها في حياة المؤلف :

إن اعتماد سالمون على هذه النسخة (1463 د) في كتابة مقاله في سنة 1323 هـ/ 1905 م يعني أن سالمون اعتمدها في وقت كان المؤلف المشرفي ما يزال على قيد الحياة، لأن هذا الأخير طال به الأمد إلى سنة 1334 هـ/ 1916م، فمن المحتمل أن يكون قد اطلع بنفسه على هذه النسخة.

2 - قدم الورق والخط :

بمقارنة نوع الورق الذي كتبت عليه هذه النسخة (1463 د) مع ورق المخطوطات المعاصرة لها، يتبين أنها نسخة قديمة تعود إلى التاريخ الذي حددناه سابقا أي بين سنة 1322 و 1323 هـ/ 1904 و1905 م.

ونفس الشيء يقال - أيضا - عن رسوم خط هذه النسخة. الشيء الذي يدل على أقدميتها وبالتالي قيمتها وأهميتها.

3 - قلة الأخطاء :

من مميزات هذه النسخة - أيضا - قلة الأخطاء بالمقارنة مع النسخ الأخرى، مما يدل على حرص الناسِخَيْن على تفادي الأخطاء، كما يدل على أنها منتسخة عن أصل موثوق به، ويُحتملُ جدا أنه نسخة المؤلف الأصلية التي كان يحتفظ بها لنفسه.

ولاحظت فيها : وضوح الخط، وعدم وجود الخروم، وخلو الهوامش من التعليقات والإضافات والشروح، التي قد نجدها في المخطوطات الأخرى، باستثناء بعض عناوين الفقرات وبعض الكلمات - وهي جد قليلة - التي كان الناسخ يشير على أنها من متن الكتاب باستعمال الرموز الدالة على ذلك.

4 - الاحتفاظ ببعض عناوين الفقرات :

لاحظتُ أثناء مقارنتها بالنسخ الأخرى، أن هذه النسخة تتميز عن مثيلاتها باحتفاظها بعناوين بعض الفقرات، وإن كانت نسخة 320 ك هي أيضا احتفظت ببعضها، لكن ليس بالدقة والكمية المتوفرين في النسخة المعنية.

هذه المميزات الأساسية التي تتوفر عليها نسخة 1463 د هي التي جعلتني أرجحها على جميع النسخ، وبالتالي أقدمُ على إثبات نصها في المتن.

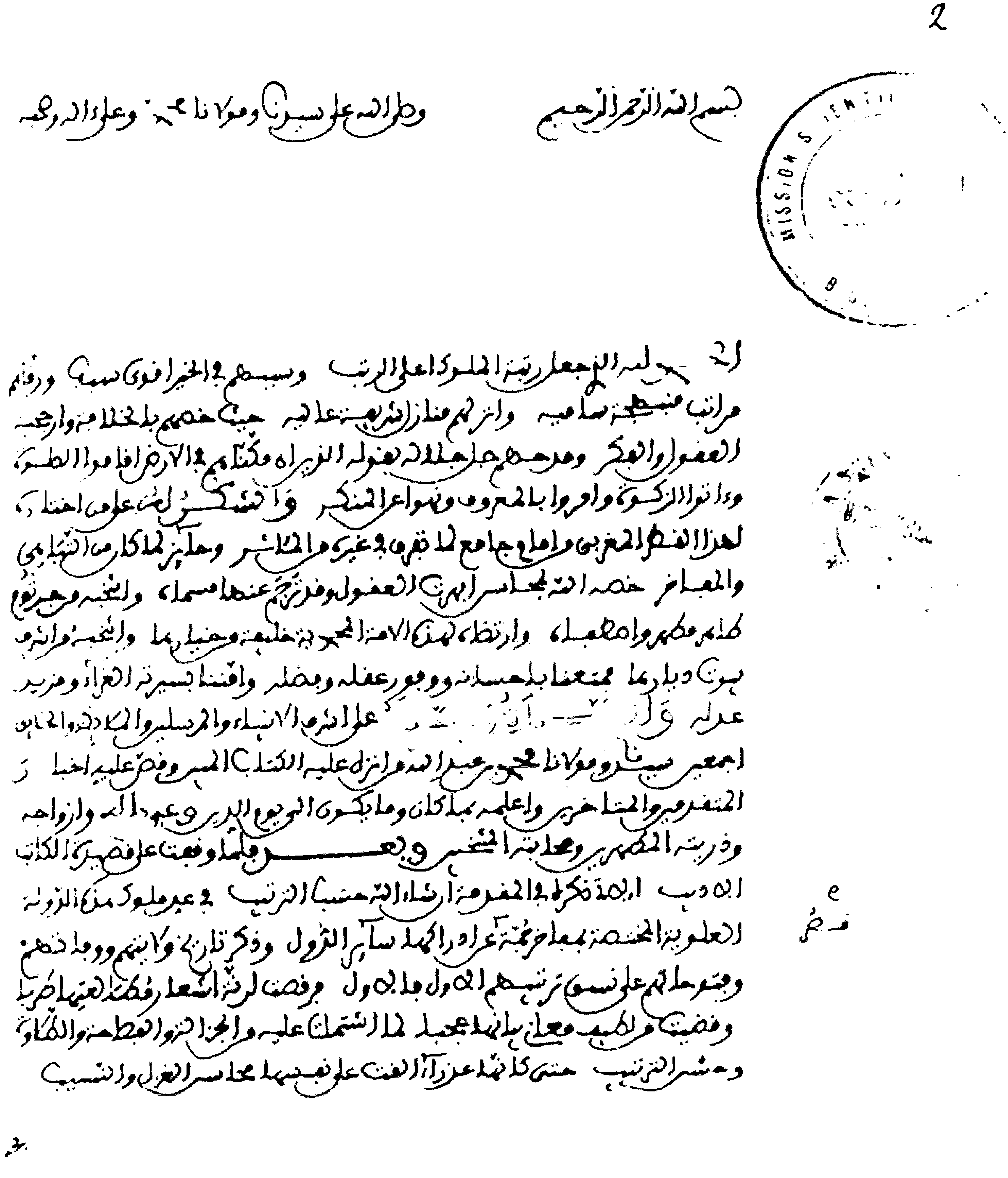

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

الحمد لله الذي جعل رتبة الملوك أعلى الرتب وسببهم في الخير أقوى سبب ورقاهم
مراتب منيفة سامية وأنزلهم منازل أشرف عالية حيث خصهم بالخلافة وأرجح
العقول والفكر ومدحهم جل جلاله بقوله الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر وأشكره على من اختاره
لهذا القطر المغربي من أملاك جامع لما تفرق في غيره من المآثر وحائز لما كان من التناهي
والمفاخر خصه الله بمحاسن أبهرت العقول فترجم عنها فصحاء والنجباء ومحررو
كلامهم مظهرو أطنابهم وارتضاه لهذه الأمة المحمدية خليفة وحبل رحمة والنعمة من الله
بين ديارها متمتعا بالإحسان وموفور عقله وفضله وأقمنا بسيرته الغراء ومزيد
عدله وأصلي وأسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين والملائكة والخلق
أجمعين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله من أنزل عليه الكتاب المبين وقص عليه أخبار
المتقدمين والمتأخرين وأعلمه بما كان وما يكون إلى يوم الدين وعلى آله وأزواجه
وذريته المطهرين وصحابته المنتخبين وبعد فلما وقفت على قصيدة الكاتب
الأديب الأبدع ذكرا في المغرب أنشأها على حسب الترتيب في عدد ملوك هذه الدولة
العلوية المختصة بمعالم ترجمة عدد ما لها سائر الدول وذكر تاريخ ولايتهم ووفاتهم
وبعض حالاتهم على نسق ترتيبهم الأول فالأول فرقصت لرقة أشعارها ومقطعها أطربا
وفضت من الطيب معاني بأنها جميلة لما اشتملت عليه من الجزالة المطلقة والكفاءة
وحسن الترتيب حتى كأنها عذراء الفن على نعتها محاسن الغزل والنسيب

صورة للصفحة الثانية من النسخة المعتمدة (1463 د)

190

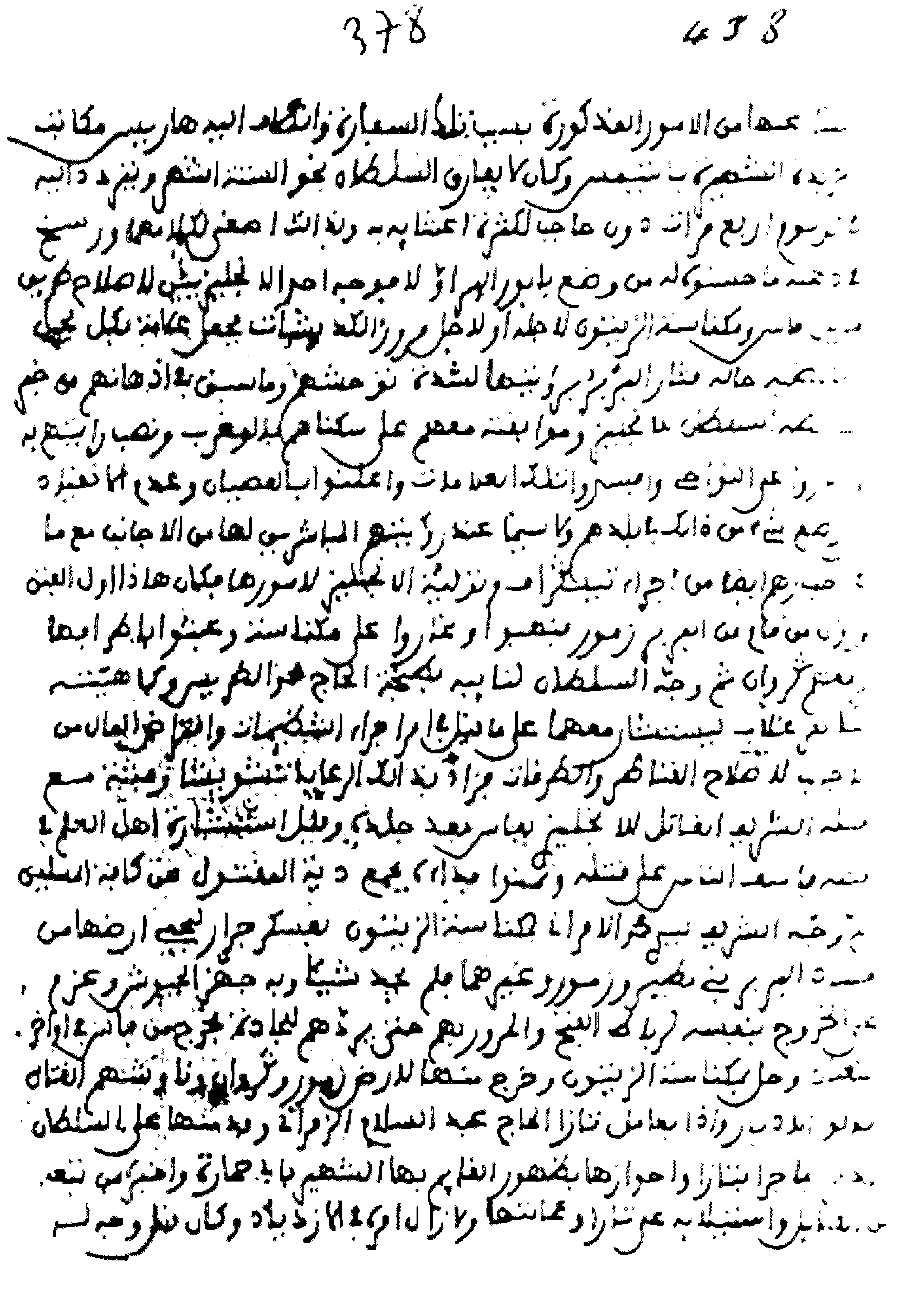

صورة للصفحة الأخيرة من النسخة المعتمدة (1463 د)

ب - **نسخة الخزانة الحسنية** : 12489 ز :

توجد هذه النسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم : 12489 ز . رمزت لها في المقارنة بحرف : ز . تحتوي على 172 ورقة (340 صفحة) ، مقياس : 22 17x سم . كل صفحة تتألف من 25 سطرا، ماعدا الصفحة الأولى : 15 سطرا . والصفحة الأخيرة : 9 سطور.

كتبت هذه النسخة بحبر أسود دقيق، مع استعمال اللون الأحمر والأزرق والبرتقالي في كتابة بعض الجمل والكلمات. وخطها مغربي لابأس به، يبدو أنه حديث العهد، لكنها خالية من إسم الناسخ وتاريخ النسخ. وهوامشها خالية من العناوين اللهم بعض التصحيحات والتكميلات.

وتأتي هذه النسخة في المرتبة الثانية من حيث الجودة وقربها من الأصل. فكثيرا ما اعتمدتُ عليها في تصحيح بعض الأخطاء والتحريفات التي وقع فيها ناسخ مخطوطة 1463 د.

فهذه النسخة (12489 ز) تطابق النسخة المعتمدة في محتوياتها وترتيبها. وقد أخطأ عبدالله عنان حينما قال بأن هذه النسخة تستمر فيها الحوادث إلى سنة 1321 هـ / 1903 م [2] والصحيح أن الحوادث تستمر فيها إلى سنة 1319 هـ/ 1902 م.

ج - **نسخة الخزانة الحسنية** : 1020 :

توجد هذه النسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم 1020 .

وقد رمزت لها في المقارنة بحرف : ح. تحتوي على 190 ورقة (380 صفحة)، مقياس: 18x22,5 سم. وكل صفحة تتألف من 23 سطرا، ما عدا الصفحة الأولى : 19 سطرا.

ويلاحظ أنها مكتوبة بخط مغربي حديث العهد، لكنها خالية من إسم الناسخ وتاريخ النسخ، وهي تطابق النسختين السابقتين في محتوياتهما وترتيبهما بداية ونهاية. وأثناء الدراسة تبين لي أن متنها يطابق متن النسخة المعتمدة (1463 د). مما يعني أنها نُقلت عنها، أو أن كلاهما نُقلا عن أصل واحد. أما التصحيحات التي وردت بالهامش أو التي أقحمت بالمتن - وهي قليلة - فهي تطابق متن نسخة 12489 ز ، وهو ما يدل على أن التصحيحات نقلت عن هذه الأخيرة. وقد وردت بهذه النسخة عناوين لبعض الفقرات ابتداء من صفحة 201 التي تبتدئ بعهد السلطان عبدالرحمان.

---

(2) محمد عبدالله عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 143:1 .

د- نسخة الخزانة العامة : 320 ك:

توجد هذه النسخة بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 320 ك، ضمن مجموع. تبدأ من صفحة 177 وتنتهي عند صفحة.497 مرقمة بقلم الرصاص. وقد رمزت لها أثناء المقابلة مع النسخ الأخرى بحرف : ك، تمييزاً لها عن النسخ الأخرى.

تحتوي على : 161 ورقة (322 صفحة). مقياس : 18x23 سم، وكل صفحة تتألف من 23 سطرا، ماعدا الصفحة الأولى : 18 سطرا.

كُتبتْ هذه النسخة بخط مغربي متوسط الجودة. وهي غير تامة بالنسبة للنسخ الأخرى إذ تنتهي عند الجملة التالية :

"وهو أيضا من معاني الاعتزاز من الأجانب في البيت قبله وكان" وهي توافق النسخة المعتمدة (1463 د) عند صفحة 821 - 822 وقد كُتب في الصفحة الأولى من هذه النسخة بأن هذا المخطوط في ملك محمد عبدالحي بن عبدالكبير الكتاني، بتاريخ 1 ربيع الأول سنة 1334 هـ / 7 يناير 1916 م في فاس.

وهذا يعني بأنها كانت في ملك محمد عبدالحي الكتاني بفاس، ثم انتقلت إلى الخزانة العامة بالرباط بعد أن تم إدماج خزانة الكتاني المذكور في الخزانة العامة.

وهذه النسخة خالية - أيضا - من إسم الناسخ وتاريخ النسخ. إلا أنه من خلال تعليق ورد في هامش صفحة 352 أمكننا الاستنتاج بأن الناسخ هو محمد البادسي.

يقول الناسخ في آخر تعليقه : "... قاله كاتبه محمد البادسي لطف الله به" . أما عن تاريخ النسخ فلا نعرفه بالضبط، ولكن من خلال تاريخ ملكية النسخة أمكن الاستنتاج على أنها انتسخت قُبيل سنة 1334 هـ/ 1916 م.

وقد لاحظت أثناء المقارنة، أن هذه النسخة تطابق النسخة 1463 د في اللفظ والمعنى، إلى حد كبير، وكأنها انتسخت عنها. وهو أمر ليس مستبعداً.

كما لاحظتُ وجود بعض الكلمات والجمل الساقطة. وقد أشرتُ إلى ذلك في محله في هامش المقارنة.

هـ - نسخة الخزانة الحسنية : 1019 .

توجد هذه النسخة بالخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم .1019 وقد رمزت لها بحرف: م. تحتوي على 159 ورقة (318 صفحة). وكل صفحة تتألف من 23 سطرا، ماعدا الصفحة الأولى : 18 سطرا، والأخيرة : 4 سطور. مقياسها : 17x22 سم.

كُتبتْ هذه النسخة بخط مغربي لابأس به، لكن دون أن يكتب الناسخ إسمه وتاريخ النسخ. هوامشها نظيفة وخالية من التصحيحات والتعليقات باستثناء عناوين الفقرات والموضوعات. وقد احتفظت الصفحة الأولى منها بفهرس عام للموضوعات.

ويبدو أن هذه النسخة هي الأصل الأول للكتاب الذي قدمه المشرفي، هدية للسلطان مولاي الحسن سنة 1310 هـ / 1893 م. وهي نفس السنة التي انتهى فيها المشرفي من تأليفه للكتاب، وهو ما يعني أنها انتسخت في نفس السنة أيضا.

وتتضمن هذه النسخة زيادات مهمة لاتوجد في النسخ الأخرى وتهم الموضوعات التالية :

1 - دولة النبي (ﷺ).

2 - دولة الخلفاء الراشدين.

3 - دولة بني أمية بالمشرق والمغرب.

4 - معلومات عن الإكسير (علم الكيمياء).

5 - أبيات شعرية للمؤلف في مدح "المكينة" بفاس.

أما الزيادات التي تتضمن النسخ الأخرى، والتي أقحمها المشرفي أثناء تعديله للكتاب الأصل وإضافة التذييل في سنة 1321 هـ / 1903 م ، فتهم الموضوعات التالية :

1 - حرب إيسلي.

2 - شروط اتفاقية صلح تطوان المبرمة بين المغرب وإسبانيا.

3 - معلومات عن شخصية السلطان مولاي الحسن.

4 - غزوة بني مطير ووقعة أهل فاس في عهد مولاي الحسن.

5 - الاوصاف الواجبة على السلاطين والملوك.

6 - شعر أبي محمد العربي المشرفي في مدح السلطان مولاي الحسن.

7 - حركة السلطان مولاي الحسن إلى شمال المغرب وعودته إلى فاس.

هذا، فضلا عن التذييل بكامله، الذي تضمن الاحداث التي شهدها المغرب في أواخر حياة مولاي الحسن إلى أواسط حكم مولاي عبدالعزيز.

ونظرا لهذا التعديل، حيث عمل المشرفي على تأخير وتقديم، وحذف وزيادة وتغيير بعض الكلمات والجمل، فإن عملية المقارنة- والحالة هذه - كانت جد صعبة، بالإضافة إلى أن الهوامش ستُملأ بالاختلافات بين هذه النسخة والنسخ الأخرى بدون فائدة. وكل هذا جعلني أستبعدها من المقارنة مع النسخ الأخرى. إلا أنني - مع ذلك - استأنستُ بها.

و - ورقات من الكتاب : 2472 د :

توجد هذه الورقات من كتاب الحلل البهية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2472د. تحتوي على 6 صفحات.

يبدو أنها نقلت عن نسخة الخزانة العامة 1463 د ابتداء من صفحة 441 إلى صفحة 452 .

2 - وضع الهوامش :

من عناصر منهج التحقيق عملية وضع الهوامش، وهي عملية تكتسي أهمية بالغة، لأنه على هذه الهوامش يرتكز العمل في التحقيق، وعن طريقها يتم الحكم على جودة التحقيق أو رداءته.

ويمكن أن نميز بين ثلاثة أنواع من الهوامش، وهي كالتالي :

أ - هوامش الاختلاف :

وضعتُ هذه الهوامش لتمييز الاختلافات اللفظية بين النسخ المعتمدة في المقارنة. وقد لاحظت أن الاختلافات في الألفاظ والجمل بين النسخ لم تكن عميقة تمس الجوهر، وإنما كانت قليلة تهم الشكل فقط، مما يعني أن جميع النسخ انتسخت عن أصل واحد، لعله نسخة المؤلف نفسها.

وأشير إلى أنني أثبتُ في المتن نص نسخة 1463 د، لأنه الأصح والأقرب إلى الأصل، إن لم أقل أنه يطابق الأصل. أما نصوص النسخ الأخرى فجعلتها مكملة له.

وفي حالة وجود الاختلافات بين النصوص، كنت أُثبتُ في المتن النص الصحيح، الذي كُنت أرجح أن يكون هو الأصل، وأثبت في هوامش الاختلاف النص الخاطئ والسقيم. كما أثبتُ في الهوامش بالإضافة إلى الاختلافات بين النسخة المعتمدة والنسخ الأخرى، الاختلافات بين النسخة المعتمدة والمصادر التي نقل عنها المؤلف بصفة مباشرة. أما النقل الذي كان يتصرف فيه المؤلف فكُنتُ أحيلُ عليه فقط.

ب - هوامش التعليق :

وضعت هذه الهوامش للتعليق على نص المؤلف كلما دعت الضرورة إلى ذلك، خاصة في الحالات التالية :

1 - ورود النص مبهما

2 - ورود النص بكيفية جد مختصرة

3 - تضمن النص لمعلومات معرفية تاريخية خاطئة، كالأخطاء في مضمون النص والتواريخ والأسماء... إلخ.

لهذا فقد تطول هذه الهوامش أو تقصر حسب سياق النص وأهمية الحدث وكيفية عرضه.

وأثناء التعليق كنتُ أرجع إلى المصادر والمراجع التي تطرقت لذلك النص (الموضوع)، خاصة المصادر التي اعتمدها المؤلف، حتى أسير بالنص في الاتجاه العام الذي سار فيه المؤلف.

ج - **هوامش التوثيق** :

تتعلق هذه الهوامش بتوثيق النصوص، وذلك بالرجوع إلى المصادر التي اعتمدها المؤلف، وكثيرا ما كُنتُ أضيفُ عليها مصادر أخرى، لخدمة النص الموثق وزيادة في التوضيح والتأكيد على صحته. فقد وثقتُ - ما أمكنني- النصوص النثرية المختلفة المعارف، والنصوص الشعرية، والآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كما قمتُ بتعريف الأعلام، والمواضع، والكتب، وضبط التواريخ الهجرية وموافقتها بالتاريخ الميلادي ، وفك بعض الرموز التي استعملها المؤلف.

ونظرا لصعوبة فصل هذه الهوامش عن بعضها البعض، وإثبات كل واحدة في إطارها الخاص ، فقد أدمجتها في هامش واحد يجمع بينها.

3 - وضع الرموز والاختزالات :

ولتوضيح النص وتقريبه إلي الأذهان، استعملت الرموز والاختزالات التالية :

[ ] **المعقوفتان** :

أ - لحصر ما سقط من إحدى النسخ المعتمدة في المقابلة.

ب - لحصر إضافة ضرورية استدعاها المقام.

( ) **القوسان** :

أ - لحصر اختلاف بين النسخة المعتمدة والنسخ الأخرى.

ب - لحصر الألفاظ التي تم تصحيحها - في حالة الضرورة - اعتمادا على المصدر الذي نقل منه المؤلف مباشرة، أو أن سياق المعنى استدعى ذلك.

ج - لحصر أرقام الإحالات وأرقام الهوامش

" " **المزدوجتان** :

أ - لحصر الآيات القرآنية

ب - لحصر الأحاديث الشريفة

* **النجمة** : استعملتُها للدلالة على بداية رقم الورقة الذي تحمله النسخة المعتمدة (1463 د)

واستعملتُها في الهوامش مقرونة بحرف "أ" الذي يعني وجه الورقة ، وبحرف "ب" الذي يعني ظهر الورقة. مثل : * 10 أ. ثم 10 ب .

وسبب الاعتماد في الترقيم على الأوراق هو أن أرقام صفحات النسخة المعتمدة بها خلل في التسلسل، ابتداء من صفحة 340 إلى آخر النسخة.

فبدلا من أن يضع الناسخ الرقم : 340 وضع الرقم : 400 . وهكذا يبدأ الخطأ في التسلسل.

أما الرموز التي استعملتها في الهوامش، وهي تختزل الكلمات فهي كالتالي :

مخ : مخطوط .

خ.ع.ر : الخزانة العامة بالرباط.

خ.ح.ر : الخزانة الحسنية بالرباط.

م.ع.ت : المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان.

م.س.ن.ج.ص : مصدر سابق نفس الجزء والصفحة.

ص : الصفحة .

هـ : هجرية

م: ميلادية

ت : توفي.

/ : يوافق.

ج : الجزء

Arch. Maroc	:	Archives Marocaines.
Ency	:	Encyclopédie.
tri	:	trimestre.
T	:	Tome
V	:	Volume
P	:	Page.

أما رموز النسخ الخطية للكتاب فهي حسب ترتيبها كالتالي :

د : نسخة الخزانة العامة : 1463 .

ز : نسخة الخزانة الحسنية : 12489 .

ح : نسخة الخزانة الحسنية : 1020 .

ك : نسخة الخزانة العامة : 320 .

م : نسخة الخزانة الحسنية : 1019 .

4 - تقسيم نص المؤلف :

كما عملتُ على تقسيم نص المؤلف الذي يشمل القسم الثاني من العمل كله، إلى تسعة عشر مقصدا تسهيلا لقراءته وفهمه.

وقد قسم المؤلف المقدمة إلى مقصدين. لكن دون أن يقسم الشرح والتذييل، أو يعطي لفقراتهما عناوين إلا استثناء. وهذا ماجعلني أقسم الشرح والتذييل إلى مقاصد وأعطي لكل مقصد عنوانا مناسبا للموضوع مرتبطا في ذلك بشكل ومضمون النص، حتى أبتعد عن كل إسقاط يخل بالسياق.

وهكذا أتى العمل التقسيمي في نص الكتاب على هيأته التالية :
خطبة الكتاب / دواعي التأليف.
مقدمة / التاريخ والمؤرخون
المقصد الأول : علم التاريخ وذكر بعض من ألف فيه
المقصد الثاني : التعريف بالناظم وقصيدته.

شرح القصيدة / تركيز السلطة ومواجهة التهافت الأوربي.
المقصد الثالث : أفضلية الدولة العلوية
المقصد الرابع : بداية تكوين الدولة العلوية.
المقصد الخامس : الدول المتعاقبة على المغرب قبل الدولة العلوية.

المقصد السادس : استكمال تكوين الدولة العلوية.
المقصد السابع : توطيد السلطة وتوحيد البلاد.
المقصد الثامن : إعادة توحيد البلاد.
المقصد التاسع : الانفتاح على الخارج.
المقصد العاشر : استتباب الأمن والمساعي الحميدة.
المقصد الحادي عشر : السياسة المرنة وبداية مواجهة الأطماع الفرنسية.
المقصد الثاني عشر : الاحتلال الإسباني لتطوان وعقد الصلح.
المقصد الثالث عشر : الإصلاح وازدياد الأطماع الأوربية.

* تذييل شرح القصيدة / ضعف السلطة والتغلغل الأوربي.
المقصد الرابع عشر : عودة إلى الأطماع الأوربية.
المقصد الخامس عشر : الاستبداد وتعميق سياسة الانفتاح.
المقصد السادس عشر : الاستيلاء الفرنسي على توات.
المقصد السابع عشر : التغييرات الحكومية.
المقصد الثامن عشر : تعدد السفارات إلى أوربا.
المقصد التاسع عشر :الموافقة على إجراء الإصلاحات الإنجليزية.

هذه هي العناصر المنهجية الأساسية في التحقيق ويمكن إدراج عناصر أخرى لكنها تابعة للعناصر الأولى أو أنها ثانوية وهي :

أ- وضع الأرقام :

وضعت نوعين من الأرقام : النوع الأول، وهي الأرقام الأصلية للنسخة المعتمدة، وأثبتها في الهامش مقرونة بعلامة النجمة (*).

والنوع الثاني، وهي أرقام الدراسة والنص المحقق والفهارس، وهي أرقام متسلسلة من بداية العمل كله إلى نهايته.

كما قمت بترقيم الإحالات في المتن والهامش بشكل متسلسل من بداية المقصد إلى نهايته في النص المحقق، ومن بداية المبحث إلى نهايته في الدراسة، وتتجدد هذه الأرقام في كل مقصد ومبحث .

ب - وضع العناوين :

ووضعت العناوين للمقاصد والفقرات، وميزتها عن عناوين المؤلف - وهي جد قليلة - بحصرها بين المعقوفتين تسهيلا لتناول النصوص وفهمها.

وأثناء وضع العناوين تجنبت تكرارا أسماء الملوك والسلاطين المنوه بهم عند استرسال المؤلف في الكلام عنهم، فاقتصرت على ذكر أسمائهم في بداية كل مقصد ثم في وسطه وآخره، للتأكيد على استمرار المؤلف في الكلام عن هذا السلطان أو ذاك.

ج - كتابة الكلمات وفقا للرسم الحديث :

وردت بالمخطوط كلمات مكتوبة بالرسم التقليدي الذي كان متعارفا عليه، لهذا قمتُ بتعديلها وفقا للرسم الحديث مثل : اليل : الليل. سليمن : سليمان. لاكن : لكن . الثقات : الثقاة. تعلى : تعالى .

د - فك بعض الرموز المستعملة :

كما حاولتُ أن أفك بعض الرموز التي استعملها المؤلف أو الناسخ في المتن والهامش. وكنت أشير إليها في هوامش التحقيق كلما دعت الضرورة إلى ذلك .

هذه الرموز ومدلولاتها هي كالتالي :

- ***في المتن*** :

ظم : الناظم.

ح : حينئذ.

ج : الحاج.

ع : العالم.

كذا : هكذا ورد اللفظ.

إلخ : إلى آخره.

هـ : انتهى.

خ. ق : تأخير وتقديم استدركه الناسخ.

صح : صحيح . لتأكيد صحة مضمون مبهم.

- **في الهامش** :

ط : الطرر، وضعها الناسخ للتمييز بين ما هو تعليق وما هو من الأصل أي الساقط من المتن.

خ : خطأ . للإشارة إلى خطإ ورد في المتن

صح : صحيح .

قف : توضع هذه العلامة فوق عنوان أو استدراك.

الأصل : تصحيح لكلمات أو جمل سقطت من المتن، يجب إدخالها في المتن (الأصل).

ولتوضيح النص ، وتنظيمه حسب مقاصد المؤلف، فَصَلتُ بين الجمل بالنقط والفواصل، وعلامات الاستفهام وعلامات التعجب. وكل هذا من أجل خدمة النص وتوضيحه.

هـ - **وضع الفهارس** :

ثم وضعت فهرسا عاما يشتمل على فهرس موضوعات الدراسة، فهرس موضوعات الكتاب المحقق، فهرس المصادر والمراجع المعتمدة، فهرس الأعلام، فهرس الجماعات، فهرس الأماكن، ثم فهرس الكتب الواردة في متن الكتاب.

5 - دراسة عصر المؤلف وبيئته وحياته :

بعد عملية تحقيق الكتاب، قمتُ بإنجاز دراسة تحليلية لعصر المؤلف وبيئته وحياته، مُتبعا في ذلك المنهج التاريخي بوضع النصوص في إطارها الزمني التاريخي.

وقد ركزتُ في هذه الدراسة على المدة الزمنية التي عاصرها المؤلف وتمتد من 1290 إلى 1321 هـ / 1873 - 1903م، لأنها تساعدنا أكثر على فهم حياة المؤلف، وفهم عناصر فكره، والظروف التاريخية التي أثرت على توجهاته وسلوكه، وتأليفه لكتاب الحلل البهية، لأن المؤلف هو ابن عصره، وهو مقيد بحكم شروط الوجود الإنساني.

فدرستُ العصر الذي عاش فيه مع إبراز أهم الأحداث التي كان لها الوقع أكثر من غيرها على توجهاته الفكرية والاجتماعية معتمداً في ذلك على كتابه الحلل البهية.

كما درستُ البيئة التي احتضنته طيلة حياته، من مختلف جوانبها وعناصرها (السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والفكرية) في المدة الزمنية المحددة (1290 - 1321 هـ/ 1873 - 1903 م).

ثم تطرقتُ لدراسة حياته، مستجليا أطوارها منذ أن هاجر إلى فاس وهو صغير السن، إلى أن توفي بها سنة1334 هـ/ 1916 م .

وهكذا أتى عملي في هذه الدراسة على هيأته العامة التالية :

المبحث الثاني : عصر المشرفي من خلال كتابه الحلل البهية.

- ملامح نهضوية.
- احتلال توات.
- الاصلاحات الإنجليزية.

المبحث الثالث : - بيئة المشرفي.

- الحياة السياسية.
- الحياة الاجتماعية.
- الحياة الاقتصادية.
- الحياة الفكرية.

المبحث الرابع :

- حياة المشرفي.
- أسرة المشرفي.
- دراسة تعريفية ونقدية لمصادر حياة المشرفي.
- حياة المشرفي.

6 - دراسة تحليلية للكتاب :

ثم أنجزتُ دراسة تحليلية نقدية لنص كتاب الحلل البهية، فوضعت النص في إطاره التاريخي، واستجليتُ الظروف ودواعي التأليف، كما أبرزت المضامين الأساسية التي ركز عليها المشرفي وأولاها اهتماما خاصا.

وحاولتُ أن أبين مدى اتصاف المشرفي بمواصفات المؤرخ، عبر استجلاء عناصر فكره التاريخية انطلاقا من الحلل البهية .

كما وضعت مقارنة بسيطة بين كتاب الحلل البهية وأهم المصادر المعاصرة له، لإبراز قيمته التاريخية. ثم وضعتُ قائمة الباحثين والمؤرخين الذين اعتمدوا عليه في أبحاثهم.

وهكذا أتى عملي في الدراسة التحليلية للكتاب على الشكل التالي :

المبحث الخامس : المشرفي وكتابه الحلل البهية :

- الغالي بن سليمان وقصيدته.
- ظرفية ودواعي تأليف الكتاب.
- المضامين الأساسية للكتاب.
- المشرفي المؤرخ.
- قيمة الكتاب التاريخية.

وبهذا أكون قد انتهيت من إنجاز هذا العمل المتواضع، لكنه كان عملا شاقا ومضنيا، تطلب مني جهدا وصبرا كبيرا وذلك للأسباب التالية :

1 - إن الكتاب يغطي مرحلة تاريخية طويلة تمتد من تاريخ المغرب الوسيط إلى التاريخ المعاصر (172 هـ إلى 1319 هـ / 788 م إلى 1902 م).

2 - ضخامة الكتاب الذي يتألف من 380 صفحة مكتوبة بخط يميل إلى الدقة. وهو الأمر الذي استلزم مني وقتا طويلا لنسخه وقراءته ومقارنته وتوثيق نصوصه والتعليق عليها.

3 - احتواء الكتاب على معلومات تاريخية، أدبية ، لغوية، وعلمية، وتضمنه لأشعار وأمثال وحكايات، مما تجعل مهمة توثيقها في غاية الصعوبة.

4 - عدم العثور على بعض المؤلفات التي استشهد بها المؤلف، لأنها أصبحت الآن إما في طي المفقود أو أنها توجد في دول أخرى.

هذه، هي أهم الأسباب التي جعلت من عملية تحقيق هذا الكتاب المخطوط عملية شاقة وعسيرة، تغلبنا عليها إلى حد كبير بالجهد والعمل المتواصل، وبالصبر والأناة، فأخذ منا ما يناهز أربع سنوات ونصف.

المبحث الثاني : عصر المشرفي من خلال كتابه الحلل البهية

عاش محمد المشرفي ما ينيف على 79 سنة، امتدت من 1255 هـ/ 1839 إلى 1334 هـ/ 1916. هذه المدة الزمنية المعتبرة تميزت بظهور معطيات ومتغيرات تاريخية كان لها، من دون شك، الأثر الفعال على التكوين النفسي، والفكري والشخصي لمحمد المشرفي، الذي جرد قلمه لتسجيل إيجابياتها وسلبياتها بتخصيصه الحيز المناسب لها في كتابه التاريخي القيم: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية الذي نحن بصدد دراسته وتحقيقه معبرا بذلك، بكل صدق وتجرد، عن همومه وأحاسيسه، بل هموم وأحاسيس ومشاغل جيل عصره بكامله.

فما هي أهم هذه المعطيات والمتغيرات التاريخية في تسلسلها الكرونولوجي؟

ملامح نهوضية (1290 - 1311 / 1873 - 1894)

من دون شك أن هزيمتي : إيسلي وتطوان، أمام الزحف العدواني الأوربي المتقدم عسكريا وصناعيا وحضاريا، أفرزا عن مراكز الضعف والخلل داخل الدولة المغربية، التي أحست بثقل الهزيمتين . فكان عليها كسلطة مسؤولة عن حماية البلاد، أن تخوض غمار المواجهة.

وقد تحمل هذا العبء الخطير السلطان مولاي الحسن، الذي ورث أوضاعا مزرية وظروفا تاريخية جدّ صعبة. فكان عليه أن يجدّ ويسعى ليخطو بالبلاد خطوة ثابتة نحو بناء مستقبل أفضل، وهو ما تجلى في محاولاته الإصلاحية التي عنونًاها ب "ملامح نهضوية" ، هذه الملامح التي عبر عنها المشرفي أحسن تعبير في كتابه الحلل البهية.

فأين تجلت أهم هذه الملامح النهضوية حسبما رسمه المشرفي في كتابه؟

1 - الجانب السياسي :

حاول محمد المشرفي أن يُبرز الوجه الناصع ، الوجه المشرق لسياسة السلطان مولاي الحسن، خاصة فيما يتعلق بالمجهود الذي بذله السلطان في سياسته الداخلية : من إخماد الفتن والاضطرابات ومراقبة رجال الحكومة والمسيّرين، والحفاظ على أمن وسلامة واستقلال المغرب.

وقد نجح السلطان في سياسته الداخلية أيما نجاح، لاتصافه بأوصاف لا تجتمع إلا في ملوك وسلاطين عظام. وقد أطنب محمد المشرفي في ذكر هذه الأوصاف [1]، وأهمها

---

(1) انظر هذه الأوصاف في الحلل البهية ج 2 : 117 – 118 ، 123 – 127 ، 177 – 182 .

العدل، الذي اعتبره أس كل دولة ومملكة بقوله : "إذ العدل هو قوام الملك ودوام الدول وأسّ كل مملكة" [2] ، ولم يفته استلهام الموروث الإسلامي للتدليل على أهمية هذه الصفة.

وإذا كان قد فصّل الكلام عن أوصاف السلطان وسياسته الداخلية، فإنه أهمل أو أغفل الجوانب المتعلقة بالتنظيم السياسي للمؤسسة الحكومية والمؤسسة الإدارية، وكأنه لم يَحدثْ أي تعديل أو تنظيم أو إصلاح داخل المؤسسات المذكورة.

2 - الجانب الاجتماعي :

من الظواهر الاجتماعية الفاسدة في مغرب القرن 13 هـ / 19 م ، تفشي البدع والأوهام والخرافات، وتقديس الأولياء والصالحين والتشبث بالعادات والتقاليد الغريبة عن الإسلام، مما حدا بالنخبة المثقفة إلى أن تحمل على كواهلها رسالة محاربة هذه المفاسد، فألّفت كتبا في الموضوع [3]، كما أن المشرفي لم يتورع عن توجيه النقد اللاذع لقبائل الحياينة لشيوع بين أوساطها عادات وتقاليد منافية للإسلام[4]، فطلب من السلطان مولاي الحسن التدخل بالقوة، لإصلاح هذا المجتمع البدوي. فكيف كان موقف السلطان مولاي الحسن من هذه المفاسد الاجتماعية؟

كان السلطان الحسن يعتبر أن ظواهر الانحلال الاجتماعي من الظواهر التي تعرقل قيام السلطة السياسية المركزية بواجبها أحسن قيام، كما تعرقل نمو البلاد وتطورها نحو مستقبل أفضل. فعلى سبيل المثال كانت عادتا "اللف" و "الميعاد" [5] بنواحي وجدة تؤديان إلى إفلات الأمور من يد السلطان من حيث الممارسة الفعلية للسلطة، ومن حيث تحصيل الدعائر المترتبة عن القضاء المخزني لصالح بيت المال [6] . لهذا قام السلطان سنة 1293 /1876م بإبطالهما والقبض على كل من ساهم في ممارستهما، رغم بعض العوائق، ومن ضمنها فرنسا التي كانت تهدف إلى استمرار حالة الفوضى في عمالة وجدة [7].

ولم يقتصر السلطان على إبطال العادات والتقاليد القبلية الموروثة، بل حارب - أيضا - اللهو " ونبذ أهله وكسر آلته" [8] في إطار عملية محاربة المفاسد الاجتماعية السائدة.

---

(2) الحلل البهية ج 2 : 123 .

(3) ذكر أحمد المكاوي بعضها في رسالته الجامعية : مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة، بحث (مرقون) لنيل د.د.ع. في التاريخ جامعة سيدي محمد بن عبدالله، فاس 1409 / 1988 . ص : 176 .

(4) انظر : منهاج البشري وسعادة الدنيا والأخرى ميكرو فيلم في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم .1638 ورقة : 24 ب وما بعدها.

(5) انظر التفاصيل في الحلل البهية ج 2 :127 – 129.

(6) عكاشة برحاب ، شمال المغرب الشرقي : 162 .

(7) عكاشة برحاب ، شمال المغرب الشرقي : 157 .

(8) الحلل البهية :ج 2 :118 .

3 - الجانب الأدبي :

اهتم السلطان مولاي الحسن بالجانب الأدبي والشعري، ما جعل هذا الجانب يخطو خطوات إلى الأمام بالمقارنة مع ما كانت عليه وضعيته في المدة السابقة من تاريخ الدولة العلوية.

فقد قدّم السلطان مساعدات نقدية وعينية للأدباء على اختلاف مستوياتهم، خاصة أولئك الذين كانوا ينشؤون القصائد في مدحه والإطراء عليه. وبهذه التشجيعات المادية، تقدّم الأدب تقدما ملحوظا على المستوى الكمي. لكن هل كان ذلك كافيا؟ وهل حقق الأدب الخطوات المرجوة على المستوى الكيفي، أي على مستوى الإبداع والابتكار؟

إن السلطان مولاي لحسن ساهم مساهمة كبيرة في إبراز الملامح النهضوية في المجال الأدبي خلال هذا العصر، فقائمة الدواوين والقصائد التي احتفظت لنا بها أكثر المصادر التاريخية والأدبية قائمة طويلة، تترجم الأهمية الكمية في الإنتاج، لكن هذا الإنتاج كان يعوزه عنصر التجديد وروح الابتكار، لأن أصحابه كانت صلتهم بأهل العصور الخالية أقوى من صلتهم بأهل العصر الذي يعيشون فيه[9]. وقد لاحظ أحمد الطريسي أن الأعمال الشعرية في هذا العصر لم تكن "تصدر عن شعراء أصلاء لهم تصوراتهم المحددة حول الأعمال الفنية بوجه عام والأعمال الشعرية بوجه خاص، وإنما عن كتاب دواوين وقضاة ووزراء وفقهاء أو علماء بمفهوم العصر" [10].

إن الأدب عامة ، كان يتجاذبه نزوع إلى التطور والانطواء، لكن الغلبة كانت للاتجاه الثاني.

4 - الجانب العلمي :

ظل الجانب العلمي مهملاً بالمؤسسات التعليمية بالمغرب لقرون طويلة، حيث بقيت المواد الدراسية ذات الطابع الديني المحض هي المواد التي تنال الحظ الأوفر في التدريس داخل جامع القرويين، إلى أن كان الصدام مع أوربا في مواجهات مباشرة عرّت على الوجه الحقيقي للوضع والمسار العلمي بالمغرب. ومن أجل اللحاق بالدول المتحضرة، حاول بعض السلاطين العلويين أن يساهموا بنصيب في عملية بعث العلوم الرياضية والهندسية والفلكية وغيرها، ونخص بالذكر السلطان محمد بن عبدالرحمان الذي كان "متشوفاً لعلم الهندسة والتنجيم والهيئة" [11] لقناعته بأهميتها وضرورتها.

---

(9) عبدالله كنون، أحاديث عن الأدب المغربي : 25 .

(10) أحمد الطريسي، الإصلاح وصورة الأجنبي في الشعر المغربي في القرن 19. مقال في مجلة ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19 . السنة : 1404/ 1983 . ص : 376 .

(11) الحلل البهية ج 2 : 92 .

إلا أن اكتمال الملامح النهضوية في هذا المجال لم تتجلّ واضحة إلا في عهد السلطان مولاي الحسن، الذي لم يفته علم شرعي ولا فلسفي حسب تعبير محمد المشرفي.

ومن العلوم التي نالت عناية كبيرة من السلطان، علم الكيمياء، الذي لم ينل تلك العناية من أي أحد قبله، يقول المشرفي : "وقد اعتنى به اعتناء لم يعهد من غيره، حتى أنه لم يُبْقِ بأقطار المغرب ومشايخه من ينتمي إليه إلا وقد أمر بإحضاره" [12].

إن المشرفي خصص فقرات للحديث عن العلوم وتقسيماتها، وأبرز مدى اهتمام وعناية السلطان مولاي الحسن بها، في وقت كان التعليم ينصب أساسا على العلوم الدينية والأدبية. لكن لماذا سكت المشرفي السكوت المطبق عن البعثات التعليمية إلى الخارج والإصلاحات التي مست الجانب التعليمي في عهد هذا السلطان المنوه به؟

5 - الجانب العسكري :

كان الجانب العسكري أول الجوانب التي حظيت باهتمام بالغ من طرف السلطة السياسية والعلماء على السواء. ولم يختلفوا في وجوب تحديث الجيش. فما هي أهم ملامح نهضوية هذا الجانب كما قدمه المشرفي؟

أشاد المشرفي بالمجهودات الكبيرة التي بذلها السلطان مولاي الحسن في مجال الإصلاح العسكري وتحديثه، وذلك بجلب الخبراء والضباط والتجهيزات العسكرية، وبناء المرافق اللازمة له. الشيء الذي ترجم ميول الناس إلى الخدمة العسكرية بشكل كبير، يقول المشرفي : "ومال الناس إلى الخدمة المخزنية لما رأوه من صلاح الأحوال والاستقامة والاعتناء" [13].

وقد عقد المشرفي مقارنة بين السلاح الجديد المجلوب من بلاد "الروم" والسلاح المحلي القديم. الأول سلاح قوي فعال والثاني تقليدي عديم الفائدة[14]. لذا نوه بالسلاح الجديد كما نوه بما أقدم عليه السلطان من بناء "دار السلاح" بمدينة فاس لصنع أحدث المعدات العسكرية في محاولة لتحقيق الاكتفاء الذاتي وبالتالي الاستغناء عن الدول الأوربية.

لم يهتم المشرفي بالجانب العسكري في كتابه الحلل البهية فحسب وإنما أيضا في كتابه منهاج البشرى الذي قدمه نصيحة إلى السلطان مولاي الحسن. ففي هذا الكتاب قدم المشرفي تنظيرا يعتبر بمثابة مشروع يتعلق بكيفية تكوين جيش قوي قادر على حماية

---

(12) الحلل البهية ج 2 : 143.

(13) الحلل البهية ج 2 : 118 .

(14) الحلل البهية ج 2 : 197 .

الدين والوطن[15]، وهذا يفنّد ما قاله أحد الباحثين [16] في شأن المشرفي، وهو قول ناتج عن عدم الاطلاع والتدقيق.

إن المشرفي عالج مسألة الجيش، وتبنى في ذلك موقف السلطة الرسمية المتمثل في موقف السلطان مولاي الحسن. فقد كان مع الموقف القائل بحتمية تحديث الجيش، والسبيل الوحيد إلى ذلك هو "الانفتاح" على "الآخر" المتمثل في الدول الأوربية المتطورة صناعيا. فلا يمكن تجاوز هذا «الآخر» الا بمنافسته والتكافؤ معه بل والتفوق عليه، يقول ملمحا إلى ذلك : "إن القرن إنما يبارز بقرنه، والشيء إنما يوزن بما هو أرجح منه في وزنه"[17] واعتبر أن "من بقي على المنهج القديم أهين وانهزم لدى الملاقاة"[18] وليبرهن على شرعية الانفتاح على "الآخر" ساق المشرفي الرواية التي مفادها أن النبي ﷺ استند في غزوة الأحزاب إلى رأي سلمان الفارسي [19] ، كما ساق الحديث الشريف : "مَنْ قَاتَلَ فَلْيُقَاتِلْ كَمَا يُقَاتَلْ" [20].

لكن، هل سيبقى المشرفي منسجما مع نفسه متبنيا طرحه هذا في وقت لاحق؟ يُلاحظ أن المشرفي كان أكثر تحمسا للانفتاح على "الآخر" والتعامل معه في العهد الحسني، حيث جعل من الانفتاح قاعدة مطلقة لأي تطور أو تقدم، لكن مع مرور الزمن وبالذات في العهد العزيزي ستتغير مجريات الأحداث وسيتغير معها موقف المشرفي، حيث سيصبح لديه الانفتاح كقاعدة أساسية يقابله استثنائية "الانغلاق" خاصة إزاء الدولة الإنجليزية التي سيطرت بعثاتها على البلاط السلطاني بفاس، يقول أثناء كلامه عن المقترحات الإصلاحية الإنجليزية : "ولا يحتاجون [أي المغاربة] لأجنبي يمازجهم ويخالطهم ويطلع على عوراتهم بوسيلة الاضطرار إليه لتعليم الحرب وغيره كما هو الواقع" [21].

إن الجانب العسكري، نال باهتمام السلطة السياسية والعلماء على السواء، فشهد تحديثا مهماً على مستوى الكم والكيف، مما يمكن اعتباره من الملامح النهضوية الأساسية في العهد الحسني المتميز.

---

(15) انظر هذا المشروع المقترح في منهاج البشرى، ميكروفيلم خ.ع.ر. 1638 ورقة 60 - 66 .

(16) هو أحمد المكاوي الذي أشار إلى أن المشرفي لم يخصص صفحات بعينها للحديث عن بناء جيش قوي.
انظر : أحمد المكاوي، مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة في النصف الثاني من القرن 19 . بحث (مرقون) لنيل د.د.ع. في التاريخ جتمعة سيدي محمد بن عبدالله فاس 1408 / 1988 ص : 60 - 60 .

(17) الحلل البهية : ج 2 : 197.

(18) الحلل البهية : ج 2 : 198.

(19) الحلل البهية : ج 2 : 198 .

(20) الحديث رواه البخاري في التاريخ الكبير ج 1 : 62 انظره في الحلل البهية : ج 2 : 198 .

(21) الحلل البهية : ج 2 : 251 .

احتلال توات (1318هـ / 1900 م).

ازداد التنافس والتهافت الأوربي على المغرب في أواخر القرن 19 الميلادي بشكل لم يسبق له مثيل. ومن مظاهر هذا الواقع احتلال فرنسا لواحات توات بشكل نهائي (1318هـ/ 1900م) في إطار تحقيق مخططها الاستعماري الذي كان يرمي إلى جمع ممتلكاتها بالنيجر مع ممتلكاتها بالجزائر. فما هي أهم جوانب هذه المسألة التي عالجها المشرفي؟

1 - احتلال توات:

لقد كانت الوضعية السياسية والعسكرية المتفاقمة بالمغرب من العوامل المشجعة على تصعيد فرنسا موقفها العسكري بالجنوب المغربي خاصة بعد نجاحها في اكتساب رأي روسيا، وتمكنها من الحصول على اتفاق 21 مارس 1899 م مع بريطانيا حول النيل الأعلى وتوات.

ففي سنة 1317 / 1899 بدأت فرنسا احتلالها الفعلي لواحات توات اضطرت معه الآلة الدبلوماسية المغربية إلى التحرك السريع على أكثر من واجهة، في محاولة لكسب عطف الدول. وبالتالي إيقاف الزحف الفرنسي على التراب المغربي. لكن تحركات الدبلوماسية المغربية باءت بالفشل، بل إنها عمقت التغلغل الأوربي، فقد تابعت فرنسا سياستها التوسعية في مناطق أخرى بتوات، لتحكم سيطرتها بذلك على الإقليم ككل، معتبرة أن توات جزء لا يتجزأ من التراب الفرنسي بالجزائر مستندة في ذلك إلى حجج. فما هي هذه الحجج؟

2 - حجج الفرنسيين:

بعد احتلالها لواحات توات أدلت فرنسا بحججها لتثبت للرأي العام المغربي حقها التاريخي بالمنطقة لترد بذلك على حجج مغربية توات.

ويمكن إجمال حجج فرنسا في النقط التالية :

أ- إن تولية العامل على توات من قبل سلطان المغرب لم يتم إلا في صدر الدولة العزيزية.

ب - إن خطبة العلماء على المنابر لسلطان المغرب لا تقوم على حجة أو أساس من الوجهة السياسية.

ج - من شروط معاهدة للامغنية المبرمة سنة 1260هـ/ 1845م أن أرض الصحراء موات لا ملك لأحد عليها.

د - إن قصور توات واقعة بصحراء المغرب الأوسط وخارجة عن سمت المغرب الأقصى[22].

هذه، هي أهم الحجج التي استندت إليها فرنسا في مشروعها الاستعماري لاحتلال توات وضمها نهائيا إلى مستعمرتها بالجزائر. فما هو موقف المشرفي من الحجج الفرنسية؟

3 - موقف المشرفي :

يرى المشرفي أن حجج فرنسا كانت أقوى من حجج المغرب، لأن حجج فرنسا يؤيدها منطق القوة، أما حجج المغرب فهي ضعيفة لتساهله وتفريطه "والمفرط دائما محجوج، والتفريط حاصل بالضرورة من دولة الشرفاء العلويين"[23]، لأن المسؤولين ارتكبوا أخطاء، وأهم هذه الأخطاء :

أ - تساهلهم وعدم اكتراثهم بأرض الصحراء وأهلها.

ب - إهمالهم الحزم والضبط والدفاع عن الثغور المغربية.

ج - ظنهم بأن الفرنسيين لن يجنحوا لاحتلال توات.

د - اعتمادهم على دعائم المهادنة ووثوقهم بعهودها[24].

هذه، باختصار - حسب المشرفي - جوانب ضعف الدولة المغربية، وهي الجوانب التي مهدت الطريق أمام نجاح مشروع فرنسا الاستعماري، الأمر الذي جعل المشرفي يقف موقفا معارضا من السياسة المغربية، فلم يتوان عن توجيه النقد واللوم إلى الحكومة المغربية والعلماء، يقول : "ووجهت الملامة على أولي الأمر والعلم لاشتغالهم بالأمور الدنيوية"،[25]، معتبراً إياهم السبب فيما حلّ بالعقيدة والوطن من مصائب، لأنغماسهم في اللذات والشهوات النفسانية.[26] وقد عبر عن ذلك أحسن تعبير في قصيدته[27] التي دعا فيها للجهاد وانتقد المؤسستين المذكورتين (الحكومة والعلماء).

---

(22) انظر مجمل هذه الحجج في الحلل البهية : ج 2 : 231-232 .

(23) الحلل البهية : ج 2 : 232 .

(24) الحلل البهية : ج 2 : 233 .

(25) الحلل البهية :ج 2 : 236 .

(26) الحلل البهية : ج 2 : 233 .

(27) انظر نص القصيدة في الحلل البهية : ج 2 : 237 - 239 .

ماذا نلاحظ في هذه المواقف؟

يلاحظ في خطاب المشرفي، نوع من التحيز للدولة الفرنسية، وكأنه يوافق على هذا الاحتلال. فقد كان يعارض أن تستعين الدولة المغربية بالدول الأجنبية خاصة الدولة الإنجليزية، فضمن كتابه الحلل البهية وثيقة تاريخية، ينفرد بها عن سائر المؤرخين، وهي عبارة عن لائحة تتضمن فكرة الاستسلام والتخلي عن توات دون الإصغاء إلى الأجانب ودون إثارة فتنة. إلا أنه لم يطلعنا لا عن مصدر هذه الوثيقة ولا عن كاتبها.

وهكذا، نلاحظ أنه في الوقت الذي وجه المشرفي النقد اللاّذع للمسؤولين المغاربة، ساق لنا وثيقة تتضمن فكرة الاستسلام، وهو ما يعني وجود موقفين متعارضين (النقد والاستسلام) أوقعا المشرفي في تناقض، ومِنْ ثَمَّ في ثنائية الخطاب.

فكيف يمكن تفسير هذه الثنائية؟

إن المشرفي كان حريصا على وحدة لتراب الوطني المغربي واستقلاله، وكان دفاعه عن الإسلام والمسلمين من المسائل الأولى التي احتلت مكانة بارزة في جميع خطاباته.

وإذا كان قد وقع في تناقض، وهو التناقض الذي جعل عبدالله العروي[28] يتساءل عن شخصية وهوية المشرفي، فإن ذلك ربما كان ناتجا عن تأثره بالدعاية الفرنسية [29]، خاصة وأنه كان يرى على أن الاحتلال أصبح شيئاً واقعاً وحتميا، ففضل أن يكون هذا الاحتلال من طرف الفرنسيين لا من طرف الإنجليز الذين كان يبغضهم أشد البغض، ويكرههم أشد الكره، في وقت كان البلاط السلطاني يعج بهم ويموج.

المقترحات الإنجليزية في الإصلاح (1319 / 1901)

في إطار التنافس الأوربي على المغرب، عملت الدولة الإنجليزية بدهائها السياسي على جذب كبار الشخصيات في البلاط السلطاني، وفي مقدمتهم وزير الحرب المهدي بن العربي المنبهي الذي كان الشخصية المفضلة لدى السلطان عبدالعزيز. وقد أقنع المنبهي السلطان بأهمية الإصلاحات المقترحة من طرف الإنجليز ونتائجها التحضرية الإيجابية.

هذه الإصلاحات تناولها المشرفي بشيء من الإسهاب دون أن يخف موقفه المتشدد منها ومن دعاتها.

فكيف تمت المحاولات الإنجليزية لتمرير سياستها الإصلاحية بالمغرب؟

---

(28) مؤرخو المغرب في القرن 19م . مقال نشر في جريدة العلم الثقافي العدد 175 السنة : 1972 . ص : 5.

(29) بصدد الدعاية الفرنسية لكسب النفوذ داخل المغرب انظر :

E. Doutté : Des moyens de développer l'influence Française au Maroc. Paris 1900.

1 - المحاولات الإنجليزية لتمرير الإصلاحات :

يعتبر المشرفي أن الدولة الإنجليزية فشلت في التدخل في المغرب وفرض إصلاحاتها عليه في عهد مولاي الحسن. والفشل متأتي من وجود شخصية قوية تتوفر على كل المؤهلات للحفاظ على أمن وسلامة واستقلال المغرب، لكن بوفاة هذه الشخصية ووفاة أحمد بن موسى، سيدخل المغرب فترة حاسمة من تاريخه، فترة تميزت بتغييرات ونزاعات حكومية. استغلتها فرنسا لاحتلال توات. الشيء الذي جعل المسؤولين المغاربة يولون اهتمامهم للدبلوماسية الخارجية بحثا عن الدول الصديقة والحليفة، التي يمكنها أن تؤازرهم في محنتهم الجديدة، وكانت إنجلترا أولى تلك الدول. وقد نجحت إنجلترا لدى البلاط السلطاني في توجيه المنبهي سفيراً إلى لندن بتاريخ 27 صفر 1319 / 15 يونيو 1901 لإجراء اتصالات ومشاورات مع المسؤولين الإنجليز حول القضايا العالقة بين الدولتين، وبحث القضايا الراهنة في محاولة لإيجاد الحلول الناجعة لها. ويظهر من خلال المحادثات والمشاورات أن الإنجليز لم يعيروا اهتماما لمطالب المغرب المتمثلة في مساعدته على كسب مسألة توات أمام الفرنسيين. بينما صرفت اهتماماتهم إلى الإصلاحات الواجب إدخالها للمغرب[30]، وهو ما عبرت عنه اتفاقية المنبهي مع الإنجليز في لندن بتاريخ يوم الجمعة 11 ربيع الاول 28/1319 يونيو 1901 [31].

2 - الميادين التي همتها الإصلاحات :

من خلال الاتفاقية المغربية الإنجليزية السابقة الذكر، يلاحظ اقتصارها على ميادين محدودة، ميادين تهم مصالح انجلترا خاصة ما يتعلق بالجانب الاقتصادي والتجاري. فالفصل الأول منها ينص على بناء القناطر وإصلاح ما تلاشى منها.

والفصل الثاني ينص على تشييد المنارات.

والفصل الثالث ينص على تسريح وسق الحبوب بحرا.

والفصل الرابع ينص على وسق البطاطا وجميع أنواع الخضر.

ويتساءل المشرفي عن جدوى هذه الإصلاحات وفي علم الإنجليز "أن المغرب محتوي على أوباش البربر وأجلاف الأعراب إلا ما قل منهم" [32] ! وهو يقصد بذلك سكان البادية والقرى البعيدة عن المدن مركز التمدن والحضارة لأن هؤلاء الأعراب والبربر البعيدين عن مراكز التحضر "في غاية التوحش وشدة النفور من هذه المخترعات التي لم يألفوها ولا رأوها قط مدة حياتهم، لما جبلت عليه النفوس، من النفور من غير المألوف لها" [33]. وهذا ما يترجم أعمالهم التخريبية لأي إصلاح، معلنين معارضتهم للتدخل الأجنبي.

(30) الحلل البهية : ج 2 : 249 الهامش 11 .
(31) الحلل البهية : ج 2 : 250 هامش 13 . وانظر فصول هذه الاتفاقية في نفس المصدر والصفحة.
(32) الحلل البهية : ج 2 : 251 .
(33) الحلل البهية : ج 2 : 251 .

3 - موقف المشرفي :

كان المشرفي على وعي تام بدسائس الدولة الإنجليزية التي تمظهرت بالدولة الصديقة والحليفة، بقوله : "فجعلت تبذل النصيحة(...) وتظهر لأكابر الدولة الشريفة المحبة والمودة بالانتصار، ومرادها التوصل بذلك لمقصودها"[34]. ومقصود الدولة الإنجليزية هو رعاية مصالحها والعمل على زيادة نفوذها في إطار التنافس الدولي على المصالح الحيوية بالمغرب.

وقد رأى المشرفي أن ما أقبلت عليه الدولة الإنجليزية من تقديم السكة الحديدية على سائر المرافق الأخرى في عملية تطبيق الإصلاحات، تخفي وراءه خطتها "الخادعة" التي تؤذن بالغش و"المكر" والهدف المرسوم هو "الاختصاص والامتزاج الذي هو سبب التمكن من الاستيلاء على المغرب"[35].

ثم إنه عارض بشدة الإصلاح الضريبي المتمثل في الترتيب العزيزي (1901/1319) الذي شرع في تطبيقه بإشارة من الدولة الإنجليزية، كما عارض كل القائمين على تطبيقه واعتبر ذلك من سوء تدبيرهم بقوله : "ومن سوء تدبير القائمين بأمر هذه الدولة يومئذ - أيضا - شروعهم في الترتيب" [36] لأنه إجراء ظالم يخالف السنة "ومن لم تصلحه السنة لا أصلحه الله" [37].

كان المشرفي يعارض أي مقترح إصلاح إنجليزي مغرض، تتستر وراءه خلفيات استعمارية، لأنه كان يريد للمغرب إصلاحا حقيقيا وفعليا يعود عليه بالفائدة والخير العميم، لهذا أولى اهتماما كبيراً بمسألة التعليم لوعيه بأهميته، يقول منتقداً الإصلاحات المقترحة ومبديا رأيه : "ولو أرادت النصيحة الحقيقية دون دسيسة لأشارت عليه بإدخال العلوم الرياضية لوطنها وبناء المدارس لقراءتها وتدريسها والاجتهاد في تحصيلها"[38] لأنه بإدخال العلوم وتلقينها في المدينة والبادية على السواء، سيتنور الفكر "ويتأدب الجاهل ويتأنس المتوحش"[39]، وتتكون الأطر الوطنية التي بواسطتها سيتم الاستغناء عن الأطر الأجنبية.

---

(34) الحلل البهية : ج 2 : 247 .
(35) الحلل البهية : ج 2 : 250 .
(36) الحلل البهية : ج 2 : 264 .
(37) الحلل البهية : ج 2 : 264 .
(38) الحلل البهية : ج 2 : 251 .
(39) الحلل البهية : ج 2 : 251 .

المبحث الثالث : بيئة المشرفي

إن شخصية محمد المشرفي تطورت وتبلورت في بيئة لها مميزاتها وخصائصها، ليس على صعيد المغرب فحسب، بل وعلى صعيد العالم الإسلامي.

والبيئة التي احتضنت محمداً المشرفي- الذي عاش في كنفها ما ينيف على 79 سنة - هي بيئة مدينة فاس وأحوازها، وفي ظلها تم تأليفه كتاب الحلل البهية، فما هي سمات هذه البيئة من الناحية السياسية، الاجتماعية، الاقتصادية، والفكرية، في المدة الزمنية الممتدة من 1290 إلى 1321 هـ / 1873 - 1903 م . أي ابتداء من اعتلاء السلطان مولاي الحسن السلطة إلى السنة التي أضاف فيها المشرفي تذييلا إلى كتابه المذكور؟

والجدير بالذكر أننا سندرس هذه البيئة ليس اعتماداً على كتاب مصدري معين، وإنما اعتماداً على مصادر ومراجع مختلفة، لأن كتاب الحلل البهية للمشرفي وكتبه الأخرى، لا توفر لنا المادة المعرفية الكافية لتغطية هذا الموضوع.

أما أسباب تحديد المدة الزمنية المذكورة أعلاه، فهي :

أولا : محاولة معرفة طبيعة المناخ العام للبيئة التي أُنتجَ فيها كتاب الحلل البهية.

ثانيا : الحفاظ على التناسق والتطابق على مستوى التحديد الزمني بين موضوع بيئة المشرفي الذي سنعالجه في هذا المبحث وموضوع عصر المشرفي الذي عالجناه في المبحث السابق.

الحياة السياسية

كيف كانت النظم الإدارية في إطارها المحلي بمدينة فاس خلال المدة الزمنية المعنية؟ وهل كانت هذه النظم تستجيب لمتطلبات السكان وبالتالي لمتطلبات تطور العصر، أم أنها بقيت سجينة العصور الخالية، متخلفة عن الركب الحضاري الإنساني؟

من خلال النظم الإدارية بفاس، يلاحظ أن مدينة فاس كانت تنقسم إلى قسمين : المدينة القديمة، والمدينة الجديدة. ولكل مدينة مؤسساتها الإدارية الخاصة بها، تعمل كوحدة مستقلة، لكنهما متطابقان في النظام والوظائف، باستثناء وظيفة الخليفة التي تخول لصاحبها إدارة المدينتين معاً.

فماذا يُقصد بالمدينة القديمة، والمدينة الجديدة؟

المدينة القديمة يُقصد بها المدينة التي أسسها إدريس الثاني سنة 192 هـ / 808 م[1]. أما المدينة الجديدة فيقصد بها المدينة التي أسسها أبو يوسف يعقوب بن عبدالحق المريني سنة 676 هـ / 1276 م بالقرب من فاس القديمة، لا تبعد عنها إلا بنحو 675 متراً جنوبا [2]. فما هي الأطر الإدارية التي كانت تُسيِّر الشؤون الأهلية بالمدينتين؟

1- الخليفة :

هو الممثل الأول للسلطان في فاس وأحوازها. يتم اختياره، عادة، من أبناء السلطان أو أسرته. فقد عَيَّن مولاي الحسن ابنه عمر كما عين مولاي عبدالعزيز عمه عرفة.

إلا أننا لا نعرف بالضبط مهام الخليفة وحدود نفوذه السياسي وسلطته الإدارية. ونفترض أن سلطته كانت مطلقة في فاس وأحوازها. يسيّر شؤونها بتدبيره وباتفاق مع السلطان بما يوافق سياسته العامة في البلاد، يساعده في ذلك الأطر الإدارية الأخرى التي تعمل تحت سلطته المباشرة، خاصة عامل المدينة [3]. كما نفترض أن مسؤوليته كانت أمام السلطان وحده.

ونظراً لشساعة الإقليم الذي كان يدخل ضمن نفوذ الخليفة، فإن النظام الإداري المعمول به كان يخول للعمال مهمة التسيير الفعلي للإقليم تحت إشراف الخليفة الذي يقوم بعملية التنسيق بينهم والإشراف على الأمن الداخلي [4].

2- العامل :

هو الممثل الفعلي للسلطة السياسية المخزنية بالإقليم.

يقوم بمهامه تحت إشراف الخليفة الذي يبدو أنه كان يرفع تقريراته عنه للسلطان كلما دعت الضرورة إلى ذلك.

وكان يتم تعيين العامل بعد استشارة الأعيان ورؤساء القبائل[5]، وإذا ما تم اختياره فإن السلطان يعينه بظهير شريف يشمل توجيهات معينة تختلف حسب الظروف السياسية المحلية والعامة للبلاد. فما هي اختصاصاته؟

---

(1) الحلل البهية : ج1 : 222.

(2) هاشم العلوي : مقدمة التقاط الدرر : 67.

(3) لوتورنو : فاس قبل الحماية : ج 1 : 311.

(4) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3، 400.

(5) عبدالرحمان بن زيدان، العز والصولة، ج 2 : 3.

المصادر والمراجع التي وقفنا عليها تسكت عن الإجابة على مثل هذا السؤال. فلم يكن هناك مرسوم سلطاني مكتوب يحدد بموجبه اختصاصات العامل داخل إقليمه. إن التعيين يصحبه ظهير يشمل التوجيهات السلطانية، لكن هذه التوجيهات لا تخرج عن إطار ترشيدي.

ومع ذلك يمكن ملاحظة أن العامل كانت له سلطة واسعة تخول له حق تعيين الأشياخ على القبائل المجاورة، وتعيين القاضي والمحتسب بموافقة الخليفة والسلطان. كما كان يقوم بالسهر على أمن وإدارة المدينة، وفرض المغارم وجباية الضرائب. كما أطلق على العامل مصطلح "الباشا" والقائد.

إن استعمال مصطلح الباشا على الصعيد الإداري المغربي تَحدَّدَ منذ السعديين[6] وليس في عهد الحماية كما يقول لوتورنو [7].

وأصل المصطلح من اللغة التركية ويُعنى به الحاكم العام الذي يتمتع بسلطة تخول له الرآسة والإشراف على القواد وشيوخ القبائل.

وكيفية مزاولته لاختصاصاته كانت في غاية البساطة: كان يتخذ محلا خاصا به. يجلس على سجادة ويسمع تصريحات الأظِنّاء ومرتكبي الجرائم والجنح، يساعده كاتب وبعض المخزنيين[8].

وكانت اختصاصاته تتداخل مع اختصاصات القاضي والمحتسب.

3 - القاضي:

كان يتم اختياره من بين كبار الفقهاء المعروفين بنزاهتهم. وكان إلزاميا أن يكون متخرجا من جامع القرويين[9]. وإذا ما تم اختياره يُعيّن في منصبه بظهير شريف مكتوب مع تحديد منطقة التّعيين وتعداد قبائلها [10].

وتتميز اختصاصاته بالاستقلال الشخصي في اتخاذ الأحكام طبقا للضوابط الشرعية للمذهب المالكي.

وبما أن مدينة فاس كانت تنقسم إلى وحدتين إداريتين، فإن لكل وحدة قاض خاص بها. وكلا القاضِيَيْن يخضعان لإشراف قاضي الجماعة، الذي قد تُناط به مهمة

---

(6) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 2: 394.

(7) يقول لوتورنو: "ونحن الذين نشرنا استعماله باستيراده من الجزائر". انظر: فاس قبل الحماية، ج 2: 311 هامش 1.

(8) -Henri GAILLARD, une ville de l'islam, Fès. p : 148

(9) لوتورنو، فاس قبل الحماية، ج 315 - 316.

(10) عبدالرحمان بن زيدان، العز والصولة، ج 2: 19.

التولية والعزل للقضاة الآخرين. وكان نفوذ قاضي الجماعة بفاس يمتد إلى واد النجا [11] حيث ينتهي نفوذ قاضي مكناس، وإلى القبائل الجبلية، حيث يشمل نفوذه قبيلة الحياينة بأسرها ثم قبيلتي شراقة وأولاد جامع [12].

ولشساعة النطاق الجغرافي لنفوذ قاضي الجماعة، وتسهيلاً لقيامه بمهامه، كان يتم تعيين قضاة يكونون بمثابة نواب عنه في القبائل.

وكان محمد المشرفي من الفقهاء الذين تولوا هذا المنصب؛ فقد عُيِّن نائبا للقاضي بقبيلة الحياينة القريبة من فاس والواقعة شمال شرقها.

4 - المحتسب :

كان يُعيَّن من طرف السلطان، ويُختار من الأسرة الفاسية العريقة النسب والحسب. وكان نظريا تحت سلطة القاضي، وعمليا يتوفر على سلطة تكاد تكون مطلقة في كل ما يتعلق بشؤون البلدية[13]. أما اختصاصاته فكانت اقتصادية بالدرجة الأولى: يراقب الموازين والمكاييل وبائعي التقسيط، ويحدد أثمان المواد الغذائية وأماكن بيعها [14]، كما كان يبث في كافة النزاعات التي تنشب بين الصناع والتجار وبين البائعين والمشترين، وبين أرباب العمل والعمال في حرفة معينة بعد استشارة الخبراء في ذلك.

5 - الأمين :

نقصد به أمين المستفاد أي أمين بيت المال. كان يعين من طرف السلطان بعد أن يتم اختياره - عادة - من لدن عامل المدينة.

تناط به اختصاصات مالية بالأساس، فهو الذي يشرف على تسيير الأملاك المخزنية، فيحصل أكريتها كما يحصل المكس على الأبواب وفي الأسواق والمجزرة [15]، وجباية الأعشار والضرائب المختلفة [16].

6 - المقدم :

كان يتم تعيينه من طرف عامل المدينة، وتُسند إليه اختصاصات كثيرة دون تحديد أو تقنين. فهو الذي يقوم بربط العلاقة القانونية بين الحي الذي يشرف عليه والسلطة الحاكمة بالمدينة، كما يقوم بعملية التحكيم بين المتنازعين في حيّه، والإشراف على عمليات التجنيد في حالة الحرب أو في ظروف استثنائية. ويقدم المعلومات الدقيقة عن نشاط الأفراد بحيّه.

---

(11) وادي النجا : يقع في بسيط سايس على بعد 20 كلم من مدينة فاس.
(12) عبدالرحمان بن زيدان، العز والصولة، ج 2. 19 .
(13) إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 4214 : 333
(14) Henri GAILLARD, une ville de l'islam, Fès. p : 100, 149
(15) ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج 3: 414.
(16) Henri GAILLARD, une ville de l'islam, Fès. p : 149

فهو بهذه الاختصاصات غير المحددة، كان يقدم أكبر مساعدة للسلطة الحاكمة. ومع ذلك فمرتبته الاجتماعية والاقتصادية كانت جد ضعيفة.

هذه، هي أهم الأطر الإدارية التي كانت تسيّر شؤون مدينة فاس بشقيها القديمة والجديدة. أما في البادية فأهم مؤطريها الإداريين هم : القائد، والشيخ، ونائب القاضي.

لكن السؤال الذي يطرح نفسه هو : هل كانت هذه الأطر تستجيب لحاجيات السكان ومتطلبات العصر؟

في الواقع، الإجابة عن هذا السؤال تتطلب بحثا دقيقا ومفصلا عن هذه الأطر الإدارية بفاس وعلاقتها بالسكان. وما توفر لدينا من مصادر ومراجع لا تسعفنا على تكوين فكرة واضحة. ومع ذلك نشير إلى أن النظام الإداري بفاس بقي مرتهنا للماضي البعيد، دون أن يطرأ عليه أي تحسن أو تطور، وهو ما تجلى لنا من خلال عرضنا للأطر الإدارية المسيرة بفاس.

إن تقليدوية النظام الإداري لم يكن ليستجيب لحاجيات السكان ولمتطلبات العصر، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير ثورة الدباغين بفاس (سنة 1292 / 1873) بأنها ثورة على الإدارة الفاسية. لأن الدباغين ثاروا ضد أحد مؤطري المدينة الإداريين، وطالبوا قتله، وهو أمين الأمناء محمد بن المدني بنيس الذي أعاد إقرار المكس دون مفاوضة المخزن [17].

وفي بادية الحياينة، لاحظ محمد المشرفي، التجاوزات والخروقات لحقوق السكان، هذه التجاوزات والخروقات كان المتسبب فيها هم العمال والشيوخ[18].

وكل هذا يشير إلى فساد الإدارة وعدم استجابتها لحاجيات السكان وبالتالي لمتطلبات العصر.

---

(17) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 3 :450.

(18) انظر نماذج من هذه التجاوزات والخروقات في كتاب منهاج البشرى وسعادة الدنيا والاخرى لمحمد المشرفي، ميكروفيلم خ.ع.ر. 1638.

الحياة الاجتماعية

إذا كان لعامل الحياة السياسية دور في التأثير وتنشئة الفرد فإن لعامل الحياة الاجتماعية بما فيها من ضوابط توجيهية (أفكار، معتقدات، لغة، عادات، واختلاف الأعراق) دور أكبر، وذلك بخروج الفرد من النطاق العائلي إلى المحيط الخارجي، حيث تتفرع اتصالاته في الشبكة الاجتماعية بمختلف عناصرها. فما هي أهم العناصر السكانية المؤثرة في الحياة الاجتماعية الفاسية في عصر المشرفي؟ وهل يمكن إعطاء تصنيف طبقي لها؟ وما مدى ارتباط هذه العناصر بالعادات والتقاليد؟

1 - العناصر السكانية :

استقرت بمدينة فاس عبر تاريخها الطويل عناصر سكانية مختلفة الأعراق والأجناس. فما هي أهم هذه العناصر؟

أ - العنصر العربي البربري :

استوطن بمدينة فاس منذ تأسيسها إلى عهد الدولة العلوية خليط من القبائل والجماعات والأفراد، من مختلف الأصول الجغرافية والعرقية، خاصة العربية والأمازيغية. وإلى هذا الخليط الإثنوغرافي يشير ابن أبي زرع في قرطاسه (ص 45-46) بقوله : «ولما فرغ الإمام إدريس رضي الله عنه من بناء المدينة وأدار السور على جميعها ورتب الأبواب، أنزل القبائل، كل قبيلة بناحية، فنزل العرب القيسية من باب إفريقية إلى باب الحديد من أبواب عدوة القرويين، ونزلت الأزد على حدتهم ونزل اليحصبيون على حدة القيسية من الجهة الأخرى، ونزلت صنهاجة ولواتة ومصمودة والشيخان كل قبيلة بناحيتها». ثم قال أيضا (ص 46) : «وقصدها الناس من جميع البلاد والجهات (...) فاجتمع بها خلق كثير من اليهود وغيرهم ممن رغب في العافية».

وقد توالت الهجرات إلي فاس عبر التاريخ، من كل الآفاق والأمصار سواء من داخل المغرب الأقصى أو من خارجه، لتشكل نسيجاً اجتماعيا لا يجتمع إلا في حواضر عريقة ذات حظوة كبرى، كحاضرة مدينة فاس.

ب - العنصر الأندلسي :

نزحت مجموعة من قرطبيي الأندلس إلى مدينة فاس سنة 202 هـ / 818 م على إثر اكتساح الأمير الحكم الأول ربضهم وتحويله إلى أراضي فلاحية [19].

---

(19) لوتورنو، فاس، ج 1 : 76.

كما نزح عدد وافر من سكان الأندلس في القرن 10 هـ/16 م خاصة عقب احتلال غرناطة. هذه المجموعات الأندلسية حملت معها عاداتها وثقافتها وتقنياتها. فطبعت الحياة الاجتماعية بفاس بطابع خاص.

ج - العنصر الجزائري

نزح هذا العنصر إلى مدينة فاس في مراحل تاريخية مختلفة يصعب تحديدها بالتدقيق. ولعل بدايته تعود إلى القرن 10 هـ/16 م [20].

على أن أقوى وأكثف هجرة هي تلك التي تمت على إثر الاحتلال الفرنسي للجزائر سنة 1246 هـ/1830م وما بعدها. وكانت تتألف من فئتين الأولى : مهاجرو تلمسان. والثانية : مهاجرو معسكر ونواحيها. ومهاجرو المدن الجزائرية الأخرى.

وكانت العديد من الأسر التي تنتمي إلى مدينة معسكر ونواحيها قد هاجرت بكثافة في حدود سنة 1260هـ/1844م. بعد احتلال مدينتهم (سنة 1251 هـ/1835م) وصدور فتوى تبيح لها الهجرة[21].

وقد خصص السلطان عبد الرحمان استقبالا حسنا لكل المهاجرين، ومنحهم شبه استقلال ذاتي استمر حتى سنة 1324 هـ/1906م [22].

وقد ذكر المشرفي أن هذا السلطان سنّ للمهاجرين الجزائريين كل سنة خمسمائة مد بالمد الفاسي قمحا لخصوص الأشراف منهم مع خمسمائة مثقال كذلك[23]. وهناك رسائل[24] بعث بها السلطان المذكور إلى المسؤولين المغاربة يوصيهم فيها بحسن معاملتهم واكرامهم وتوظيف في الخدمات الحربية من له موهبة في ذلك.

هؤلاء المهاجرون اندمجوا مع سكان فاس وأصبحوا يكونون مجتمعا واحدا، يقول لوتورنو : "وقد انصهروا شيئا فشيئا في سكان فاس وهم الآن جزء منهم لا يتجزء"[25].

---

(20) محمد مزين، فاس وباديتها، ج 1 : 123.
(21) انظر هذه الفتوى في تحفة الزائر لمحمد بن عبدالقادر، ج 1 : 411- 422.
(22) لوتورنو، فاس، ج 1 293.
(23) الحلل البهية : ج 2 : 79.
بينما يشير بلير (Bellaire) إلى أن السلطان وزع عليهم صلة تتكون من 800 مد من القمح، (حوالي 25 كيلو). و800 مثقال.
وقد وزعت هذه الصلة على الشكل التالي :
100 مد قمحا و100 مثقال لشرفاء الجزائر.
100 مد قمحا و100 مثقال لشرفاء مستغانم.
300 مد قمحا و 300 مثقال لشرفاء تلمسان.
150 مد قمحا و 150 مثقال لشرفاء الحشم.
150 مد قمحا و 150 مثقال لشرفاء بني عامر.
انظر : M. Bellaire, les musulmans d'Algeric au Maroc v 11 année 1907 p : 72.
(24) انظر رسالتين مؤرختين بسنة 1246 / 1830 م مثبتتين في مجموعة الوثائق، ج 1 : 459، 462.
(25) لوتورنو فاس، ج 1 : 295.

ومن هذه الأسر المهاجرة، أسرة محمد المشرفي التي هاجرت من غريس بنواحي معسكر في حدود سنة 1260 هـ / 1844 م [26].

د- العنصر الأوربي :

كان يمثل الأقلية من ساكنة فاس في القرن 13 هـ / 19 م .

لكن رغم أقليته، كان له تأثير كبير على الحياة الاجتماعية بفاس، خاصة على الأوساط العلمية، هذه الأوساط التي لم تستسغ وجود هذا الجنس الغريب بجانبها، يطلع على أسرارها، بل ويتحكم في بعض المؤسسات المغربية ويوجهها برأيه وإرادته، ويفرض إصلاحا يوهم به الأطر السياسية للدولة بأنه في صالح المغرب. هذا العنصر كان يتميز على الخصوص بمهامه السياسية والتجارية.

2 - التصنيف الطبقي للسكان :

يمكن تقسيم سكان فاس حسب المقياس الاقتصادي إلى طبقات رئيسية :

أ - طبقة الأغنياء :

هذه الطبقة كانت تتصدر السلم الاجتماعي القائم على أسس اقتصادية، وتتشكل من الأسرة الحاكمة وحاشيتها ثم العمال والأمناء وكبار التجار. وكمثال على ذلك أسرة الحاج محمد بن المدني بنيس.

ب - الطبقة المتوسطة :

وهي الطبقة الاجتماعية التي كانت تتوسط السلم الاجتماعي، وتتشكل بصفة خاصة من تجار التقسيط والموظفين الصغار: كخدام المخزن وأمناء الحرف والصناع وأصحاب الملكية المتوسطة وبعض الشرفاء والعلماء.

ويمكن إدراج الأسرة المشرفية ضمن هذه الطبقة. فقد كان محمد المشرفي تاجرا متوسط الحال، ثم عين قاضيا على قبيلة الحياينة وكثيرا ما كان يشكو من سوء الوضعية.

ج - الطبقة الفقيرة :

هي الطبقة الكادحة غير المحظوظة ماديا. كانت تشكل معظم سكان المدينة وناحيتها، وتتكون من الفلاحين وأصحاب الدكاكين المحدودة الدخل والمهاجرين من القرى إلى المدينة والطوائف الحرفية والصناع الصغار.

---

(26) انظر التفاصيل في الدراسة : ج 1 : 57 - 59 .

إذا كان هذا هو التشكيل البسيط والتقليدي لمجتمع فاس فما مدى ارتباط هذا المجتمع بالعادات والتقاليد؟

3 - الارتباط بالعادات والتقاليد :

كان المجتمع الفاسي بمختلف مكونات عناصره، جد متشبث بالعادات والتقاليد الموروثة عن الأجيال السالفة. وقد أدى الافراط في التشبث بها والمغالاة والتفنن فيها إلى ظهور مفاسد اجتماعية تتنافى مع تعاليم الإسلام الحق .

لذلك انبرى عدة علماء ونادوا إلى الإصلاح وفي مقدمتهم محمد بن المدني جنون وتلميذه محمد المشرفي[27].

الحياة الاقتصادية

تشكل الحياة الاقتصادية بمختلف أنشطتها وقطاعاتها الدور الطلائعي في حياة الفرد والجماعات بمدينة فاس بما توفره لهم من إمكانيات العيش والاستمرار.

فما هي أهم القطاعات الاقتصادية بالمدينة خلال عصر المشرفي؟

1 - التجارة

تعتبر التجارة من أهم الأنشطة الاقتصادية التي كان يتعاطاها الإنسان الفاسي داخل المدينة وخارجها بربطها بشبكة من المدن المغربية والخارجية.

أ - التجارة الداخلية :

كانت التجارة الداخلية بمدينة فاس تعرف حركة دائبة ونشاطا كبيرا وذلك باعتبار أن المدينة تشكل قلب المغرب النابض اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا. فهي مركز رجال الأعمال والتجار والصناع وأرباب المهن والحرف، وموطن المهاجرين من كل الأصقاع، هذا فضلا عن موقعها في مفترق الطرق الحيوية بالمغرب.

وقد لاحظ كايار (GAILLARD) [28] أن الرواج الاقتصادي داخل المدينة كان يتمركز في الأماكن المجاورة لضريح مولاي إدريس وجامع القرويين .

---

(27) انظر أهم أفكارهما الإصلاحية في هذه الدراسة : 50 - 54 من الجزء الأول.

(28) - Henri GAILLARD, une ville de l'islam, Fès. p : 156

ب - التجارة الخارجية

بالرغم من المؤشرات الجديدة في السياسة التجارية العالمية بظهور الطريق التجاري البحري الذي يمر عبر المحيط الاطلسي فقد بقيت مدينة فاس - لموقعا الاستراتيجي - مركزا تجاريا هاما [29] ترتبط به عدة خطوط تجارية ساهمَت في إثراء المعاملات التجارية الخارجية للتجار الفاسيين الذين ربطوا علاقات تجارية بالعديد من المدن الأجنبية إفريقية وأوربية.

فعلى المستوى الإفريقي هناك المدن الجزائرية وأهمها :

مدينة الجزائر، تلمسان، وهران، غليزان، معسكر، ومستغانم.

وكان محمد المشرفي ومحمد بن الأعرج السليماني من التجار الذين كانوا يترددون على المدن الجزائرية في إطار علاقاتهم التجارية الخارجية.

أما على المستوى الاوربي فإن الفاسيين استطاعوا تكوين زبناء لهم بالمدن الإنجليزية والفرنسية والألمانية. وكمثال على ذلك مدينة مانشستر الإنجليزية التي اتخذها بعضهم مستقرا لهم لمباشرة أعمالهم التجارية بها.

2- الصناعة :

يمكن تقسيم أنواع الأنشطة الصناعية بفاس إلى ثلاثة أنواع رئيسية :

أ - الصناعة الغذائية :

كانت هذه الصناعة تعتمد على عنصرين أساسيين يستعملان في صناعة المواد الغذائية الأساسية وهما :

1 - الطاحونات : كانت تستعمل في طحن القمح وجعله قابلا للعجن وإنتاج الخبز. المادة الغذائية الأساسية.

2 - المعاصر : كانت تستعمل لعصر الزيتون للحصول على الزيت. وقد بلغ عددها سنة 1321 هـ / 1903 م نحو الأربعين [30].

ب - الصناعة النسيجية :

كانت هذه الصناعة تلقى رواجا زائدا في الأسواق الداخلية والخارجية لجودتها وأهمها :

---

(29) بناني سميرس، الموقف المغربي من تطور الأطماع الأوربية. رسالة (مرقونة) لنيل د.د.ع. في التاريخ. جامعة سيدي محمد بن عبدالله فاس. السنة 1982 - 1983 : 38 .

(30) لوتورنو ، فاس ، ج 1 : 473 .

1 - صناعة الملابس : وتعتمد على أدوات تقليدية، أما موادها الأولية فهي : الصوف والقطن والحرير.

2 - صناعة الدباغة : كانت تشغل عددا كبيرا من السكان، وأكبر كمية من صادراتها كانت توجه إلي الأسواق الوطنية.

3 - صناعة الأحذية : تنقسم إلى طائفتين : الأولى طائفة الخرازة (البلايغية) وهم صانعو أحذية الرجال.

والثانية طائفة الشرابليين، وهم صانعوا أحذية النساء.

وكلا الطائفتين كانا يصدران منتوجاتهما إلى الأسواق الوطنية والأجنبية.

ج – الصناعة المعدنية :

حافظت هذه الصناعة على طابعها التقليدي مثلها مثل جميع أنواع الصناعات المذكورة آنفا. فلم تتعد صنع أدوات وآلات بسيطة جدا، فالحدادون يصنعون مقصات الإسكافيين ومصقلات مرصعي الحديد ومحكات الدباغين[31]، كما يصنعون المسامير والسلاسل... الخ.

أما صانعو الأسلحة فكانوا يقتصرون على صنع الخناجر والسيوف والبنادق وغيرها من الأدوات البسيطة.

3 - الفلاحة :

لم يتعاط سكان فاس لقطاع الفلاحة بالشكل الذي تعاطوا لقطاعيْ : التجارة والصناعة، والعكس صحيح بالنسبة لسكان بادية فاس.

وقد ظل هذا القطاع يعتمد على أدوات وأساليب تقليدية. فالمحراث الخشبي ظل هو الأداة الرئيسية المستعملة في عملية حرث الأراضي، بالإضافة إلى الفأس الذي كان يستعمل بصفة خاصة من طرف الفلاحين الصغار.

وأهم المنتجات الفلاحية هي : القمح، الشعير، الذرة، الخضر، الفواكه، والزيتون.

وتجدر الإشارة إلى أن الإنتاج الفلاحي كان يتحكم فيه عامل المناخ فالسنوات الممطرة تنبئ بإنتاج جيد والعكس صحيح.

---

(31) لوتورنو، فاس، ج 1: 485.

الحياة الفكرية

سنعالج موضوع الحياة الفكرية بمدينة فاس في عصر محمد المشرفي، من خلال دراسة موجزة لأهم التيارات الفكرية التي سادت في الساحة الفاسية واستقطبت عددا هائلا من الجماهير الشعبية ورجال الفكر والثقافة، حتى إن المشرفي نفسه كان أحد أقطابها كما سنرى ذلك في محله. فما هي أهم هذه التيارات؟.

يمكن أن نميز بين تيارين فكريين رئيسيين سادا في الساحة الفكرية الفاسية خلال هذا العصر وهما :

1 - تيار الفكر الصوفي.
2 - تيار الفكر السلفي.

1- تيار الفكر الصوفي :

نشط تيار الفكر الصوفي في مدينة فاس في القرن 13هـ/19م أيما نشاط وذلك لعوامل تاريخية واجتماعية وفكرية. فقد تعددت الطرق الصوفية وتفرعت، وأصبح لكل منها ما يميزها عن الأخرى رغم اجتماعها في أصل واحد وهو التصوف. وأكثر هذه الطرق انتشاراً بين الناس هي:

أ - الطريقة التيجانية :

تنسب إلى أحمد بن محمد التيجاني،[32] اكتسبت عددا كبيرا من الأنصار. وقد ساهم السلطان مولاي سليمان ماديا في عملية تأطير حركة هذه الطريقة، وحصر امتدادها داخل العمل الديني [33].
وقد عمل أنصارها على مواجهة الاستعمار ونشر تعاليم الإسلام في بلاد غرب إفريقيا.

ب - الطريقة الدرقاوية :

تُنسبُ إلى أحد أسلاف الدرقاويين وهو : أبو درقة محمد بن يوسف. أبرز شيرخها في القرن 13هـ/19م هو محمد العربي بن أحمد الدرقاوي. (1159 - 1239 / 1745 - 1823 [34]).

تعتبر طريقته إصلاحا للطريقة الشاذلية [35]. ومن أبرز سماتها أنها كانت تصوفا عمليا اجتماعيا، استطاع الشيخ الدرقاوي أن يُكوِّن أنصارا من جميع المستويات الاجتماعية المتعطشة إلى الاتحاد الروحي مع الألوهية. وكان محمد المشرفي جد متعاطف مع هذه الطريقة أثناء خوضها الصراع الشديد مع الأتراك بالجزائر، مما يجعلنا نرجح أن يكون المشرفي درقاوي الطريقة، لكنه من المعتدلين.

---

(32) انظر ترجمته في الحلل البهية : المقصد الثالث عشر : 669 هامش : 64
(33) إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ، ج 3: 557.
(34) انظر صراع هذا الشيخ الدرقاوي مع الأتراك في الحلل البهية : ج 2 : 52 —54 ، 72 — 75 .
(35) بصدد الطريقة الدرقاوية وتجديدها للطريقة الشاذلية انظر عبدالمجيد الصغير، إشكالية إصلاح الفكر الصوفي : 38 - 50 .

ج - الطريقة الوزانية :

أسس هذه الطريقة الشريف عبدالله الوزاني[36] حوالي 1071 هـ/1660م، وصار لها زاوية بوزان عرفت بدار الضمانة. انتشرت فروعها في بعض أنحاء المغرب، منها مدينة فاس. اتهمت الوزانية بتواطئها مع الانجليز والفرنسيين، فقد دخل مولاي عبدالسلام شيخ الزاوية في اواسط القرن19م تحت مظلة الحماية الفرنسية في وقت كان المغرب يواجه صراعا حادا ضد التغلغل الأوربي.

د - الطريقة الكتانية :

أسس محمد بن عبدالكبير الكتاني زاوية الطريقة الكتانية بفاس حوالي 1267 هـ/ 1850م. إلا أن التنظيم الحقيقي لهذه الطريقة يعود الفضل فيه لحفيده الذي كان يحمل نفس الإسم.

2- تيار الفكر السلفي :

إن انتشار مظاهر الفساد والانحلال والجمود الفكري والتقليد الأعمى في ظل سيادة تيار الفكر الصوفي الذي اعتمد المبالغة والتطرف بما ابتدعه من احتفالات وحلقات للذكر وممارسات شاذة، أثار انتباه عدد من العلماء المتنورين الذين أخذوا على عاتقهم الدعوة إلى إصلاح المجتمع وتنقيته من الشوائب العالقة به، وذلك باتباع سلوك وأفكار السلف الصالح يوم كان الدين صافيا نقيا.

وكان من أشهر رجال الحركة السلفية بفاس : المؤرخ محمد أكنسوس[37] والفقيه محمد بن المدني جنون[38] ومحمد المشرفي.

وسنقتصر في هذا العرض الوجيز على الرجلين الأخيرين لإبراز عناصر أفكارهما السلفية.

أ - عناصر فكر جنون السلفية :

يُعد محمد بن المدني جنون من رواد الإصلاح الديني في مغرب القرن 13 هـ/19م بلا منازع. فما هي عناصر أفكاره السلفية الإصلاحية؟

---

(36) هو : عبدالله الشريف ولد بتازروت سنة 1006 هـ / 1557 م. وتلقى دراسته بتطوان وفاس. ثم انتقل إلى ناحية وزان حيث صار له أتباع كثيرون وأنشأ بها زاوية سميت بدار الضمانة أي أنها تضمن البركة لروادها.

(37) انظر ترجمته في الحلل البهية ج 1 : 134 هامش : 127.

(38) انظر ترجمته في الدراسة ج 1 : 76 - 77.

1 - العودة بالدين الإسلامي إلى منبعيه : القرآن والسنة :

ربط محمد بن المدني جنون حاضره المأساوي بالماضي العربي الإسلامي المجيد المشرق، المتمثل في عهد النبوة والخلفاء الراشدين، يوم كان الدين صافيا من الشوائب، معتمدا في ذلك على الكتاب والسنة، في خطاباته الموجهة إلى جميع الطبقات الاجتماعية وداعيا إلى إحياء هذا الماضي المجيد. ولعل خطاباته - هاته - كان لها صدى عميقا في نفوس العلماء والفئات الشعبية، حتى أن محمدا المشرفي اعتبره هو المصلح الذي أحيا معالم السنة النبوية بقوله : "أحيا معالم السنة بعد اندراسها وأوضح مسالك الشريعة بعد خفائها"[39].

2 - محاربة الطرق الصوفية :

عمل جنون كل ما وسعه من أجل محاربة الطرق الصوفية المتشددة التي استشرت بدعها بين صفوف الطبقات الشعبية، يقول المشرفي : "وكان الشيخ قدس سره كثيرا ما يتعرض للرد على المتصوفة الخارجين عن منهاج الطريقة" [40] ويقول أيضا : "كان ينكر أحوال جهلة المتصوفين واعتقادهم" [41].

إلا أن جنون نفسه كان ينتمي إلى الطريقة التيجانية [42] التي استقطبت عدة علماء ومن بينهم المؤرخ والأديب محمد أكنسوس. على أن انتماء جنون الطرقي هذا كان انتماءاً معتدلاً، أي أنه كان من الطرقيين المعتدلين، الذين حاربوا بشدة الطرقيين المتشددين أصحاب البدع والضلالات.

3 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن دعوة جنون إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لم تقتصر على الأوساط الشعبية، بل شملت جميع الفئات، بما فيها رجال السلطة والملوك، يقول المشرفي : "كم دب عن هذا الدين وأيقظ من سِنَةِ الغفلة بانحرافهم عن السنة : الملوك، والأشياخ، والقضاة، والعدول، والولاة المتعدين، والتجار، والمنتسبين إلى التصوف وسائر المكلفين" [43] . وكان في دعوته جد متشدد "لا يخشى في الله لومة لائم، ولا يعبأ بسطوة ظالم، صلبا في دين الله لا يهاب فيه سلطان" [44] .

---

(39) محمد المشرفي، الدر المكنون : 2
(40) الدر المكنون : 73 .
(41) ن. م. س : 67 .
(42) لوتورنو، فاس، ج 2 : 869 .
(43) الدر المكنون : 46
(44) ن.م.س .ص .

4- *محاربة البدع* :

كما انبرى لمحاربة البدع والضلالات التي تفشت بشكل كبير في صفوف المجتمع الفاسي والمغربي عامة. فقد شدد الإنكار على "أهل الأهواء، وما أحدثه الناس بالمساجد ليلة السابع والعشرين من رمضان وغيرها في سائر الأمكنة والأزمان"[45]، وشدد الإنكار على النساء المتبرجات والمغنيات[46].

ب - عناصر فكر المشرفي السلفية :

يمكن اعتبار عناصر فكر المشرفي السلفية امتداداً لعناصر فكر جنون. وهو الشيء الذي يُبرز تأثر الأول بالثاني. باعتبار أن هذا الأخير كان شيخه المفضل والأحظى. فما هي أهم عناصر فكر المشرفي السلفية؟

1 - الاعتماد على الكتاب والسنة في تقرير القضايا :

من خلال مؤلفات محمد المشرفي، يُلاحظ اعتماده بشكل كبير على الكتاب والسنة في تقرير القضايا وحل الاشكاليات المطروحة، مما يعني دعوة محمد المشرفي إلى الأصول الأولى للدين الإسلامي، للخروج من مأزق المعضلات التي حلت بالمجتمع والدولة. لهذا فإنه أطرى على معظم ملوك لدولة العلوية الذين رأى فيهم نموذجا لإتباع الشريعة الإسلامية.

2 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

هذا العنصر يُعدّ من الدعوات السلفية الاصلاحية، التي آمن بها المشرفي ودافع عنها، واعتبرَ أن الدين قد يموت بالسكوت عنه بقوله : "وقد يموت الدين بالسكوت عنه بالكلية لو خشينا مقلي ذي السطوة والجاه"[47]. وقد استدلّ على ذلك بقول النبي ﷺ : "وصدقٌ في فساد الزمان، فمن أمر يومئذ بالمعروف ونهى عن المنكر فله أجر خمسين ممّن رآني"[48].

وفي إطار الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، تأتي نصيحته التي أسداها إلى مولاي الحسن، في شكل كتاب سماه : منهاج البشرى وسعادة الدنيا والأخرى. حيث يقول بأن من أسباب تأليفه للكتاب هو "الإغراء على نهي المنكر" [49]، هذا المنكر الذي تفشى بشكل فظيع في بادية الحياينة، وتجلى في بعض العادات والتقاليد والبدع الضالة المنافية للإسلام.

---

(45) الدر المكنون : 77.
(46) الدر المكنون : 78 .
(47) السهام الصائبة : 26 .
(48) ن.م.س.ص.
(49) منهاج البشرى، ميكروفيلم . خ . ع. ر 1638 : ورقة : 35 أ.

3- اتباع السلف الصالح :

دعا المشرفي إلى اتباع السلف الصالح في السلوك والأفعال والتدين. فعندما رد على أحد خصومه[50] في أمور دينية اعتبر رده هذا اقتداء بأفعال السلف الصالح في قول الحق ونصره "أسوة بمن لا يداهن في الحق ونصره من السلف الصالح"[51] كما أنه كان من دعاة الانفتاح على الحضارة الأوربية، لأن السلف الصالح استفاد من علوم الدول الأجنبية بما في ذلك علم المنطق، يقول المشرفي : "وإذا ساغ للسلف الصالح أخذ مثل المنطق من غير أهل ملتهم، وترجمته من لغة اليونان(...) فأي مانع لنا اليوم؟"[52].

4- وجوب اشتراط أن يكون الإمام قرشيا :

كان للشرف، وهو ما يسميه الفقهاء بشرط "القرشية" دور هام في إضفاء المشروعية على السلاطين الذين تولوا الحكم على عرش الدولة المغربية خاصة منذ القرن 10 هـ/16 م، حيث سيغدو هذا الشرط جوهر كل مشروعية سياسية، وهذا ما ظهر بشكل جلي في كتابي المشرفي : "الحلل البهية"، و"منهاج البشرى"، حيث تعرض كثيرا للكلام على الخلافة وشروطها مستلهما الموروث الإسلامي. يقول في هذا الصدد : "اتفقت الأمة على اشتراط كونه قرشيا أي من أولاد نضر بن كنانة"[53]. مستنداً في ذلك إلى قول رسول الله ﷺ "الأَئِمَّةُ مِنْ قُرَيْشٍ"[54] وقوله أيضا : "قَدِّمُوا قُرِيشاً ولاَتَقْدَمُوها"[55].

5- الحث على الجهاد لمواجهة العدو :

هذا العنصر يُعدُّ من هموم المشرفي الفكرية، لذلك لم يتوان عن تقديم النصيحة للسلطان مولاي الحسن يحثه فيها على تكوين جيش قوي قادر على مواجهة العدو المتكالب على المغرب. وقد ركز المشرفي على تحديث الجيش لِما لَهُ من أهمية كبرى في حماية الدين والوطن على السواء، بقوله : "لأنه أهم ما يتوقف عليه في حفظ الدين والوطن والذب عنهما"[56]. لأن الاستعداد وأخذ الحذر من العدو من أصول الشريعة الإسلامية، وقد أتى المشرفي بآيات قرآنية تبرهن على ذلك.

---

(50) هو : أحمد المجاهد بن محمد بن عبد القادر بن علي بوطالب الحسني الراشدي الغريسي.
(51) ألسنهام الصائبة : 26.
(52) منهاج البشرى : ورقة : 35 ب.
(53) منهاج البشرى : ورقة : 6 أ.
(54) منهاج البشرى : ورقة : 6 أ.
(55) ن . م . س . ص .
(56) ن . م . س . ورقة : 50 ب .

6- *محاربة البدع والفساد :*

لاحظ المشرفي تفشي بعض البدع في مساجد فاس خاصة ليلة ختم شهر رمضان، حيث يكثر الإسراف، واجتماع الرجال والنساء في موضع واحد مع اختلاط بعضهم ببعض، ثم الإكثار من اللغط ورفع الأصوات.

هذه الظواهر لاحظها المشرفي في المسجد الجامع ومسجد دمشق [57]، كما لاحظ أيضا في هذه المناسبة ما "أحدثه بعضهم من إحضارهم الكيزان وغيرها من أوان الماء في المسجد حين الختم، فإذا ختم القارئ شربوا من ذلك الماء، ويرجعون إلى بيوتهم فيسقونه لأهليهم ومن شاءوا على سبيل التبرك"[58].

واعتبر المشرفي أن هذه الأفعال "بدعة لم تنقل عن أحد من السلف" [59] لذلك وجب محاربتها والقضاء عليها.

---

(57) السهام الصائبة : 69 .

(58) ن . م . س . ص : 71.

(59) ن . م . س . ص .

المبحث الرابع : حياة المشرفي

قبل التطرق لحياة محمد المشرفي نرى من الأحسن أن نعرّف أولاً بأسرته التي ترعرع بين أحضانها والتي تعدّ البيئة الأولى التي لعبت أدواراً طلائعية في تكوينه الشخصي.

أسرة المشرفي

الأسرة التي ينتمي إليها محمد المشرفي، أسرة مشهورة في غرب الجزائر بنسبها وحسبها، وبأدوارها التاريخية دينيا واجتماعيا وسياسيا.

فالمصادر التي قادنا إليها البحث تُجمعُ على النسب الشريف لهذه الأسرة، وتؤكد على أنها إدريسية النسب من الفرع الحسني،[1] وأنها حصلت من طرف سلاطين الأتراك والعلويين على ظهائر تعترف وتثبت صحة نسبها الشريف. يقول الفضيلي في درره :

"وبأيدي هؤلاء المشرفيين رسوم عديدة وفتاوي مفيدة اشتملت على عشرين عضدتها ظهائر ملوك الترك المستولين على النواحي وقتئذ. وظهائر الشرفاء الملوك العلويين أمير المؤمنين مولانا عبدالرحمان بن هشام وابنه سيدي محمد وحفيده السلطان مولانا الحسن إلى غير ذلك"[2].

وأورد محمد المشرفي في كتابه السهام الصائبة، ظهيراً للسلطان مولاي الحسن، يثبت فيه نسب الأسرة المشرفية الشريف بالإضافة إلى عدة نصوص ووثائق أخرى [3].

1 - المشرفيون بغريس :

إن نسب المشرفيين الشريف يؤكد على أصلهم المشرقي، إلا أن وجودهم ارتبط بمدينة غريس بأحواز معسكر غرب الجزائر، فمتى تم استيطانهم بها ؟

تشير بعض المصادر[4] إلي أن سلفهم مشرف بن عبدالرحمان بن مسعود قدم من بوصمغون[5] إلي غريس حيث تم تعيينه قاضيا من قبل أحد ملوك بني زيان. وفي رواية أخرى أن يوسف بن عيسى - الذي يأتي في سلسلة نسب مشرف بن عبدالرحمان - هو الذي قدم من بوصمغون إلى غريس وعُيِّن قاضيا بها.

---

(1) يتصل نسبها بعيسى ابن إدريس الثاني. كما أن مردّ جميع المشرفيين إلى جدهم سيدي علي بن المشرف. وهذا الأخير من ذرية شرفاء الأدارسة. انظر : إدريس الفضيلي ، الدرر البهية، ج 2: 154 .

(2) إدريس الفضيلي ، الدرر البهية، ج 2: 155

(3) السهام الصائبة : 192 - 197 . 241 .

(4) محمد السليماني، تسهيل المطالب لبغية الطالب : 2 بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب : 385 - 387 .

(5) بوصمغون : قرية بالجنوب الصحراوي المغربي، ألحقها الفرنسيون بالجزائر في عهد السلطان عبدالرحمان بن هشام، مما أثار احتجاج سكانها، انظر عبدالعزيز بن عبدالله، الموسوعة المغربية، معلمة المدن والقبائل ملحق 2 · 121 .

فكلا الروايتين تشيران إلى استيطان المشرفيين بالمغرب أولاً، ثم هجرتهم إلى الجزائر والاستيطان بها ثانياً، حيث استقروا بمدينة غريس، في عهد ملوك بني زيان.

فكيف اتسمت أدوارهم بهذه المدينة ونواحيها؟

إن المصادر المكتوبة عن المشرفيين سواء التي كتبت من طرف المشرفيين أنفسهم أو التي كتبت من طرف آخر، تجمع على الأدوار العلمية والدينية والجهادية للأسرة المشرفية في غريس، وأشهر الشخصيات التي اضطلعت بهذه الأدوار هي :

أ - **يوسف بن عيسى المشرفي** :

وهو الجد الأوسط للأسرة المشرفية، أسس زاوية بـ"الكرط" وحملت اسم موضعها.

كان معروفا بالعلم والصلاح والتأليف[6]. وذكر محمد المشرفي أن ذريته عرفت بالتقوى والصلاح والعلم والعدالة[7].

ب - **عبدالقادر بن عبدالله المشرفي** :

ولد ونشأ في قرية الكرط قرب معسكر، وبها تثقف على علماء عصره فأصبح يُدعي شيخ الجماعة وإمام الراشدية، أسس زاوية ومعهداً علميا في مسقط رأسه بالكرط[8]، وذكر العربي المشرفي أن زاويته كانت لا تخلو من مائتي طالب يأخذون عنه العلم ويطعمهم من ماله زيادة على الوفود والضيوف التي تأتي لزيارته[9].

شارك في الأعمال الجهادية ضد الإسبان بوهران، حيث اشترك بنفسه في الهجوم عليه والتحرير الأول لها عام 1119/1708 بقيادة مصطفى بوشلاغم. وتوفي بمسقط رأسه في الكرط يوم الخميس 10 رمضان 1192 هـ/ 1778 م [10].

ج - **الطاهر بن عبدالقادر المشرفي** :

كان على منهاج أبيه - صاحب الترجمة الآنفة الذكر - في تدريس العلوم والاهتمام بها، بقرية الكرط[11]. ثم نقله الأتراك إلي وهران وأجبروه على توليه القضاء بها [12].

---

(6) محمد السليماني، تسهيل المطالب : 1

(7) محمد المشرفي ، السهام الصائبة : 196 .

(8) رسالة من يحيى بوعزيز إلى بلعربي الحسني رشيدة سنة 1988 (وثيقة خاصة).

(9) العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة. مخ . خ . ع . ر . 1534 د : ورقة : 44 ب .

(10) رسالة من يحيى بوعزيز إلى بلعربي الحسني سنة 1988 .

(11) العربي المشرفي، ياقوتة النسب الوهاجة : ورقة : 44 ب .

(12) ن . م . س . ص .

د - محمد بن عبدالله المشرفي المعروف بـ "ساقاط" :

كان مثقفا متضلعا في جميع فنون المعرفة كالفقه، الحديث، المنطق، العروض، النحو، الشعر، والتاريخ[13]، حتى إنه كان يعرف في مدينتي معسكر ووهران بشيخ الجماعة.

عمل مدرسا ثم قاضيا للأتراك، وتولى القضاء وعضوية مجلس الشورى للأمير عبدالقادر الذي أرسله في مهمة ديلوماسية وشرعية إلى سلطان المغرب عبدالرحمان بن هشام سنة 1252 هـ/1837م [14].

2- المشرفيون بفاس :

إن الاحتلال الفرنسي للجزائر كانت له عواقب وخيمة على غالبية الأسر الجزائرية إن على المستوى المادي أو النفسي، مما كان سببا في حركة الهجرة الجماعية إلي المغرب، وبصفة خاصة إلى مدينة فاس.

وقد أطلقت الجماعات المهاجرة على نفسها اسم "المهاجرين" اقتداء بهجرة الأنصار مع الرسول ﷺ من مكة إلي المدينة، لإضفاء شرعية دينية على هجرتهم.

وكانت الأسرة المشرفية ضمن هذه الهجرة الجماعية، التي استوطنت مدينة فاس، فمتى تم التحاقهم بها؟

أثناء تصفح ما كتبه المشرفيون عن أنفسهم، نلاحظ أنهم لم يعيروا كبيرا اهتمام لمسألة هجرتهم إلى فاس والمغرب عامة، فمحمد المشرفي في حلله يشير إلى المساعدات التي قدمها السلطان عبد الرحمان وخلفاؤه للمهاجرين الجزائريين[15] دون أن يذكر تاريخ الهجرة والظروف التي أحاطت بها. كما أنه لم يذكر أسماء الأسر المهاجرة وعددها. فالإغفال بين وواضح. وكلامه عن الهجرة أتى عرضا في معرض تنويهه بالسلطان عبدالرحمان والإطراء عليه.

أما العربي المشرفي فإغفاله للموضوع يكاد يكون تاما اللهم تلك الإشارات العابرة عن معاناته الذاتية التي سجلها في كتابه : ذخيرة الأواخر والأول [16].

---

(13) ن . م . س : ورقة 46 أ محمد المشرفي السهام الصائبة 234- 235 .

(14) للمزيد من التفاصيل انظر : العربي المشرفي، ياقوتة النسب : ورقة : 45 ب - 47 أ محمد المشرفي السهام الصائبة : 233 - 235 . بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب : 334 .

Michaux bellaire, les musulmans d'Algerie au Maroc. in . Archives. Maroc. 1907. Vol : 11. P : 44.

(15) الحلل البهية : ج 2 : 79 .

(16) ذخيرة الأواخر والأول . مخ . خ . ع. ر . 2659 ك : 56-58 .

على أن أهم مصدر عن هجرة المشرفيين إلى فاس هو التقرير الذي أعده ميشو بلير (Michaux bellaire) ونشره في مجلة الوثائق المغربية سنة 1324 هـ/1907[17]. وأيضا ما كتبه محمد السليماني في كتابه اللسان المعرب[18].

لعل أول من قدم من الأسر المشرفية إلى فاس هو محمد بن عبدالله المعروف بـ "ساقاط" سنة 1252 هـ / 1837م في إطار مهمة ديبلوماسية من لدن الأمير عبدالقادر بن محي الدين[19]. وعاد من مهمته في نفس السنة. ويبدو أن ساقاط قدم إلى فاس مرة أخرى، مصحوبا بمكتبته التي كانت تتألف من 1600 مجلد [20]، لكننا لا نعرف تاريخ هذا القدوم كما لانعرف تاريخ وفاته. فقد اقتصر ميشوبلير (Michaux bellaire,) على ذكر وفاة ساقاط في الطريق المؤدية إلى مكناس [21] دون تحديد التاريخ.

وأثناء قدومه الأخير صحب معه - كما يذكر ميشوبلير [22] مجموعة من أفراد أسرته، منهم أربعة أبناء إخوته وهم : عبدالقادر بن الشيخ المشرفي، والطاهر المشرفي، ومحمد المشرفي(ليس محمدا المشرفي الذي تعنيه هذه الدراسة)، وابن عبدالله.

وهناك أفراد آخرون استقروا بفاس وكان يوجد من ضمنهم من كان من رعية فرنسا مثل سعيد المشرفي[23].

ومن أهم هؤلاء الأفراد : المؤرخ والأديب العربي المشرفي[24] ومحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي الذي تعنيه هذه الدراسة. وإذا كان الغموض يلف تاريخ هجرة الأول إلى فاس فإن عبدالحفيظ الفاسي أمدنا بتاريخ هجرة الثاني (أي محمد المشرفي) وحددها بحوالي 1260هـ/ 1844م[25] أي بعد سنتين من صدور فتوى[26] تبيح للأسر الجزائرية الهجرة، مما يجعلنا نرجح أن تكون هجرة العربي المشرفي قد وقعت في التاريخ المذكور.

فكيف كانت ردود فعل سلاطين المغرب؟ وكيف اتسمت وضعيتهم بفاس؟

يبدو أن سلاطين المغرب تأثروا كثيرا لما أصاب الأسر الجزائرية. فقد أقدم السلطان عبدالرحمان بن هشام وخلفاؤه على منح الأسرة المشرفية والمهاجرين عامة، مساعدات مالية وعينية في مناسبات الأعياد الدينية في كل سنة.

---

(17) انظر : Michaux bellaire, les musulmans d Algerie au Maroc. in . Archives. Maroc. 1907. Vol : 11. PP : 1-115.
(18) محمد السليماني، اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب : 33.
(19) بصدد هذه المهمة انظر : محمد بن عبدالقادر، تحفة الزائر 316 - 318.
(20) محمد بن عبدالقادر، تحفة الزائر : 48.
(21) Michaux bellaire. les musulmas d'Algerie au Maroc. in. Archives. Maroc vol 11 p : 47
(22) انظر : م . س . ن . ج . ص .
(23) انظر : م . س . ن . ج . ص : 47 - 48.
(24) انظر نبذة من ترجمته في : الدراسة : 88 و الحلل البهية ج 1 : 77 ، 134 هامش : 129
(25) عبدالحفيظ الفاسي، رياض الجنة، ج 2 : 6.
(26) الفتوى مؤرخة بسنة 1258 هـ / 1842م.

كما أصدر السلطان المذكور ظهيرا مؤرخا بيوم 15 شوال 1247 / 18مارس 1832 [27] يعفي بمقتضاه الأسرة المنحدرة من الشيخ عبدالقادر المشرفي من أداء الضرائب. وجدد هذا الظهير من لدن السلاطين المتعاقبين، وآخرهم السلطان عبد العزيز بتاريخ 16 شوال 10/1315 مارس 1898 [28].

وأعطيت الأوامر والتعليمات السلطانية للمسؤولين بفاس، بأن يعملوا على الاستفادة من طاقات هذه الأسرة وخبراتها العلمية والعملية وذلك بفتح مجال التشغيل أمام كل مريد وطالب حسب الاختصاص.

وبذلك تم إدماج كل شخص له صنعة أو حرفة أو عمل في إطاره الخاص. ومن ظهرت فيه نجابة وكفاءة علمية، عين في إحدى المناصب الحيوية الهامة كالتدريس بالنسبة لأبي محمد العربي المشرفي، والقضاء والإفتاء بالنسبة لمحمد المشرفي.

إلا أن هذه الوضعية المتميزة للأسرة المشرفية بفاس يجب ألا تنسينا في وضعية المئات المهاجرين الجزائريين الذين تفرقوا في الحياينة، خريبكة، وجدة، نواحي مراكش، سطات، وغيرها من أصقاع بلاد المغرب، حيث عانوا من ضيق الحال وضنك العيش.

ومع ذلك يمكن القول، على وجه العموم، بأن السلاطين المغاربة بذلوا ما في استطاعتهم من أجل إنقاذ الأسر الجزائرية المهاجرة من التشريد والتفقير.

---

(27) انظر هذا الظهير عند : Michaux bellaire, les musulmas d'Algerie au Maroc. in Archives. Maroc .vol11 p : 65

(28) انظر : Michaux bellaire, les musulmas d'Algerie au Maroc. in .Archives. Maroc. vol 11 p : 65

دراسة تعريفية ونقدية لمصادر حياة المشرفي

لاشك أن محمداً المشرفي، لم يكن غريبا عن الأوساط الفكرية المعاصرة له واللاحقة، سواء بفاس أو بمدن مغربية أخرى.

لهذا كان من المفروض أن نتوفر على مادة معرفية غزيرة عن حياته، هذه الحياة التي قضى معظم مراحلها في جماعة بل وجماعات تأثر بها وأثر فيها.

إلا أنهُ بعد البحث والتنقيب عن حياة المشرفي، في الكتب المصدرية المعاصرة له والكتب المرجعية اللاحقة، تبيّن لنا ما لم يكن متوقعا أو مفترضا، لأن جل المؤلفين المختصين بالتراجم أو بالموضوعات العامة لم ينصفوه، باستثناء عبد الحفيظ الفاسي في كتابه : رياض الجنة، الذي أمدنا بمعلومات مهمة عن حياة المشرفي، تُعدُّ المصدر الأساسي لترجمته. أما المصادر الأخرى فمادتها شحيحة تكاد لا تفي بالغرض.

وإذا كانت المصادر والمراجع قد أغفلت أو تجاهلت ترجمة محمد المشرفي، فإن هذا الأخير نفسه لم يشذ عن هذه القاعدة، فلم يعرف بنفسه ورحلاته واتصالاته ومشاهداته... إلخ إلاّ ما أورده من معلومات عرضا في كتابيه : "منهاج البشرى" و"الدر المكنون" وهي عبارة عن شذرات لاتسمن ولا تغني من جوع.

إلا أنه مع ذلك فكتاباته تفيدنا كثيراً في معرفة توجهاته الفكرية والسياسية والفقهية، كما تطلعنا على مواقفه وآرائه حول الأحداث الماضية والمستجدة، وتطلعاته المستقبلية. فأهميتها من هذه الجوانب لا جدال فيها.

فما هي أنواع المصادر التي تناولت حياة المشرفي؟

سنتتبع المصادر التي تناولت حياة المشرفي حسب الترتيب الزمني، ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة أنواع وهي :

1 - المصادر التي ألفها المشرفي

2 - المصادر المعاصرة (التي ألفت في حياة المشرفي).

3 - المصادر (المراجع) اللاحقة (التي ألفت بعد وفاة المشرفي إلى الآن).

1- المصادر التي ألفها المشرفي:

لم يشأ المشرفي أن يفرد مؤلفا في سيرته الذاتية، بل إنه لم يفكر في أن يضع ولو تعريفا وجيزاً عن أهم أطوار حياته العامة، مثله في ذلك مثل كثير من المفكرين والمؤرخين والجغرافيين والأدباء الذين طواهم النسيان أو كاد يطويهم في مختلف الحقب والعصور التاريخية إلى الآن.

لذلك تبقى المادة التي قدمها لنا المشرفي في كتاباته عن حياته لا تفي بالغرض المطلوب لقلتها وندرتها. لكن كتاباته - مع ذلك - تفيدنا في جوانب أخرى لها أهميتها.

فما هي هذه الكتابات ؟ وأين تتجلى قيمتها المعرفية عن حياته؟

أ - السهام الصائبة (1883/1301):

في هذا الكتاب يبرز المشرفي كفاءته الأدبية والفقهية والجدالية في الرد على أحد مواطنيه وهو أحمد المجاهد الراشدي الغريسي الذي يبدو أنه طعن في إحدى فتاوى المشرفي.

كما أمدنا فيه بمادة معرفية لا بأس بها عن نسبه الشريف، فأكد على صحته، وافتخر بأجداده ومجدهم[29]، وذكر بأنه تعاطى التجارة، ونقل نصا من ذخيرة الأواخر والأول للعربي المشرفي، فيه مدح وتقريظ له[30] كما أفادنا بمواقفه من زيارة القبور والغناء وبعض البدع التي انتشرت في فاس.

ب - منهاج البشرى وسعادة الدنيا والأخرى (1305/ 1887) :

الكتاب عبارة عن نصيحة أسداها المشرفي للسلطان الحسن، لكنه لا يخلو من فوائد تتعلق بحياة المشرفي، حيث وقفنا فيه على معلومات فريدة لم يطلع عليها اي مترجم له أو باحث. إنها معلومات جديرة بالاهتمام والتسجيل أضاءت لنا جوانب من حياة المشرفي. وهي تتعلق بزيارته لبلدان أجنبية وهي :

مصر[31]، وجبل طارق[32]، والجزائر[33]، كما يشير إلى إقامته في قبيلة الحياينة [34]، وما رآه فيها من عادات وفساد وانحلال اجتماعي، ومن إهمال وتقصير من جانب السلطة المحلية والمركزية. ولم يفته اقتراح بعض الحلول التي كان يرى على أنها حلولا ناجعة للقضاء على تلك المعضلات .

---

(29) السهام الصائبة : 192 - 241 .
(30) السهام الصائبة : 237 - 238
(31) منهاج البشرى : ورقة : 145أ.
(32) ن . م . س . ورقة : 58 ب
(33) ن . م . س . ورقة : 38 ب . 59 ب . 60 أ.
(34) ن . م . س . ورقة : 121أ.

ج - الدر المكنون في التعريف بشيخنا سيدي محمد جنون (1896/1314)

أمدنا المشرفي في هذا الكتاب بمادة معرفية هامة عن شيخه محمد بن المدني جنون، كما ذكر لنا فيه أسماء بعض شيوخه الآخرين. أما عن حياته الشخصية فلا شيء ذا بال.

د - الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية (1893/1310 ثم عُدّل سنة 1903/1321) :

خصص المشرفي هذا الكتاب لتأريخ الدولة العلوية، كما هو واضح من خلال العنوان، وهو بهذا لايفيدنا في شيء عن أطوار حياته بقدر ما يفيدنا في معرفة تكوينه العلمي ورصيده الفكري، ونزعاته ومواقفه من الأحداث التاريخية الماضوية والمستجدة إلى حدود سنة 1319 / 1902 .

2 - المصادر المعاصرة للمشرفي :

هذه المصادر لم تفرد للمشرفي ترجمة وافية رغم معاصرتها له، واحتكاك بعض مؤلفيها به. لكن رغم شحتها فقيمتها لا تخلو من أهمية. وهي كالتالي :

أ - ذخيرة الأواخر والأول فيما يتضمن مراحل الدول :

ألفه أبو محمد العربي المشرفي سنة 1299 هـ/1881 ذكر محمد المنوني أن هذا الكتاب ألف باقتراح من محمد المشرفي[35]. الكتاب مازال مخطوطا، توجد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2659 ك وردت به شذرات عن محمد المشرفي في صفحة 8 .

ب - ياقوتة النسب الوهاجة :

ألفه أبو محمد العربي المشرفي سنة 1300 هـ/.1882 وهو مازال مخطوطا. توجد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1534د. أمدنا المؤلف بمعلومات عن أجداد الأسرة المشرفية إلى عهده، فأفرد فيه ترجمة قصيرة لمحمد المشرفي في ورقة 42 ب إلى 48 أ.

ج - الدرر البهية والجواهر النبوية في الفروع الحسنية والحسينية :

ألفه إدريس بن أحمد الفضيلي. طبع على الحجر بفاس دون تاريخ. أورد فيه مؤلفه معلومات عن الأسرة المشرفية، حيث أثبت نسبها الشريف، وذكر عدة علمائها المعاصرين له ومن بينهم محمد المشرفي، في الجزء 2 صفحة 154 - 155 .

---

(35) المصادر العربية لتاريخ المغرب ، ج 2 : 91 .

د - اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب :

ألفه محمد بن الأعرج السليماني سنة 1911/1330 وهو مطبوع متداول. خصص فيه المؤلف حيزا لذكر الأسر الجزائرية المهاجرة إلى فاس ومن ضمنهم الأسرة المشرفية، في صفحة : 33 .

هـ - تسهيل المطالب لبغية الطالب :

ألفه محمد بن الأعرج السليماني سنة 1911/1330 حصلتُ على ورقات (مرقونة) منه، تتعلق بنسب الأسرة المشرفية، وفيها إشارة إلى محمد المشرفي في صفحة 3 .

و - مجموعة الفتاوي والأجوبة الفقهية :

صنفه أحمد بن محمد البوعزاوي. مازال مخطوطا، توجد نسخة منه في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 4440 د وردت به مشاركة محمد المشرفي في بعض الفتاوى في الجزء 1 : 7 والجزء 2 : 5، 75 .

ز - مؤرخو الشرفاء :

ألفه المستشرق الفرنسي الأصل ليفي بروفنصال. ثم تُرجم إلى العربية. لم يذكر فيه المؤلف اسم المشرفي أثناء كلامه عن كتاب الحلل البهية - الذي لم يطلع عليه - في صفحة 264 - 265 .

ح - G. SALMON, les institutions Berberes au Maroc .in. Archives, Maroc, Année 1904 vol 1 p : 129 .

تكلم الباحث عن كتاب الحلل البهية ومؤلفه في مقدمة ترجمته لعدة فقرات منه. لكن دون ذكر اسم محمد المشرفي والحلل البهية.

ط - L. Coufourier, chronique de la vie de Moulay EL HASSAN .in. Archives . Maroc . Année 1906 vol 8 P : 330 - 395 .

تكلم المترجم عن الحلل البهية ومؤلفه، وترجم منه فصلا طويلا، لكن دون أن يذكر اسم محمد المشرفي والحلل البهية.

ي - Michaux Bellaire, les musulmans d'Algérie au Maroc .in. Archives. Maroc. Année 1907 vol 11 p : 34 - 35 , 58 - 100.

أثناء كلامه عن الأسر الجزائرية التي هاجرت إلى فاس خصص ميشو بلير بضعة أسطر متناثرة هنا وهناك، للحديث عن محمد المشرفي.

3 - المصادر اللاحقة (المراجع):

نقصد بها الكتب التي ألفت في فترات لاحقة من وفاة محمد المشرفي إلى الآن. وهي كتب يغلب عليها طابع الاختصار المفرط فيما يتعلق بترجمة محمد المشرفي. كما أنها لم تأت بجديد يذكر باستثناء كتاب: رياض الجنة، لعبد الحفيظ الفاسي، الذي يعتبر المصدر الأساسي لكل الباحثين والمهتمين بحياة محمد المشرفي.

وهذه المصادر (المراجع) كالتالي:

أ - تاريخ الشعر والشعراء بفاس:

ألفه أحمد النميشي. طبع بفاس سنة 1343 هـ/1924.

وردت به ترجمة قصيرة للمشرفي في صفحة 97.

ب - فواصل الجمان في أنباء وزراء وكتاب الزمان:

طبع بفاس سنة 1928/1347م تكلم فيه المؤلف محمد غريط عن الحلل البهية في صفحة 207 في معرض ترجمته للغالي بن سليمان، لكنه لم يذكر المشرفي بالاسم.

ج - رياض الجنة:

ألفه عبدالحفيظ الفاسي، وطبع سنة 1350 هـ/1931 بفاس. يعد أهم مصدر عن حياة محمد المشرفي. وقد وردت المعلومات عن المترجم في الجزء 2: 6 - 8.

د - معجم طبقات المؤلفين:

كَتَبه عبدالرحمان بن زيدان. وهو عبارة عن أوراق مخطوطة متناثرة، توجد بالخزانة الحسنية تحت رقم 12564، وردت بها ترجمة جد قصيرة للمشرفي.

هـ - مختصر تاريخ تطوان:

ألفه محمد داود. طبع بتطوان 1955/1375 وردت به ترجمة قصيرة للمشرفي في صفحة: 164

و - دليل مؤرخ المغرب الأقصى:

ألفه عبدالسلام بن سودة. نشر في طبعته الثانية بالدارالبيضاء 1384هـ/1965 توجد به ترجمة موجزة للمشرفي في الجزء 1: 208 ثم الجزء 2: 416.

ز - إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع:

ألفه - كذلك - عبد السلام بن سودة. وهو كتاب (مرقون) يوجد بالخزانة الحسنية تحت رقم 10651 أورد فيه المؤلف ترجمة موجزة للمشرفي في الجزء 2: 281.

ح - **جامع القرويين** :

ألفه عبدالهادي التازي توجد ترجمة المشرفي في الجزء 3 : 718 .

ط - **الأعلام** : صنفه الزركلي خير الدين . توجد ترجمة المشرفي في الجزء 7 : 76.

ي - **معجم المؤلفين** : صنفه عمر رضا كحالة . توجد ترجمة المشرفي في الجزء 11 : 302 .

ك - **المصادر العربية لتاريخ المغرب** :

صنفه محمد المنوني. توجد ترجمة المشرفي في الجزء 2 : 152 ، 198 .

ل - **من أدب أيام الأزمة** : مقال لعبدالقادر زمامة . نشر في مجلة المناهل العدد 21 : السنة 1401 / 1981 . ص : 281 - 282 .

م - **مع المؤرخ المشرفي في كتابه الحلل البهية.** مقال لعبدالقادر زمامة، نشر في مجلة المناهل، العدد 36 السنة 1407 / 1987 . ص : 199 - 205 .

حياة المشرفي

قضى محمد المشرفي معظم أطوار حياته في مدينة فاس ثم في بلاد الحياينة عندما عُيّن قاضيا بها. فكيف اتسمت هذه الأطوار من حياته؟

1 - اسمه ونسبه :

هو : أبو عبدالله محمد بن محمد بن مصطفى الأحمر المشرفي [36] .

2 - مولده :

ولد محمد المشرفي في غريس بأحواز مدينة معسكر غرب الجزائر حوالي 1255 هـ/ حوالي1839م حسبما يستفاد من رواية عبدالحفيظ الفاسي[37]. أي بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر بتسع سنوات.

وهي الفترة التاريخية التي تميزت بالصراع المرير والمخاض العسير للجزائريين والمغاربة على السواء، ضد الاستعمار الفرنسي.

---

(36) محمد المشرفي ، السهام الصائبة : ,237 العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول : 8 ياقوتة النسب الوهاجة : ورقة 48 أ. إدريس الفضيلي، الدرر البهية، ج 2 : 155 .

(37) ذكر عبد الحفيظ الفاسي في كتابه، رياض الجنة، ج 2 : 7 أن محمداً المشرفي قدم إلى فاس صحبة أبيه في حدود 1260 / 1844 وكان سنه يومئذ خمس سنين.

هذا الاحتلال سيتمخض، عنه في الحال والمآل تدهور خطير للأوضاع السياسية والاجتماعية بالجزائر، الشيء الذي أدى إلى هجرة العديد من الأفراد والجماعات إلى المغرب، ومن ضمنهم أسرة محمد المشرفي التي كانت تستقر بغريس. فأين تقع غريس؟

غريس أو إغريس : منطقة سميت بذلك لأنها كانت مغروسة بأنواع الشجر ذوات الأثمار حسب رواية بلهاشمي[38] . مما يعني خصوبة المنطقة وغناها الفلاحي.

تقع في أحواز مدينة معسكر، حيث تمتد على سهول جبل راشد غرب الجزائر[39]. كان يسكنها قبائل بني زروال ويجوارهم قبيلتي : بني توجين ومغراوة[40].

عُرفت غريس بأهميتها العلمية لكثرة انتشار الزوايا بها وأدوارها التعليمية، يقول بلهاشمي : "وقد كثرت الرحلة لطلب العلم لوطن غريس ما بين القرن العاشر والحادي والثاني عشر، لكثرة تأسيس الزوايا لبث العلوم بغريس كزاوية سيدي محمد بن يحي السليماني وزاوية الشيخ سيدي محمد المشرفي الإدريسي"[41].

3- هجرته إلى فاس ونشأته بها :

هاجر محمد المشرفي إلى فاس صحبة أبيه في حدود سنة 1260 هـ / 1844 م، وكان سنه يومئذ لا يتجاوز خمس سنوات. وفي مدينة فاس تربى ونشأ في أحضان أسرته، على نمط التربية الإسلامية الممزوجة بعادات وتقاليد محلية موروثة، لأنه من البديهي أن تكون أسرته قد حافظت على طرق وأساليب تربوية محلية.

وتعدُّ الأسرة الممثلة الأولى لثقافة الطفل، وهي أقوى الجماعات تأثيرا في سلوكه، كما أنها المدرسة الاجتماعية الأولى، لما لها من أهمية في عملية تنشئته الاجتماعية، وتكوين شخصيته وتوجيه سلوكه.

وأسرة محمد المشرفي عُرفت عند عامة الناس بالصلاح والتقوى والعلم أبًا عن جد. فقد كان أبوه "عالما، فاضلا، شهما، شجاعا"[42]. فمن البداهة أن ينشأ محمد المشرفي تنشئة علمية، ويتربى تربية صالحة منذ نعومة أظفاره، تحت رعاية أسرته، التي لم تدخر وسعا في تنشئة ابنها تنشئة علمية تليق بمكانة الأسرة المشرفية العلمية.

---

(38) مجموع النسب : 34.

(39) قدور الورطاسي، في موكب الأبطال بالمغرب الشرقي. (كتاب مرقون) خ.ع.ر. 3812 د : 6.

(40) بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب : 34 .

(41) ن.م.س.ص : 34 - 35 .

(42) عبدالحفيظ الفاسي، رياض الجنة ، ج 2، 7 .

وبهذه التنشئة داخل الأسرة، وأيضا بين الأفراد والجماعات المكونة للمجتمع الكبير، سيتحدد السلوك الاجتماعي لمحمد المشرفي كنتيجة للتفاعل بينه وبين بيئة فاس التي عاش فيها، وبصفة خاصة البيئة الاجتماعية الفاسية لأن عملية التنشئة الاجتماعية عملية تعلم وتعليم وتربية، تقوم على التفاعل الاجتماعي، يكتسب أثناءها الفرد سلوكا واتجاهات لأدوار اجتماعية وثقافية معينة.

4- دراسته :

من دون شك أن أسرة محمد المشرفي ، المتشبعة بروح المعرفة الدينية والغيرة الإسلامية، قد حرصت على تربية ابنها تربية إسلامية، فمن الأكيد أنها أرسلته إلى الكتاب (المسيد) ليحفظ القرآن ويتعلم قواعد اللغة العربية، وبعض المبادئ الإسلامية طبقا لنظام التعليم التقليدي الذي كان سائدا في هذا العصر.

وبعد ذلك تدرج محمد المشرفي في المؤسسات التعليمية الأخرى بما فيها جامع القرويين، التي ولجها عن استحقاق وجدارة لما كان في رصيده العلمي ما يؤهله لخوض غمار الدراسات العليا، فقد كان فطنا ذكيا، قوي الذاكرة، ظهرت نجابته وتفوقه الدراسي في المراحل الأولى من التعليم وهو حديث السن، يقول العربي المشرفي : "محمد بن محمد بن المصطفى الأحمر، حصل الملكة في العلوم (...) فاق أقرانه في فصاحة اللسان (...) ولازال صغير السن كبير القدر في الفن"[43].

درس محمد المشرفي على أبرز شيوخ العصر وأشهرهم فكرا، وفقها، وتدينا، وتدريسا، وحركية، في مقدمتهم محمد بن المدني جنون والعربي المشرفي وعمر بن سودة المري[44].

وقد ذكر دولفان [45] المواد التي كانت تُدرَّس للطلبة في جامع القرويين، ويُستنتج منها أن النظام التعليمي كان نظاما يميل إلى الاهتمام بالعلوم الدينية والأدبية على غيرها من المواد. وهو نظام تقليدي موروث عن العصور الماضية لم يطرأ عليه تغيير أو تجديد.

---

(43) ذخيرة الأواخر والأول، مخ. خ. ع. ر . 2659ك : 8 .

(44) انظر نبذة من ترجمته ومصادرها في الدراسة ص : 78. من الجزء الأول.

(45) انظر Delphin, Fès . P : 30

ولعل حالة الفوضى وعدم احترام الطلاب للشيوخ والأساتذة في بعض أو جل حلقات التدريس في جامع القرويين، هي التي جعلت محمداً المشرفي يُخصص خاتمة كتابه الدر المكنون، للكلام عن آداب الطلاب[46] . وهي عبارة عن نصائح، يرى المشرفي على أنه من الواجب على الطلاب أن يلتزموا بها أثناء الدراسة.

ويبدو أن المشرفي تأثر بشيوخه علما ومنهجا وسلوكا، خاصة شيخه محمد بن المدني جنون وعمه العربي المشرفي.

فأين تتجلى شخصية المشرفي العلمية؟

5- تكوينه العلمي :

درس محمد المشرفي بفاس، وتكون تكوينا علميا على طريقة عصره، فكانت الحصيلة بروزه كشخصية مثقفة تجمع عدة تخصصات .

أ- المشرفي المؤرخ :

لم تكن مادة التاريخ من بين المواد التي كانت تُدرس في جامع القرويين، وإنما كان الطلبة ينكبون على مطالعة الكتب التاريخية بحسب مجهودهم واجتهاداتهم الخاصة.

ويبدو أن المشرفي كان مجداً في مطالعة الكتب التاريخية لشغفه بعلم التاريخ وإدراكه لأهميته العلمية. هذا ما يتجلى واضحا من خلال كتابيْه : الحلل البهية - الذي تعنيه هذه الدراسة - ومنهاج البشرى. فالتاريخ بالنسبة له : "من أجل العلوم قدراً (...) يكسب صاحبه النباهة حتى يفوق أمثاله" [47] وبواسطته تستنير الفكر والألباب، وتعلم حوادث الأزمنة والأحقاب [48].

لقد كان المشرفي، بحق، مطلعا على كتب تاريخية تتعلق بتاريخ الشرق الإسلامي والغرب الإسلامي على السواء، فأي رأي أبداه أو فكرة اقترحها أو موقف اتخذه، أو نصيحة أسداها، إلا ورجع بذاكرته إلى الروايات التاريخية لتبرير وتعليل ما رآه صائبا، مما يدل على سعة اطلاعه وقوة ذاكرته، وميوله إلى حقل التاريخ.

فكان تكوينه العلمي في الحقل المعرفي التاريخي، تكوينا رصينا، استحق بذلك، نعته وتسميته بالمؤرخ بحسب منطق عصره.

---

(46) انظر الدر المكنون : 321 ومابعدها.
(47) الحلل البهية : ج 1 : 121 .
(48) الحلل البهية : ج 1 : 121 .

ب - المشرفي السياسي :

لم يكن المشرفي منعزلا عن الأحداث السياسية التي كانت تستجد من حين لآخر على الساحة المغربية، فقد عايش كل التطورات والأحداث التي مرّ بها المغرب ابتداء من عهد السلطان عبدالرحمان إلى عهد عبدالعزيز. لم يعايش الأحداث بوجوده، وإنما عايشها بوجوده وقلمه، فسجل كل ما لفت نظره أو أثر على نفسيته. ولم يتوان عن تقديم الاقتراحات السياسية التي كان يراها مناسبة لحل ما استعصى حله، كما لم يفته إبداء مواقفه السياسية بكل جرأة وحماس.

إن اهتماماته الفقهية والسياسية، جعلت منه أحد العلماء البارزين، وأحد موظفي المخزن في منصب القضاء، الأمر الذي جعله على ارتباط وثيق بالسلطة السياسية، فكان لهذا السبب وبحكم ثقافته وهمومه، شديد الصلة بالفكر السياسي والأحداث السياسية، شارك فيهما بوجوده وفكره وقلمه، لكنه - مع ذلك - لم يبلور خطابا سياسيا ناضجا.

ج - المشرفي الفقيه :

الفقه، هي المادة الأساسية التي كانت مسيطرة على حلقات التدريس في جامع القرويين، حيث كانت تحظى بأربعين حصة صباحية، يقوم بتدريسها خمسة وعشرون شيخا[49]، وكانت تنال إقبالا مكثفا من طرف الطلبة. ومن دون شك أن المشرفي كان من الطلبة المتحمسين والمتعطشين إلى هذه المادة، بحكم تربيته ومجتمعه وبيئته الإسلامية. فكان تكوينه الفقهي تكوينا متينا، بالنظر إلى علماء عصره. هذا التكوين العلمي جعله يحتل مكانة مرموقة، إذ أنه بعد تنقيح قوائم العلماء سنة 1332 هـ 1914م أدرج اسمه في الدرجة الأولى[50].

ثم إنّ تعيينه في منصب القضاء يُبرز - أيضا - هذه المكانة، لأن هذا المنصب لم يكن يتولاه إلا من كانت له الكفاءة الفقهية والعلمية. بالإضافة إلى القضاء عمل المشرفي مفتيا في فاس، وقد قادنا البحث إلى العثور على بعض فتاويه [51].

كما أنه تصدر للردّ على فتويين وردتا من مصر، تتعلقان بموضوع فقهي وهو : التوسل بالأنبياء والأولياء إلى الله تعالى .

وطبع الرد في شكل كتاب سماه : إظهار العقوق في الرد على من منع التوسل إلى الله تعالى بالنبي والولي الصدوق.

لهذه الاعتبارات، يعدّ المشرفي من أبرز فقهاء عصره.

---

(49) عمراني محمد، جامعة القرويين، بحث (مرقون) لنيل د.د.ع . في التاريخ، جامعة محمد الخامس بالرباط السنة 1987-1988 . ص : 29 .

(50) عبدالهادي التازي ، جامع القرويين، ج 3: 817 .

(51) انظر هذه الفتاوي في كتاب مجموع الفتاوي والأجوبة الفقهية لأحمد بن محمد البوعزاوي، مخ. خ. ع. ر 4440 د ، ج 1: 97 ثم ج 2: 5 . 75 .

د - المشرفي الأديب :

إن اللغة العربية وآدابها احتلت الرتبة الثانية بعد الفقه من حيث الأهمية داخل مجالس جامع القرويين، وشكلت عنصرا أساسيا لكل عالم ومثقف، وذلك لاعتبارها مفتاحا للنصوص الدينية والأدبية والتاريخية، هذه الأهمية تعكسها عدد الحصص التي خُصصت لها، فعلى سبيل المثال، بلغ عدد الحصص في النحو خمسة وثلاثين حصة في اليوم(52).

ويبدو أن المشرفي بذل مجهودا كبيرا في هذا الحقل المعرفي، مما جعله يتبوأ مكانة رفيعة بين أدباد وشعراء عصره، فقد كان له الباع في النظم والنثر والبلاغة وفصاحة اللسان والتراكيب الجميلة (53).

ومن محبته وشغفه باللغة العربية وآدابها، وولوعه بالشعر، أن جادت قريحته بديوان شعر (54)، كما أنشأ قصائد وأشعاراً وردت في ثنايا مؤلفاته.

وإن كتاب الحلل البهية طافح بالشرح اللغوي للكلمات الواردة في قصيدة الغالي بن سليمان، التي جرد لها المشرفي قلمه وشرحها شرحا أفاض فيه لغويا واصطلاحيا مما يدل على سعة اطلاعه وتكوينه الأدبي. يقول فيه شيخه العربي المشرفي : "يغوص على درر المعاني، أنجب أهل وقته في علم الأدب نظما ونثراً قبولا ورداً" (55).

هـ - المشرفي المثقف :

لم تقتصر مطالعات المشرفي على حقل معرفي دون آخر، بل كانت له مطالعات واهتمامات متنوعة، فبالإضافة إلى التاريخ، والسياسة والفقه والأدب، اهتم المشرفي بعلوم أخرى مثل علم الكمياء والفلك كما يبدو ذلك من خلال كتابه الحلل البهية.

هذا التنوع المعرفي جعل من المشرفي نموذجا حقيقيا لشخصية العالم المثقف في مغرب القرن 19م وأوائل القرن 20 .

وكان من المسلم به أن يجمع العالم بين شتى فنون المعرفة خاصة الفقه والحديث واللغة العربية وآدابها .

---

(52) عمراني محمد، جامعة القرويين : 37.

(53) العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول : 8.

(54) لم أجده وإنما ذكره ابن سودة في الدليل، ج 2، 393.

(55) ياقوتة النسب : ورقة : 148.

و - المشرفي المصلح [56] :

شهد مغرب القرن 13 هـ / 19 م بروز عدة علماء مصلحين كنتيجة للضغط الأوربي خاصة على الواجهة العسكرية، حيث ظهر جليا التفوق الكبير للجيوش الأوربية في معركتي : إيسلي وتطوان، اللتان انكسر فيهما الجيش المغربي أشد انكسار لم يعهد مثله.

ومن هؤلاء المصلحين : محمد المشرفي ، الذي عبر عن مواقفه وآرائه واقتراحاته الإصلاحية بكل صراحة وجرأة. فقد وجه النقد والنصح للسلطان مولاي الحسن، واقترح عليه طريقة تكوين جيش قوي، ودعا إلى الانفتاح على الحضارة الإنسانية، وحارب البدع والفساد والظلم، وانتقد العمال والقواد والشيوخ.

وكان مطلعاً على ما كان يجري في الشرق من نهضة فكرية وسياسية نتيجة لزيارته لمصر والجزائر، حيث شاهد عن كثب الإصلاحات السياسية والإدارية والعسكرية، كما اطلع على مؤلفات المصلحين، فكان من الطبيعي أن يتأثر بها، وهو ما يلاحظ في كتابه منهاج البشرى.

6 - مؤلفاته :

يمثل محمد المشرفي نموذجا للشخصية المثقفة في مغرب القرن 19 وبداية القرن 20 للميلاد، فقد كان متعدد الاهتمامات الثقافية، هذا التعدد عكسته ما وصلنا من مؤلفاته المتنوعة الموضوعات، ففيها التاريخ والتراجم، والأنساب، والرحلات والفقه ، والشعر، وموضوعات مختلفة، وهي :

أ - التاريخ :

1 - الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية، وهو الذي تعنيه هذه الدراسة التي نحن بصدد إنجازها.

ب - التراجم :

2 - الدر المكنون في التعريف بشيخنا سيدي محمد جنون :

نشر هذا الكتاب بالمطبعة الحجرية بفاس دون تاريخ، في حجم متوسط، يحتوي على 176 صفحة ، فضلا عن تقاريظ وردت بآخر الكتاب. توجد نسخة مخطوطة منه في المكتبة العامة والمحفوظات بتطوان تحت رقم 412 [57].

---

(56) انظر بعض أهم عناصر أفكاره السلفية الإصلاحية في : الدراسة ج 1 : 52 – 54 .
(57) سمح لي محافظ المكتبة السيد محمد بوخبزة بانتساخ صورة منها.

انتهى محمد المشرفي من تأليفه يوم الخميس 17 ربيع النبوي 1314 هـ / 27 غشت 1896م. وكان السبب الأساسي من وراء تأليفه، الرد على من طعن في نسب شيخه محمد بن المدني جنون، ودحض كل الافتراءات والظنون، معتمداً في ذلك على دلائل ووثائق. إلا أنه أثار ضجة كبرى في أوساط العلماء والمهتمين بالأنساب الذين تفرقوا بين معارض ومؤيد. وتطورت القضية إلى عرضها على السلطان عبدالحفيظ الذي انتدب لجنة تتألف من ثلاثة قضاة ومجموعة من العلماء للتحقيق في القضية. وخلص التحقيق إلى عدم صحة النسب الشريف للجنونيين، فرفعت اللجنة نص التحقيق إلى السلطان "فأمضاه وصدر الأمر بكفهم عن الانتساب للجناب النبوي"[58].

إن موضوع النسب كان في عصر المشرفي من الموضوعات الهامة التي كانت تطرح للنقاش بين الفينة والأخرى من طرف العلماء، حماية للنسب الشريف من أن يُدنس بالدخلاء والأدعياء.

وهذا يُبرز نوع الموضوعات التي كانت تثار بين العلماء، وتعطى لها الأولوية.

ج - **الأنساب** :

3 - العمدة في ذكر من اشتهر نسبه الشريف بعمالة وجدة :

لم أجد هذا الكتاب. ويبدو أن أستاذنا محمداً المنوني اطلع عليه في خزانة خاصة[59]، ويقول بأن المؤلف ذكر فيه الإمام عبدالله الكامل وأبناءه الأئمة : محمد النفس الزكية، وإدريس الأول، وسليمان الداخل. وأن المؤلف توسع في عدّ فروع الأبناء الثلاثة موزعا موضوعاته بين أربعة أبواب وخاتمة. وتنتهي النسخة الموجودة عند الباب الثالث، وتقع ضمن مجموع من صفحة 444 إلى 463 ، في حجم متوسط.

د - **الرحلات** :

4 - رحلة إلى مشرع الرمل : لم أجدها وإنما ذكرها عبدالسلام بن سودة في كتابه : إتحاف المطالع[60]، وقال بأنها رحلة من فاس إلى مشرع الرمل لتقديم البيعة إلى السلطان عبدالحفيظ. كما ذكرها عبدالرحمان بن زيدان في كتابه : معجم طبقات المؤلفين[61].

---

(58) عبد الحفيظ الفاسي، رياض الجنة، ج 2 : 171 .
(59) محمد المنوني، المصادر العربية لتاريخ المغرب ، ج 2 . 232 .
(60) إتحاف المطالع (مرقون) م . ح . ر . 10651 . ج 2 . 281 .
(61) الكتاب عبارة عن ورقات مخطوطة متناثرة . خ . ح . ر . 12564 .

هـ- الفقه :

5 - إظهار العقوق في الرد على من منع التوسل إلى الله تعالى بالنبي والولي الصدوق :

نشر الكتاب بمطبعة التقدم العلمية بمصر سنة 1327 هـ / 1909 م [62]. لانعرف بالضبط تاريخ تأليفه، لكن يبدو أن ذلك كان بين سنتي 1322 و 1323 هـ/ 1904 و 1905م، اعتماداً على تقريظ ورد بآخر الكتاب، مورخ بسنة 1323 هـ / 1905 م .

الكتاب في الأصل عبارة عن جواب على فتويين بعث بهما بعض علماء مصر إلى أبرز علماء فاس بقصد معرفة آخر الاجتهادات والأبحاث في موضوع التوسل.

وكان محمد المشرفي رجل المناسبة. حاول إقناع السائلين بما لديه من حجج وأدلة اعتمادا على مخزونه الفقهي. فكان إلى جانب جل فقهاء المغرب، الذين افتوا بجواز التوسل بالأنبيا والأولياء إلى الله تعالى، في قضاء الأغراض الدينية والدنيوية. ومن خلال الأسئلة الواردة بالكتاب، وردود المشرفي عليها، يلاحظ وجود اختلاف بين مدرستين : المدرسة المصرية التي تحررت من قيود وأغلال الصوفية، والمدرسة المغربية التي كانت ما تزال تحت وطأة تأثير الصوفية.

و- الشعر :

6 - إيقاظ أهل الغفلة والمنام، والنيابة عمن استيقظ ولم يقدر على الكلام :

عبارة عن قصيدة نشرت تحت هذا العنوان بالمطبعة الحجرية بفاس دون تاريخ، وعن هذه الطبعة أثبتها المنوني في مظاهر يقظة المغرب[63] ، وعبدالقادر زمامة في مقال له في مجلة المناهل[64]، وتوجد مثبته في الحلل البهية [65] لكن بدون عنوان.

وقد شك المنوني في نسبتها إلى محمد المشرفي بقوله : "وقد سمعتُ أكثر من مرة من يقرأ هذه القصيدة وينسبها للشيخ محمد بن عبدالكبير الكتاني"[66].

إلا أنه يمكن الاطمئنان إلى نسبتها لصاحبها المشرفي، لأن مضمون نصها ينسجم وروح الإشكال العام الذي كان يحسه المشرفي ويتخبط فيه. هذا فضلاً عن تطابق أسلوب القصيدة مع أسلوب كتاب الحلل البهية عامة .

---

(62) حصلتُ على نسخة منه من الخزانة الحسنية بالرباط.
(63) في الجزء 2 : 36 - 38 .
(64) عنوان المقال : من أدب أيام الأزمة. نشر بمجلة المناهل في العدد 21 سنة 1401 هـ / 1981 م : 283 - 286 .
(65) الحلل البهية ج 2 : 237 – 239 .
(66) مظاهر يقظة المغرب ، ج 2 : 29 هامش 10 .

وقد أراد المشرفي من خلالها، أن يوقظ الضمائر النائمة الخاملة التي استسلمت للكسل والراحة والاستمتاع بالشهوات في وقت حرج من تاريخ المغرب، على إثر الاحتلال الفرنسي لواحات توات سنة 1318 /1900 فوجه النقد اللاذع للحكومة والعلماء وحملهم مسؤولية ما حلّ بالمغرب.

7 - قصيدة في هجو القاضي محمد بن الرشيد العراقي :

حصلتُ على نسخة من هذه القصيدة من طرف السيد محي الدين المشرفي . وتوجد مثبتة في كتاب موكب أبطال شرق المغرب لقدور الورطاسي[67].

تتألف من 54 بيتا. أنشدها المشرفي وهو في سن الثمانين. حاول فيها أن يدحض مزاعم وافتراءات محمد بن الرشيد العراقي الذي - على ما يبدو من القصيدة - اتهم الأسرة المشرفية بالميل إلى المستعمر الفرنسي والتواطؤ معه. لهذا جرد المشرفي قلمه - على عادته - وتصدى للعراقي منشئاً هذه القصيدة التي أتت مفعمة بالفخر والاعتزاز بأمجاد تاريخ الأسرة المشرفية إن على المستوى العلمي أو على مستوى الجهاد ومقاومة المستعمر.

8 - ديوان شعر :

لم أعثر عليه، وإنما ذكره عبدالسلام بن سودة في دليله [68]

ز- <u>موضوعات مختلفة</u> :

9 - منهاج البشرى وسعادة الدنيا والأخرى والتحذير والإغراء :

وسماه أيضا : تحفة الإمام ونصيحة الإسلام فيما يتوقف عليه الخاص والعام . توجد نسخة فريدة منه مصورة على الميكروفيلم بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 1638 [69].

انتهى المشرفي من تأليفه يوم الأربعاء 8 رجب 1305 / 21 مارس 1888 م. فماهي الأسباب الداعية لهذا التأليف؟

الكتاب عبارة عن نصيحة قدمها المؤلف للسلطان مولاي الحسن، في محاولة لإيجاد الحلول الناجعة لبعض المشاكل التي كان المغرب يتخبط فيها.

---

(67) كتاب مرقون . خ . ع . ر . 3812 د : 8-9 .

(68) دليل مؤرخ المغرب الأقصى، ج 2 : 393 .

(69) سمح لي محافظ الخزانة السيد محمد بن شريفة، بتصويره على الورق.

هذه النصيحة تتفرع إلى فرعين يعتبران سببين مهمين من وراء هذا التأليف :

الأول : إغراء السطان على التماس "مايمكنه من الوسائل الموصلة إلى حسن حال الأمة الإسلامية بمثل إرشادها إلى اتباع سنن الشريعة النبوية، وكفها عن غيِّها ومناكرها المتفاحشة بقوانين سياسية وزواجر تحملها على سلوكها بسطوة قوية " (70).

وهو يقصد بذلك إسداء النصح للسلطان باتخاذ كل التدابير السياسية والعسكرية من أجل وضع حد للبدع والفساد والعادات المنافية للإسلام المتفشية في المجتمع المغربي وبصفة خاصة في البادية.

أما السبب الثاني فهو: تحذير السلطان من التمادي في الإعراض عما يحمد من سيرة الغير (الأوربيين) الموافقة للشريعة الإسلامية (71). إنه تحذير ودعوة صريحة إلى الانفتاح على عالم "الغير" عالم الحضارة الأوربية، في وقت كان يوجد بعض الفقهاء من يعارض هذا الانفتاح.

فهل لهذا الانفتاح الذي دعا إليه المشرفي من شروط؟

يجيب المشرفي : "فإنَّ الأمر إذا كان صادراً من غيرنا وكان صوابا موافقا لأدلتنا فلا وجه لإنكاره وإهماله، بل الواجب الحرص على استعماله" (72) وإنْ كان هذا "الغير" مخالفا لديننا، لأن الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها، وقد أخذ رجال السلف الصالح بعض العلوم من غير أهل ملتهم مثل علم المنطق، حتى قال الغزالي : "من لامعرفة له بالمنطق لا يوثق بعمله" (73).

ولهذا يتساءل المشرفي : "فأي مانع لنا اليوم من أخذ بعض المعارف التي نرى أنفسنا محتاجين إليها غاية الاحتياج في دفع المكائد وجلب الفوائد؟" (74)

إن المشرفي ، أثناء تدعيم موقفه لم يستلهم الموروث الإسلامي فحسب وإنما يستلهم -أيضا- التجربة الأوربية وأقوال ساساتهم بقوله : "ومما يحسن سوقه هنا قول بعض الأوربيين في السياسات الحربية : إن الممالك التي لا تنسج على منوال مجاوريها فيما يستحسنونه من الآلات الحربية والتراتيب العسكرية يوشك أن تكون غنيمة لهم ولو بعد حين " (75).

10 - السهام الصائبة لنحر الهفاف السائبة في رد دعاويه الكاذبة وكشف سفسطاته الفارغة:

وسماه أيضا : رمي الجمار في الرد على الحمار. وأعطاه اسما آخر : الإشراف على جهل الحمار الهفاف.

---

(70) منهاج البشرى : ورقة 7 أ .
(71) منهاج البشرى : ورقة 7 ب .
(72) منهاج البشرى : ورقة 7 ب .
(73) منهاج البشرى : ورقة 35 ب.
(74) منهاج البشرى : ورقة : 35 ب - 36 أ.
(75) منهاج البشرى : ورقة : 36 أ.

الكتاب مطبوع حصلتُ على نسخة منه من السيد محي الدين المشرفي. لانعرف تاريخ ومكان طبعه، لأنه مبتور الصفحة الأولى. وقد ذكر الأستاذ المنوني بأنه طبع على الحجر بالجزائر [76]. انتهى المشرفي من تأليفه في 3 جمادى الأولى 1301 / 1 مارس 1884 م. وكما هو واضح من خلال عنوانه فإن سبب تأليفه يعود بالأساس إلى رغبة المشرفي في الرد على أحد خصومه وهو أحمد المجاهد بن محمد بن عبدالقادر بن علي بوطالب الحسني الراشدي الغريسي، في مسألة فقهية. ويتعلق الأمر بروية شهر رمضان، هل يجوز الصيام عند تمام شهر شعبان في حالة عدم ثبوت روية هلال رمضان أم لا؟ كان المشرفي مع الاجتهاد القائل بوجوب الصيام عند روية هلال رمضان، بقوله : "وليت شعري إن لم يكن قول رسول الله ﷺ "فلا تصوموا حتى تروه ولاتفطروا حتى تروه" وقوله : "لكل أهل بلد رؤيتهم" وقول الله تعالى : "فَمَنْ شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ"[77].

إن كتاب السهام الصائبة يحتوي أيضا على مجادلات كلامية بين المشرفي وخصمه المذكور في موضوعات أخرى، لكنها على العموم يغلب عليها الطابع الفقهي.

11 - تأليف في الرد على ابن مهنا :

لم أجده، وإنما ذكره عبدالحفيظ الفاسي عند ترجمته لمحمد المشرفي[78].

هذه ، هي قائمة مؤلفات محمد المشرفي ، التي قادنا البحث إلى معرفتها، منها المطبوع والمخطوط، ومنها مازال في حكم المفقود. وهي مؤلفات تعكس بنية فكر المشرفي الذي تأثر إلى حد كبير بسلوك وفكر شيوخه سواء في حلقات الدرس بجامع القرويين أو عند ملازمته لهم في مناسبات مختلفة.

7 - شيوخه :

تمكنا من معرفة أسماء شيوخ المشرفي من خلال كتاب رياض الجنة لعبد الحفيظ الفاسي، والدر المكنون، والسهام الصائبة، حيث كان المشرفي يذكر فيهما أسماء شيوخه بتقديم كلمة "شيخنا" لكنه لم يترجم لأي أحد منهم باستثناء شيخه محمد بن المدني جنون. وشيوخه هم :

أ - <u>أبو عبدالله محمد بن المدني جنون</u>[79] : حوالي 1239 - 1302 / 1824 - 1885 :

رائد حركة الإصلاح في مغرب القرن 13هـ/19م[80]. ولد ونشأ بفاس ودرس بمؤسساتها التعليمية على طريقة عصره، فتكون تكوينا علميا رصينا، أهله لاحتلال مكانة بارزة في الأوساط العلمية إن على المستوى المحلي بفاس أو على المستوى الوطني عامة.

---

(76) المنوني، المصادر المجهولة لتاريخ المغرب ، مقال في مجلة البحث العلمي العدد 10 ، السنة 1387 / 1967 : ص : 21 .
(77) السهام الصائبة : 52 . وانظر الآية في سورة البقرة : 185 .
(78) رياض الجنة ، ج 2 : 8 .
(79) انظر نبذة من حياته ومصادرها في الحلل البهية ج 1 : 145 هامش : 45 .
(80) انظر أهم عناصر أفكاره السلفية الإصلاحية في الدراسة 57 - 59 .

تولى القضاء بمراكش سنة 1127هـ/1857م واستقال في نفس السنة. كما زاول التدريس بجامع القرويين، وكان السلطان مولاي الحسن ممن يحضر مجالسه لقراءة الحديث[81] .

وقد غلبت على همومه الفكرية النصيحة الدينية، غير مبال بأحد ولا خائف من أحد، يقول فيه المشرفي : "ذب عن هذا الدين وأيقظ من سِنَةِ الغفلة بانحرافهم عن السنة : الملوك، والأشياخ، والقضاة، والعدول، والولاة المتعدين، والتجار والمنتسبين إلى التصوف" [82].

ونتج عن موقفه المتشدد في النصح أن اعتُقل وسجن، لكنه لم يلبث أن أطلق سراحه بتدخل من الطلبة [83]. توفي بفاس يوم فاتح ذي الحجة 1302 هـ/11 شتنمبر 1885م . وسنه يومئذ 63 سنة.

ب - أبو محمد العربي بن علي المشرفي[84] (ت : 1313 هـ / 1895) :

أديب، مؤرخ، نسابة، شاعر، ورحالة. ولد بغريس، وبها نشأ ودرس، حتى أصبح من أبرز مثقفي عصره. وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر هاجر إلى فاس، ولعل هجرته هاته كانت في حدود 1260 هـ / 1844.

دخل السجن، ثم أصدر السلطان محمد بن عبدالرحمان، العفو عنه[85]. ووثق صلاته بالسلطان مولاي الحسن، فكان يصحبه في جولاته التفقدية والتأديبية، وخصه بديوان شعر في مدحه [86]، فأجازه السلطان عن ذلك ما مقداره 30 ريالا [87].

كان درقاوي الطريقة. وله جرأة على الولاة. زار الجزائر مرتين : الأولى عام 1256/ 1848 ، والثانية عام 1877/1294 ، خلال ذهابه إلى الحج[88]. توفي بفاس سنة 1313هـ/ 1895م.

ج - أبو عبدالله محمد التهامي بن المدني جنون [89] : (ت : 1331 / 1912) :

صوفي، محدث وفقيه. كان يعدُّ إلى جانب أخيه محمد جنون أشهر شيوخ عصره وكان لايقنط من التدريس في كل وقت وحين يقول فيه عبدالحفيظ الفاسي : "دؤوبا على تدريس الحديث والفقه وغيرهما صيفا وشتاء ليلا ونهارا" [90] ، كما كان منصرفا عن شؤون المخزن والسياسة [91]. توفي بفاس سنة 1331 / 1912 .

---

(81) عبدالحفيظ الفاسي، رياض الجنة ، ج 2 : 49 .
(82) محمد المشرفي ، الدر المكنون : 46 .
(83) محمد الأخضر، الحياة الأدبية في المغرب : 451 .
(84) انظر نبذة من ترجمته ومصادرها في الحلل البهية : ج 1 : 134 هامش 129 .
(85) Michaux Bellaire, les musulmans d'Algérie au Maroc in Archives. Maoc . Année 1907 vol 11 p : 59.
(86) رسالة من يحي بوعزيز إلى بلعربي الحسني رشيدة سنة 1988 .
(87) عبدالرحمان بن زيدان، النهضة العلمية، مخ . ح . ر . 1265 : ورقة : 40 ب .
(88) رسالة من يحي بوعزيز إلى بلعربي الحسني رشيدة سنة 1988 .
(89) انظر ترجمته عند : محمد المشرفي الدر المكنون : 224 . وعبد الحفيظ الفاسي رياض الجنة ج 2: 168 .
(90) رياض الجنة، ج 1 : 168 .
(91) رياض الجنة، ج 1 : 168 .

د - أبو عبدالله محمد بن الخضر المهاجي[92] (ت : 1292 / 1875) :

فقيه، زاول التدريس، وكان إماما بجامع أعلا عقبة بن صوال بفاس. منحه المخزن دارا بدريبات ريال حيث بقي أعقابه يسكنون بها [93]. توفي بفاس (سنة 1292 / 1875).

هـ - عمر بن الطالب بن محمد بن سودة المري (1218 - 1285 / 1803 - 1868) :

مدرس، حافظ ومشارك في عدة علوم. كان كثير التنقلات والرحلات. توفي بفاس 1285 / 1868 [94].

و- أبو عيسى[95] محمد المهدي بن الطالب بن سودة المري (1220 - 1294/1805 - 1877) .

فقيه، محدث، أصولي، بياني، منطقي ونحوي. تولى قضاء مكناس ونواحيها (سنة 1272 / 1855) إلى أن توفي سنة 1294 / 1877م ، فاتخذت له زاوية [96].

ز- محمد بن الجلالي المشرفي

لم أجد ترجمته. وإنما ذكره محمد المشرفي في الدر المكنون صفحة : 143 وَعَدَّه ضمن تلاميذ محمد بن المدني جنون.

ويبدو أنه من المهاجرين الجزائريين الذين استقروا بفاس، فَدَرَّسَ بها إلى أن أصبح أُستاذاً في جامع القرويين .

هـ - أبو عبدالله المكناسي :

لم أجد ترجمته . وإنما ذكره محمد المشرفي في السهام صفحة : 72. ويبدو أنه كان من المحاربين للبدع المستحدثة في المساجد. فكان كثيرا ما يقول في درسه : "قد ورد : إذا أراد الله بقوم سوءا زخرفوا مساجدهم" [97].

---

(92) انظر ترجمته عند : محمد الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 3 : 83 ، عبدالسلام بن سودة، إتحاف المطالع : 185 ، السليماني، اللسان المعرب : 32 .

E. Doutté, des moyens de développer l'influence Fançaise au Maroc. Paris 1900, P : 73 .

(93) Michaux Bellaire, les musulmans . in .Archives. Maroc . vol 11 p : 87 -

(94) إتحاف المطالع : 172 وذكره المشرفي في السهام الصائبة : 235 .

(95) وفي سلوة الأنفاس للكتاني، ج 1 : 303 : أبو عبدالله.

(96) ن . م . س . ج 1 : 304 .

(97) محمد المشرفي، السهام الصائبة : 72 .

8- علاقته الاجتماعية :

يقول عبدالحفيظ الفاسي في ترجمة محمد المشرفي : "وكان شاعرا، إلا أنه كان هجاءً كشيخه وابن عمه العالم الشاعر الهجاء الكبير أبي حامد العربي المشرفي الشهير، فقد مزقا أعراض الناس مما كان سببا لنفرة الناس منهما " (98).

لم يصلنا ديوان المشرفي لتعزيز هذا القول أو تكذيبه، إلا أنه عند قراءة ودراسة مؤلفاته التي توصلنا إليها عن طريق البحث، نلاحظ أن المشرفي كان حاد المزاج، عصبيا، ينفعل بقوة، إذا مدح شخصا أفاض في المدح إلى حد الإطناب، مستعملا الكلمات المعبرة الجياشة، وكمثال على ذلك : كتابه الحلل البهية ، الذي مدح فيه السلاطين العلويين وبصفة خاصة السلطان مولاي الحسن. وكتابه الدر المكنون، الذي ترجم فيه لشيخه محمد بن المدني جنون.

أما إذا نقد شخصا فإنه يطيل في النقد مستعملا الكلمات الجارحة للمشاعر، وكمثال على ذلك : كتابه السهام الصائبة، الذي رد فيه على أحد خصومه، وسمى الكتاب أيضا : رمي الجمار في الرد على الحمار، كما سماه أيضا : الإشراف على جهل الحمار الهفاف. وهذه العناوين - البارزة- لخير دليل على ذلك.

كما أنشأ قصيدة يهجو فيها القاضي محمد بن الرشيد العراقي، وكان هجوا عنيفا وقاسيا.

إن الجدال الكلامي بين المشرفي وأفراد من علماء عصره، يُبرز طبيعة علاقته الاجتماعية، مع هؤلاء الأفراد كما يُبرز المشاغل والهموم التي كان المثقفون يعيشونها، وطبيعة الموضوعات التي كانت تثار بينهم، ونوع الأسلوب المستعمل في الجدال والحوار. وإذا كان المشرفي قد وقع في مشادات كلامية مع بعض الأفراد من علماء عصره مما يعني أن علاقته بهم لم تكن على أحسن مايرام، فإنه جمعته علاقة حميمة بمجموعة من العلماء والمثقفين مثل : محمد بن المدني جنون وجميع أفراد أسرته، ثم إدريس الفضيلي، ومحمد السليماني، وخليل جواد الخالدي المقدسي وغيرهم كثير.

9- عمله :

بعد أن أتم دراسته بالقرويين، لم يتمكن محمد المشرفي من الحصول على وظيف رسمي يسد به رمق عيشه، لذلك اتجه إلى ميدان التجارة في ظروف مادية متأزمة.

أ - المشرفي التاجر :

متى بدأ المشرفي يزاول مهنة التجارة ؟ وكيف تعاطى التجارة؟ وماهي المواد التي كان يتاجر فيها؟ وكيف كانت وضعيته المادية في أثناء مزاولته لها؟

---

(98) رياض الجنة ، ج 2 ، 7.

كل هذه الأسئلة تبقى بدون جواب، مادمنا لم نعثر على أي وثيقة أو كتاب يميط اللثام عن كثير من الأسئلة التي تتعلق بحياة المشرفي. وهو الأمر الذي يجعلنا نؤاخذ فيه محمداً المشرفي نفسه لعدم تزويده إيانا بمعلومات معرفية عن حياته اليومية وتجاربه الخصبة في كثير من شؤون الحياة، سواء بفاس أو بغيرها من البلدان التي زارها.

وما وصلنا من معلومات عن حياته، لاتعدو عن كونها شذرات متفرقة بين ثنايا المصادر والمراجع المعدودة.

إننا لا نعرف بالضبط تاريخ بداية مزاولته للعمل التجاري، وما نعرفه هو أنه بعد انتهائه من الدراسة بفاس اشتغل بالتجارة قبل ان يشتغل في أي وظيف، يقول عبدالحفيظ الفاسي : "وكان المترجم بعد طلبه العلم وتأهله بفاس اشتغل بالتجارة" (99). فماهي الظروف التي كان يمر بها قبيل تعاطيه التجارة؟

من خلال نصيّن للعربي المشرفي - وهو معاصر لمحمد المشرفي - نستشف أن محمداً المشرفي، بعد أن اجتاز المراحل الدراسية، عاش هو وأسرته في ظروف مادية متأزمة، اضطر معها اللجوء إلي العمل التجاري لسدّ رمق عيشه وإعالة أسرته، يقول العربي المشرفي في ياقوتة النسب : "لم يسالمه الدهر بل هو في محاربة الوقت إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، فمد يده للتجارة لمواساة أهله" (100) ويقول - أيضا - في ذخيرة الأواخر : "ألهاه الوقت وعامله بالمقت ورماه الفقر بالحجارة ففر إلى التجارة" (101).

وقد ألف العربي المشرفي كتابه ياقوتة النسب سنة 1300/1882 مما يعني أنه في هذا التاريخ كان محمد المشرفي (المولود سنة 1255/1839) يزاول عمله التجاري وسنه يومئذ 45 سنة.

فما هي المدن التي كان يزورها أثناء ممارسته لعمله التجاري؟

اتخذ المشرفي مدينة فاس بالمغرب ومدينة غليزان (102) بغرب الجزائر، كنقطتين أساسيتين لكل معاملاته التجارية، يقول في أحد أبياته الشعرية :

وفي غـلـيـزان لـنـا مـتـجـر   وأصـلـه غـيـل أزان بـلـد (103)

---

(99) رياض الجنة ، ج 2 ، 7.
(100) ياقوتة النسب : ورقة : 48أ.
(101) ذخيرة الأواخر والأول : 8.
(102) رياض الجنة ، ج 2 ، 7.
(103) شرح محمد المشرفي هذا الإسم بقوله : الغيل : في اللغة العربية الشجر الكثيف الملتف كما في القاموس، وفي كفاية المتحفظ للطرابلسي الغيل: محل الأسد، وهما بمعنى واحد.
وزان : بمعنى حسن تقول زانه وأزانه بمعنى حسنه.
وعليه فيكون الأصل في التسمية : هذا وأن الغيل زان : هذه البلد وحسنها.
انظر السهام الصائبة : 55 - 56.

كما كان يزور عدة مدن أخرى، أشار إليها في كتابه منهاج البشرى كوهران[104]، وتلمسان[105]، والجزائر (المدينة)[106].

ويبدو أنه بالرغم من انشغال المشرفي بالتجارة، فإنه كان مهتما بالشؤون السياسية والعسكرية، وجمع الروايات الإخبارية. ففي المدن المذكورة ، كان يتصل بالمسؤولين السياسيين والإداريين والعسكريين[107]، فيجري معهم محادثات ونقاشات حول موضوعات الساعة وموضوعات أخرى.

إن التجارة لم تشغله عن البحث والتقصي عن الأخبار، كما لم تلهه عن المطالعة والتأليف، ففي أثناء مزاولته للتجارة ألف كتابه السهام الصائبة (سنة 1301 هـ/1883 م)، وربما كانت له تآليف أخرى، لم نتوصل بها، لأن أسلوبه في الكتاب المذكور يدل على تجربة وحنكة في مجال الكتابة والتأليف.

ب - المشرفي القاضي :

متى عين المشرفي في منصب القضاء بالحياينة؟ ومن كان وراء هذا التعيين؟ ولماذا لم يستمر في عمله التجاري؟ هذه الأسئلة تبقى بدون جواب شاف وواضح في غياب المصادر والوثائق التي يمكنها أن تكشف النقاب عن كثير من جوانب حياة المشرفي الغامضة.

هناك إشارة من عبدالحفيظ الفاسي إلى أن محمداً المشرفي عُيّن قاضيا بالحياينة سنة 1310 هـ / 1892[108] لكنها إشارة خاطئة، والدليل على ذلك أن المشرفي ألف كتابه منهاج البشرى سنة 1305 / 1887 بعد أن عين قاضيا، وفي هذا الكتاب يشير إلى استيطانه ببلاد الحيانيه[109] مما يجعلنا نرجح أن يكون التعيين قد تم في نفس السنة التي ألف فيها كتابه المذكور. وتعيينه في هذا المنصب له أكثر من دلالة، فهو إن دل على شيء فإنما يدل على مكانة المشرفي العلمية باعتبار أن القضاء لم يكن يتولاه إلا من كانت له دراية وحنكة بالأمور الاجتماعية وله اطلاع واسع على الكتب الفقهية.

وكان إلزاميا على المترشح للقضاء أن يكون متخرجا من جامع القرويين، وكانت توليته تتم - عادة - بظهير شريف مكتوب مع تحديد منطقة التولية وتعداد قبائلها[110] .

---

(104) منهاج البشرى : ورقة : 160أ. السهام الصائبة : 323 .

(105) ن.م.س : ورقة : 38 ب .

(106) ن.م.س : ورقة : 59 ب .

(107) منهاج البشرى : ورقة : 139أ، 59 ب، 160أ.

(108) رياض الجنة، ج 2 : 7 .

(109) منهاج البشرى : ورقة : 121أ.

(110) عبدالرحمان بن زيدان ، العز والصولة، ج 2 : 9 .

ولعل المشرفي كان تابعا لقاضي الجماعة بفاس، لأنه اقتضت العادة أن يتم تعيين قضاة في القبائل المجاورة لفاس، يكونون بمثابة نواب عنهم، لشساعة النطاق الجغرافي لنفوذ قاضي الجماعة.

ونظراً لإلحاح قاضي الجماعة على معرفة الوضع الاجتماعي والقضائي بالبادية فإنه كان من اللازم لهؤلاء النواب القدوم إلى فاس مرة في كل أسبوع للاجتماع به [111].

ويبدو أن المشرفي كان يسكن بفاس ويذهب من حين لآخر إلى قبيلة الحياينة [112] لمزاولة مهامه القضائي. وعدد الساعات الفاصلة بين فاس والحياينة هو أربع ساعات[113] ركوبا على الدواب.

ج - <u>المشرفي المفتي</u> :

زيادة على منصب القضاء، مارس المشرفي مهنة الإفتاء، وقد جُمعت بعض فتاريه في كتاب : مجموعة الفتاوي والأجوبة الفقهية [114] هذا فضلا عن كتابيه : «السهام الصائبة» و«إظهار العقوق».

وبالرغم من انشغال المشرفي بالوظيفتين معا ، ومتاعب العمل فيهما، سواء بفاس أو بقبيلة الحياينة، فإن قلمه لم يفتر عن الكتابة، بل إن هذه المرحلة تعد أخصب مراحل حياته في مجال التأليف، فقد ألف أثناءها عدة كتب مثل : الحلل البهية (1310 هـ/ 1892 م ثم عدَّلَهَ سنة 1321 / 1903) والدر المكنون (سنة 1314 / 1896) وإظهار العقوق (حوالي 1323 / 1905). وقصيدة في هجو القاضي العراقي (حوالي 1334 / 1916). هذا فضلا عن كتب أخرى لم نعثر عليها وإنما ورد ذكرها في كتب التراجم. ويظهر أن المشرفي بقي يزاول مهامه في القضاء والإفتاء، إلى أن توفي، بفاس سنة 1916/1334 .

10 - رحلاته :

كان المشرفي كثير التنقل والتجوال في المدن والقرى المغربية والبلدان الأجنبية، وذلك راجع لطبيعة عمله كتاجر وتقلده منصب القضاء في بادية الحياينة، هذا فضلا عن رحلته إلى الحج مع أبيه وهو في سن العشرين. فما هي البلدان الأجنبية التي زارها؟

---

(111) العز والصولة ، ج 2. 19 .

(112) Michaux Bellaire, les musulmans d'Algérie au Maroc in Archives. Maroc . Année 1907 vol 11 p : 100

(113) منهاج البشرى ورقة : 26 أ.

(114) تصنيف أحمد بن محمد البوعزاوي، ج 1: 97 و ج 2، 5، 75.

أ - الجزائر :

بحكم عمله في التجارة، ولوجود أفراد من أسرته بالجزائر، كان المشرفي كثير التنقل بين فاس ومدن جزائرية كغليزان ، وهران، تلمسان ، الجزائر ، معسكر، وغريس. إلا أننا لانعرف بالتحديد تاريخ هذه التنقلات ومن الأكيد أنها كانت بعد تخرجه من جامع القرويين.

لم يسجل المشرفي عن هذه الرحالات إلا بعض الانطباعات عن أشياء رآها أو سمعها هناك.

فقد شاهد في وسط مدينة الجزائر تمثالا بارزاً لاحد قواد الجيش الفرنسي الذي دخل إلى الجزائر وكان له الفضل في احتلالها (115) وفي وهران اتصل بأحد أبرز شخصياتها الإدارية، الذي زوده بأخبار عن سبب هزيمة الجيش المغربي في وقعة إيسلي (116) .

وفي تلمسان سمع من أحد الرواة أخبارا عن الدولة العثمانية وقوة جيشها (117).

من هنا يتبين أن رحلات المشرفي إلى الجزائر لم تكتسي طابعا تجاريا محضاً، وإنما اكتست - أيضا - طابعا علميا.

ب - مصر :

زار محمد المشرفي بلاد مصر، كما أخبرنا بذلك في كتابه منهاج البشرى (118) فمتى زارها؟ وماهو سبب زيارته لها؟ وكم من الوقت مكث بها؟ وماهي انطباعاته عنها؟

باستثناء السؤال الأخير ، فإن كل الأسئلة تبقى بدون جواب شاف. ومع ذلك يمكننا أن نستنتج بعض الأمور اعتمادا على كتابه منهاج البشرى.

أثناء تقديم نصيحته لمولاي الحسن بوجوب تحديث الجيش أورد المشرفي - عرضاً - مارآه في مصر سنة 1281 هـ/1864 م من حسن انتظام الجيش المصري (119).

إن وجوده بمصر خلال هذه السنة يطرح عدة تساؤلات ، خاصة وأنه أتى بعد فترة وجيزة من إرسال بعثات تعليمية إلي مصر من لدن السلطان محمد بن عبدالرحمان، لأن هذه البعثات كانت بين عام 1276 و 1280 هـ/ 1859 و1863 م . فهل كان المشرفي على صلة بهذه البعثات؟ أم أنه بقي هناك ابتداءً من سنة 1275 هـ/1858 عندما توفي أبوه بها أثناء رجوعهما من الحج؟ أم أن الأمر يتعلق بزيارة شخصية لمصر؟ أم أنه عاد مرة أخرى إلى الحج، وأثناء عودته توقف في مصر لبعض الوقت فرآى مارآه وسجل انطباعاته؟

(115) منهاج البشرى: ورقة : 59 ب .
(116) ن . م . س : ورقة : 60أ - 60 ب.
(117) ن . م . س : ورقة :38 ب - 39أ.
(118) ن . م . س : ورقة : 41أ - 44.
(119) ن . م . س : ورقة : 45أ.

إننا نرجح أن يكون المشرفي قد عاد إلى الحج مرة أخرى، وبعد انتهائه من مناسكه، قفل راجعاً صحبة الحجاج، فتوقف في بلاد مصر برهة من الزمن، فحكى لنا المشرفي - عرضا- في كتابه "منهاج البشرى" ما استرعى انتباهه كمثقف ومطلع على أخبار الوقت، خاصة ما يتعلق بالشأن العسكري. هذا الأخير الذي كان موضوع الساعة ومثار جدل في المغرب بين العلماء والفقهاء والسلطة المخزنية.

ومن شدة اهتمام المشرفي بالشأن العسكري ووعيه بأهمية إصلاحه على الطريقة الحديثة المستلهمة من التقنيات الحديثة الغربية، أنْ طَفحتْ بعض كتاباته بارتساماته وملاحظاته وأفكاره حول هذا الموضوع خاصة في كتابه المذكور. وإلا كيف يمكن تفسير اطلاع المشرفي على بعض اسرار الجيش المصري من خلال مشاهدته له عن قرب، ثم مروره بجبل طارق - أثناء عودته من الحج - ووصفه لما شاهده به من نظام الجيش [120]. هذا فضلا عن مشروعه المقترح حول تكوين جيش قوي الذي قدّمه للسلطان مولاي الحسن[121] بعد أن لاحظ الفرق الكبير بين الجيش المصري المنظم المتطور، والجيش المغربي الهزيل المتأخر.

وهذا ما حفزه على تقديم نصيحته إلى السلطان مولاي الحسن يحثه فيها على تحديث الجيش والانفتاح على الحضارة الأوربية.

ج - <u>جبل طارق</u> :

في إطار حديثه عن الجيش المغربي وأسباب هزيمته في حربي : إيسلي وتطوان، يُذَكِّرُ المشرفي السلطان مولاي الحسن بما رآه في جبل طارق - عند مروره وإقامته به - من جيش منظم ومجهز بأحدث الأسلحة، وكأنه يشير إليه بوجوب تحديث الجيش المغربي على الطريقة العصرية.

وقد جاء كلامه هذا بصفة الجمع بقوله "وقد رأيتُ بجبل طارق عند مرورنا وإقامتنا به....." [122] وهذا يعني أنه كان مصحوبا بمجموعة من الأشخاص، فلعله يقصد بهم الحجاج العائدين من الديار المقدسة بحراً عبر دولة مصر وجبل طارق قبل أن يحطوا الرحال في أحد موانئ بلدهم الأصل المغرب.

لم يسجل لنا تاريخ زيارته لجبل طارق ولا كم قضى به من الوقت. لكنه سجل مالفت انتباهه به، وقد كان قريبا منه، وهو انتظام الجيش واستعداده وتأهبه للحرب في كل وقت وحين، يقول فيه : "كل ليلة يمرُّ العسكر وقت العشاء بأزقة البلد (...) وهكذا كل ليلة يستعدون للقتال وارتقاب العدو، وكأن جيش العدو بساحتهم، وهذا من مجاورتهم له، فلا يأمنون ولا يغترون بالمهادنه والصلح، ولا يتهاونون" .[123].

---

(120) منهاج البشرى : ورقة 58 ب - 59 أ.
(121) انظر هذا المشروع في نفس المصدر السابق ورقة 66 أ- 70 ب .
(122) منهاج البشرى : ورقة : 58 ب .
(123) ن . م . س : ورقة : 58 ب - 59 أ.

ومن المحتمل أن يكون المشرفي قد زار بلدانا أوربية أخرى.[124]

د - **الحج (مكة)** :

ذهب المشرفي مع أبيه إلى الحج، وأثناء عودتهما توفي أبوه بمصر، وذلك سنة 1275 هـ / 1858م . وكان سن المترجم يومئذ لا يتجاوز عشرين سنة.

11 - وفاته :

اختلف المترجمون لمحمد المشرفي في تحديد تاريخ وفاته بفاس، فعبد الحفيظ الفاسي يقول: "أجازني -رحمه الله تعالى- إجازة عامة عام 23 وكانت وفاته في السنة بعدها"[125] أي سنة 1324 / 1906 . وعبدالرحمان بن زيدان يجعل تاريخ وفاته بسنة 1334 هـ/1916[126]. وكذلك أحمد النميشي[127]، وعبدالسلام ابن سودة [128]، ومحمد داود[129]، ومحمد المنوني[130]. أما عبدالهادي التازي، فيؤرخ وفاته بسنة 1336 هـ/1917[131] دون الإحالة على المصدر الذي اعتمده.

وكل الباحثين الذي أتوا في المرحلة اللاحقة إلى الآن يعتمدون على هذه المصادر والمراجع لتأريخ وفاة المشرفي ، وهو الشيء الذي جعل بعضهم يسقط في الخطإ[132] .

ومن خلال دراسة روايات النصوص المذكورة وغيرها، تبيّن لنا أن أصح هذه الروايات، هي التي تؤرخ وفاته بسنة 1334 / .1916 والدليل على ذلك أن المشرفي شارك بنفسه في عدة فتاوي، توجد إحداهما مؤرخة بسنة 1911/1330[133]، وأن محمداً السليماني الذي ألف كتابه اللسان المعرب سنة 1911/1330 ، أشار فيه إلى ما يفيد أن المشرفي في هذه السنة كان حيا يرزق[134].

ثم إن غالبية المترجمين له يؤرخون وفاته بسنة 1916/1334 . وأوثق هؤلاء هو من كان معاصراً له مثل عبدالرحمان بن زيدان (المتوفى 1946/1365)، وأحمد النميشي (المتوفى سنة 1966/1386).

---

(124) هذا مايستفاد من قوله : "... ورأيناه في البلدان الأجنبية من الاعتناء والاجتهاد" وقوله أيضا : " وقد رأيت مرة بأرض الروم عسكريا..." انظر : منهاج البشرى : ورقة : 151 أ. 153 أ.

(125) رياض الجنة ، ج 2: 8 .

(126) معجم طبقات المؤلفين، مخ. خ .ح . ر . 12564 .

(127) تاريخ الشعر والشعراء بفاس : 97 .

(128) إتحاف المطالع (كتاب مرقون) خ . ح . ر . 10651 ، ج 2 : 281 .

(129) مختصر تاريخ تطوان : 64 .

(130) المصادر العربية لتاريخ المغرب، ج 2 : 152 .

(131) جامع القرويين، ج 3 : .817 هامش : 208

(132) وكمثال على ذلك : علوش في فهرس المخطوطات العربية بالرباط ج 2 ق 144 حيث أرخ وفاته بسنة 1324 / 1906 . وكذلك خير الدين الزركلي في الأعلام، ج 7 : 76 .وكلاهما اعتمدا رواية عبدالحفيظ الفاسي.

(133) البوعزاوي، مجموعة الفتاوي ، ج 2 : 5 .

(134) اللسان المعرب : 33 .

المبحث الخامس : المشرفي وكتابه الحلل البهية

كان من المألوف في الساحة الفكرية المغربية في القرن 13هـ/19م أن يتطلع أحد المورخين إلي شرح قصيدة شعرية تتناول تاريخ المغرب، خاصة إذا كانت هذه القصيدة قد نالت شهرة واسعة بين أوساط المثقفين، إما لطابعها الفني أو لمضمونها التاريخي أو لهما معا.

وكانت قصيدة الغالي بن سليمان، في تاريخ ملوك الدولة العلوية، من القصائد التي حظيت بالشرح من قِبل محمد المشرفي الذي سمى شرحه هذا بـ: الحلل البهية في ملوك الدولة العلوية.

فمن هو الغالي بن سليمان صاحب القصيدة؟ وماهو مضمون قصيدته التاريخية؟ وماهي مكانتها الفنية؟

الغالي بن سليمان وقصيدته

قبل تقديم دراسة موجزة عن كتاب الحلل البهية، نرى أنه من المستحسن أن نبدأ بتقديم نبذة تعريفية عن الغالي بن سليمان وقصيدته التي شرحها المشرفي.

1 - نبذة عن حياة الغالي بن سليمان [1] :

هو : أبو محمد الغالي بن المكي بن سليمان، شاعر، أديب ناقد، رحالة، وله ولوع بفن الموسيقي. كان من أبرز كتاب السلطان مولاي الحسن، صحبه في حرْكاته المتعددة، سواء في شمال المغرب أو جنوبه. كما كانت له صلة وطيدة بالعديد من الأدباء والعلماء ورجال المخزن. توفي بمراكش سنة 1317 هـ / 1899 م [2]

2 - التعريف بقصيدته :

القصيدة بائية القافية ، من البحر الطويل. تشمتل على ست وستين بيتا وليس أكثر[3]، أنشأها سنة 1310 / 1892 .

---

(1) انظر ترجمته عند : محمد المشرفي ، الحلل البهية : 174 - 190 العربي المشرفي، ذخيرة الأواخر والأول : ,52 عبدالقادر بناني، تلخيص ما عليه المعول، مخ ، خ ، ح ، ر ، 1027 : 4 - 7 ، محمد غريط، فواصل الجمان : 204 - 208 ، عبدالسلام بن سودة، دليل ، ج 1 : ,183 وج 2 : 416 ، وإتحاف المطالع : 238 ، عبد الله عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 142 ، محمد المنوني، المصادر العربية ج 2 : 993 زمامة، مع المؤرخ المشرفي في كتابه الحلل البهية، مقال في مجلة المناهل عدد 36 . السنة 1407 / 1987 ص 200 - 202 .

(2) أما علوش، فقد أرخ وفاته في فهرس المخطوطات العربية ج 2 : 144 بسنة 1310 هـ / 1892 . وعبدالله عنان في فهارس الخزانة الملكية ج 1: 142 بسنة 1302 / 1884 . وكلاهما وقعا في الخطإ.

أ - مضمونها :

أراد ابن سليمان أن يكون مضمو ن قصيدته هو تاريخ الدولة العلوية من نشأتها إلى أواخر عهد مولاي الحسن[4]، مع التركيز على تاريخ و لاية ملوكها وأعمالهم ووفاتهم، مراعيا الترتيب الكرونو لوجي للأحداث، ورامزاً للتواريخ بحساب الجمل على الترتيب المغربي.

ب - قيمتها الفنية :

حظيت القصيدة في عصرها بإعجاب وتقدير الأدباء والشعراء، لِما امتازت به من حسّ مرهف وذوق جميل وأساليب بيانية بليغة، إذ كان صاحبها الغالي بن سليمان إلى جانب اهتماماته الأدبية والعلمية، خبيرا في فن الموسيقى ما جعله يضفي على قصيدته التاريخية - هاته - طابعا فنيا موسيقيا دقيقا، الشيء الذي يبرز قيمتها الفنية الأدبية، ومكانتها الهامة ضمن قصائد هذا العصر.

لكن أهمية القصيدة شكلا ومضمونا، يجب أن لا تنسينا الوضعية العامة للشعر المغربي خلال هذا العصر، وهي وضعية متأزمة لما أصاب الشعر " من الوهن والضعف ما أخمد فيه روح الجودة والأصالة»[5].

وهذا نص القصيدة كما وردت في ثنايا الحلل البهية :

أَقُولُ وحَمْداً لِلَّهِ أَوَّلَ وَاجِبِ ... عَلَى العَبْدِ إِنَّ الحَمْدَ بَعضُ المَرَاتِبِ
فَحَمْداً وَشُكراً دَائِمَيْنِ بِقَدْرِ مَا ... تَرَاءَتْ لَنَا النَّعْمَاءُ مِنْ خَيْرِ وَاهِبِ
وَصَلِّ عَلَى المختَارِ مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... وَآلِهِ وَالأَصْحَابِ أُولِي المَنَاقِبِ
وَ بَعدُ فَإِنَّ العِلمَ أَفْضَلُ مُقْتَنَى ... فَشَمِّرْ عَلَيْهِ وَآعْتَكِفْ فِي المَطَالِبِ
وَلاَسِيَمَا عِلْمَ التَّوَارِيخِ إِذْ بِهِ ... تَرَى القَوْمَ إِذْ كَانُوا بِرُؤيَةِ صَاحِبِ
لَقَدْ كُنْتُ فِي تِذْكَارِهِ فَإِذَا بِهِ ... أَشَارَ عَلَيَّ فِي رُكُوبِ النَّجَائِبِ
لِكَيْمَا يُرِينِي دُرَّةً عَلَوِيَّةً ... بِهَا المُلْكُ يَسْمُو فِي نَوَاحِي المَغَارِبِ
لِدَوْلَةِ أَبْنَاءِ الشَّرِيفِ حَرِيَّةً ... بِوَصْفِ ثَنَا الأَمْدَاحِ مِنْ كُلِّ كَاتِبِ
لِذَاكَ نَظَمْتُ دُرَّهَا فِي عُقُودِهِ ... وَرَصَّعْتُهَا الوُسْطَى بِوَقْفِ الجَوَانِبِ
وَلَمْ أَلْتَفِتْ لِلقَائِمِينَ وَإِنْ جَرَوا ... عَلَى مُقْتَضَاهَا فِي كَلاَمٍ مُنَاسِبِ
فَأَوَّلُهُمْ نَجْلُ الشَّرِيفِ مُحَمَّدٍ ... لَهُ نَظَرٌ يَطْفِي اشْتِعَالَ المَشَاهِبِ

---

(3) ذكر عبدالسلام بن سودة في الدليل، ج 2 : 416 بأنها تتألف من نحو 100 بيت، وتبعه في ذلك محمد المنوني في المصادر العربية، ج 2 : 198، وأيضا زمامة في مجلة المناهل عدد 36 السنة 1407 / 1987 . ص : 201 . ولعل سبب هذا الخطأ يعود لعدم عدّهم أبيات القصيدة.

(4) وقع عبدالله عنان في أخطاء، عندما قال بأن القصيدة تبدأ بذكر الرسول والخلفاء الراشدين وذكر الدولة الأموية والعباسية. لأن ذكر هذه الدول جاء متضمنا في الشرح الذي خصصه المشرفي للقصيدة (انظر : نسخة 1019 م) وليس في القصيدة. كما أخطأ عنان عندما قال بأن القصيدة تقف عند سنة 1316 هـ / 1898 م . والصحيح هو سنة 1310 هـ /1892 . انظر عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 142 - 143 .

(5) عباس الجراري، النضال في الشعر العربي بالمغرب 1830 - 1912 ص 11 .

تراءت له حتى تعلى سنامها ... وأبدى فراراً منه كل محارب

وسار وأعطى العز باريء قوسه ... رشيداً لهم فما يرى في النوائب

فمهد سوساً والصحاري ويبرا ... وشرفها من فضله بالمراتب

إلى أن رأى غصن الرياض قوامه ... فغار وشج رأسه بالمخالب

بمولاي إسماعيل إذ ذاك شنفت ... مسامعها بالعز من كل جانب

فمهد فتحاً في المراسي وقد بدا ... إمام الهدى فيها كثير المواهب

فمهدية أضحت بمن كأنها ... عروسة حسن في ظلال الذوائب

وطنجة قد ولت بمنج لعزها ... فأهدت غزاة الفتح ما في المراكب

ومرسى العرائش في التباهي وقد بدا ... بسور لها شق عظيم الجوانب

ومرسى أصيلاً من هوى فرط حبها ... تجر ذيول التيه مثل الكواعب

فلله يا لله ملك لناصر ... تجلى على التأييد فوق الحواجب

تطاول في ميز وعدل حكومة ... فطال ولكن في تنميق المناصب

إلى أن تمطى للمنون بذاته ... قبولاً وتسليماً لفرض وواجب

فصار بها هرج وفي كل وجهة ... يقوم لها من لا يرى للعواقب

إلى أن صفا أمر الخلافة للذي ... تجلت له من بعد لكن الشوائب

لمولاي عبدالله حطت رحالها ... وجاءت له تسعى بحلية راغب

فمهدها حتى تملك روحها ... فحاز عنان فضله بالمواجب

خليفته المولى الإمام محمد ... هلال بدا من بين تلك الكواكب

ففرق أموالاً وخيلاً وعدة ... على الجيش من توفير تلك المكاسب

فصار جميع الناس في ظله على ... بساط الأماني في جميع الجوانب

إلى أن دعاه حتفه بمحفة ... بهاء دعته الشمس بين المغارب

فصار فتور في الخلافة ريثما ... يجيء لها من لا يرى في المعائب

تربى تقياً والشبيبة فتنة ... فلم ير إلا في اجتهاد المذاهب

سليمان ذو علم وعدل وحكمة ... وهدي ورشد للعلوم المحارب

لقد ذب عن عرض الخلافة سيفه ... فكانت له عذراء في وصف كاعب

وصار الرخاء والهناء سجية ... لما قد تراءى من مطيع وتائب

ولما أجاب داعي الله وانقضى ... فأعطت له العليا نفيس الرغائب

فأودعها رحل الحزين لعلمه ... من الغيب ما قد كان طي المكاتب

فكان وكان الأمن واليمن والهنا ... ونال الذي يبغي بها كل طالب

إلى أن دعاه للرحيل حمامه ... فلبى دواعي الله بين الأقارب

وَشَرَّفَهَا مِنْ فَضْلِهِ بِمُحَمَّدٍ   فَأَطْلَعَ شَمساً بَيْنَ تِلْكَ الكَوَاكِبِ
فَزَادَ لَهُمْ حُسْناً وَنَمَّقَ عِقْدَهُمْ   بِبَدْرٍ نَفِيسٍ مِنْ نَفِيسِ المَوَاهِبِ
فَلاَ زَالَ فِي نَصْرٍ يَذُودُ رَعِيَّةً   بِسِرٍّ سَرَى فِي قَضَايَا العَجَائِبِ
إِلَى أَنْ أَجَابَ دَاعِيَ اللهِ لِلِقَا   بِعِزَّةِ نَفْسٍ فِي مَنَايَا الذَّوَاهِبِ
فَحَازَ سَمِيُّ السِّبْطِ كُرسِيَّ مُلْكِهِ   حِيَازَةَ نَيْلٍ فِي رَقِيبٍ وَرَاقِبِ
فَقَامَ عَلَى سَاقٍ يَذُودُ وَيَتَّقِي   وَيَقْنَعُ مِنْ مِغْيَارِهِ بِالتَّجَارِبِ
فَصَارَتْ فُتُوحُ النَّصْرِ تَبْدُو عِنَايَةً   وَيُمْناً وَإِقْبَالاً بِأَقْصَى المَغَارِبِ
وَجَاءَ بِإِكْسِيرِ الشُّذُورِ وَشَمْسِهِ   مِنَ العَيْنِ عَيْنِ الشَّمْسِ بَعْدَ الغَيَاهِبِ
ومَهَّدَ سَوساً مِنْ عِنَايَتِهِ الَّتِي   تَبَرَّجَتِ الدُّنْيَا بِهَا فِي المَوَاكِبِ
إِلَى أَنْ تَبَدَّى أَهْلُهُ بِرِعَايَةٍ   تَتِيهُ دَلاَلاً بِآهْتِزَازِ المَنَاكِبِ
وعمَّرهُم بِالفضْلِ والبذْلِ والندى   وَكَمَّلَهُمْ فِي غَايَةٍ بِالمَرَاكِبِ
وللسوس إذ ذاك امتثالٌ لِمَا يَرَى   بِحَوْزٍ وَغَرْبٍ فِي جَمِيعِ الجَوَانِبِ
يُؤَدِّي على هُدى لخَرْصٍ حُبُوبِهِ   وَيُعْطِي الزَّكَاةَ مِنْ خَرَاجِ المَكَاسِبِ
ويذْعَنُ لِلأَحْكَامِ مَهمَا تَوَجَّهَتْ   وَيَقْبَلُ حُكْماً جَازِماً فِي المَآرِبِ
وَبعده ردَّ العَزْمَ لابنِ مكيلدٍ   وَقَدْ جَمَحُوا فَوْضَى بِتِلْكَ السَّبَاسِبِ
فَلاَ زَالَ فِي سِيَاسَةٍ وَسَعَادَةٍ   إِلَى أَنْ رَضَوْا قَهْراً بِأَمْرِ المَكَاتِبِ
فَعيَّنَ عُمَّالاً عَلَيْهِمْ وَقَدْ جَرَوْا   عَلَى سُنَنِ الإعْطَاءِ حُكْماً لِغَالِبِ
إِذَا كَانَ عَوْنُ اللهِ لِلْمَرْءِ نَاصِراً   فَسَهْمُ العِدَا فِي الحَرْبِ لَيْسَ بِصَائِبِ
تَجَلَّى آعْتِزَازاً بَعْدَ ذَا بِمَكِينَةٍ   فَزِيدَ لَهُ ذِكْرٌ بِهَا فِي الأَجَانِبِ
لَئِنْ وُصِفَتْ بِالضَّبْطِ فَالوَصْفُ فَوقَهُ   أَوِ الحُسْنُ فَهِيَ مِنْ عَجِيبِ العَجَائِبِ
لَهُ هِمَمٌ لاَ مُنْتَهَى لِكِبَارِهَا   وَهِمَّتُهُ الصُّغْرَى أَتَتْ بِالمَنَاقِبِ
لَئِنْ كَانَ فِي عِقْدِ المُلُوكِ فَرِيدَةٌ   فَإِنَّهُ مِنْ سُبَّاقِ تِلْكَ الحَلاَئِبِ
رَفَعْتَ مَقَاماً شَرَّفَ اللهُ قَدْرَهُ   فَأَنْتَ مَلِيكٌ بَيْنَ صَدْرٍ وَحَاجِبِ
بِحَضْرَةِ مَوْلاَنَا الشَّرِيفَةِ خَيَّمَتْ   نُفُوسُ النُّهَى تَبْغِي قَضَاءَ المَآرِبِ.

ظرفية ودواعي تأليف الكتاب

ألف المشرفي كتابه الحلل البهية في ظرفين تاريخيين مختلفين على جميع المستويات.

الأول في عهد مولاي الحسن. والثاني في عهد مولاي عبدالعزيز.

تميز الظرف الأول بظهور ملامح نهوضية سياسية واجتماعية واقتصادية وفكرية، لما وفره لها مولاي الحسن من وسائل الحياة والنمو، الشيئ الذي شجع العلماء على مضاعفة مجهوداتهم في التأليف.

أما الظرف التاريخي الثاني، فهو مغاير إذ عرف فيه المغرب تراجعا خطيراً على جميع المستويات نتج عنه فقدان وحدته الترابية على إثر الاحتلال الفرنسي لواحات توات، والانفتاح على أوربا بشكل مثير، ثم الشروع في تطبيق البرامج والمخططات الإصلاحية المفروضة.

1 - تاريخ التأليف:

ألف المشرفي هذا الكتاب التاريخي الهام في تاريخين مختلفين :

أ - التاريخ الأول : (1310 / 1893) :

فيه ألف المشرفي شرح القصيدة، الذي يعتبر الأصل الأول لكتاب الحلل البهية.

لم يذكر المشرفي متى بدأ بالضبط عمله في الشرح، لكنه يشير إلى تاريخ انتهائه منه، وهو يوم الجمعة 17 ذي القعدة 1310 / 2 يونيو 1893[6]. وبما أن الغالي بن سليمان أنشأ قصيدته في هذه السنة، فإن بداية عمل المشرفي فيها سيكون طبعا في نفس السنة.

ب - التاريخ الثاني (1321 / 1903) :

وفيه أعاد المشرفي صياغة كتابه (الشرح)، فأدخل عليه تعديلا، وأضاف تذييلا هاما جمع فيه الأحداث التاريخية التي عاصرها. وكان يريد أن يسجلها إلى السنة التي كان يعيش فيها وهي سنة 1321 / 1903 كما يستشف من قوله : "ثم رأيت أن نصل ما حدث بعدُ إلى سنة إحدى وعشرين بعد ماكنت قيدته"[7]. إلا أن الأحداث تقف بشكل غير طبيعي

---

(6) الحلل البهية : ج 2 : 208.

(7) الحلل البهية : ج 2 : 210.

عند سنة 1319 / 1902، لأن البتر أصاب آخر المخطوط. هذا البتر يطرح عدة استفهامات عن أسبابه وطبيعته. فلعل طارئا ثنا المشرفي عن إتمام تسجيل الأحداث وبالتالي عن إتمام كتابه.

2 - أسباب التأليف [8] :

يُلخِّصُ المشرفي أسباب تأليفه الحلل البهية في أربعة أسباب رئيسية، وهي حسب ترتيبه لها كالتالي :

أ - إعجابه بقصيدة الغالي بن سليمان

أعجب المشرفي كثيرا بقصيدة الغالي بن سليمان، التي تتناول تاريخ الدولة العلوية العام، لما "اشتملت عليه من الجزالة والفصاحة والطلاوة وحسن الترتيب"، [9] فأبى إلا أن يتحفها بشرح مبسط يصف فيه تاريخ الدولة العلوية بصفة خاصة وتاريخ المغرب بصفة عامة. إلاّ أن هذا الشرح، لن يتعلق بالموضوعات التاريخية فحسب، وإنما ستتخلله استطرادات متنوعة يعتبرها المشرفي مناسبة ومكملة لجوهر الموضوعات [10].

ب - وفاؤه بالوعد :

يذكر المشرفي بأنه من أسباب تأليفه هذا الكتاب (الشرح)، رغبته في الوفاء بالوعد الذي قطعه على نفسه [11] . فمن هو هذا الشخص الذي وعده المشرفي بهذا التأليف؟

إننا نرجح أن يكون هذا الشخص هو السلطان مولاي الحسن. لأن هذا الأخير عمل كل ما في وسعه من أجل احتواء النخبة المثقفة ومن ضمنها نخبة من المؤرخين الذين كانوا بدورهم يتقربون إليه بمؤلفاتهم التاريخية مدحاً وإطراءً فينالون كجزاء عن ذلك مبالغ مالية أو جوائز عينية ، وكمثال على ذلك أبو العباس أحمد بن الحاج السلمي [12] ، وأبو عبدالله محمد بن إبراهيم السباعي[13].

---

(8) ملاحظة : ذكر المشرفي هذه الأسباب في بداية شرحه للقصيدة. فهي بهذا وبروح معانيها، ترتبط بالشرح وليس بالتذييل، الذي أضافه المشرفي إلى الشرح في فترة لاحقة بعد مرور 11 سنة، تغيرت أثناءها وضعية المغرب العامة.

(9) الحلل البهية : ج 1 : 117.

(10) الحلل البهية : ج 1 : 118.

(11) الحلل البهية : ج 1 : 118.

(12) الذي الف كتاب : الدر المنتخب المستحسن في بعض مآثر أمير المؤمنين مولانا الحسن. وهو كتاب مازال مخطوطا في عدة مجلدات. انظر : ابن زيدان، الدرر الفاخرة : 106 . المنوني المصادر العربية ج 2 : 95 - 96 .

(13) الذي الف كتاب : البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن. وهو كتاب مازال مخطوطا توجد نسخة منه في خ.ع.ر 1346 د وأخرى في خ . ح . ر . 12432 .

ولعل محمداً المشرفي يندرج ضمن هذه النخبة، مع فارق وهو أنه إذا كان النموذجان السابقان قد ألفا كتابيهما بأمر سلطاني، فإن المشرفي شرع في تأليف كتابه بمحض إرادته، لكن يبدو، في نفس الوقت، أنه أخبر السلطان بهذا المشروع بل ووعده به. فالوعد، إذن ، لم يسبقه أمر أو طلب سلطاني، اللهم ذلك الطلب بالتعجيل بهذا المشروع (14).

ولكي يفي بوعده وينال الحظوة والجزاء فإن المشرفي اغتنم فرصة وجود السلطان مولاي الحسن بفاس في أواخر سنة 1310 هـ/1893م فقدم كتابه هدية له، فجزاه السلطان على ذلك خير جزاء، يقول بناني عبدالقادر : "قدمه هدية للسلطان المقدس مولانا الحسن رحمه الله بالحضرة الفاسية، فأجازه عليه إجازة سنية" (15).

ج - اشتغاله بعلم التاريخ :

كان المشرفي شغوفا ومنشغلا بعلم التاريخ أينما حل وارتحل . وماذلك إلا لوعيه بأهمية وجدوى التاريخ في معرفة ماضي الإنسانية وحاضرها من جهة، وباعتباره مصدراً للعظة من جهة أخرى.

ولهذا كان يرى على أنه من الأجدى الاشتغال بعلم التاريخ عن الاشتغال بالقيل والقال (16)، واعتبر أن من يجهل هذه الأهمية والجدوى إلا "ساقط الهمة جامد القريحة" (17).

د - اقتداؤه بالعلماء والمؤرخين :

رغب المشرفي في تخليد اسمه في التاريخ، اقتداء بما فعله العلماء والمؤرخون عبر التاريخ بقوله : "فإن الداعي الرابع هو محبة احتذاء الشاكلة التي نصدها العلماء وقفاها الحكماء، وأن يبقى للعالم ذكرا محمودا وعلما منظوما عتيداً (18).

المضامين الأساسية للكتاب

إذا كان المضمون العام للكتاب يتمحور حول تاريخ الدولة العلوية منذ تكوينها، إلى أواسط حكم عبدالعزيز، فما هي المضامين الأساسية التي أولاها المشرفي عناية خاصة.

هذه المضامين سأوجزها ليس اعتمادا على الطريقة التعاقبية الزمنية وإنما على طريقة النظرة الشمولية ووحدة الموضوعات.

---

(14) الحلل البهية : ج 1 : 118.
(15) تلخيص ماعليه المعوّل مخ . خ . ح . ر . 12385 ز : 188.
(16) الحلل البهية : ج 1 : 119.
(17) الحلل البهية : ج 1 : 126.
(18) الحلل البهية : ج 1 : 126.

1- مؤسسة السلطان:

أولى المشرفي عنايته القصوى بمؤسسة السلطان. هذه المؤسسة ظلت أهميتها ثابتة في موضوعات الكتاب، يُعاد إنتاجها باستمرار. أما الموضوعات الأخرى فلا تعدو أن تكون موضوعات ثانوية تابعة لها. وهو شيء طبيعي لأن الهدف من هذا الكتاب هو إبراز دور السلاطين العلويين في تاريخ المغرب على امتداد حقبه إلى عصر المؤلف، الذي تتبع أطوارهم منذ توليتهم إلى وفاتهم مرورا بذكر أهم أعمالهم ومنجزاتهم في شتى المجالات .

أ - الضوابط الشرعية لتولية السلطان :

باعتبار أن منصب السلطان / الخليفة هو أسمى وأخطر منصب في الدولة، فلابدّ أن يتوافر في صاحبه شروط عديدة، تؤهله للقيام بالمهام المنوطة به. ولتبيان ذلك. رجع المشرفي إلى مصدر أندلسي مغربي وهو ابن سلمون [19]، الذي حدد هذه الشروط في ست مع إضافة شرط سابع، وهي باختصار :

1- الذكورية . 2 - البلوغ . 3 - الحرية . 4 - الورع والعدالة. 5 - الاجتهاد. 6- الكفاية ؛ وهي أن يكون ذا رأي مصيب بحيث ينظر في مصالح المسلمين وضبط أمورهم. 7 - وزاد أهل السنة أن يكون قرشيا [20].

هذه الشروط والمواصفات يرى المشرفي على أنها توافرت في جميع سلاطين الدولة العلوية باستثناء السلطان عبدالعزيز الذي كان أقلهم سنا وخبرة ومعرفة بالشؤون السياسية.

ب - اختصاصات السلطان وسلطاته :

لم تكن اختصاصات السلطان محددة بقوانين دستورية مكتوبة، وإنما كانت للسلطان كل الصلاحيات لممارسة عمله السياسي بصفة مطلقة وبكل حرية. إلاّ أن هذا، لم يمنع من وجود مجالس استشارية تتألف من العلماء المشهورين، يستشيرهم السلطان في أهم قضايا الدولة وفي ظروف استثنائية، كما كانوا من جهة أخرى يشكلون مجلس الرقابة. وكانت سلطة السلطان تعلو فوق كل سلطة داخل الدولة، لأن سلطة السلطان هي حجر الأساس للدولة وما يوجد فيها من مؤسسات وأنظمة. ولفظة السلطان وما تحمله من

---

(19) هو : عبدالله بن علي بن سلمون المتوفى سنة 741 / 1340 م انظر ترجمته ومصادرها في الحلل البهية : ج2 المقصد العاشر ص : 38 هامش : 12 .

(20) الحلل البهية : ج 2 المقصد العاشر ص : 38 .

معنى تزكي هذا الطرح. فلفظة السلطان مشتقة من السلاطة التي هي القهر[21] واستعباد العباد، والذود عن الدولة والقيام بسائر متطلباتها، يقول المشرفي : "وهو على الحقيقة لمن يستعبد الرعية، ويجبي الأموال، ويبعث البعوث، ويحمي الثغور، ولا تكون فوق يده يد قاهرة"[22].

فبغَيرِ السلطان، سلطة السلطان لاوجود للدولة، وبالتالي لاوجود لأية أنظمة سياسية. إن السلطان بهذا المعنى هو نفسه الدولة .

2- مؤسسة الحكومة :

لم يهمتم المشرفي بهذه المؤسسة بالقدر الذي اهتم فيه بمؤسسة السلطان. وأهم إشارة إلى هذه المؤسسة، هي تلك التي أوردها في آخر الشرح[23]، ثم في التذييل حيث أشار بتفصيل إلى من تقلدوا المناصب الحكومية، والتغييرات التي كانت تطرأ على أطرها، والنزاعات التي كانت تحتدُّ بين هذه الأطر.

وكانت هذه المؤسسة تتألف في العهد الحسني والعزيزي من الوزارات التالية :

أ - الصدارة العظمى.

ب - الحجابة

ج - وزارة الحرب

د - وزارة الخارجية

هـ - وزارة الشكايات (العدل)

و - وزارة المالية

أشار المشرفي إلى هذه الوزارات، لكنه لم يشر إلى اختصاصات كل واحدة منها، وإنما اقتصر على ذكر الأشخاص المؤطرين لها، والصراعات التي احتدت بينهم في العهد العزيزي دون أن يذكر المصادر التي استقى منها معلوماته، فلعلها مصادر شفوية وثيقة الصلة بمؤسسة الحكومة.

3- مؤسسة الجيش :

احتلت هذه المؤسسة مكانة هامة ضمن اهتمامات المشرفي المعرفية التاريخية. فما سبب ذلك؟

---

(21) الحلل البهية : ج 2 : 206.
(22) الحلل البهية : ج 2 : 108.
(23) انظر : آخر المقصد الثالث عشر : ج 2 : 206- 207.

لم يكن اهتمام المشرفي بالجيش وتطوره عبر تاريخ الدولة العلوية وليد الصدفة، بل كان وليد مرارة الواقع الذي شهده المغرب في المدة الزمنية التي عاصرها المشرفي، حيث بات الخطر الأجنبي يهدد أمن واستقرار المغرب، في ظل التدهور الخطير لمؤسسة الجيش.

هذا الواقع دفع بالمشرفي إلى أن يستقصي أخبار الجيش عبر استقصائه لتاريخ ملوك الدولة العلوية، لمعرفة مراحل تطوره ونقاط ضعفه وتدهوره. فلاحظ العناية الجدية للسلطان مولاي إسماعيل بهذه المؤسسة، بتكوينه لجيش قوي قادر على ردع الاضطرابات الداخلية وتوحيد البلاد، بل وتوسيع رقعة مساحتها.

كما جعل السلطان عبدالرحمان بن هشام من أولويات اهتماماته السياسية "تحديث العسكر" بعد أن لاحظ الخلل اللاحق به، وأنه عاجز تمام العجز عن مواجهة الجيوش الأجنبية.

وكذلك الشأن بالنسبة للسلطان محمد بن عبدالرحمان الذي "اجتهد في اتخاذ العسكر وحسن انتظامه" (24).

إلا أن اهتمام السلطان مولاي الحسن بهذه المؤسسة، كان أكبر وأكثر فعالية، فقد جلب من أوربا مؤطري الجيش والآلات الحديثة الصنع، وبنى المدارس العسكرية ومصنعا لإنتاج السلاح. فحافظ بذلك على أمن البلاد ووحدتها واستقرارها.

لكن هذا الاهتمام لم يكن كافيا من أجل إخراج هذه المؤسسة من واقعها المأساوي، بل إنها ستعرف مأساة أكثر حدة ووطأة في وقت لاحق، وبالذات في العهد العزيزي.

4- الثورات المعارضة:

كانت المعارضة تتألف من الأفراد والجماعات المناهضة للسلطة المركزية عبر تاريخ الدولة العلوية. اختلفت قوتها وضعفها تبعا لقوة وضعف السلطة المركزية، فهي تكون أقل أهمية رغم قوة شوكتها في حالة وجود سلطان يتمتع بشخصية قوية، ويتوفر على جيش منظم ومجهز بأحدث الأسلحة. وتكون أكثر أهمية وعنفا في حالة سيادة الاضطراب السياسي.

فقد شهد العصر الإسماعيلي ظهور ثورات عديدة، ينتمي بعض متزعميها إلى الأسرة الحاكمة ذاتها، والبعض الآخر إلى أسر وفئات اجتماعية مختلفة، كانت تطمح إلى تكوين إمارات مستقلة كالخضر غيلان وأولاد نقسيس بتطوان، وأبي العباس أحمد بن عبدالله بن محمد الحاج الدلائي الذي امتدت ثورته من تادلا إلى سايس.

---

(24) الحلل البهية: ج 2: 97.

هذه الثورات المعارضة شكلت خطرا حقيقيا على استمرارية دولة العلويين، لكن بدهاء وقوة السلطان إسماعيل استوْصلت شأفة هذه الثورات، وقُضي عليها قضاء مبرماً.

وفي عهد السلطان مولاي الحسن فإن أخطر ثورة شهدها المغرب هي تلك التي قادها بوعزة الهبري (سنة 1292 / 1875)، وتم استئصالها أيضا. وأثناء استعراضها أتى المشرفي بمعلومات فريدة لاتوجد في المصادر التاريخية الأخرى.

ويلاحظ أن أغلب ثورات المعارضة كانت تحدث في المرحلة الأولى من تولية السلطان لمزاولة مهامه، مما يعني اغتنام زعمائها فرصة غياب مؤسسة السلطان للاستئثار بالسلطة، مركز القرار.

5- العادات القبلية :

أمدنا المشرفي بمعلومات هامة وفريدة عن عادات التنظيمات المؤسساتية القبلية، فما هي هذه التنظيمات؟

أ - عادة اللف [25] .

انتشرت عادة هذا النظام المؤسساتي القبلي بقبائل وجدة، وهو يعني التحزب والتجمع والتحالف لتكوين كتلة قوية أثناء الحرب. وكيفية العمل في هذا النظام أن تأخذ القبيلة المحاربة لجارتها في العمل على الاستعداد، فتطلب من القبائل الأخرى غير المنتمية إليها، أن تتحالف معها لمقاومة عدوها وكذلك تفعل القبيلة الأخرى، فيجتمع على كل منهما جموع ممن يوافقهما بحسب المصالح الخاصة.

ويمكن للقبيلة أن تنتقل من لفها إلى لفّ غيرها حسب ما تقتضيه مصالحها الخاصة التي تكون فوق كل اعتبار عرقي أو قبلي.

وبعد خوض الحرب يظهر الغالب والمغلوب، فيُقدّم المغلوب عددا من الخيل إلى الغالب هدية له مع شيء من المال أو الماشية كشرط مفروض من الطرف الغالب.

ب - عادة نظام الميعاد [26] :

انتشرت أيضا بقبائل وجدة، وهي بخلاف عادة نظام اللف، كان يُعمل بها في حالة السلم. وكيفية العمل بها أن يقوم رئيس الحلف باختيار عدد من أكابر القبائل وعقلائها ويعينهم للاجتماع عنده كلما كان ذلك ضروريا خاصة عندما تتوفر لديه مجموعة من

---

(25) انظر الحلل البهية : ج 2 : 127 - 128.
(26) الحلل البهية : ج 2 : 128 - 129.

الشكايات تهم مشاكل القبائل، فيطوفون على أصحاب الدعائر، ويوظفون عليهم - باجتهادهم - المغارم نقدا أو عينا حسبما تقتضيه ظروف المجرم، وهي عقوبة للمجرمين الموصوفين بالتعدي أو السرقة أو الغصب.

وبعد ذلك، يتم توزيع ما تحصل من المال بين أعضاء حلف الميعاد "كل واحد حصته على قدر ما يناسب حالته وجاهه وعظم منزلته عند القوم"[27].

إلا أن السلطان مولاي الحسن أجهض هذا النظام (سنة 1876/1293) وقضى عليه قضاء تاما.

ج - عادة نظام أزرف[28] :

انتشر هذا النظام بقبائل الأطلس المتوسط وما يليها شرقا إلى قبيلة بني وراين وماجاورها. يقصدُ أهلها بأزرف "الحكم المقابل للشرع. فيقولون : ماحكم الشرع في هذه النازلة وما حكم أزرف فيها"[29] وكيفية العمل به أن يتقدم في كل قبيلة واحد أو أكثر، المعروف بالتعقل والحكمة والتجربة الميدانية في الأحكام القبلية، فيحكم بين الناس المتخاصمين بما يراه مناسب ومطابقا للقوانين المعتادة في القبيلة، وهي قوانين لا صلة لها بالشريعة الإسلامية.

د - عادة نظام المزراف[30] :

انتشرت عادة هذا النظام في نفس القبائل التي انتشر فيها نظام أزرف. ويُقصدُ به : الحماية . وكيفية العمل به أن الرجل الغريب الذي يريد المرور بقبائل الأطلس المتوسط يجب عليه أن يتحذ رجلا من هذه القبائل ليكون في حمايته ويقاتل عليه بنفسه إذا تعرض للأذى من طرف أحد أفراد القبيلة كالتعدي أو الإهانة أو القتل.

وإذا تغيّب الحامي وتعرض المحمي لإذاية ويسمى بـ "كسر المزراف" فالعرف عندهم أن يقوم الحامي بإعطاء شيء وافر مقدر معلوم على ذلك، أي على كسر المزراف زيادة على ردّ ما أخذه المعتدي.

إن الحاكم هو الذي يحدد القدر إذا لم يكن محددا من قبل، تبعا لخطورة الجناية. وكل هذا " حرصا منهم على ورود الأجانب عليهم والمرور بأرضهم بجلب ما فيه نفع لهم من السلع وقضاء المآرب"[31].

---

(27) الحلل البهية : ج 2 : 129.
(28) الحلل البهية : ج 2 : 133– 134.
(29) الحلل البهية : ج 2 : 133.
(30) الحلل البهية : ج 2 : 135– 137.
(31) الحلل البهية : ج 2 : 135.

6 - العناية بالعلماء :

لم يكن مجهود ملوك الدولة العلوية يقتصر على توطيد السلطة وتوحيد البلاد ومواجهة الغزو الخارجي، وإنما صرفوا قسطا هاما من مجهودهم في الجانب العلمي، حيث حظيت نخبة العلماء بعناية كبيرة.

فقد كان مولاي الرشيد "محبا في جانب العلماء مؤثرا لأغراضهم مولعا بمجالستهم" (32) أما السلطان مولاي سليمان فكان "وحيد عصره في الاعتناء باقتناء العلوم في المغرب" (33) كما كان محمد بن عبدالرحمان "متشوفا لعلم الهندسة والتنجيم والهيئة وجدد معاهد العسكر وأسسها، ووجه لتعليم الهندسة والحرب عددا من الطلبة وأبناء المسلمين لبلاد الإفرنج". (34)

على أن اليقظة الحقيقية لهذه النخبة العلمية هي التي شهدتها في عهد السلطان مولاي الحسن، الذي بذل مجهودا كبيرا من أجل النهضة بها وتطويرها على النمط الحديث، وذلك بتشجيعه لها ماديا ومعنويا، وجلب الأطر الأجنبية، وبناء المعاهد والمدارس.

حاول المشرفي أن يبرز اهتمام وعناية السلاطين العلويين بالجانب العلمي، لكن دون أن يتعرض لما قاموا به من إصلاحات تهم المؤسسات التعليمية، كما أهمل ذكر البعثات التعليمية التي أرسلها السلطان مولاي الحسن إلى مصر وأوربا.

7- علاقات المغرب الخارجية :

إن المشرفي المطلع على تاريخ المغرب. لم يفته أن يسجل ما رآه يستحق التسجيل في إطار العلاقات المغربية الخارجية منذ بداية تكوين الدولة العلوية إلى الأيام التي عاشها في ظل حكم السلطان عبد العزيز. فقد أمدنا بمعلومات هامة عن علاقة المغرب بالدول التي تعامل معها في إطار علاقاته الخارجية وهي كالتالي :

أ - الدولة الإنجليزية :

في محاولتها للتغلغل داخل المغرب ونيل مرتبة الدولة ذات الحظوة، كثفت إنجلترا من اتصالاتها الديبلوماسية بالمغرب، ففي سنة 1891/1308 بعثت بسفيرها وليام كربي كرين William Kirbey Green إلى مراكش إلا أن المنية وافته قبل تحقيق أهدافه (35).

(32) الحلل البهية : ج 1 : 276.
(33) الحلل البهية : ج 2 : 42.
(34) الحلل البهية : ج 2 : 92.
(35) الحلل البهية : ج 2 : 191. هامش : 643.

وفي سنة 1892/1310 بعثت بسفيرها ايوان سميت الذي استقبل بفاس من طرف السلطان مولاي الحسن، وأجرى معه مباحثات اهتمت أساسا بمسألة رأس جوبي (طرفاية) والحماية القنصلية وإدخال التعديلات على الاتفاقية التجارية المبرمة سنة 1273 / 1856 (36).

وكان السلطان مولاي الحسن على علم بدسائس الإنجليز، فعمل على إحباط كل المؤامرات محافظا بذلك على وحدة التراب الوطني، وعلى توازن الوجود الأوربي بالمغرب.

إلا أن مجريات الأحداث ستتغير مع مرور الوقت، ففي عهد السلطان عبدالعزيز سيعرف المغرب انفتاحا مثيراً على الواجهة الأوربية، بعد أن تفاقمت الأوضاع بالجنوب المغربي على إثر الاحتلال الفرنسي لواحات توات، لذلك حاول المسؤولون أن يكسبوا وُدّ الدولة الإنجليزية، وفي هذا الإطار تم إرسال بعثة مغربية إلى لندن (سنة 1901/1319) برأسة المهدي بن العربي المنبهي، لكنها أتت بنتائج عكسية تجلت في الاتفاقية التي أبرمت بلندن (37)، وقد نصت على الإصلاحات الواجب إدخالها إلى المغرب، وهي إصلاحات تخدم المصالح الاقتصادية للدولة الإنجليزية.

ب - الدولة الفرنسية :

اتسمت العلاقة المغربية الفرنسية خلال القرن 19/13 بعدم الاستقرار. ففي عهد السلطان عبدالرحمان بن هشام تميزت بالتوتر والاضطراب وبالتالي المواجهة العسكرية. أما في عهد السلطان مولاي الحسن فقد تحسنت العلاقة، وسادها نوع من الاستقرار وحسن المعاملة والتعاون خاصة في المجال العسكري، استقدم السلطان أثناءها عددا من الضباط الفرنسيين لتعليم وتدريب الجيش المغربي (38).

إلا أن هذه العلاقة ستتوتر مرة أخرى في عهد السلطان عبدالعزيز حين أقدمت فرنسا على احتلال توات (سنة 1900/1318) في إطار تحقيق مشروعها الاستعماري، اضطر المغرب على إثره تكثيف اتصالاته الدبلوماسية بالدول الأوربية في محاولة لكسب عطفها ووضع حد لهذا الاحتلال. لكن هذه الاتصالات باءت بالفشل، بل إنها فتحت أبواب المغرب أمام الدول المتهافتة.

ج - الدولة الألمانية :

إن ألمانيا كجميع الدول الأوربية لم تخف مطامعها ومصالحها الاستراتيجية والاقتصادية بالمغرب. لذا كانت سياستها الخارجية ترتكز على هذا الأساس في وقت كان المغرب في حاجة ماسة إلى المساعدات الألمانية لمواجهة الاحتلال الفرنسي.

---

(36) الحلل البهية : ج 2 :193. هامش 653 .
(37) الحلل البهية : ج 2 : 250.
(38) الحلل البهية : ج 2 : 130.

وفي هذا الإطار أتت زيارة البعثة المغربية لبرلين (سنة 1901/1319) [39]، لكنها لم تحقق ما كان يرجى منها، بل أفضت إلى تعزيز الإصلاحات ذات الاقتراحات الألمانية بالمغرب.

د - الدولة الإسبانية :

كانت العلاقة المغربية الإسبانية في القرن 19/13 تمر بمرحلة يسودها العنف واستعمال القوة في ظل نمو الحركة الإمبريالية الأوربية، بات المغرب خلالها مهددا بالاحتلال، وهو ما وقع بالفعل في حرب تطوان (1859/1276) التي أفضت إلى هزيمة الجيش المغربي أمام خصمه الإسباني، أعقبها عقد الصلح وفرض شروط قاسية على المغرب.

هـ - الدولة العثمانية :

يشير المشرفي إلى علاقة مغربية عثمانية في بداية تكوين الدولة العلوية، وهي علاقة تميزت بنوع من عدم الاستقرار نظرا للمناوشات التي كانت تحدث بين الفينة والأخرى على الحدود المغربية الجزائرية. إلا أن هذه العلاقة ستتحسن بعد ذلك. فالسلطان محمد بن عبدالله أقام علاقة طيبة مع العثمانيين، أهلته لكي يلعب دور الوسيط لدى الإسبان لافتكاك الأسارى الجزائريين، ونجح في مهمته أيما نجاح. ونفس الدور الوساطي سيقوم به السلطان مولاي سليمان لدَى العثمانيين والطائفة الدرقاوية بالجزائر في محاولة لوقف إراقة الدماء بينهما وآلت وساطته إلى النجاح أيضا. كما أن الشعب الجزائري عبَّر عن تبعيته التاريخية للسلطة المغربية، وكمثال على ذلك الرسالة التي بعث بها أهل غرب الجزائر إلى السلطان عبدالرحمان يطلبون فيها قبول طاعتهم وبيعتهم له[40]. فقبل السلطان طلبهم، وأرسل خليفة له إلى تلمسان، إلا أن الظروف العامة حالت دون بقائه بها.

و - الدولة الروسية :

انفرد المشرفي عن سائر المؤرخين المعاصرين له، بتسجيله معلومات تهم العلاقة المغربية الروسية في بداية القرن 20 الميلادي، حيث نجده يتتبع بتفصيل الزيارة التي قامت بها البعثة المغربية لروسيا (سنة 1319 / 1902) برآسة عبدالكريم بن سليمان. لكنه لم يفصح عن المهمة التي أُنيطت بها، وموضوع المباحثات التي أجرتها مع المسؤولين الروسيين وفي مقدمتهم القيصر نيكولا الثاني. ولعل موضوع المباحثات كان يتعلق بواحات توات، حيث التمس السفير المغربي (عبدالكريم بن سليمان) من نظيره الروسي التدخل لدى فرنسا لوقف زحفها على الجنوب المغربي[41].

---

(39) الحلل البهية : ج 2 : 249.
(40) انظر نص البيعة في الحلل البهية : ج 2 : 73– 75.
(41) الحلل البهية : ج 2 : 257. هامش : 39.

ز - الدول الأخرى (الحجاز، البرتغال، تونس، النمسا) :

كما أشار المشرفي بشكل مقتضب إلى علاقات المغرب بدول أخرى كالحجاز [42]، البرتغال [43]، تونس[44]، والنمسا(الاستریاك) [45].

8- المنشآت المدنية والعسكرية :

كان المشرفي كثير الاهتمام بالمنشآت العمرانية المدنية والعسكرية التي أحدثها السلاطين العلويون، فسجل أخبارها تارة بتفاصيل وتارة أخرى بإيجاز، وذلك حسب أهمية وقيمة المنشآت وما توفرت لديه من معلومات.

فسجل ما كان مرتبطا بالحياة المدنية كتأسيس المدن، المساجد، القصور، القناطر، والأضرحة... . وماكان مرتبطا بالحياة العسكرية كتأسيس القصبات، التحصينات، المصانع ، والأبراج... . كما اهتم المشرفي بموضوعات أخرى أتت في مضامين كتابه كتحرير المدن وتوحيد البلاد.... .

المشرفي المؤرخ

إذا كان المترجمون للمشرفي قد دأبوا على نعته بالفقيه والأديب والشاعر، فمن الإنصاف أن يُنعت أيضا بالمؤرخ، لأن صلته بالتاريخ صلة وطيدة وقوية. هذا ما سيتجلى لنا من خلال عناصر العرض التالي :

1- المشرفي والتاريخ

لاحظ المشرفي إعراض العلماء والمثقفين عن علم الأنساب والتاريخ في عصره بقوله: "وإن النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان واندرسا" [46].

ويمكن إرجاع هذه الظاهرة إلى ثلاثة أسباب رئيسية :

أ - أن مادة التاريخ لم تكن تدرس في جامعة القرويين.

ب - أن دارسي التاريخ لم يكن بإمكانهم التأهل للوظائف المخزنية.

ج - أن المؤرخين لم يحظوا باهتمام وعناية المجتمع.

---

(42) الحلل البهية : ج 2 : 27 ، 31 .
(43) الحلل البهية : ج 2 : 23 – 24 .
(44) الحلل البهية : ج 2 : 55-56.
(45) الحلل البهية : ج 2 : 269.
(46) الحلل البهية : ج 1 : 46.

لهذه الأسباب ظل علم التاريخ مهمشا في المغرب، لا يلقى أي اهتمام إلا من بعض المثقفين الفضوليين الذين كانت لديهم ملكة حب الاستطلاع والمعرفة، ومن ضمنهم محمد المشرفي الذي كرس قسطا من حياته لهذا العلم قراءة وتأليفا، ساعده في ذلك تقلده منصب القضاء وهو المنصب الذي وفر له ظروفا ملائمة على المستوى المادي والمعنوي والاستقرار المكاني.

لم يكن اهتمام المشرفي بعلم التاريخ وليد الصدفة، وإنما كان عن وعي بأهميته وقيمته ضمن العلوم الأخرى، فهو من "أجل العلوم قدرا وأجلاها في ظلمات الحيرة بدراً يكسب صاحبه النباهة"(47) لايجهل فضله ونفعه وقيمته إلا من كان ساقط الهمة جامد القريحة.

2- مفهوم التاريخ عند المشرفي:

لم يبدع المشرفي مفهوما جديدا للتاريخ، وإنما تبنى مفهوما تقليديا مستهلكا. اعتمد فيه على مؤلفات لمؤرخين قدامى ومحدثين.

المفهوم الذي تبناه يعتبر أن التاريخ هو تسجيل أحداث الماضي وحصيلة النشاط الإنساني، في تعاقبها الزمني، وأن المحرك له هي العناية والمشيئة الإلهية، يقول في هذا الصدد نقلا عن الأنيس النفيس للزياني : "علم التاريخ والأدب من فاكهة المفاكهة بالغاية القصوى ونهاية الشيء في الطلاوة والجدوى، لأنه توقيع وقائع الزمان، وتدوين حوادث الدهر التي قدرها الرحيم الرحمن، وأخبار الأدباء والأمراء ونوادر أهل الحضر والعربان" (48) ويقول - أيضا - نقلا عن سعود المطالع لعبد الهادي النجا المصري : "... وفي الاصطلاح تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شاع كظهور ملة وكوقعة الطوفان" (49).

لقد ظلت فكرة اعتبار التاريخ علي أنه مجرد سجل للأخبار، يراد به المتعة حينا والعظة أحيانا، ماثلة في أذهان المؤرخين يعاد انتاجها بكيفية آلية إلى عصر المشرفي فبقي مفهوم التاريخ هو هو لم يطرأ عليه تغيير أو تجديد.

3- الحس التاريخي عند المشرفي:

كان المشرفي صاحب حس تاريخي، تجلى في مفهوم التاريخ الذي أعاد إنتاجه من مصادر تاريخية، وفي كيفية تعامله مع المادة المعرفية التاريخية اعتمادا على الوثائق والمصادر المختلفة الأنواع، ثم في كيفية تعامله مع الحدث، حيث كان يبحث فيه عن السبب والنتيجة معتمدا طريقة البحث والتقصي عن الخبر ثم نقله بعد غربلته وعقلنته.

---

(47) الحلل البهية : ج 1 : 121 .
(48) الحلل البهية : ج 1 : 119 .
(49) الحلل البهية : ج 1 : 125 .

وعودة المشرفي إلى الماضي وتسجيله، لم يكن من أجل الاطلاع على هذا الماضي وإحيائه فحسب، وإنما من أجل الاطلاع على الحاضر كذلك لأن الاطلاع على الماضي يساعد أكثر على معرفة الحاضر وحل إشكالاته وتلمس طريق المستقبل المؤمل. فكانت بذلك صلته بالماضي صلة إدراك واستلهام.

وإذا كان من متطلبات العمل التاريخي الإحساس بالحاضر المعيش، فإن المشرفي كان شديد الإحساس بحاضره ومهموما به، يتجلى ذلك بوضوح فيما سجله من أحداث عاصرها وشاهدها عن كثب. فقد كانت نفسه تطمئن في أوقات الأمن والاستقرار، وتضطرب في أوقات الأزمات والنكبات، عاكسة بذلك مشاغل وهموم وطموحات الجيل الذي عاصره.

4- منهجيته في الكتاب:

أراد المشرفي أن يكون كتابه الحلل البهية، عبارة عن شرح لقصيدة الغالي بن سليمان في تاريخ ملوك الدولة العلوية إلى عهد مولاي الحسن، وبعد مرور 11 سنة أضاف إلى هذا الشرح - الذي يعد أصل الكتاب - تذييلا سرد فيه الأحداث المتعاقبة إلى أواسط حكم مولاي عبدالعزيز. فما هو المنهج الذي اتبعه في الشرح والتذييل؟

أثناء شرحه للقصيدة، اتبع المشرفي منهجية كانت معروفة لدى شراح القصائد في عصره. هذه المنهجية خضعت لعمليتين أساسيتين :

الأولى : هي الشرح اللغوي للكلمات الصعبة أو المبهمة في البيت الشعري الذي يُراد شرحه، وعادة ما يكون هذا الشرح اللغوي موجزا لأن المراد منه هو الشرح الاصطلاحي المعنوي.

وقد اعتمد المشرفي في هذه العملية على مخزونه الأدبي والديني .

والعملية الثانية : هي الشرح الاصطلاحي التاريخي، وهو الشرح الأساس في العمليتين، وعليه يقوم عمل المشرفي في الكتاب. يقوم أثناءه بتبسيط ترجمة السلطان المنوه به، بتفصيل الأحداث التي وقعت في عهده، مع التركيز على أهم منجزاته وأعماله منذ التولية إلى الوفاة، بحسب ما توفرت لديه من مادة معرفية تاريخية استقاها من مصادر ووثائق مختلفة.

وفي عمله هذا اتبع ترتيب القصيدة شكلا ومضمونا، وهو ترتيب خاضع للمنهج الحولي الذي يعتمد على تدوين الأحداث المتتالية حسب تعاقبها في الزمن.

وكذلك الشأن بالنسبة للتذييل الذي ألحقه المشرفي بالكتاب في وقت لاحق، فقد سرد فيه الأحداث حسب الترتيب الكرونولوجي العام.

ولعل المشرفي كان يريد في التذييل أن يصل في سرده للأحداث إلى أحداث سنة 1321 هـ / 1903 م كما توحي بذلك عبارته التالية :

"ثم رأيت أن نصل ما حدث بعدُ إلى سنة إحدى وعشرين بعدما كنت قيدته"[50]. لكن التذييل تقف أحداثه بشكل مفاجئ وغير طبيعي عند سنة 1319 / 1902 ، وهو ما يعني أن طارئاً حال دون إتمام الكتاب.

وقد حاول أن يلتزم في كتابه بالأمانة العلمية باتباع منهاج الصدق فيما نقله من أخبار وأحداث، يقول في هذا الصدد : "وإني بعون الله رمت منهاج الصدق فيما أقول معتمدا على علمي فيما تحقق عندي بالمشاهدة أو أخبار الثقات" [51].

وتميز أسلوبه في الكتاب بالدقة في التعبير، وتبسيط الفكرة المرادُ تبليغها باستعمال كلمات ومصطلحات سهلة الفهم والإدراك دون اصطناع أو لجوء إلى السجع إلا في حالات قليلة.

وكل هذا يدل على امتلاك المشرفي لناصية التعبير الكتابي كما يدل على قوة أدواته التبليغية وتكوينه اللغوي المتين.

لهذا فإن أسلوبه كان يتغير بحسب الموضوع المعالج.

5 - أهم مصادره التاريخية :

اعتمد المشرفي في تدوين الأحداث على كتب كثيرة ومتنوعة الاختصاصات مثل كتب الفقه، والأدب، والشعر ، واللغة، والحديث، والتراجم، والأنساب، والرحلات، والتاريخ العام. هذا فضلا عن المصادر الشفوية، والمشاهدة والمعاصرة للأحداث.

وسنقتصر هنا على ذكر أهم المصادر التاريخية المدونة، والمصادر الشفوية، والمشاهدة الشخصية.

أ - المصادر التاريخية المدونة :

1 - ابن هشام، السيرة (مطبوع).

2 - المسعودي، مروج الذهب (مطبوع).

3 - ابن عبد ربه، العقد الفريد (مطبوع).

4 - أبو بكر الطرطوشي، سراج الملوك (مطبوع).

5 - ابن الأثير، الكامل في التاريخ (مطبوع).

---

(50) الحلل البهية : ج 2 : 210 .

(51) الحلل البهية : ج 1 : 125 .

6 - السهيلي عبدالرحمان، الروض الأنف (مطبوع).
7 - ابن خلكان، وفيات الأعيان (مطبوع).
8 - ابن أبي زرع، الأنيس المطرب (مطبوع).
9 - ابن الخطيب، رقم الحلل (مطبوع).
10 - اليافعي عبدالله، مرآة الجنان (مطبوع).
11 - ابن خلدون يحي، بغية الرواد (مطبوع).
12 - ابن خلدون عبدالرحمان، العبر والمبتدأ والخبر (مطبوع).
13 - ابن صعد التلمساني محمد، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب (مخطوط).
14 - ابن غازي محمد، الروض الهتون (مطبوع).
15 - ابن القاضي أحمد، المنتقى المقصور (مطبوع).
16 - ابن القاضي أحمد، الدر الحلوك (مخطوط).
17 - الخفاجي أحمد، ريحانة الأليا . (مطبوع).
18 - الفاسي أبو زيد عبدالرحمان. زهرة الشماريخ في علم التاريخ (مطبوع).
19 - ابن أبي دينار القيرواني، المؤنس في أخبار قرطاجنة وتونس (مطبوع).
20 - القادري عبدالسلام، الدر السني (مطبوع).
21 - الإفراني محمد الصغير، نزهة الحادي (مطبوع).
22 - الإفراني محمد الصغير، روضة التعريف (مطبوع).
23 - أبو رأس المعسكري، الخبر المعرب عن الأمر المغرب (مخطوط).
24 - الضعيف الرباطي، تاريخ الدولة العلوية السعيدة (مطبوع).
25 - الزياني أبو القاسم، البستان الظريف (مخطوط).
26 - الزياني أبو القاسم، الأنيس النفيس المغني عن الجليس (مخطوط).
27 - الغالي بن سليمان، رحلة(رحلة إلى بني مكيلد).؟
30 - المشرفي، ابو محمد العربي، رحلة(رحلة إلى شمال المغرب) (مخطوطة).
31 - الناصري، أحمد بن خالد ، الاستقصا، (مطبوع).

وكان المشرفي أثناء نقله للنصوص التاريخية من مظانها، يشير إلى بداية النقل ونهايته باستعمال ألفاظ مناسبة تعبر عن ذلك.

فمثلا عند نهاية النقل كان يستعمل حرف "هـ" وهو اختصار لكلمة "انتهى". كما كان يقول مثلا : "كذا في نشر المثاني".

إلا أنه كان في بعض الأحيان ينقل من مصادر معينة، دون التنبيه على ذلك، وعلى سبيل المثال ما نقله من مروج الذهب للمسعودي، والعقد الفريد لابن عبدربه، والخبر المعرب لأبي رأس المعسكري وبصفة خاصة من الاستقصا للناصري، حيث لاحظنا أثناء المقابلة، تطابق كلام هذا الأخير مع كلام المشرفي في عدة فقرات، مما يوحي بأن المشرفي انتحله منه[52].

ب - الرواية الشفوية :

كان المشرفي على اتصال ببعض الأشخاص الذين كانوا يشاركون بأنفسهم في صنع الأحداث أو أنهم كانوا يشاهدونها عن قرب، فاستقى منهم الأخبار مباشرة، مما يعطي للخبر قوة توثيقية وأهمية مصدرية، من ذلك قوله : "حكى لنا المرابط السيد المنور (...) قال : إني لما رأيته" [53] . وقوله : "... زوجته (...) وقد أخبرتنا بذلك إلى الآن" [54] وقوله أيضا : "حكى لنا غير واحد من الأئمة الأعلام"[55]

ج - المشاهدة الشخصية :

هذا النوع المصدري يعطي - أيضا - قوة توثيقية، ويؤكد على صحة الخبر، فقد كان المشرفي شاهدا على كثير من الأحداث والمنجزات المعاصرة له. ومن ذلك قوله : "إلا أن بعض مارأيناه بحاضرة فاس بالخصوص أذكر شيئا منه" [56] وقوله : "ولازالوا على ذلك إلى الآن"[57].

قيمة الكتاب التاريخية

حاول المشرفي في هذا الكتاب (الحلل البهية) أن يلم ويستقصي تاريخ المغرب العام ابتداء من الدولة الإدريسية إلى صدر الدولة العزيزية العلوية.

وإذا كان قد أوجز تاريخ الدول المتعاقبة على المغرب قبل الدولة العلوية مع التركيز على أهم الأحداث، فإنه تناول تاريخ الدولة العلوية بإسهاب وتفصيل، معتمدا في ذلك على مصادر متنوعة.

ومثل هذا النوع من التأليف بما احتوى عليه من مادة معرفية قلما نجدها في كتب تاريخية أخرى.

---

(52) انظر هذه الانتحالات في الدراسة : ج 1 :109 .
(53) الحلل البهية : ج 2 : 99.
(54) الحلل البهية : ج 2 : 99.
(55) الحلل البهية : ج 2 : 42.
(56) الحلل البهية : ج 2 :199.
(57) الحلل البهية : ج 2 : 130.

ولن تتبين هذه الأهمية والقيمة بشكل ملحوظ إلا بذكر أهم الكتب التاريخية المعاصرة له والتعريف بها تعريفا موجزا مع مقارنتها به. ثم بعد ذلك يُستحسن وضع جدول للباحثين والدارسين الذين اعتمدوا عليه في أبحاثهم ودراستهم حسب اطلاعنا.

1- الكتب المعاصر له ومقارنتها به :

سنبدأ بالكتب الأكثر أهمية إلى الكتب الأقل أهمية وهي كالتالي :

أ - الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى :

من تأليف أحمد بن خالد الناصري (تـ : 1315 / 1897). يعدُّ أول كتاب مغربي مصدراً أساسيا مفصّلا استوعب تاريخ المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى أواخر القرن 19 الميلادي مع ذكر دولة الخلفاء الراشدين في المشرق.

وقد راعى المؤلف الترتيب الكرونولوجي للأحداث مثله في ذلك مثل المشرفي . لكن الناصري كان أكثر دقة وتفصيلا عند تناوله لتاريخ الدول التي تعاقبت على المغرب قبل الدولة العلوية، خلافا للمشرفي الذي اختصر وركز على أهم الأحداث.

أما المادة المصدرية التي اعتمد عليها الناصري، فهي لاتختلف في تنوعها عن تلك التي اعتمدها المشرفي، والملاحظة الأساسية في هذا الإطار هو اعتماد الناصري على مصادر أجنبية، وهو بذلك أول مؤرخ في مغرب القرن 19/13 يأخذ هذه المبادرة، في حين أن المشرفي لم يفكر في ذلك أو أنه لم تسنح له الفرصة بذلك. والميزة الأخرى للناصري هو أنه تجنب الاستطرادات، وهي ظاهرة قلما نجدها عند مؤرخي المغرب خلال القرن 13 هـ / 19م، حتى إن المشرفي نفسه لم يتخلص منها.

ويلاحظ أن أفكار الناصري تلتقي في خطوطها العامة مع أفكار المشرفي . فكلاهما كانا يدعوان إلى إصلاح الجيش، وضرورة الاقتباس من الحضارة الأوربية بالانفتاح عليها مع استثنائية الانغلاق. وما يثير الانتباه هو سكوتهما المطبق عن الكلام على البعثات الطلابية إلى أوربا في عهد السلطان مولاي الحسن.

وقد فسر أحد الباحثين [58] سكوت الناصري عن ذلك بحمل هذه البعثات - أثناء عودتها - لتأثيرات أجنبية. وهو تفسير أخلاقي أكثر منه واقعي.

---

(58) هو : أحمد المكاوي في رسالته الجامعية : مسألة الإصلاح ، ص : 56 .

والسبب -حسب رأينا- يعود بالدرجة الأولى إلى أن كلا من الناصري و المشرفي كانا يتبنيان - على العموم- الموقف الرسمي من الأحداث. فالكلام عن هذه البعثات وفشلها، ربما يلطخ سمعة السلطان المنوه به، خاصة وأنه هو الذي بعث بها إلى أوربا.

وإذا كان الناصري قد عارض المكوس في عهد السلطان مولاي الحسن بطريقة باهتة بقوله : "فإنه لاشيء أشأم من هذه المكوس على الدول"(59) فإن المشرفي كان يعتبرها شيئا مستحسنا يوافق الشريعة الإسلامية، يقول : "فاخترع أشياء وقوانينا موافقة للشريعة استحسنها عامة رعيته(...) وترتيب أموالهم ليعطي من له مال دون غيره ما يجب عليهم لمونة تجهيز جيشه وقت الاحتياج إليه" (60). إنه دمغ المكوس المفروضة بطابع الشرعية، وهو موقف رسمي لا جدال فيه.

إلا أن موقف المشرفي هذا، سيتغير مع مرور الزمن وتغير الأحداث، إذ بتقلد مولاي عبدالعزيز السلطة، سيغدو المشرفي معارضا ومنتقدا لسياسة عبدالعزيز وحكومته وكل من كان يوافق على إدخال الإصلاحات المقترحة من طرف إنجلترا.

فقد تحول المشرفي من مؤرخ يتبنى الموقف الرسمي إلى مؤرخ معارض للسلطة الرسمية.

وأثناء مقابلة كتاب الاستقصا بكتاب الحلل البهية، لاحظنا تطابق ألفاظ بعض الفقرات، مما يوحي بأن المشرفي انتحلها من الناصري.

---

(59) الاستقصا، ج 9 : 179 .
(60) الحلل البهية : ج 2 :113 .

وأهم هذه الانتحالات وردت في الصفحات والموضوعات التالية :

رقم صفحات الحلل البهية	رقم الجزء وصفحات الاستقصا	عناوين في الحلل البهية
ج1: 192-193	ج 2 : 28	- أول ملوك الدولة العلوية
ج 1 : 193	ج 7 : 13	- أول ملوك الدولة العلوية
ج 1 : 193-195	ج 7 : 13 - 16	- منازعة المولى محمد للثوار .
ج 1 : 199- 200	ج 7 : 20 - 21	- تمهيد المولى محمد للصحراء والمغرب الأوسط
ج 1 : 203 - 204	ج 7 : 25 - 27	- جواب المولى محمد على كتاب الترك+عقد الصلح بين المولى محمد والترك.
ج 1: 214 - 220	ج 7 : 7 - 12	- ذرية المولى الحسن + أخبار المولى علي الشريف + أولاد مولاي علي الشريف.
ج 1 : 267	ج 7 : 35	- فتح فاس
ج 1 : 288 - 289	ج 7 : 91 - 92	- محاربة الثائر الملولى محمد وقتله.
ج 1 : 314	ج 7:49	- أعمال المولى إسماعيل.
ج 2 : 8	ج 7 : 156	- استئثار المولى عبدالله بالسلطة.
ج 2 : 9	ج 7 : 159	إرسال هدية إلى الحرمين الشريفين.
ج 2 : 22	ج 8 : 23-24	- الاهتمام بافتكاك الأسارى المسلمين.
ج 2 : 22 - 23	ج 8 : 38 - 39	- الاهتمام بافتكاك الأسارى المسلمين.
ج 2 : 24	ج 7 : 36 - 37	- فتح الجديدة.
ج 2 : 27	ج 8 : 70	- ترتيب الصلات للمستفيدين + كثرة الإنفاق على الشؤون العسكرية وفكاك الاسارى.
ج2 : 27 -28	ج 8 : 11 - 12	- الاهتمام بإصلاح الثغور.
ج 2 : 28	ج 8 : 20 - 21	- بناء الصويرة
ج 2 : 29 - 30	ج 8 : 69	- بناء وإصلاح مآثر أخرى.
ج 2 : 31	ج 8 :34	- مصاهرة سلطان مكة.
ج 2 : 31 - 32	ج 8 :65	- وفاة المولى محمد بن عبدالله.
ج 2 : 33	ج 8 :71	- أولاد المول محمد + مدح أحمد الونان السلطان.
ج 2 : 44 - 45	ج 8 : 172	- اتصاف المولى سليمان بالعلم.
ج 2 : 49 - 50	ج 8 :91	- السيطرة على مناطق نفوذ المولى مسلمة.
ج 2 : 65	ج 8 : 172 - 173	- آثار المولى سليمان العمرانية.
ج 2 : 88 - 89	ج 9 : 79 - 80	- مآثر المولى عبدالرحمان العمرانية.
ج2 : 102- 103	ج 9 : 125 - 127	- أعمال المولى محمد بن عبد الرحمان.

يلاحظ من خلال هذه الانتحالات :

1 - أن غالبيتها تتعلق بالموضوعات التي لم يكن المشرفي شاهدا عليها أو معاصرا لها.

2 - أنها تهم تاريخ الدولة العلوية خاصة بداية تكوينها.

3 - أن الناصري نفسه كان قد نقلها من مصادر أخرى، لكنه غالبا ما كان يحيل عليها.

وبالرغم من هذا فإن كتاب الحلل البهية له قيمة تاريخية متميزة، تضاهي قيمة كتاب الاستقصا، لأن المشرفي ضمّن كتابه معلومات ووثائق تاريخية فريدة، ومواقف وآراء صريحة جريئة، وأفكاراً إصلاحية متنورة. لذلك يمكن وضعه ضمن لائحة أهم الكتب التي ألفت في تاريخ المغرب.

ب - اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب :

ألفه محمد بن محمد بن الأعرج السليماني (ت : 1344 / 1926). جعله في مقدمة وأربعة أقسام وخاتمة. تناول فيه بتلخيص تاريخ المغرب الأوسط من دولة الزيانيين إلى الاحتلال الفرنسي وتاريخ المغرب الأقصى من دولة الأدارسة إلى عهد محمد بن عبدالله ثم من وقعة إيسلي إلى عهد السلطان عبدالحفيظ. هذا فضلا عن موضوعات أخرى كشرح الحرية والمدنية.

إن مادته التاريخية تتميز بالاختصار إلى حد الإفراط، كما تتميز بتنوع الموضوعات بخلاف الحلل البهية الذي يتميز بطابع وحدة الموضوع وتفصيله للأحداث، وحسن الترتيب والانتظام، وعرضه لموضوعات في غاية الأهمية لامناص لجميع الباحثين من الاطلاع عليها خاصة في مجال البحث التاريخي.

والميزة التي تحفظ لكتاب اللسان المعرب هو تقديم مؤلفه أفكارا إصلاحية تكاد تغيب عند المشرفي والناصري. هذه الأفكار ترتبط بموضوع التعليم والاقتصاد والحرية والشورى. مما يشير إلى تطور نوعي في فكر النخبة المثقفة في أوائل القرن 20 الميلادي. لعله تطور ناتج عن ما شهده المغرب من انفتاح كبير على العالم الخارجي، وانتشار الصحف الواردة من الشرق والغرب على السواء تتضمن الأفكار الإصلاحية.

ج - تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول : [61]

ألفه بناني عبدالقادر بن محمد المراكشي (كان حيا سنة (1311 / 1893). الكتاب عبارة عن شرح لأرجوزة في دول المغرب لصاحبها الغالي بن سليمان [62].

تناول فيه المؤلف تاريخ الدول المتعاقبة على المغرب الأقصى حتى صدر حكم السلطان عبدالعزيز.

---

(61) هذا الكتاب غير تام، والموجود منه قطعتان مخطوطتان : الأولى في الخزانة الحسنية تحت رقم 10273 والثانية توجد في نفس الخزانة : 12385 .

(62) تنبيه : هذه الأرجوزة هي غير القصيدة البائية التي شرحها المشرفي.

ومن خلال اطلاعنا على القطعتين المخطوطتين من الكتاب، لاحظنا أن المؤلف كان معجبا بكتاب الحلل البهية، لهذا أثنى عليه وعلى مؤلفه عند بداية تأريخه للدولة العلوية[63]، وحاول أن يتبع منهجه في الكتاب كله.

وبما أن أوراق القطعتين متلاشية وناقصة وخطها رديئ ، فإنه يصعب وضع مقارنة بينه وبين الحلل البهية.

د- البستان الجامع لكل نوع حسن وفن مستحسن في عد بعض مآثر السلطان مولانا الحسن:

ألفه محمد بن إبراهيم السباعي (تـ : 1332 / 1914) بأمر من السلطان مولاي الحسن. تناول فيه المؤلف سياسة السلطان المذكور من ولايته للعهد إلى وفاته، مع إضافة بعض السطور عن بيعة عبدالعزيز.

ويلاحظ في الكتاب كثرة الاستطرادات التي تكاد تُنسي القارئ موضوع الكتاب، هذا فضلا عن التصميم الهزيل والمنهجية الضعيفة. لهذا فلا وجه للمقارنة بينه وبين الحلل البهية الذي يتميز عنه في شتى الجوانب، كالجانب المنهجي، والمعرفي، والفكري والوثائقي.

هـ - المفاخر العلية والدرر السنية في الدول الحسنية العلوية [64] :

ألفه عبدالسلام بن محمد العمراني اللجائي (تـ : 1332 / 1914). تناول فيه تاريخ الدولة العلوية في عهد السلطان مولاي الحسن. ومهد له بأبواب ألمح فيها إلى تاريخ دول الإسلام بالمشرق والأندلس والمغرب، ولما وصل إلى الباب التاسع بدأ تأريخه للدولة العلوية. فأتى بمادة تاريخية قليلة، وأكثر من الاستطرادات، على أن أهم عمل أنجزه المؤلف هو تقديمه لبعض التراجم المعاصرة له .

لذلك فإن قيمة هذا الكتاب لا ترقى بأي حال من الأحوال إلى قيمة كتاب الحلل البهية الذي يؤرخ لتاريخ المغرب عامة وتاريخ الدولة العلوية خاصة، مما يجعله أفضل كتاب في تاريخ المغرب العام بعد كتاب الاستقصا إن لم نقل يضاهيه أهمية.

إن المشرفي سقط - بالفعل - في بعض الهفوات والأخطاء في ضبط بعض التواريخ وأسماء الأعلام والكتب. وعند الكلام عن السلطان مولاي الحسن كان تارة يشير إليه بفعل المضارع وكأنه مازال على قيد الحياة كقوله : "أبقاه الله (...) دخرا"[65] وقوله "أيده الله"[66] وتارة أخرى يشير إليه بفعل الماضي كقوله "رحمه الله"[67] .

---

(63) تلخيص ما عليه المعول، مخ. خ . ح . ر . 12385 : ورقة : 88 أ.
(64) انتهى اللجائي من تأليفه سنة 1888/1305 وهو كتاب مازال مخطوطا ويعمل أحد الأصدقاء على تحقيقه ودراسته.
(65) الحلل البهية : ج 2 : 119 .
(66) الحلل البهية : ج 2 : 119 .
(67) الحلل البهية : ج 2 : 101 .

إلا أن هذه الهفوات والأخطاء قليلة جدا ولا تمس مضمون الكتاب، كما لا يمكنها أن تغير من قيمته التاريخية في شيء.

2- الباحثون والحلل البهية :

هناك ثلة من المؤرخين والباحثين الذين اهتموا بالكتاب، وجعلوه مصدرا أساسيا لاستقاء المعلومات المعرفية التاريخية وغيرها. وفي السنين الأخيرة، يلاحظ تزايد الاهتمام بالكتاب في ظل نهضة البحث العلمي الجامعي بالمغرب.

وهذا جدول بقائمة أسماء الباحثين الذين اعتمدوا على الكتاب في أبحاثهم، حسب اطلاعنا.

اسم الباحث/ المؤلف	عنوان الكتاب أو المجلة	رقم الصفحات	ملاحظات
بناني عبدالقادر	تلخيص ما عليه المعول	4 - 7	مخطوط خ.ح.ر. 10273
ل.بروفنصال	مؤرخو الشرفا	66 ، 265	لم يطلع عليه وإنما اطلع على القسم الذي ترجمه كوفوريي
عبد الرحمان بن زيدان.	الدرر الفاخرة	58	
عبد الرحمان بن زيدان	إتحاف أعلام الناس	ج 3 : 487 - 489	
عبدالرحمان بن زيدان	النهضة العلمية	ورقة : 40 ب	مخطوط.خ.ح. ر. 12652
محمد داود	تاريخ تطوان	ج 4 : 277 - 280	
عباس الجراري	النضال في الشعر العربي بالمغرب	23 - 24	
محمد المنوني	مظاهر يقظة المغرب	ج 1 : 31 .	
أحمد التوفيق	المجتمع المغربي في القرن 19	147 .568 .409 .483	
إبراهيم حركات	المغرب عبر التاريخ	ج 3 : 18 ، 187.48، 189، 253 ، 255، 256 ، 260 ، 262، 357، 373 ، 386، 537 ، 543، 546.	

اسم الباحث/ المؤلف	عنوان الكتاب أو المجلة	رقم الصفحات	ملاحظات
إبراهيم حركات	التيارات السياسية والفكرية	134،118، 49، 16	
أحمد العماري	توات في مشروع التوسع الفرنسي بالمغرب.	172 - 168	
عكاشة برحاب	شمال المغرب الشرقي	162 ، 159،152-151	
عمر آفا	مسألة النقود في تاريخ المغرب في القرن 19	68	
جمال حيمر	البعثات التعليمية في عهد السلطان مولاي الحسن	123 ، 57	رسالة جامعية د.د.ع (مرقونة) 1987 - 1988 فاس.
المكاوي أحمد	مسألة الإصلاح عند المفكرين المغاربة	24 ، 35 ، 60، 67، 74، 91 ، 39 - 96 .	رسالة جامعية د.د.ع (مرقونة) 1988 فاس.
المكاوي أحمد	مجلة الوحدة العدد 75 سنة 1990	17، 72	
عبدالله العروي	جريدة العلم الثقافي العدد 175 سنة 1972	5 - 6	
عبدالرحمان المودن	ندوة الإصلاح والمجتمع المغربي في القرن 19 السنة : 1983.	368 ، 372	
عبدالقادر زمامة	مجلة المناهل عدد : 36، السنة 1987.	199 - 205	
G. SALMON	Archives, Maroc 1904	Tome 1 PP . 127 - 148 - 416 - 424	ترجمة
G. SALMON	Archives, Maroc 1905	T2 Fax . 1 PP : 154 - 158	ترجمة
G. SALMON	Archives, Maroc 1905	T2 Fax. 1 PP : 52,55,58,74,76,80	
L.Coufourier	Archives, Maroc 1906	T88 PP. 330-395	ترجمة
M. Bellaire	Archives, Maroc 1907	TV11 PP. 42-43	
A. Laroui	Les origines sociales et culturelles du nationalisme Marocaine	62 ، 79 ، 115 ، 124 ، 145 ، 158 ، 298 ، 346	

القسم الثاني

نص كتاب :

الحلل البهية
في ملوك الدولة العلوية
وعد بعض مفاخرها غير المتناهية

[خطبة الكتاب / دواعي التأليف]

*بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه

الحمد لله الذي جعل رتبة الملوك أعلى الرتب، وسببهم في الخير أقوى سبب، ورقاهم مراتب منبهجة سامية، وأنزلهم منازل شريفة عالية، حيث خصهم بالخلافة وأرجحية العقول والفكر، ومدحهم جل جلاله بقوله : ﴿**الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر**﴾[1]. والشكر له على من[2] اختاره لهذا القطر المغربي من إمام جامع، لما تفرق في غيره من المآثر، وحائز لما كان من التباهي والمفاخر، خصه الله بمحاسن أبهرت العقول، وقد ترجم عنها مسماه وانتخبه من جُرثوم [3] طاهر مطهر، واصطفاه وارتضاه لهذه الأمة المحمدية خليفة من خيارها، وانتخبه من أشرف بيوت ديارها، فمتعنا بإحسانه ووفور عقله وفضله، وأمننا بسيرته الغراء ومزيد عدله. والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، والملائكة والخلائق أجمعين، سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله من أنزل عليه الكتاب المبين، وقص عليه أخبار المتقدمين والمتأخرين، وأعلمه بما كان وما يكون إلى يوم الدين. وعلى آله وأزواجه وذريته المطهرين، وصحابته المنتخبين.

وبعد، فلما وقفت على قصيدة الكاتب الأديب، الآتي ذكره في المقدمة - إن شاء الله حسب الترتيب - في عدّ ملوك هذه الدولة العلوية المختصة بمفاخر جمة قصر عن إدراكها سائر الدول، وذكر تاريخ ولايتهم ووفاتهم وفتوحاتهم، على نسق ترتيبهم، الأول فالأول، فرقصت لرنة أشعار مطالعتها طربا، وقضيت من لطيف معاني بيانها عجبا، لما اشتملت عليه من الجزالة والفصاحة والطلاوة وحسن الترتيب، حتى كأنها عذراء ألقت على نفسها محاسن الغزل والنسيب[4].

---

(1) سورة الحج، الآية : 41

(2) مَنْ : اسم موصول مبهم، يعود ضميره على السلطان المولى الحسن بن محمد ابن عبدالرحمان العلوي (1247 - 1311 هـ / 1832 - 1894 م).

(3) جرثوم : أصل .

(4) النسيب : رقيق الشعر.

(*) 1 ب.

* فجعلت أمتع النظر في ذخائر سوقها، وقد كشفت لي عن ساقها، حتى شرحتُ بجمالها وحسن ما انطوت عليه من البهاء المهموم الكئيب (كذا)، فشغفت حينئذ بحبها، وسهرت ليلي من أجلها، وطمعت في وصلها بإذن من أصلها، حتى حملني فرط الشوق إليها، على اقتحام ضيق المسالك، ونصب ذاتي لوقوع السهام والمهالك، حيث أتحفتها بشرح يرفع على منصة البيان فرائدها، ويجلو في محك الاختبار فوائدها، ويشرح ما استبهم من مقاصدها، ويقف الناظر فيها على غرضها من مراصدها، من غير تعرض إلى ما (سوى)[5] هذا الغرض، إلا ما يكون من محاسن الاستطراد مما يناسب الجوهر بماله تعلق بالعرض. إذ قلَّ طالب المزيد في علمه، واقف من أدب العلماء عند حده ورسمه، موقن أن كل البشر سوى الأنبياء غير معصوم، آخذ بالعذر في المنطوق به من الخطإ والمفهوم، بل هذا معدوم، وعلى وجوده فهو الأمين على إصلاح ما تبين فساده، حيث تخلق بأخلاق أهل العلم وتعيّن استنجاده، وإنما الكثير طالب للعثرات، متبع للعورات، يضعف ويقبح، ويحسن بنفسه ويرجح، ويفسد ظانا أنه يصلح، ناطق عن الهوى، سالك سبيل من ضل وغوى. لكن العذر بيّن، والأمر هين، إذ لا يمكن وصف الشغف، وإنما يعرف بالإمارات والوجدان، غير أن صاحبه يستوي عنده الوصال والهجران والإساءة والإحسان، فهو أسير الأحوال، تعبث به كيف (شاءت)[6] لأنه دائما ولهان. وفيه قال سلطان العاشقين [7] : [الطويل]

(أَحِبَّايَ) [8] أَنْتُمْ أَحْسَنَ الدَّهْرُ أَمْ أَسَا   فَكُونُوا كَمَا شِئْتُمْ أَنَا ذَلِكَ ٱلْخِلُّ[9]

وهذا هو الداعي الأول، مع طلب التعجيل منا على ما عزمنا عليه ممن لا محيد لنا عن مساعدته، ولا مدفع لقصده ومطلبه، فبادرت بتسطيره قبل الاستعداد، ونهضت لتسويده، من غير وجود آلة استمداد، وإنما على الله في ذلك الاعتماد، طلبا للوفاء بالوعد، متصامما عن صواعق الرعد، ولازالت الأشراف تتحلى بحلية الوفاء والإنصاف، وأما الأطراف، وأوباش الناس من الأجلاف، ممن شيمتهم ألا يتساء بخلف الوعد الذي هو حلية النساء،

---

(5) دك : هوى والتصحيح من : ز، ح .
(6) د : شئت . والتصحيح من ز، ح ، ك .
(7) يقصد به : عمر بن علي بن مرشد بن علي بن الفارض الحموي الأصل ولد وتوفي بمصر (576 - 632 هـ / 1181 - 1235 م) شاعر صوفي، من آثاره : ديوان شعر.
انظر : ابن كثير، البداية والنهاية، ج 13. 143 . ابن حجر العسقلاني، لسان الميزان ، ج 4 : 317-319
ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب، ج 5 : 149 - 153 . جرجي زيدان ، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 17 .
أحمد أمين ، ظهر الإسلام، ج 4 : 223 - 227 .
خ . الزركلي ، الأعلام ج 5 : 55 56 .
ع. ر . كحالة، معجم المؤلفين ج 7 : 301.
(8) في جميع النسخ : أحبائي والتصحيح من شرح ديوان ابن الفارض : 135
(9) هذا البيت يوجد في شرح ديوان ابن الفارض : 135 .
(*) 12ا .

قال مجنون ليلى [10] : [الطويل]

تُـوَاعِدُنِـي لَـيْلَـى بِـوَصْـلٍ وَلاَ تَـفِـي ... بِـمَـا وَعَـدَتْ حَـتَّـى يَـمُوتَ المُعَـلَّـلُ

فَـمِـيـعَـادُهَــا شَـهْـدٌ يَــزِيـدُ حَـلاَوَةً ... وَهُـجْـرَانُـهَـا سُمٌّ نَقِـيـعٌ وَحَـنْـظَلُ [11]

وقال أبو فراس (الحمداني) [12] : [الطويل]

(مُعَلِّلَتِي)[13] بـالـوعـد والموت دونــه ... إذا مِـتُّ ظَـمـآنـاً فـلا نَـزَلَ الـقـطـرُ[14]

وأنشدتُ لغيرهما موافقا لما نحن بصدده: [الطويل]

تَـعَـلَّـمْـتُ خَـطَّ الـرَّمْـلِ لَـمَّـا هَـجَـرْتِـنِي ... لَـعَـلِّـي أَرَى بَـيْـتـاً يَـدُلُّ عَـلَـى الـوَصْـلِ

وهو الداعي الثاني. والثالث اشتغال نفسي عن القيل والقال بما تحمد بحول الله عاقبته (مما) [15] يعز ويعذب من المقال. إذ علم[16] التاريخ والأدب من فاكهة المفاكهة بالغاية القصوى، ونهاية الشيء في الطلاوة والجدوى، لأنه توقيع وقائع الزمان، وتدوين حوادث الدهر التي قدرها الرحيم الرحمان، وأخبار الأدباء والأمراء ونوادر أهل (الحضر)[17] والعربان[18] ولاسيما في جانب هذه الدولة العلوية الفائزة على (من)[19] عداها بمكارم الأخلاق، المتحلية بصفات الكمال في جميع الآفاق، من زادها الله شرفا وجاها، ورفع

---

(10) اسمه قيس بن الملوح بن مزاحم، لقب بمجنون ليلى ، لأنه عشق ليلى بنت سعد التي نشأت معه، فأحبها حبا شديدا إلى حد الجنون. انظر الاصبهاني، الاغاني، ج 1 : 167 - 189 ، وج 2 : 2 - 18
ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، ج 3 : 208 ، البغدادي، خزانة الأدب، ج 4 : 229 - 233 .
أ . فراج ، مقدمة ديوان مجنون ليلى ص : 9 - 26
إ . البغدادي، هدية العارفين، ج 1 : 836 .
ر . بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ج 3 : 283 - 286
ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 1 : 199 - 203
خ . الزركلي، الأعلام، ج 5 : 208 - 209 .
ع. ر. كحالة، معجم المؤلفينو ج 8 . 135
J.A. HAY Wood. Ency . de l' islam . T. 5 . PP : 1098 - 1103 .

(11) البيتان لا يوجدان في ديوان مجنون ليلى، تحقيق عبد الستار أحمد فراج.

(12) د، ك : الهمداني، وهو تصحيف، والتصحيح من : ز، ح.
والحمداني، هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي الربعي (320 - 357 هـ / 932 - 968 م) : كان فارسا شجاعا وشاعرا مجيدا.
انظر : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 2 : 58 - 64 .
ابن كثير ، البداية والنهاية، ج 11 : 278 - 279 .
ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 2 : 92 - 96
ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 289 .
مقدمة ديوان أبي فراس الحمداني.
البستاني، أبو فراس الحمداني، سلسلة الروائع ع : 16 .
أبو حاقة، أبو فراس الحمداني، سلسلة أعلام الفكر العربي ع : 2 ط . الزركلي، الأعلام، ج 2 : 155 .

(13) في جميع النسخ : معللة، والتصحيح من ديوان أبي فراس ص : 157

(14) البيت يوجد في ديوان أبي فراس ، ص . 157

(15) ك : بما.

(16) من هنا يبدأ النقل من أبي القاسم الزياني، الأنيس النفيس المغني عن الجليس، مخ. م . ع . ت : 341 ص : 5

(17) ك : الحضرة.

(18) إلى هنا ينتهي النقل من الزياني، الأنيس النفيس ص : 5 بنفس اللفظ.

(19) ك : ما .

(*) • 2ب .

منصبها على سائر المناصب وأعلاها على أعلاها، و(أمدها) [20] بالنصر والعدل فزكت و"قد أفلح من زكاها"[21] واختار منها أقوم قوم ملؤا بالثناء على سيرتهم الحميدة - مسامعا وأفواها - وتمسكوا للديانة من أسباب تقواها، ونزهوا نفوسهم عن نقائص "كالليل إذا يغشاها"[22]، فظفروا بمناقب فاخرة فإذا هي لطالبها "كالنهار إذا جلاها"[23]، وخصوصا جوهرة عقدهم الثمينة، وشمس كواكبهم المنيرة - أمير المؤمنين، وخليفة رب العالمين - مولانا الحسن بن أمير المؤمنين، سيدي محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبدالرحمان بن هشام، أبقاه الله ملجأ لكل الأنام، قامعا لكل باغ وملحد بحد السهام، فهو الذي ورث مجد آبائه الكرام، وفاقهم كرما واجتهادا في إحياء معالم [الدين] [24] وجمع كلمة الإسلام.

فجاء ما أملته - بحمد الله - شرحاً فائقا، وبخواص الحضرة العالية لائقا، و(سميته) [25]

بالحلل البهية، في ملوك الدولة العلوية، وعد بعض مفاخرها (غير)[26] المتناهية.

ومن الله أستمد الإعانة على ما قصدته، والإلهام لما فيه رضاه فيما شخصته واكتسبته، وهو حسبي ونعم الوكيل، وبجميع الأحوال كفيل، لاإله غيره.

* وبعد، فأقول : لابد من ذكر مقدمة إمام المراد، ليكمل بها الاستعداد، وتشتمل على مقصدين :

الأول : في شرف علم التاريخ وفضيلته، وأول من أرخ ، ومعناه لغة وذكر بعض علماء التاريخ، إلى غير ذلك مما يتعلق به.

---

(20) في جميع النسخ : مد ، فعد لنا ها ليستقيم المعنى.

(21) هذه آية قرآنية : 9 من سورة الشمس.

(22) هذا تضمين للآية القرآنية : 4 من سورة الشمس.

(23) هذا تضمين للآية القرآنية : 3 من سورة الشمس.

(24) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(25) د، ز ، ح : وسمته. والأصح ما أثبتناه من ك.

(26) في جميع النسخ : الغير. واقتضى السياق النحوي والمعنوي تصحيحها .

(*) 30 أ.

[مقدمة /التاريخ والمؤرخون]

[المقصد الأول : علم التاريخ وذكر بعض من ألف فيه]

[شرف علم التاريخ]

وهو [1] من أجل (العلوم) [2] قدرا، وأجلاها في ظلمات الحيرة بدراً، يكسب صاحبه النباهة، حتى يفوق أمثاله وأشباهه، (فيجوز) [3] المراتب العلية، ويفوز بالمطالب السَّنِيَّةِ [4]، إذ به تستنير الفكر والألباب، و(تُعلَمُ) [5] حوادث الأزمنة والأحقاب، وبمرآته ينكشف مادونَه الأولون من العلوم والصنائع، ويظهر ما خفي من أحوال القرون السالفة، وأخبار الأمصار الجامعة، ومافيها من الآثار والمنافع. ولله در من قال : [الكامل]

لَـيْـسَ بِـإِنْـسَـانٍ وَلاَ عَـاقِـلٍ   مَنْ لاَ (يَعِي) [6] التَّارِيخَ فِي صَدْرِهِ
وَمَـنْ دَرَى أَخْـبَـارَ مَـنْ قَـبْـلَـهُ   أَضَـافَ أَعْـمَـاراً إِلَى عُـمْـرِهِ [7]

ولذا كان بعض الملوك يوصي ولده دائما بقوله : يابني لا تغفل عن قراءة الكتب، ولاسيما التواريخ القديمة، فإنك تطلع بها بكل سهولة على ما كسبه غيرك بكل تعب [8].

---

(1) أي علم التاريخ .
من هنا يبدأ النقل دون إشعار من المولف من عبدالهادي نجا المصري الأزهري، سعود المطالع لسعود المطالع، مخ.ع.ر. 1428 د آخر المجموع، ورقة : 261 ب .

(2) د، ك : العلماء والتصحيح من زوطرة ح ، وسعود المطالع، ورقة 261 ب .

(3) ز : فيحوز .

(4) السنية : الرفيعة.

(5) د، ك : تعم. والتصحيح من ز، ح . وسعود المطالع، ورقة 261 ب.

(6) د، ك : يفي. والتصحيح من ز، ح ، وسعود المطالع، ورقة 261 ب .

(7) البيتان دون نسبة ، وقد وردا في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 1 : 10 .

(8) إلى هنا ينتهي النقل - حرفيا - من سعود المطالع، ورقة 262 أ .

أصل التاريخ

وأصل مبناه قول الله تعالى : ﴿ياأهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون[9]﴾ فبين لليهود بطلان دعواهم - لعنهم الله - أن إبراهيم - عليه الصلاة والسلام - كان يهوديا ودعوى النصارى - أخزاهم الله - أنه كان نصرانيا فنفى عنه ذلك تعالى تكذيبا لهم وتبيينا للحجة عليهم. قال (العراقي)[10] في شرح أبي داود : وهذا من لطائف الاستدلال ونفائسها. وقال تعالى ﴿يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج﴾[11]. وقال تعالى : ﴿فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما﴾[12] وأخبار عاد، وثمود، وبرصيص، وبلعام بن باعوراء. وغير ذلك كقوله: ﴿واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح﴾[13].

وفي الشفاء[14] : كان ﷺ يتحدث مع جلسائه بحديث أولهم[15] . قال الخفاجي[16] : أي بما كان قبل الإسلام من حروبهم كيوم بعاث وغيرها.

فضيلته

ومن فضائله كشف[17] عورة الكاذبين وتمييز حال الصادقين ولا يخفى حكاية اليهود لما أظهروا كتابا، وزعموا أنه كتاب رسول الله ﷺ بإسقاط الجزية عن أهل خيبر[18]،

---

(9) سورة آل عمران ، الآية : 65 في الأصل وردت هذه الآية بزيادة كلمة "قل" على الشكل التالي : "قل ياأهل الكتاب.." . وقد حذفنا الكلمة الزائدة من المتن حفاظا على أمانة نص القرآن الكريم.

(10) د. ك : القرافي. والتصحيح من : ز وطرة ح . والعراقي هو: عبدالرحيم بن الحسن ، المعروف بالحافظ العراقي (725 - 806 هـ / 1325 / 1404 م) : أصله من الكرد ووفاته بمصر يعد من أبرز حفاظ الحديث.
انظر : السخاوي، الضوء اللامع ج 4 : 171-178 الحجوي ، الفكر السامي ، ج 2 : 347 - 348 خ ، الزركلي، الأعلام، ج 3 . 344 - 345 .

(11) سورة البقرة، الآية : 189 . في الأصل وردت هذه الآية بزيادة حرف "و" على الشكل التالي : "ويسألونك .." وقد حذفنا الحرف الزائد من المتن حفاظا على أمانة نص القرآن.

(12) سورة العنكبوت ، الآية : 14

(13) سورة الأعراف ، الآية : 69 .

(14) اسمه الكامل : الشفاء بتعريف حقوق المصطفى. طبع ببيروت دون تاريخ. ألفه القاضي عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي المتوفى سنة 544 هـ / 1149 م . انظر شجرة النور ص : 140 - 141 السعادة الأبدية ص : 32 - 36 تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 3 : 60 الاعلام لابن ابراهيم ج 9 : 319 - 397 . الدليل ج 1 : 66 ، 145 ، 179 ، 180 ، 186 ، 269 . التعريف بالقاضي عياض لأبي عبدالله محمد.

(15) ورد هذا النص في الشفا، ج 1 : 313 باللفظ التالي : "من تكلم عنده أي عند الرسول أنصتوا حتى يفرغ حديث أولهم".

(16) هو: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر، الحنفي، سمي بالخفاجي نسبة إلى قبيلته "خفاجة" . كان لغويا وأديبا مشاركا. ولد وتوفي بمصر (979 - 1069 / 1571 - 1659 م) . انظر ترجمته في : خلاصة الاثر للمحبي، ج 1 : 331 - 343 نشر المثاني للقادري ج 2 : 90 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 3 : 286 ، فهرس الفهارس للكتاني، ج 1 : 280 - 281 هدية العارفين، ج 1 : 160 - 161 الموسوعة المغربية ، ج 3 : 162 ، الاعلام للزركلي ، ج 1 : 238 معجم المؤلفين ج 2 - 138 .

(17) من هنا يبدأ النقل - دون إشعار من المؤلف - من سعود المطالع مخ . خ . ع . ر . 1428 د ، ورقة 262 أ .

(18) فيما يتعلق بغزوة خيبر ، التي تم النصر فيها للمسلمين على اليهود، انظر : ابن هشام ، السيرة النبوية، ج 3 : 1154 - 1165، 1171 - 1187 ، الطبري، تاريخ الامم والملوك، ج 1 : 91 - 96 ، ابن الاثير الكامل في التاريخ، ج 2 : 216 - 222 .

وفيه شهادة جماعة من الصحابة - رضي الله عنهم - منهم : سعد بن أبي وقاص [19]، ومعاوية بن أبي سفيان، فوقع الناس في حيرة عظيمة .

فعرض على الحافظ* أبي بكر الخطيب[20] فتأمله وقال : هذا مزور فقيل له : من أين ذلك؟ فقال : فيه شهادة معاوية، وهو أسلم عام الفتح [21]، وفتح خيبر كان سنة سبع [22]، وسعد [23] مات يوم بني قريظة قبل خيبر بسنتين، ففرج على الناس بذلك غما [24] انتهى[25] ولايجهل فضله ونفعه إلا ساقط الهمة، جامد القريحة.

أول مـن أرخ

وأول من أرخ [أولاد] [26] آدم - عليه السلام - كما رواه ابن عساكر [27] في تاريخه. قال : لما [أهبط آدم من الجنة وانتشر ولده، أرخ بنوه من هبوط آدم. فكان ذلك التاريخ . حتى][28] بعث الله نوحا فأرخوا (لمبعثه)[29] حتى كان الغرق فهلك من هلك. وخرج نوح وذريته ومن معه،

---

(19) كذا في جميع النسخ وكذلك في سعود المطالع، ورقة 262 أ . وهو خطأ والصحيح : سعد بن معاذ كما هو مثبت في المصادر التي سنذكرها - بعد قليل - عند الاحالة على هذا النص في الهامش رقم : 24، وسعد بن معاذ مات سنة 5. هـ / 626م وهو القصد في النص، أما سعد بن أبي وقاص فقد توفي سنة 55 هـ / 675 م.

(20) في جميع النسخ ورد هذا الاسم بزيادة كلمة : "ابن" على الشكل التالي : "... أبي بكر بن الخطيب" وهو تحريف. فحذفنا الكلمة الزائدة من المتن.
وأبو بكر الخطيب هو : أحمد بن علي بن ثابت، المشهور بالخطيب البغدادي (392 - 463 هـ / 1002 - 1071 م) : فقيه، محدث ومؤرخ. انظر : ابن الجوزي، المنتظم، ج 8: 265 -، 270 ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج 10 : 68، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج 1 : 92 - 93 الذهبي تذكرة الحفاظ، ج 3 : 1135 - ،1146 ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 5 : 87- 88 ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 7 : 190 - ،199 اليافعي مرآة الجنان، ج 3 : 87 - 88 ابن هداية الله. طبقات الشافعية ص :164- 166 ج . زيدان تاريخ آداب اللغة، ج 2 : ،375 ابن مخلوف، شجرة النور، ص : ،120 خ . الزركلي الأعلام، ج 1 : ،172 كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 : 3 .

(21) يقصد : عام فتح مكة، وكان ذلك سنة 8 هـ / 629 م . فيما يتعلق بأحداث فتح مكة، انظر : ابن هشام، السيرة النبوية، ج 4 : 1229 - 1271 . الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ج 3 : 110 - 125 ابن الأثير، الكامل في التاريخ ، ج : 2 : 239 - 255 .

(22) سنة 7 هجرية توافق سنة 628 ميلادية

(23) أي سعد بن معاذ الذي توفي سنة 5 هـ / 626 م في غزوة بني قريظة على إثر جرح أصابه في المعركة.
انظر : الطبري، تاريخ، ج 3 : 52 - 59 ، ابن الأثير، الكامل ، ج 2 : 185 - 187 .

(24) هذا النص ورد - باختلاف في اللفظ - عند : ابن الجوزي، المنتظم وفي تاريخ الأمم والملوك، ج 8 : 265، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 3 : 1141 ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 7 : 192 - 193 . السخاوي، الإعلان بالتوبيخ، ص : 10 - 11 ، الناصري، الاستقصا، ج 1 : 4.

(25) ورد في المتن حرف الهاء هكذا : "هـ" وهو اختصار لكلمة "انتهى" وقد أثبتنا هذه الأخيرة للتوضيح، كما سنثبتها - فيما بعد - في أماكنها دون التنبيه على ذلك.

(26) ما بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ. والتكملة من مخ. سعود المطالع، خ. ع . ر 1428 د ، ورقة 262 أ - الذي ينقل منه المؤلف - حتى يستقيم سياق معنى النص العام.

(27) هو : علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، الدمشقي، الشافعي المعروف بابن عساكر. مولده ووفاته بدمشق (499 - 571 هـ / 1105 - 1176م) : محدث ، حافظ ، فقيه ، رحالة، ومؤرخ مشهور . ترجم له : ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 3 : 309 - 311، الذهبي، تذكرة الحفاظ ، ج 4 : 1328 - 1334 ، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج 4 : 239 - 240 ، خ . الزركلي ، الأعلام، ج 4 : 273 - 274 ، شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج 2 : 240 - 243 ، ع. ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج 7 : 69 - 70 .

(28) مابين المعقوفين ساقط من ك .

(29) ز : بمبعثه.

(*) * 3 ب .

فكان التاريخ من الطوفان إلى زمن نار إبراهيم عليه الصلاة والسلام [30]. ثم اجتمع رأي كل ملة، فأرخ الروم واليونان بالإسكندر. والقبط بملك بختنصر، وبنو إسحاق من مبعث نبي إلى آخر، حتى آتى عام الفيل فجعلوه تاريخا.

وكانت للعرب في اليمن والحجاز تواريخ كثيرة يتعارفونها خلفا عن سلف فيما شجر بينهم من الوقائع والحروب كعام الفيل وغيره. فلما قدم ﷺ المدينة أمر بالتاريخ، كما قاله المحب الطبري[31]. وكانوا يؤرخون بالشهر والشهرين من مقدمه ﷺ [32].

فلما هاجر ﷺ ، اتخذت هجرته مبدأ التاريخ، وسُميت كل سنة أتت عليها باسم حادثة وقعت فيها.

وكان اسم السنة الأولى : سنة الإذن - أي بالرحيل إلى المدينة - والثانية : سنة الأمر، والثالثة : الابتلاء. وعلى هذا المنوال إلى خلافة عمر - رضي الله عنه - فسأله بعض الصحابة في ذلك، فقال : هذا يطول، وربما يقع في بعض السنين اختلاف وغلط، فقيل : إن للعجم حسابا تسميه ماء روز أي حساب الشهور والأيام. وقال له بعض مسلمي اليهود : لنا حساب مثله فنسنده إلى الإسكندر فقال رضي الله عنه : نحن العرب لا نسند حسابنا إلى الأكاسرة ولا إلى الإسكندر بل نسنده إلى مبدء السنة التي هاجر فيها نبينا ﷺ ، من غير تسمية السنين بما وقع فيها. فامتثلت الصحابة رأيه واستعملته في وجوه التصرفات.

ورُوي [33] أن أبا موسى الأشعري [34]، كتب إلى عمر رضي الله عنه : يأتينا من قبلك كتب ليس لها تاريخ فأرخ لنا. فاستشار عمر - رضي اله عنه - في ذلك فقال بعض : أرّخ بمبعث النبي ﷺ . وقال آخرون : بوفاته . * فقال رضي الله عنه : بل بهجرته، فإنها هي التي فرقت بين الحق والباطل [35]. وأنها وقت استعلاء كلمة الإسلام وتوالي الفتوح. فأرخ بها. فهو أول من أنشأه في الإسلام وذلك يوم الأربعاء العشرين من جمادى الأخيرة سنة سبع عشرة من الهجرة [36].

---

(30) هذا النص يوجد عند ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج 1 : 29 ، باختلاف في اللفظ.

(31) يقصد به : محمد بن جرير الطبري، المؤرخ المشهور.

(32) هذا النص ورد في كتاب تاريخ الأمم والملوك للطبري، ج 2 : 252 .

(33) في تاريخ الامم والملوك للطبري، ج 2 : 252 أن الراوي هو الشعبي.

(34) هو عبد الله بن قيس بن سليم، أبو موسى، من بني الأشعر (21 ق . هـ ر 44 هـ / 602 - 665 م) : صحابي، تولى عدة مهام في الدولة الإسلامية على عهد النبي ﷺ وعمر و عثمان.
أنظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 2 : 344 - 345 ، وج 4 : 105 - 116 ، ج 6 : 16 ، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 1 : 23 - 24 ، اليافعي، مرآة الجنان ، ج 1 : 120 - 121 ، ابن الجزري ، غاية النهاية، ج 1 : 442 - 443 ، ابن قنفذ، الوفيات ص : 61 ، ابن مخلوف ، شجرة النور الزكية ، ص : 88 ، م ، الزركلي الأعلام ج 4 : 114 .

(35) هذه الرواية وردت في تاريخ الأمم والملوك للطبري ، ج 2 : 252 ، باختلاف في اللفظ.

(36) يوم الأربعاء 20 جمادى الأخيرة سنة 17 هـ يوافق 8 يوليوز سنة 638 م.

(*) * 4 أ.

التاريخ لغة واصطلاحا

والتاريخ في اللغة مصدر بمعنى تعريف وقت الشيء، معرب من (ماء)[37] روز. ومعنى ماء الشهر، وروز اليوم. وعادة العجم تقديم المضاف إليه على المضاف، فعربوا ماء روز بمؤرخ وجعلوا مصدره التاريخ . واستعملوه في وجوه التصاريف ويقال لأهله : مؤرخون، مشتق من الأرخ وهو الفتى من البقر، ولخباريون جمع خبر وهو عام خاص بهذه الطائفة، نسب للجمع بمشابهته للعلم كأنصار وأنصاري. ولولا هذا رُدَّ في النسب لمفرده كسائر الجموع المنسوب إليها.

وفي المصباح [38] : التاريخ تعريف الوقت والتوريخ مثله. وأرخت الكتاب يوم كذا وورخته مثله [39]. وفرق الأصمعي[40] بين اللغتين فقال : بنوتميم يقولون : ورختُ الكتاب توريخا، وقيس تقول أرخت الكتاب تاريخا. [41].

وفي الاصطلاح تعريف الوقت بإسناده إلى أول حدوث أمر شاع كظهور ملة وكوقعة الطوفان [42]. انتهى.

بعض من ألف في التاريخ من العلماء

وقد ألف الناس كتبا في التاريخ والأخبار مما سلف وخلف وكل اجتهد بغاية إمكانه وأظهر مكنون جوهر فطنته [43] من عرب وبربر. وإني بعون الله رمت منهاج الصدق فيما أقول معتمدا على علمي فيما تحقق عندي بالمشاهدة أو أخبار الثقات، مقتصرا على ذلك من غير زيادة ولانقصان في مدح مولانا الامام [44] ، وما ثبت له من المكارم والمناقب العظام تشريفا لي بذكر أسلافه الكرام واقتداء بمن سبقني.

---

(37) في زوطرة ح : ماه .

(38) اسمه الكامل : المصباح المنير في غريب الشرح الكبير تأليف أحمد بن محمد بن علي الفيومي (توفي حوالي 770 هـ / 1368 م) ، طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة 1358 هـ / 1939 م .

(39) هذا النص يوجد في المصباح المنير للفيومي، ج 1 : 15 - 16 ، مادة (أرخت) باختلاف في اللفظ، كما يوجد النص باختلاف طفيف في الإعلان بالتوبيخ للسخاوي ص : 6 .

(40) هو عبد الملك بن قريب بن علي، أبو سعيد ، المعروف بالأصمعي. (122 - 216 هـ / 740 - 831 م) أديب، لغوي، إخباري ومحدث. له تصانيف كثيرة، ذكرها ابن النديم في الفهرست. ترجم له : ابن النديم، الفهرست، ص : 82 - 83 ، البغدادي، تاريخ بغداد، ج 10 : 410 - 420 ، ابن الأنباري، نزهة، ص : 90 - 101 النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج 2 : 273 - 274 . ابن الاثير اللباب في تهذيب الأنساب، ج 1 : 70 ، ابن خلكان ، وفيات الأعيان، ج 3 : 170 - 176 ، اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 : 64 - 77 ، ابن الجزري، غاية النهاية، ج 1 : 470 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 2 : 147 - 151 ، الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج 1 : 434 ، ش . مصطفى التاريخ العربي والمؤرخون، ج 1 : 199 - 200 ع . الزركلي، الأعلام ، ج 4 : 162 ، ع. ر. كحالة ، معجم المؤلفين ج 6 : 187 .

(41) هذا النص يوجد - بنفس اللفظ عند : السخاوي، الإعلان بالتوبيخ ص : 6 .

(42) إلى هنا ينتهي النقل - بتصرف - من كتاب سعود المطالع للأبياري . مخ. خ ع . ر . 1428 د ، ورقة 263 ب.

(43) هذه الجملة توجد في كتاب مروج الذهب للمسعودي، ج 1 : 12 بنفس اللفظ.

(44) يقصد السلطان المولى الحسن بن محمد بن عبدالرحمان العلوي.

والناظم في شأن التاريخ من العلماء الأعلام. فإن الداعي الرابع هو محبة [45] احتذاء الشاكلة التي قصدها العلماء، وقفاها الحكماء وأنْ يبقى للعالم ذكرا محمودا و [علما منظوما] [46] عتيدا، إذ الأخبار زائدة مع زيادة الأيام، حادثة مع حدوث الأزمان بأيام الكرام، وربما (غاب) [47] البارع منها على الفطن الذكي، ولكل واحد قسط يخصه بمقدار عنايته فيما يحكي. فمن ذلك أي مما لايحصى كثرة من المتقدمين كوهب بن منبه [48] ومحمد بن إسحاق [49] والواقدي [50]، وابن الكلبي [51]، وأبي عبيدة مَعْمَر بن المثنى [52].

---

(45) من هنا يبدأ النقل - بتصرف- من مروج الذهب للمسعودي ج 1 : 12 .

(46) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(47) في جميع النسخ : عاب، وهو تصحيف، والتصحيح من مروج الذهب ج 1 : 12 .

(48) وهب بن منبه الذماري الصنعاني، أبو عبدالله (34 - 114 هـ / 654 - 732 م) كان عالما بأساطير الأولين، وكثير الحفظ لأخبار الملوك وقصصهم وأشعارهم.
انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 5 : 543 ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 6 : 35 - 36 ، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 1 : 100 - 101 ، اليافعي، مرآة الجنان، ج 1 : 248 - 250 ، ابن كثير، البداية والنهاية، ج 9 : 276 - 302 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 11: 166 - 168 ، ابن قنفذ ، الوفيات، ص : 111 ، ك. بروكلمان ، تاريخ الادب العربي ، ج 1 : 251 - 252 ، الرافعي، تاريخ آداب العرب ج 1 : 397 إ . البغدادي، هدية العارفين، ج 2 : 511 ، أحمد أمين ضحى الإسلام، ج 2 : 323 ، خ . الزركلي، الأعلام ج 8 : 125 - ,126 شاكر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، ج 1 : 137 - 139 ، 154 - 155 وج 2 : 311 - 312 .

(49) هو محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي المتوفى حوالي سنة 151 هـ / 768 م . حافظ، محدث، إخباري ونسابة.
انظر م: ابن النديم، الفهرست، ص : 136 ، ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج 18 : 5 - 8 ، الذهبي ، تذكرة الحفاظ، ج 1 : 172 - ,174 الذهبي العبر ، ج 1 : 216 الصفدي، الوافي بالوفيات، ج2 : 188 - 189 ، اليافعي، مرآة الجنان، ج 1 : 313 - 314 العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 9 : 38 - 46 إ. البغدادي، هدية العارفين ، ج 2 : 7 ، ك. بروكلمان تاريخ الأدب العربي، ج 3: 10 - 12 ، ج . زيدان تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 175 خ. الزركلي الأعلام، ج 6 : ,28 ع . ر كحالة، معجم المؤلفين ، ج 9 : 44 . ش . مصطفى. التاريخ العربي ج 1 : 160 - 162 .

(50) هو محمد بن عمر بن واقد، أبو عبدالله (130 - 207 هـ / 747 - 822 م) محدث ، مفسر، واخباري.
انظر : ابن النديم ، الفهرست، ص : 144 - 145 الحموي، معجم الأدباء، ج 18 : 277 - 282 ، ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 4: 348 - 351 ، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 1 : 348 ، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 4 : 238 - 240 ، اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 : 36 - 38 ابن كثير البداية والنهاية ، ج 10 : 261 ، ابن قنفذ، الوفيات، ص : 159 ، ابن العماد، شذرات الذهب، ج 2 : 18 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 170 ، البغدادي ، هدية العارفين، ج 2 : 10 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 3: 15 - 19 ، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 2 : 333 - 337 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 6 : 311 ، ع . ر كحالة، معجم المؤلفين، ج 11 : 95 - 96 .

(51) يقصد به : هشام بن محمد بن السائب، المعروف بابن الكلبي، المتوفى بالكوفة سنة 204 هـ / 819 م . مؤرخ وعالم بالأنساب وقصص العرب.
انظر : ابن النديم، الفهرست ص : 140 - 143 ، ابن الأنباري، نزهة، ص : 75 - 76 ، اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 : 29 الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 1 : 343 العسقلاني، لسان الميزان، ج 6 : 196 - 197 ، ابن العماد الحنبلي ، شذرات الذهب ، ج 2 : 13 ك . بروكلمان تاريخ الأدب العربي، ج 3 : 30 - 33 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة. ج 2 : 172 ، إ. البغدادي، هدية العارفين، ج 2 : 508 - 509 ، أحمد أمين . ضحى الإسلام، ج 2 : 347 - 349 ، خ. الزركلي الأعلام، ج 8 : 87 - 88 ، ع . ر كحالة، معجم المؤلفين، ج 13 : 149 - 150 . المنوني، المصادر العربية ، ج 1 : 17 .

(52) هو أبو عبيدة مَعْمَر بن المثنى المتوفى سنة 209 هـ / 824 م . أديب، لغوي ، وإخباري.
انظر : النزهة لابن الأنباري، ص : 84 - 90 ، التذكرة للذهبي ج 1 : 371 - 372 ، المرآة لليافعي، ج 2 : 44 - 46 - 49 ، تاريخ الأدب لبروكلمان ، ج 2 : 142 - 145 تاريخ الآداب لجرجي زيدان ج 2 : ,144 الهدية للبغدادي، ج 2 : 466 - 467، التاريخ العربي لشاكر مصطفى، ج 1 : 142 ، 198 - 199 ، الاعلام للزركلي ج 7 : 272 .
H.R / GIBB, Encyclopédie de l'islam, T1 PP : 162 - 163 .

وأبي العباس الهمداني[53]، والهيثم بن عدي الطائي[54]، وحماد الراوية[55]، والأصمعي، وسهل بن هارون [56]، وعبدالله بن (المقفع)[57]، واليزيدي[58]، ومحمد * بن عبدالله العتبي[59]، والآمدي [60] وأبي زيد سعيد بن أوس الأنصاري [61] ،

---

(53) لعله يقصد به : عبد الله بن عياش الهمداني، المتوفى سنة 153 هـ أو 158 هـ / 770 م أو 775 م . كان رواية للأخبار.
انظر : مروج الذهب - فهارس عامة - ج 7 : 477 ، لسان الميزان للعسقلاني، ج 3 : 322 ، والشذرات لابن العماد الحنبلي ج 1 : 243 .

(54) هو أبو عبد الرحمان الهيثم بن عدي الطائي، البحتري ، الكوفي (130 - 207 هـ / 732 - 822 م). مؤرخ ، نسابة وعالم بالأدب.
انظر : الفهرست ص : 145 - 146 ، ابن خلكان، الوفيات، ج 6 : 106 - 114 ، اليافعي المرآة ج 2 : 32 - 34 ، ابن كثير البداية، ج 10 : 261، العسقلاني، اللسان، ج 6 : 209 - 211 ، بروكلمان ، تاريخ الأدب، ج 3 : 33 - 34 ، البغدادي، الهدية، ج 2 : 511 ، شارل بلا، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 747 ، أحمد أمين، ضحى الإسلام، ج 2 : 356 - 359 ، الزركلي، الأعلام، ج 8 : 104 - 105، ع . ر كحالة ، المعجم، ج 13 : 156 ، شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 142 ، 182 - 185 .

(55) هو أبو القاسم حماد بن سابور بن المبارك (95 - 155 هـ / 174 - 772 م) راوية مشهور، قوي الذاكرة. حفظ الكثير من أشعار العرب وأنسابها وأيامها. ترجم له : الأصبهاني، الأغاني، ج 5 : 164 - 175 ، ابن النديم، الفهرست : 134 - 135 ابن الأنباري، نزهة : 39 - 42 ، اليافعي، المرآة، ج 1 : 329 - 332 ، ابن خلكان، الوفيات، ج 2 : 206 - 210 ، ك بروكلمان ، تاريخ الأدب، ج 1 : 245 - 246 ، ة . زيدان تاريخ أداب اللغة ، ج 2 : 119 ، م . الرافعي تاريخ أداب العرب ، ج 1 : 379 - 380 ، شارل بلا ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 6 : 288 ، خ. الزركلي الأعلام، ج 2 : 271 ، ح . عطوان، الرواية التاريخية في بلاد الشام، ص : 40 - 42 .

(56) هو سهل بن هارون بن راهبون المتوفى سنة 215 هـ / 830 م كاتب بليغ، من واضعي القصص، تولى رياسة خزانة الحكمة ببغداد في عهد المأمون. انظر : ك. بروكلمان، تاريخ الأدب ، ج 3 : 34 - 35 ، 104 - 105 ، ج . زيدان، تاريخ أداب اللغة، ج 2 : 156 ، خ. الزركلي، الأعلام ج 3 : 143 - 144 .

(57) د، ك : المقنع . والتصحيح من ز وطرة ح .
وعبدالله بن المقفع (109 - 145 هـ / 727 - 762 م) : أديب، شاعر ومترجم لعدة كتب من اللغة الفارسية إلي اللغة العربية تولى كتابة الديوان للمنصور العباسي، واتهم بالزندقة فقتل بالبصرة.
انظر : ابن النديم، الفهرست، ص : 172، ابن كثير ، البداية، ج 10 : 96 العسقلاني، لسان الميزان، ج 3 : 366 - 367 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 3 : 92 - 101 ، ج . زيدان تاريخ أداب اللغة، ج 2 : 152 ، 204 م الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج 2 : 184 - 185 ، م . كرد علي، كنوز الأجداد، ص : 57 - 66 ، خ . الزركلي الأعلام، ج 4 : 140 ، ش . مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 142 ، ع . ر . كحالة ، معجم المؤلفين ج 6 : 156 .
F. GABRIEL, Encyclopédie de l'islam. T3 PP : 907 - 909 .

(58) يقصد به : يحي بن المبارك بن المغيرة العدوي، المعروف باليزيدي (138 - 202 هـ / 755 - 818 م) أديب لغوي.
انظر : ابن الانباري النزهة، ص : 69 - 73 ابن خلكان، الوفيات ج 6 : 183 - 191 ، ابن الجزري ، غاية النهاية، ج 2 : 375 - 377. اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 : 3 - 5 ، ابن العماد، شذرات الذهب ج 2 : 4 ، ك بروكلمان، تاريخ الادب، ج 2 : 168 - 169، إ . البغدادي الهدية، ج 2 : 512 - 513 ، خ . الزركلي ، الاعلام، ج 8 : 163 ، ع . ر . كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 13 : 220 - 221 .

(59) هو محمد بن عبدالله بن عمرو ، الأموي، المعروف بالعتبي المتوفي (سنة 228 هـ / 843 م) أخباري، أديب وشاعر.
انظر : المرزباني ، معجم الشعراء، ص : 356 - 357 ، ابن النديم الفهرست، ص : 176 ، البغدادي، تاريخ بغداد، ج 2 : 324 - 326 ، الصفدي الوافي بالوفيات، ج 4 : 3 . خ . الزركلي، الاعلام، ج 6 : 258 - 259 ، ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج 10: 278 - 279

(60) يقصد : الحسن بن بشر بن يحي الامدي، المتوفي سنة 370 هـ / 980 م راوية للأخبار وأديب.
انظر : ابن النديم ، الفهرست ، ص : 221 ، القفطي، إنباه الرواة ج 1 : 285 - 290 ، خ . الزركلي، الاعلام، ج 2 : 185 .

(61) هو سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري، أبو زيد (119 - 215 - 737 - 830) لغوي وأديب له ترجمة عند :ابن الأنباري، النزهة، ص 101 - 104 ، ي . الحموي، معجم الأدباء، ج 11 : 212 - 217 ، النووي تهذيب الأسماء واللغات، القسم الثاني من الجزء الأول ص: 224 - 227 ، اليافعي المرآة، ج 2 : 58 - 59 ابن كثير، البداية، ج 10 : 269 - 270 . ابن الجزري، غاية النهاية، ج 1 : 305 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 4 : 3 - 5 ابن العماد، شذرات الذهب ، ج 2 : 34 - 35 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب ج 2 : 145 - 147 ج زيدان تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 116 . خ . الزركلي، الأعلام ، ج 3 : 92 ، ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج 4 : 220.

(*) * 4 ب.

والنضر بن شميل[62]، وعبدالله بن عائشة[63] وأبي عبيد[الله][64] القاسم بن سلام[65]، وعلي بن محمد (المدائني)[66] ، وأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ[67] وأبي زيد (عمر بن شَبَّة)[68] النميري[69]، ومحمد بن الهيثم بن شبابة الخراساني[70] صاحب كتاب الدولة[71]، وإسحاق بن إبراهيم الموصلي[72] صاحب كتاب الأغاني وغيره من الكتب، والخليل بن الهيثم[73]

---

(62) هو النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني البصري (122 - 203 هـ / 740 - 819 م) : إخباري، وراوية الحديث وفقه اللغة. انظر : ابن النديم الفهرست ص : 77 ، ابن الانباري النزهة، ص : 73 - ,75 ابن خلكان، الوفيات، ج 5 : 397 - 405 ، الذهبي التذكرة، ج 1 : 314 - 315 ، اليافعي المرآة، ج 2 : 8 - 10 ، ابن الجزري، غاية النهاية ، ج 2 : 341 ، ك . بروكلمان ، تاريخ الأدب ج 2 : ,138 ج . زيدان ، تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 145 ، إ . البغدادي، الهدية، ج 2 : 494 - 495 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 8 : 33 .

(63) لعله يقصد : عبيد الله بن عائشة، أبو عبدالرحمان المتوفى حوالي 228 هـ / 842 م : محدث.
انظر : شارل بلا، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 490 ، 493 .

(64) ما بين المعقوفين ساقطة من ز.

(65) هو القاسم بن سلام، أبو عبيدالله (157- 224 هـ / 774- 838 م) محدث فقيه وأديب، ترجم له : ابن النديم، الفهرست ص : 106 - 107 البغدادي، تاريخ بغداد ج 12 : 403 ، ابن الأنباري ، النزهة، ص : 109 - ,114 الذهبي، التذكرة، ج 2 : 417 - 418 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 8 : 315 - 318 ، ابن العماد، الشذرات، ج 2 : 54 - 55 . ك . بروكلمان ، تاريخ الأدب، ج 2 : 155 - 159 ، ج زيدان، تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 117 ، م. كرد علي، كنوز الأجداد، ص : 67 - 70 ، خ . الزركلي ، الأعلام، ج 5 : 176 ، ع. ر . كحالة ، معجم المؤلفين، ج 8 : 101 - 102 ، شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 198 .

(66) في جميع النسخ : المداني . وهو تصحيف . والتصحيح من المسعودي مروج الذهب، ج 1 : 13 .
وهو علي بن محمد المدائني (حوالي 135- 225 هـ/ 752 - 840 م): بصري صار إلى المدائن ثم إلى بغداد وتوفي بها. إخباري وصاحب مؤلفات عديدة . انظر: شارل بلا فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 517 . وشاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 188 185 .

(67) هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، المعروف بالجاحظ، (163 - 255 هـ / 780 - 869 م) عالم ، أديب، جمع بين عدة فنون من المعرفة. انظر : ابن النديم، الفهرست (تكملة) ص : 3 ، البغدادي، تاريخ بغداد، ج 12 : 12 - 220 ، ابن الأنباري، النزهة، ص: 148 - 151 ، ي . الحموي، معجم الأدباء، ج 16 : 74 - 114 ، ابن الأثير اللباب في تهذيب الأنساب، ج 1 : 248 - 249 . ابن خلكان، الوفيات، ج 3 : 470 - 475 ، اليافعي ، المرآة ج 2 : 162 - 166 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 19 - 20 ، العسقلاني، لسان الميزان، ج 4 : 355 - 357 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 3 : 106 - 128 ، ج زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 193 - 205 ، محمد كرد علي، كنوز الأجداد، ص : 74 - 80 ، خ . الزركلي ، الأعلام ، ج 5 : 74 ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج 8 : 7 .

(68) في جميع النسخ : عبد بن شيبة . وهو تصحيف، والتصحيح من المسعودي، مروج الذهب، ج 1 : 13 .

(69) هو أبو زيد عمر بن شَبَّة النُّميري (173 - 262 هـ / 789 - 876 م) محدث شاعر، مقرئ ، فقيه وأخباري، انظر ترجمته عند : ي. الحموي، معجم الأدباء، ج 16 : 60 - 62 . النووي تهذيب الأسماء الجزء الثاني من القسم الأول ص : 16 - 17 ، ابن خلكان الوفيات، ج 3 : 440 ، السيوطي، بغية الوعاة، ج 1 : 218 - 219 ، ابن العماد، الشذرات، ج 2 : 146 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب، ج 3 : 24 - 25 ، ج. زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 227 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 5 : 47 - 48 شارل بلا، فهارس عامة لمروج الذهب ج 7 : 522 - 523 ، شاكر مصطفى ، التاريخ العربي، ج 1 : 189 .

(70) لم أقف على ترجمته، وقد ورد ذكره عند المسعودي، مروج الذهب ج 1 : 13 . كما ذكره شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 214 .

(71) يقصد : الدولة العباسية. وقد كان من بين المصادر التي اعتمدها المسعودي في كتابه مروج الذهب.

(72) هو إسحاق بن ابراهيم بن ميمون (أو بن ماهان) التميمي الموصلي (150 - 235 هـ / 767 - 849 م) نادم الخلفاء، وبرع في الغناء والموسيقى كما أنه كان عارفا بالتاريخ وعلم الكلام والأدب.
انظر : ابن النديم، الفهرست، ص : 201 - 202 البغدادي، تاريخ بغداد، ج 6 : 338 - 345 ، القفطي، إنباه الرواة، ج 1 : 215 - 219 . اليافعي، مرآة الجنان، ج 2 : 114 - 116 . ك . بروكلمان، تاريخ الأدب ، ج 3 : 64 - 65 ، خ . الزركلي ، الأعلام، ج 1 : 292 ، ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 : 227 .

(73) زاد المسعودي، مروج الذهب، ج 1 : 13 : الهرثمي. لم أقف على ترجمته.

صاحب كتاب الحيل والمكائد في الحروب وغيره، ومحمد بن يزيد المبرد الأزدي [74]، ومحمد بن سليمان الجوهري [75] ومحمد بن زكريا (الغلابي البصري)[76]. المصنف للكتاب المترجم بكتاب (الأجواد)[77] وغيره، وابن أبي (الدنيا)[78] مؤدب المكتفي بالله[79]، وأحمد ابن محمد الخزاعي المعروف بالخاقاني الأنطاكي[80]، وعبدالله [بن][81] محمد بن محفوظ الأنصاري[82]، ومحمد البرقي بن خالد [الرقي][83] الكاتب صاحب التبيان[84] وولده

---

(74) محمد بن يزيد بن عبدالأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس المشهور بالمبرد(210 - 286 هـ / 826 - 899 م) . أديب لغوي وأخباري. انظر : ابن النديم ، الفهرست، ص . 87 - 88 ، البغدادي، تاريخ بغداد، ج 3 : 380 - 387 ابن الأنباري، النزهة، ص : 164 - 173 ، ابن الجزري غاية النهاية، ج 2 : 280, ابن قنفذ، الوفيات، ص : 191 . ك . بروكلمان تاريخ الأدب، ج 2 : 155 - 159 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 216 إ . البغدادي، الهدية، ج 2 : 20 م . علي، كنوز ص : 101 - 106، خ . الزركلي، الأعلام، ج 7 : 144 . ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج 12 : 114 .

(75) هو محمد بن سليمان بن داود البصري المنقري الجوهري أبو جعفر أخباري ومحدث.
انظر : البغدادي، تاريخ بغداد، ج 9 : 387 ، العسقلاني، اللسان، ج 5 : 187 ، شارل بلا، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 647 .

(76) في جميع النسخ : العلائي المصري، وهو تصحيف، والتصحيح من المسعودي، مروج الذهب، ج 1 : 13 .
ومحمد بن زكريا الغلابي البصري، المتوفى سنة 298 هـ / 910 م ، كان أحد الرواة للسير والأحداث والمغازي.
انظر : فهرست، ص : 157 ، الهدية ، ج 2 : 23 ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 645 - 646 ، الأعلام للزركلي، ج 6 : 130 ، التاريخ العربي، ج 1 : 216 ، معجم المؤلفين ، ج 10 : 6 .

(77) في جميع النسخ : الأفراد ، وهو تصحيف ، والتصحيح من المسعودي مروج الذهب ج1 : 13 .

(78) في الأصل : الزيني وهو تصحيف، والتصحيح من المسعودي مروج الذهب ج 1 : 13 . وابن أبي الدنيا هو : عبدالله بن محمد بن أبي الدنيا القرشي، أبو بكر (208 - 281 هـ / 823 - 894 م) أدب عدة أولاد الخلفاء العباسيين منهم الخليفة المكتفي. انظر : الكتبي، فوات الوفيات، ج 2 : 228 - 229 ، ج . زيدان ، تاريخ آداب اللغة ج 2 : 199 - 200 شارل بلا ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 479 ، شاكر مصطفى، التاريخ العربي ج 1 : 225 - 226 .

(79) هو علي بن أحمد المعتضد بن الموفق بن المتوكل، أبو محمد (263 - 295 هـ / 876 - 908 م) : من خلفاء الدولة العباسية. ابتدأت ولايته بظهور المنافسات بين ذوي النفوذ، حيث أصبح السامانيون أصحاب النفوذ المطلق في فارس كما تفاقمت حركة القرامطة في بغداد والبصرة وما حولهما. انظر : الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 11 : 373 ، 403 - 404، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ، ج 7 : 516 ، 518 ، 527 ، 529 ، 530، 531 ، 532 ، 535 ، 536 ، وج 8 : 5 ، 8 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 94 - 96 ، 97 ، 99 ، 100 ، 101 ، 104 ، 105 ، ابن خميس، تاريخ الخميس، ج 2 : 345 ، محمد خضري بك ، تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ص : 326 - 334 .

(80) هو أحمد بن محمد الخزاعي الأنطاكي المعروف بالخاقاني (أو الخانقاني) المتوفى سنة 399 هـ / 1009 م: مورخ.
انظر : شاكر مصطفى التاريخ العربي، ج 2 : 274 - 275 ، ع . ر . كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 2 : 98 .

(81) مابين المعقوفين ساقطة من جميع النسخ والتكملة من المسعودي، مروج الذهب ج 1 : 13 .

(82) هو عبد الله بن محمد بن محفوظ البلوي الأنصاري، أبو محمد : مؤرخ مصري من أهل القرن الثالث وأوائل الرابع. انظر : شارل بلا ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 479 .

(83) مابين المعقوفين زيادة وردت في جميع النسخ، والمقصود هو محمد بن خالد بن عبدالرحمان البرقي المتوفى في حدود سنة 190 هـ / 806 م : أديب، فقيه، وأخباري، ترجم له : ابن النديم، الفهرست، ص : 309 ، إ. البغدادي، الهدية، ج 2 : 8 ، ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين ، ج 9 : 277 .

(84) هذا الكتاب لا ينسب إلى محمد بن خالد البرقي - كما هنا - وإنما ينسب إلى ولده أحمد الآتي ذكره في الهامش 85 كما عند المسعودي، مروج الذهب ج 1 : 13 وشاكر مصطفى ، التاريخ العربي ، ج 2 : 16 .

أحمد بن محمد بن خالد البرقي [85]، وأحمد بن أبي طاهر [86] صاحب الكتاب المعروف باخبار بغداد [87] وغيره، و(ابن) [88] الوشاء [89]، وعلي بن مجاهد [90] صاحب الكتاب المعروف بأخبار الأمويين [91] وغيره، ومحمد بن صالح [92] صاحب كتاب الدولة العباسية وغيره، ومحمد بن (الحارث) [93] صاحب الكتاب المعروف (بأخلاق) [94] الملوك المؤلف للفتح بن خاقان [95] وغيره، و(عبيد الله بن عبدالله بن خرداذبة) [96]، فإنه كان

---

(85) هو أحمد بن محمد بن خالد البرقي المتوفى في حدود 274 هـ / 887 م من أهل برقة (من قرى قم بايران) باحث امامي وهو صاحب كتاب التبيان. انظر : الصدفي، الوافي بالوفيات، ج 7 : 390 - 392 . الزركلي الاعلام، ج 1 . 205 شارل بلا ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 6 : 127 - 128 شاكر مضطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 220 - 221 ، و ج 2 : 16 .

(86) أحمد بن أبي طاهر (طيفور) الخراساني (204 - 280 هـ / 819 - 893 م) : مؤرخ ، راوية وشاعر. انظر : الفهرست ، ص : 209 - 210 ، البغدادي، تاريخ بغداد، ج 4 : 211 - 212 ، ك . بروكلمان تاريخ الادب ، ج 3 : 27 - 28 ج زيدان، تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 228 ، محمد كرد علي ، كنوز الاجداد، ص : 97 - 100 خ الزركلي، الاعلام، ج 1 : 141 ، شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 245 - 247 ، 322 ، 333 .

(87) ذكره ابن النديم في الفهرست ضمن مؤلفات أحمد بن أبي طاهر عند ذكر ترجمته.

(88) في جميع النسخ : أبي ، وهو تصحيف، والتصحيح من المسعودي، مروج الذهب، ج 1 : 13 .

(89) لعله يقصد : محمد بن أحمد بن إسحاق بن يحي، أبو الطيب المعروف بالوشاء أو ابن الوشاء، المتوفى سنة 325 هـ / 937 م : عالم بالادب ومصنف لكتب الاخبار. ترجم له ابن النديم الفهرست ص 126 البغدادي، تاريخ بغداد، ج 1 : 253 ، ابن الانباري، النزهة ص : 223 الحموي الفهرست ص 126، البغدادي، تاريخ المعجم، ج 17 : 132 - 134. الصفدي، الوافي، ج 2 : 32 - 33 ، ك . بروكامان، تاريخ الأدب، ج 237:2 - 238 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 201 خ . الزركلي، الاعلام ، ج 5 : 309. شارل بلا ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 6 : 99 ، ش مصطفى، التاريخ العربي، ج 2 : 80 ، ع . رضا. كحالة . المعجم، ج 8 : 231 ، وج 9 : 44 .

(90) هو علي ابن مجاهد بن علي من الرواة في القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي . انظر : الصفدي ، الوافي ، ج 1 : 51 ، شارل بلا فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 516 ، ش مصطفى ، التاريخ العربي ، ج 1 : 130 .

(91) ذكره الصفدي في الوافي ج 1 : 51 .

(92) هو محمد بن صالح بن النطاح، الهاشمي البصري، المتوفى سنة 252 هـ / 866 م. أخباري نسابة وراوية للسنن. انظر : الفهرست ، ص : 156 ، تاريخ بغداد، ج 5 : 357 - 358 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 9 : 227 ، الهدية، ج 2 : 15 ، خ. الزركلي، الاعلام، ج 6 : 12 ، ش مصطفى التاريخ العربي ج 1 : 210 - 211 ، ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج / 1 : 88

(93) في الاصل : الحرث والتصحيح من المسعودي، مروج الذهب، ج 1 : 13 ويقصد به : محمد بن الحارث التغلبي أو الثعلبي كان من خاصة الفتح بن خاقان. انظر : الهدية ، ج 2 : 15 ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 461 . التاريخ العربي. ج 1 : 210 ، 333 .

(94) في الاصل : بأخبار وهو تصحيف، والتصحيح من مروج الذهب ج 1 : 14 .

(95) الفتح بن خاقان القيسي الاشبيلي، المتوفى قتيلا بمراكش حوالي سنة 535 هـ / 1140 م : أديب. انظر : الكتبي، عيون التواريخ، ج 12 : 364 - 365 ، أ . أمين ظهر الاسلام، ج 3 : 283 - 284 ، ع . بن عبدالله، الموسوعة، ج 3 : 66. عنان ، فهارس الخزانة الملكية ، ج 1 : 392 - 393 .

(96) في جميع النسخ : عبدالله بن عبدالله بن حسن بن داريه وهو تصحيف، والتصحيح من المسعودي، مروج الذهب، ج 1 : 14 ويقصد به: عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبه . أبو القاسم (نحو 205 - 280 هـ / نحو 820 - 893 م) مؤرخ جغرافي من أهل بغداد. صاحب كتاب المسالك والممالك . ترجم له : العسقلاني، لسان الميزان، ج 4 : 96 - 97 ، ج . خليفة كشف الظنون، ج 2 : 1665 إ . البغدادي، الهدية، ج 1 : 645 ، خ . الزركلي الاعلام ج 4 : 190 ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 7 : 491 .
-M Hadj - SADOK . Encyclopédie de l'islam T3 P : 863 .

إماما في التأليف (متبرعا) [97] في ملاحة التصنيف، ومن ذلك كتاب أحمد ابن (يحي)[98] البلاذري[99] في البلدان وفتوحها صلحا وعنوة من هجرة النبي ﷺ - وما فتح في أيامه، وعلى يد الخلفاء بعده، وماكان من الأخبار في ذلك ووصف البلدان في الشرق والغرب والجنوب، ولا في فتوح البلدان أحسن منه على ما قيل. وكتاب التاريخ وأخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وما بانوا به عن غيرهم وما أحد ثوهُ من السير في أيامهم، تأليف أبي عبدالرحمان خالد بن هشام الأموي[100]، وتاريخ أبي جعفر محمد بن جرير الطبري الزاهي على المؤلفات والزائد على الكتب المصنفات وكذلك تاريخ أبي عبدالله إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي النحوي الملقب بنفطويه[101] إلى غير ذلك مما لا يــحصـــى كثرة[102] . ومن المتأخرين كابن الاثير[103] وابن خلدون والقاضي أبي العباس بن خلكان[104] ، والمقري[105] ،

---

(97) في جميع النسخ : مشنوعا وهو تصحيف. والتصحيح من مروج الذهب. ج 1 : 14 .

(98) في جميع النسخ : علي وهو تصحيف . والتصحيح من مروج الذهب ج 1 : 41 .

(99) هو أحمد بن يحي بن جابر بن داود البلاذري المتوفى سنة 279 هـ/ 892 . مؤرخ ، جغرافي ، نسابة وله شعر. ترجم له : ابن النديم . الفهرست، ص : 164 ي . الحموي، معجم الأدباء، ج 5 : 89 - 102 . الكتبي، فوات الوفيات، ج 1 : 155 ابن كثير، البداية ج 11 : 65 - 66 الصفدي، الوافي، ج 8 : 239 - 241 ابن حجر العسقلاني اللسان، ج 1 : 322 - 323 . ك . بروكلمان، تاريخ الادب العربي، ج 3 : 43 - 45 ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 223 ، خ . الزركلي الاعلام، ج 1 : 267 . شاكر مصطفى التاريخ العربي، ج 1 : 142 . 243 - 245 . الاعلام، ج 1 : 267 . شاكر مصطفى التاريخ العربي، ج 1 : 142 ، 243 - 245 .

(100) لم أقف على ترجمته. وقد وَرَدَ ذكره عند : الصفدي، الوافي ، ج 1 : 51 ، شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 131 ، 357 ، شارل بلا ، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 6 : 299 .

(101) هو إبراهيم بن محمد بن عرفة الواسطي، أبو عبدالله الملقب بنفطويه (244 - 323 هـ/ 858 - 935 م) من أحفاد المهلب بن أبي صفرة : أديب ، مؤرخ ومحدث.
انظر : الفهرست ص : 121 ، تاريخ بغداد، ج 6 : 159 - 162 ومعجم الأدباء، ج 1 : 254 - 272 . القفطي، إنباه الرواة ج 1 : 176 - 182 ، اليافعي، المرآة ، ج 2 : 287 . الصفدي الوافي، ج 6 : 130 - 133 . البداية ، ج 11 : 183 ، ابن الجزري غاية النهاية، ج 1 : 25 العسقلاني، اللسان، ج 1 : 109 - 110 ابن قنفذ ، الوفيات ص : 208 السيوطي، بغية الوعاة ج 1 : 428 — 430 . ابن العماد، الشذرات ج 2 : 298 - 299 . ك. بروكلمان تاريخ الادب، ج 2 : 220 . خ الزركلي الاعلام ، ج 1 : 61 فهارس عامة لمروج الذهب، ج 6 : 84 - 85 . ش مصطفى، التاريخ العربي، ج 2 : 79 - 80 ، ع . ر. كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 1 : 102 .

(102) إلى هنا ينتهي النقل - بتصرف - من المسعودي، مروج الذهب ج 1 : 15 .

(103) ابن الاثير علي بن محمد بن محمد، الموصلي (555 - 630 هـ/ 1160 - 1233 م) مؤرخ نسابة، وأديب.
انظر : ابن خلكان، الوفيات، ج 3 : 348 -350 ، الذهبي التذكرة ج 4 : 1399 - 1400 ، ابن كثير البداية. ج 13 : 139 ، ابن العماد شذرات الذهب، ج 5 : 137 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 91 ، الهدية، ج 1 : 706 ، خ . الزركلي، الاعلام، ج 4 : 331 - 332 ش. مصطفى التاريخ العربي، ج 2 : 111 - 116 ، ع . ر . كحالة، معجم المؤلفين، ج 7 : 228 .

(104) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، الشافعي (608 - 681 هـ/ 1211 - 1282 م) مؤرخ، أديب ، شاعر وفقيه.
انظر : الصفدي، الوافي، ج 7 : 308 - 316 الكتبي فوات الوفيات، ج 1 : 110 ، ابن كثير، البداية ، ج 13 : 301, ك .بروكلمان تاريخ الادب، ج 6 : 49 - 55, ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 158 م . كرد علي، كنوز الاجداد، ص : 338 - 342 أحمد بدوي، الحياة العقلية، ص : 278 - 280 ، خ . الزركلي، الاعلام ج 1 : 220 ، ع. ر كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 : 59 .
J.W.FUCK Encyclopédiede l'islam T3 PP : 856 - 857 .

(105) هو أحمد بن محمد بن أحمد الاشعري، التلمساني، (992 - 1041 هـ/ 1584 - 1631 م) . مؤرخ وأديب مشهور.
انظر : عبدالحي الكتاني فهرس الفهارس، ج 2 : 13 - 15 ، البغدادي الهدية : ج 1 : 157 ابن إبراهيم، الاعلام، ج 2 :308 - 314 ، ج. زيدان تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 301 بن سودة. دليل مؤرخ المغرب الاقصى، ج 1 : 215, 179, 104, 49 ، 231 ، 242 ، ابن عبدالله، الموسوعة، ج 3 : 129 - 131 ، النويهض، معجم اعلام الجزائر ، ص : 42 - 44 ، عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 27 - 28 - 207 ، 344 - 346 ، حجي الحركة الفكرية، ج 2 : 367 ، خ . الزركلي الاعلام ج 1 : 237 كحالة معجم المؤلفين، ج 2 : 78, المنوني، المصادر العربية، ج 1 : 145 -148، 151 ، 155 .

ولسان الدين بن الخطيب، والوزير(أبي) [106] يحي بن عاصم [107] صاحب جنة الرضى في التسليم لما قدر الله وقضى [108] وصاحب بغية الوراد في أخبار بني عبدالوراد [109]، وهو أبو زكريا يحي بن خلدون [110]، (أخو) [111] أبي عبدالرحمان بن خلدون المؤرخ الكبير صاحب كتاب العبر وديوان المبتدإ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر * ومن (والاهم) [112] من ذوي السلطان الاكبر، وصاحب الجمان في أخبار بني زيان [113] ، وصاحب (روضة) [114] النسرين في أخبار بني مرين [115] ، وصاحب دوحة الناشر في أخبار ملوك القرن

---

(106) د، ك : أبو . والتصحيح من ز ، ح .

(107) هو محمد بن محمد بن محمد بن عاصم القيسي الاندلسي الغرناطي أبو يحي المتوفى بعد سنة 857 هـ / 1453 م : كاتب ، أديب، وفقيه كان ينعت بابن الخطيب الثاني لاتساع معارفه وبلاغته، ترجم له : المقري، أزهار الرياض، ج 1 : 50 - 60 ، 145 - 186 ، ونفح الطيب، ج 6 : 146 - 162 . البغدادي، الهدية، ج 2 : 199 - 200 . ابن عبدالله، الموسوعة، ج 1 : 91 وج 2 : 38 - 39 الزركلي ، الاعلام ، ج 7 : 48 ، فروخ، تاريخ الادب العربي ج 6 : 641 - 648 ، كحالة معجم المؤلفين ، ج 11 : 293 .

(108) لم أجد هذا الكتاب ، ويظهر انه في حكم المفقود. والي المقري يعود الفضل في الاحتفاظ بنصوص من هذا الكتاب، في كتابيه نفح الطيب، ج 6 : 146 - 162 وأزهار الرياض، ج 1 : 50 - 60 ، 145 - 186 ومضمون بعض هذه النصوص تحريض المسلمين على الجهاد لانقاذ بلاد الاندلس حين استيلاء الاسبان عليها.

(109) كذا في جميع النسخ . وهو تحريف والصواب : بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد. والكتاب يؤرخ لدولة بني عبدالواد ملوك المغرب الاوسط وبه إفادات تاريخية تهم تاريخ المغرب الاقصى من دولة الأدارسة إلى عصر المؤلف. نشر الكتاب بالجزائر بمطبعة فونطانا في جزئين : الاول عام 1321 هـ/ 1903 م بتحقيق المستشرق الفريد بل والثاني عام : 1328 هـ/1910 م .

(110) هو يحي بن محمد بن محمد بن خلدون أبو زكريا (733 - 780 هـ / 1332 - 1378 م) : كاتب ومؤرخ.
انظر : ابن مخلوف شجرة النور ، ص : 228 إ . البغدادي ، الهدية ج 2 : 527 ، ابن سودة، دليل مؤرخ المغرب الاقصى، ج 1: 103 . ابن عبدالله ، الموسوعة، ج 1 : 92 . فروخ ، تاريخ الادب العربي، ج 6 : 540 - 546 خ . الزركلي، الاعلام، ج 8 : 116 ، المنوني، المصادر العربية، ج 1 : 101 - 102

A. Bel, Ency . de l' islam . T3 PP : 855 - 856 .

(111) ز : أ ح .

(112) كذا في جميع النسخ والصواب : عاصرهم .

(113) لم أقف على كتاب يحمل هذا الاسم. ولعل المؤلف قصد به كتاب الجمان في أخبار الزمان، لمؤلفه الحاج الشطيبي محمد ابن علي من قبيلة بني زروال والمتوفى سنة 963 هـ / 1555 م.
وكتاب الجمان في اخبار الزمان لا يزال مخطوطا توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط - قسم الوثائق - تحت رقم: 579 د. وهو مرتب على ثلاثة فصول كبرى تعرض المؤلف في الفصل الثالث من الكتاب إلى تعاقب دول المغرب من الادارسة إلى الموحدين .

(114) د، ك : روض . والتصحيح من ز . ح .

(115) كذا في الاصل والصواب : روضة النسرين في دولة بني مرين وصاحبه هو اسماعيل بن يوسف بن محمد بن نصر الخزرجي الانصاري النصري، المعروف بابن الاحمر المتوفى بفاس سنة 807 هـ / 1404 م مؤرخ، أديب ونسابة. ترجم له: ابن القاضي، جذوة الاقتباس،ص : 116 - 167 (القسم الأول)، الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 : 100 - 101 بن سودة الدليل، ج 1 : 40 - 153 ، 258 ، 273 ، 274 ، وج 2 : 310، بن عبدالله الموسوعة، ج 1 : 38 ، محمد رضوان الداية، مقدمة نثير فرائد الجمان، فروخ ، تاريخ الادب العربي ، ج 6 : 615 - 621 الزركلي الاعلام، ج 1 : 329 - 330 ، كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 2 : 301 .
وكتاب روضة النسرين في دولة بني مرين، جعله المؤلف في تاريخ دولة بني مرين كما هو واضح من خلال العنوان. وقد نشر للمرة الثانية بالمطبعة الملكية بالرباط سنة 1382 هـ / 1962 م بتحقيق وتقديم عبدالوهاب ابن منصور.

(*) * 5 أ.

العاشر [116]، وبدائع السلك في طبائع الملك للمغيلي [117] ونزهة الحادي في أخبار ملوك القرن الحادي [118] ، للافراني [119] ونشر المثاني في أخبار القرن الحادي والثاني [120]، والبستان الظريف [121] ، والأنيس النفيس المغني عن الجليس [122] الكل [123] للمؤرخ النسابة

---

(116) كذا في جميع النسخ. والصواب : دوحة الناشر، لمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر . والكتاب طبع على الحجر بفاس ثم نشر في طبعة عصرية عن دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر بالرباط سنة 1396 هـ / 1976 م ، بتحقيق محمد حجي، وأعيد نشره في طبعة ثانية مصورة بالاوفسيط سنة 1397 هـ / 1977 م .

ومؤلف دوحة الناشر هو : محمد بن علي بن عمر بن الحسين بن مصباح الحسني، المغربي، المعروف بابن عسكر (936 - 986 هـ / 1530 - 1578 م) مؤرخ . وعمل قاضيا ومفتيا.

انظر : الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 : 311 ، البغدادي، الهدية، ج 2 : 113 ، 225 ، ل . بروفنصال، مؤرخو الشرفاء، ص : 160 - 165 ، ابن إبراهيم، الاعلام، ج 5 : 154 - 156 ، ابن سودة الدليل، ج 1 : 97 ، 259 ، 277 ، كريم الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2: 420 ، عنان، فهرس الخزانة الملكية، ج 1 : 171، خ . الزركلي ، الاعلام، ج 6 : 292 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 11 : 31 .

G. Deverdun, Ency . de l' islam, T3 PP : 743 - 744 .

(117) كتاب بدائع السلك في طبائع الملك، من تأليف ابن الازرق محمد بن علي، المتوفى سنة 896 هـ / 1490 م . وليس من تأليف المغيلي كما هنا في المتن.

والكتاب المذكور نشر بدار الحرية للطباعة ببغداد سنة 1397 هـ / 1977 م . بتحقيق وتعليق علي سامي النشار.

(118) اسم الكتاب هو : نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، وقد نشر لأول مرة بباريس سنة 1306 هـ / 1888 م بعناية المستشرق الفرنسي هو داس . ولهذه الطبعة مصورة تمت بعناية مكتبة الطالب بالرباط، وفي فاس طبعت بالمطبعة الحجرية دون تاريخ. انظر : المنوني، المصادر العربية ، ج 1 : 160 .

(119) هو محمد الصغير بن محمد بن عبدالله، الافراني الاصل، المراكشي الموطن (حوالي 1080 - 1151 هـ / حوالي 1665 - 1742 م): مؤرخ أديب، انظر : ابن مخلوف، شجرة النور، ص : 335 المراكشي، السعادة الابدية، ص : 62 - 65 إ . المراكشي، الاعلام ج 6: 50 - 58 ، ل . بروفنصال، مؤرخو الشرفا، ص : 89 - 100 المختار السوسي، إيليغ قديما وحديثا، ص : 5 كنون، النبوغ المغربي، ج 1 : 288 ج 2 : 296 - 306 . الاخضر، الحياة الادبية، ص : 229 - 236 ، خ . الزركلي، الاعلام، ج 6 : 174 ، عنان ، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 207 ، 334 - 335 ، 359 - 360 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 10 : 92 ، حركات، التيارات السياسية ص : 197 ، المنوني، المصادر العربية، ج 1 : 159 - 160 ، 164 - 165 ، 170 .

G. Deverdun, Ency . de l'islam, T3 P : 1073 .

(120) كذا في جميع النسخ. واسمه. نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني. وهو كتاب موضوعه ترجمة أعلام بداية القرن الحادي عشر الهجري حتى أواخر القرن الثاني عشر الهجري.

وقد طبع على الحجر بفاس عام 1310 هـ / 1892 م . ثم نشر في طبعة عصرية في أربعة أجزاء عن دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. بتحقيق الاستاذين : محمد حجي وأحمد التوفيق. وقد صدر الجزء الاول عام 1397 هـ / 1977 م.

وهو من تأليف محمد بن الطيب القادري (1124 - 1187 / 1712 - 1773) وليس من تأليف أبي القاسم الزياني كما هنا في المتن.

(121) إسمه الكامل : البستان الظريف في دولة اولاد مولاي علي الشريف. والكتاب وضعه أبو القاسم الزياني في تاريخ الدولة العلوية حيث أرخ لها من نشأتها حتى عام 1233 هـ / 1817 م . ولازال الكتاب مخطوطا توجد نسخا منه بالخزانة الحسنية والخزانة العامة بالرباط. ومن نسخه : خ . ع . ر . 1577 د . ي. خ. ع. ر. 303 ك و خ . ح . ر . 242 . انظر : المنوني ، المصادر العربية ، ج 2 : 12 .

(122) هذا الكتاب دون فيه أبو القاسم الزياني بعض الاخبار عن السلطان المولى سليمان الذي عاصره والكتاب يغلب عليه كثرة الاستطرادات. وقد نقل منه المشرفي بعض الفقرات التي سأحيل عليها في مواضعها.

والكتاب مازال مخطوطا توجد منه نسخة فريدة بخزانة تطوان تحت رقم 341 . تتألف من 266 صفحة من الحجم الصغير

(123) بل الكتابان الاخيران. أما كتاب نشر المثاني فهو من تأليف محمد بن الطيب القادري كما أشرت إلي ذلك في الهامش رقم : 120 .

[أبي الـ]قاسم[124] الزياني[125] في هذه الدولة الفخيمة، والجيش العرمرم[126] - أيضا - للفقيه الكنسوس[127] وذخيرة الأواخر والأول، فيما يتضمن من أخبار الدول[128] لأبي محمد العربي بن علي المشرفي[129]، وهذه المنظومة العديمة النظير في هذه الدولة الشريفة أيضا. ويأتي [بيان ذكر][130] (منشئها)[131] قريبا إن شاء الله.

---

(124) ما بين المعقوفين ساقطة من د، ك والتكملة من ز.

(125) الزياني هو : أبو القاسم بن أحمد بن علي بن ابراهيم الزياني (1147 - 1249 / 1734 - 1833) : مؤرخ نسابة وأديب.
انظر : الازهري اليواقيت الثمينة ص : 104 ، مردم بك، اعيان القرن الثالث عشر، ص : 203 . الكتاني ، فهرس الفهارس، ج 1 : 230 - 231 ، 349 . ل .بروفنصال، مؤرخو الشرفاء ص : 102 - 136 ، بن سودة، الدليل، ج 1 : 85 ، 89 ، 117 ، 133 ، 141 ، 153 - 154 ، 165 ، 171 ، 260 وج 2 : 338 ، 350 ، 375، 376 ، 382 ، 391 ، 403 ، 427 ، 430 ، 439 ، 443 ، 447 ، 459 ، كنون ، النبوغ المغربي، ج 1 : 297 وذكريات مشاهير رجال المغرب ج3رقم الترجمة 2 ، عبدالكريم الفيلالي مقدمة الترجمانة الكبرى ص : 29 - 45، بن عبدالله، الموسوعة، ج 3 : 52 - 54 ، عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 76 ، 83 ، 97 ، 105 ، 106 ، 131 ، 133 ، 368 .
بن منصور اعلام المغرب العربي، ج 2 : 157 – 162 .
الاخضر ، الحياة الادبية، ص : 398 – 408 ، خ . الزركلي، الاعلام ، ج 5 : 172 – 173
حركات، التيارات السياسية، ص : 23 ، 69 – 70 ، 183 ، 188 ، 189 ، 195 ، 199 – 205 ، 217 – 218 .
المنوني، المصادر العربية، ج 2 : 11 – 13 ، 15 ، 17 ، 25 ، 34 ، 35 ، 38 ، 46 ، 53 ، 57 ، 58 ، 68 ، 69 ، 70 ، 79 .

(126) اسمه الكامل : الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي. وهو كتاب ألفه اكنسوس باقتراح من السلطان محمد بن عبدالرحمان. تناول فيه تاريخ الدولة العلوية من قيامها حتى عام 1282 هـ / 1867 م ويعتبر عصر العاهلين : أبو زيد عبد الرحمان بن هشام ومحمد ابن عبدالرحمان أهم اقسام الكتاب. وقد نشر الجيش العرمرم بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1336 هـ / 1917 م . في جزءين من الحجم المتوسط.

(127) هو محمد بن أحمد الكنسوس (أو أكنسوس) السوسي، المراكشي المتوفى سنة 1293 هـ / 1877 م . مؤرخ أديب، لغوي وفلكي. انظر : علي السملالي، مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن، مخ .خ. ح . ر . 81 ص : 8 - 9 مردم بك. أعيان القرن الثالث عشر، ص 234 - 239 غريط فواصل الجمان ص : 7 - 40 ، البغدادي، الهدية، ج 2 : 380 - 381 ابن مخلوف، شجرة النور، ص : 404 ، كنون ، النبوغ المغربي، ج 1 : 317 ، وج 2 : 313 - 316 وج 3 : 237 - 240 كنون ، ذكريات مشاهير رجال المغرب، ل. بروفنصال، مؤرخو الشرفا، ص : 136 - 145 ابن ابراهيم الاعلام ج 7 : 8 - 17 ، بن سودة ، الدليل، ج 1 : 38 ، 145 ، 146 ، 207 ، 260 ، وج 2 : 379 ، 392 ، 427 - 428 ، 454 ، 472 ، الاخضر ، الحياة الأدبية ص : 431 - 444 ، عنان، فهارس الخزانة الملكية ، ج 1 : 138 - 139 ، كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 8 : 310 ، حركات التيارات السياسية ص : 82 ، 85 ، 86 ، 88 ، 98 ، 198 ، 199 ، المنوني المصادر العربية ج 2 : 93 ، 95 ، 109 ، 132 ، 133 ، 136 ، 155 .
A. Laroui, les origines sociales et culturelles du nationalisme marocaine . P : 222 , 223 .
E. levi Provençal , Ency. de l'islam T1 p : 325

(128) هذا الكتاب وضعه مؤلفه في ستة أبواب الأربعة الاولى منها أوجزت تاريخ العرب قبل الاسلام، والباب الخامس تناول تاريخ المشرق والمغرب، ووردت به تفاصيل هامة عن تاريخ الجزائر في عهد الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي. أما الباب السادس فتطرق إلى تاريخ الدولة العلوية إلى أيام السلطان الحسن الأول. توجد نسخة مخطوطة من الكتاب بالخزانة العامة بالرباط تحمل رقم 2659 ك.

(129) هو أبو محمد العربي بن علي المشرفي المتوفى سنة 1313 هـ / 1895 م أديب ، مؤرخ، نسابة وله نظم ، تلمساني الاصل، هاجر إلى فاس وتوفي بها.
انظر : العربي المشرفي ، مشموم عرار النجد والغيطان، مخ. خ . ح. ر رقم 12082 ص : 2 ، علي السملالي، مطالع الحسن واتباع السنن بطلوع راية مولانا الحسن ، مخ. خ. ح . ر . رقم 81 ص : 9- 10 ابن سودة، الدليل ، ج 1 : 121 ، 150 ، 229 وج 2 : 353 ، 392 ، 400 ، 439 ، 431، ابن ابراهيم، الاعلام، ج 9 : 27 - 28 خ . الزركلي، الاعلام ج 4 : 224 ، عنان ، فهارس الخزانة الملكية ، ج 1 : 232، 321 ، 332 - 333 ، المنوني، المصادر العربية، ج 2 : 91 ، 101 - 102 ، 103 - 104 ، 122 ، 124 ، 130 ، 138 ، 161 ، 162 ، 163 ، 166 ، كحالة، معجم المؤلفين ، ج 6 : 277 .

(130) مابين المعقوفتين زيادة من زوطرة ح ، وهي ساقطة من د، ك .

(131) د، ك : بناشئها، والتصحيح من زوطرة ح .

تتمة

اعلم أن الله سبحانه اعتبر هذا العالم من خلقه، وكرم بني آدم باستخلافهم في أرضه، وبثهم في نواحيها تماما لحكمته[132] وتحقيقا لموقع اسمه الغفور وفائدته، لأن هذا الإسم من صفاته تعالى وهي قديمة، فلو لم يخلق بني آدم أو لم يقترفوا ذنبا لم تقع المغفرة، ولم يوجد موضوعها، انظر السلوانية وشروحها.

إنكار مالك الانتساب فوق عدنان

وإن النسب والتاريخ ضعفا في هذا الزمان واندرسا، فلا يكاد يتفق (فيهما)[133] إثنان حتى يقع اختلاف كثير في الأمة الواحدة (لاختلاط)[133] الأنساب واختلاف المذاهب وتباين الدعاوي، فلذا أنكر[134] مالك[135] معرفة الرجل نفسه إلى آدم[136] وقال من أين يعلم ذلك؟ فقيل له : وإلى إسماعيل. فقال : من يخبره به؟ وعلى هذا درج بعض علماء السلف. وكان بعضهم إذا (تلا)[137] ، قوله تعالى : ﴿**والذين من بعدهم لايعلمهم إلا الله**﴾[138] قال "كذب النسابون"[139] وما في حديث " كذب النسابون" فوق عدنان، وبما ثبت "أنه[140]

---

(132) هذا الكلام يوجد عند ابن خلدون، العبر، ج 2 : 2 باختلاف يسير في اللفظ.

(133) في جميع النسخ : فيه، واستدعى المقام تصحيحها. في ك : لاختلاف.

(134) من هنا يبدأ النقل - بتصرف - من ابن خلدون، العبر ، ج 2 : 3 .

(135) انظر ترجمته عند : ابن النديم ، الفهرست، ص : 280 - 281 ، الذهبي، تذكرة الحفاظ، ج 1 : 207 - 213 ، اليافعي، المرآة، ج 1 : 373 - 377 ، ابن الجزري، غاية النهاية، ج 2 : 35 - 36 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 162 . إ. البغدادي الهدية ، ج 2 : 1 أ. أمين، ضحى الاسلام، ج 2 : 206 - 218 .

(136) كثيرا ماكان الرجوع بالانساب إلى آدم من عمل الاسرائليات لذا فإن أغلب الاسماء التي ترد في كتب التاريخ القديمة التي تؤرخ لهذه المرحلة الغابرة من الزمن هي أسماء عبرانية يقول ابن خلدون : "هذه الاسماء انما أخذها العرب من أهل التوراة" والتوراة وقعت العناية فيها بنسب موسى وإسرائيل وشعوب الاسباط ونسب ما بينهم وبين آدم. انظر : ابن خلدون، العبر ، ج 2 : 5 ، 6 .

(137) د. ك . ح : تلي . والتصحيح من ز .

(138) سورة ابراهيم ، الآية 9 .

(139) هذا حديث شريف، اخرجه ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1 : 56 عن ابن عباس، وابن الكلبي، جمهرة النسب ص : 65 عن ابن عباس، وابن عبدالبر، الانباه على قبائل الرواة ص : 49 عن ابن عباس وقال بأن إسناده ليس بالقوي، وابن كثير، البداية، ج 2 : 194 عن ابن عباس وقال : والاصح عن ابن مسعود، والسهيلي، الروض الانف، ج 1 : 8 عن ابن عباس وقال : والاصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود، وابن خلدون، العبر ج 2 : 3 عن ابن عباس.
لعل القصد بهذا الحديث تكذيب النسابين الذين يرجعون بأنسابهم إلى أدم ، أو يدعون إرجاع نسب الرجل أو القبيلة إلى أدم بذكر أسماء عمود النسب فردا فردا وذلك تجنبا من الوقوع في الخطإ.
أما الرجوع بالانساب إلى حد معقول يضمن السلامة والوضوح والكشف عن الحقيقة، فقد كان مقبولا بل إن صاحبه كان ينال الدرجة الرفيعة بين قومه.

(140) أي علم النسب.

"علم لا ينفع وجهالة لا تضر".[141] وذهب كثير كابن إسحاق والطبري، والبخاري[142]، إلى جواز الرفع في الانتساب ولم يكرهوه.

وكان أبو بكر أنسب قريش وسائر العرب كما يأتي، وكذا ابن عباس وجبير بن مطعم[143]، وعقيل بن أبي طالب[144] رضي الله عنهم، ومن الجاهلية دعبل[145]، و(أكثم)[146] بن صيفي[147] وغيرهما.

---

(141) هذا حديث شريف، أخرجه : ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص : 3 ابن عبد البر ، الانباه، ص : 43 ، وابن خلدون، العبر ج 2 : 4 كلهم بدون سند.

وقد رد ابن حزم على من قال بهذا الحديث ، وبين بطلانه بقوله : وقد أقدم قوم فنسبوا هذا القول إلى رسول الله ﷺ قال علي: وهذا باطل ببرهانين : أحدهما : أنه لايصح من جهة النقل أصلا... والثاني : أن البرهان قد قام بما ذكرناه آنفا على أن علم النسب علم ينفع وجهل يضر في الدنيا والآخرة... وقد أمر رسول الله ﷺ حسان بن ثابت - رضي الله عنه - أن يأخذ ما يحتاج اليه من علم نسب قريش عن أبي بكر الصديق ... ".

انظر : ابن حزم ، جمهرة أنساب العرب، ص : 4 ، 5 .

(142) هو : محمد بن إسماعيل بن المغيرة البخاري، الجعفي (194 - 256 هـ / 810 - 870 م) : عالم، محدث ، فقيه، حافظ، ومؤرخ. انظر : الفهرست ص : 321 - 322 ، تهذيب الاسماء واللغات، القسم الاول ص : 67 - 76 وفيات الاعيان، ج 4 : 188 191 ، تذكرة الحفاظ، ج 2 : 555 - 557 ، البداية، ج 11 : 24 - 28 ، تهذيب التهذيب ج 9 : 47 - 55 ، الوفيات لابن قنفذ ص : 180 تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2 : 245 ، تاريخ الادب العربي لبروكلمان، ج 3 : 163 - 179 ، ضحى الاسلام لاحمد أمين ج 2 : 110 - 119 ، معجم المؤلفين ج 9 : 52 - 53 التاريخ العربي والمؤرخون، ج 1 : 236 - 239 .

J.Robson : Encyclopédie de l'islam . T1 PP : 1336 - 1337 .

(143) هو جُبير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبدمناف القرشي، أبو عدي، المتوفى سنة 59 هـ / 679 م صحابي جليل، راوية للحديث ونسابة انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 5 : 490 وج 8 : 58 ، 59 ، اليافعي، المرآة ، ج 1 : 127 ، 130 ابن كثير ، البداية ، ج 8 : 46 - 47 .

(144) هو : عقيل بن عبدمناف بن عبدالمطلب الهاشمي القرشي، المتوفى سنة 60 هـ / 680 م . صحابي فصيح اللسان، عالم بالانساب وأيام العرب وأخبارها.

انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 4 : 42 - 44 ، ابن كثير البداية، ج 8 : 47 - 48 ، خ ، الزركلي ، الاعلام ، ج 4 : 242 .

(145) لم أقف على ترجمته، ولا أدري ما إذا كان يقصد به : دعبل بن كعب ابن أبي حارثة الذي ذكره شارل بلا وقال بأن دعبل هذا رجل من الازد نزل نجران عند هجرة الازد من مأرب وقال بأنه لم يعثر له على خبر.انظر : شارل بلا، فهارس عامة لمروج الذهب، ج 6 : 319 .

(146) في جميع النسخ : أكتم. وهو تصحيف.

(147) هو : أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث التميمي، المتوفى عام 9 هـ / 630 م . حكيم عربي مشهور.

انظر : خ . الزركلي، الاعلام، ج 2 : 6 .

نسابة التابعين

ومن التابعين : السعيدان ، والرقاشي [148]، وغيرهم ، وابن الكلبي [149].

وتدعو الحاجة إليه [150] للتعصيب في الوراثة والقود في الدماء والنكاح والعاقلة [151]، والعلم بنسب النبي ﷺ فإنه من فروض الإيمان. وفي الحديث : "كل نسب وسبب ينقطع يوم القيامة، إلا نسبي وسببي" [152] رواه عمر - رضي الله عنه - وكذا الخلافة عند من يشترط النسب فيها.

أما حديث : "كذب النسابون" - المتقدم ذكره - فقد * أنكر السهيلي [153] روايته من طريق ابن عباس مرفوعا، وقال : الأصح أنه موقوف على ابن مسعود [154]، وخرج أيضا السهيلي عن أم سلمة [155] أن النبي ﷺ قال : "عدنان بن أدد بن زيد بن البرا الخ" [156].

---

(148) يقصد به : عمرو بن ضبيعة، المعروف بالرقاشي، المتوفى في حدود سنة 83 هـ / 702 م : شاعر وعالم بالنسب. انظر : الذهبي، التذكرة، ج 2 : 461 - 462 ، خ . الزركلي، الاعلام ج 5 : 79 .

(149) لعله يقصد : السائب بن بشر الكلبي الكوفي، الذي قتل مع مصعب بن الزبير سنة 72 هـ / 691 م والذي كان عالما بالنسب والاخبار.

(150) أي إلى علم النسب.

(151) العاقلة : العصبة ، وهم القرابة من جهة الاب.

(152) الحديث أخرجه : الحاكم النيسابوري، المستدرك على الصحيحين، ج 3 : 142 ، الذهبي ، التلخيص (بذيل المستدرك) ج 3 : 142 ، وابن الجوزي، الموضوعات، ج 1 : 282 عن ابن عباس. وكلهم باختلاف يسير في اللفظ.

(153) هو : عبدالرحمان بن عبدالله بن أحمد الخثعمي، المعروف بالسهيلي، نسبة إلى سهيل، وهي قرية بالقرب من مالقة بالاندلس(508 - 581 هـ / 1114 - 1185 م) . محدث، حافظ، عالم باللغة والادب والسير. ترجم له :
ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، ج 1 : 448 ، الذهبي، التذكرة، ج 4 : 1348 - 1350 ، ابن كثير ، البداية ج 12 : 318 - 319 ابن قنفذ، الوفيات، ص : 292 ، ابن الجزري، غاية النهاية، ج 1 : 371 ابن العماد الشذرات، ج 4 : 271 - 272 ابن إبراهيم، الاعلام، ج 8 : 60 - 80 ، ابن عبدالله، الموسوعة، ج 2 : 79 ، خ . الزركلي، الاعلام ، ج 3 : 313 ، كحالة، كمعجم المؤلفين، ج 5 : 147.

(154) النص يوجد عند السهيلي في كتابه : الروض الانف، ج 1 : 8 وفي لفظه اختلاف يسير أما ترجمة ابن مسعود فهو : عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي المتوفى سنة 32 هـ / 653 صحابي جليل، وراوية للحديث.
انظر : ابن سعد الطبقات الكبرى، ج 2 : 342 - 344 ، وج 6 : 13 - 14 ، الذهبي، التذكرة، ج 1 : 13 - 16 ، اليافعي، المرآة ج 1 : 87 - 88 ، ابن كثير ، البداية، ج 7 : 162 - 163 ، ابن الجزري، غاية النهاية، ج 1 : 458 - 459 ، ابن مخلوف، الشجرة ، ص : 82 - 83 ك . بروكلمان، تاريخ الادب العربي ج 3 : 154 - 155 ، خ . الزركلي ، الاعلام، ج 4 : 137 .

(155) هي : هند بنت سهيل، بن المغيرة، القرشية المخزومية (28 ق . هـ - 62 / 596 - 681 م) : زوجة النبي ﷺ وكانت من أفضل النساء عقلا وخلقا روت عن النبي 378 حديثا.
انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1 : 491 ، ج 2 : 304 ، 369 ، 375 ، وج 4 : ،341 اليافعي، المرآة، ج 1 : 137 ابن كثير، البداية، ج 8 : 214 - 215 ، ابن قنفذ، الوفيات، ص : 36 خ . الزركلي، الاعلام، ج 8 : 97 - 98 .

(156) كذا في جميع النسخ : وقد ورد هذا الحديث عند السهيلي في كتابه، الروض الانف، ج 1 : 8 ، الذي اعتمده المؤلف باللفظ الآتي : "... عن أم سلمة عن النبي ﷺ أنه قال : معد بن عدنان بن أدد بن زند بالذون بن اليرى بن أعراق الثرى". كما ورد عند: ابن سعد الطبقات الكبرى ج 1 : 56 وابن عبدالبر في القصد والامم، ص 16 ، ثم في كتابه الانباه على قبائل الرواه ص : 47 ، وابن كثير في البداية ج 2 : 193 ، وابن خلدون 2 : 4 وكلهم اوردوه باختلاف يسير في اللفظ.

(*) * 5 ب .

فالنسب معرفته مطلوبة، ألا ترى إلى قوله تعالى : "ومن ذريته داود وسليمان" [157]، وقوله تعالى : "إن الله اصطفى آدم ونوحا" [158] إلى قوله : "ذرية بعضها من بعض" [159] وقال أيضا : "ومريم ابنة عمران" [160]. إلى غير ذلك.

وأما حديث : علم [161] "لاينفع وجهالة لا تضر" [162] فقد ضعفه الجرجاني [163] وابن حزم [164] وابن عبدالبر [165].

وقد قال ﷺ : " تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم" [166] ، والنسب معدود من علم التاريخ [167]. فلا ينكر هذا هنا.

وحينئذ فقد تعين التعريف بالناظم مع ما يتعلق بالقصيدة من علم العروض والقوافي، وهو المقصد الثاني من المقدمة .

---

(157) سورة الانعام، الآية : 84 .

(158) سورة آل عمران، الآية : 33 .

(159) سورة آل عمران، الآية : 34 .

(160) سورة التحريم، الآية : 12 .

(161) أي علم النسب

(162) انظر تخريج هذا الحديث في الهامش - المتقدم - رقم : 141 ص: 167

(163) لعله يقصد به : عبدالقاهر بن عبد الرحمان الجرجاني، أبو بكر أديب، نحوي، لغوي، مؤسس علم البيان توفي سنة 471 هـ / 1078م انظر: زيدان، تاريخ آداب اللغة ، ج 3: 44, الزركلي ، الاعلام ج 4 : 48 - 49.

(164) هو :علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (384- 456 هـ / 994 - 1064) فقيه، أديب، حافظ، متكلم، لغوي، فيلسوف، مؤرخ وعالم بالأنساب انظر الضبي، بغية الملتمس، ج 1 : 415 - 418 ، الحموي، معجم الادباء ، ج 12 : 235 - 257 ، ابن خلكان، الوفيات ج 3 : 325 - 330 ابن سعيد، المغرب، ج 1 : 354 - 357 ، اليافعي، المرآة، ج 3 : 79 - 81 ابن كثير، البداية ، ج 12: 91 - 92 ، العسقلاني، اللسان، ج 4: 198- 202 ، ابن العماد، الشذرات ج 3 : 299- 300 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 96 ، أ. أمين ظهر الاسلام، ج 3 : 53 - 63 ، 212 - 215 ، كرد علي ، كنوز الاجداد، ص : 245 - 250 ، خليفة ، ابن حزم الاندلسي، أبو زهرة ابن حزم، سعيد الافغاني، ابن حزم الاندلسي، زكريا ابراهيم، ابن حزم الاندلسي (سلسلة أعلام العرب) العدد : 56 ، الصعيدي، المجددون في الاسلام،ص : 190 - 194 ، ابن عبد الله الموسوعة، ج 1: 74 - 76 ، خ . الزركلي، الاعلام ج 4: 254 - 255 ، المنوني، المصادر العربية، ج 1 : 23 .

R. ARNAL DEZ, Ency. De l'islam, T3 pp : 814 - 822.

(165) يقصد : يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد الله النمري القرطبي المالكي (368 - 463 هـ / 978 - 1071 م) : حافظ للحديث، أديب ، لغوي مؤرخ ونسابة.
انظر الضبي، بغية الملتمس، ج 1: 489 - 491 ، الحميدي، جدوة المقتبس ،ص : 367 - 369 ، ابن خلكان، الوفيات، ج 7 : 66- 72 ، ابن قنفذ الوفيات،ص : 249 - 250 ، ابن العماد، الشذرات، ج 3 : 314 - 316 ، ابن مخلوف ، الشجرة، ص :119 ، إ . البغدادي، الهدية، ج 2 : 550 ، ج . زيدان ، تاريخ، آداب اللغة، ج 3 : 66 ، ك . بروكلمان ، تاريخ الادب العربي، ج 6 : 260 - 264 ابن عبد الله ، الموسوعة، ج 2 : 41 - 42 ، خ . الزركلي الاعلام ، ج 8 : 240 ، كحالة، معجم المؤلفين ، ج 13 : 315 .

(166) الحديث اخرجه بنفس اللفظ ورواية عن أبي هريرة : الترمذي السنن، ج 3 : 237 ، ابن عبدالبر ، الانباه، ص : 42 - 43 ابن حزم، جمهرة ، ص : 3 . كما اخرجه : النيسابوري، المستدرك ج 1 : 89 باختلاف يسير في اللفظ، والذهبي، التلخيص (بهامش المستدرك) ج 1: 89 رواية ابن عباس وباختلاف يسير في اللفظ، وابن عبد ربه، العقد الفريد، ج :3: 312 بدون سند وباختلاف يسير في اللفظ، وابن خلدون، العبر، ج 2 : 4 بدون سند. لكن بنفس اللفظ. وإلى هنا ينتهي النقل - بتصرف - من ابن خلدون،العبر ج 2 : 4 .

(167) إن علم النسب لعب ويلعب دورا أساسيا في معرفة مرحلة معينة من مراحل التاريخ، في جوانبها السياسية،الاقتصادية الاجتماعية، والفكرية. فهو يخدم علم التاريخ مادة وكذلك منهجا وقد كانت المعلومات عن الأنساب في صدر الإسلام ترد في الشعر، خاصة شعر النقائض، وفي الروايات الأسرية والقبلية. وفي سجلات دواوين الجند .
وفي العصر الحاضر فتوجد مدونة في كتب التراجم والمناقب التي تهتم بحياة أشخاص لهم مميزاتهم. كالنسب الشريف والعلم والجهاد ... الخ . مثل الشخصيات الصوفية في المغرب التي نالت اهتماما بالغا من طرف مترجمي ومؤرخي العصر الحديث والمعاصر.

[المقصد الثاني : التعريف بالناظم وقصيدته]

[التعريف بناظم القصيدة : الغالي بن المكي بن سليمان]

أما ناظم هذه القصيدة، فهو الكاتب الأديب، الحاذق اللبيب ، اللوذعي الحسيب، حلو الشمائل الأريب، ثابت الجنان، ومعدن البراعة والبلاغة والعرفان، أبو المعالي، الفقيه السيد الغالي بن الفقيه العدل المحتسب السيد المكي بن الفقيه العدل الفرضي، السيد أحمد بن سليمان، الفاسي الدار والمنشأ، الأندلسي الغرناطي الأصل، المالكي المذهب، الأشعري الاعتقاد، المشارك في عدة فنون. لاجَرَمَ أنه من سلالة ذوي العلم والأدب والجاه والوجاهة والحسب. بيوتهم من عدوة القرويين بفاس الغراء شهيرة، ومفاخرهم الحجة على من رام عدها عسيرة. هو من أحفاد الولي الصالح العالم العلامة السيد الحاج أحمد بن سليمان الأندلسي.

ترجم له صاحب نشر المثاني بما نصه : ومنهم العالم العلامة الفقيه المحدث المدرس، أبو العباس أحمد بن العربي بن الحاج سليمان [الأندلسي][(1)] ثم الفاسي، اشتهر بابن سليمان أحد علماء فاس، وأكثر من تدريس الحديث بها، ودرس تفسير القرآن العظيم. أخذ عن العلامة سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي[(2)] وولده سيدي الطيب[(3)] وسيدي أبي عبد الله سيدي محمد القسنطيني. وسيدنا الجد درس بالمسجد الذي كان (إماما فيه)[(4)] بالرصيف[(5)]، وانتفع به كثير من عامة من هو في مجاورته توفي - رحمه الله - عام إحدى وأربعين ومائة وألف[(6)] ، ودفن بدار سكناه بوصية منه وذلك بجزء ابن عامر من عدوة فاس القرويين رحمه الله[(7)]. انتهى. وهذه القبيلة[(8)] هي من جملة القبائل الخارجة من * الأندلس للمغرب. وكان آخر من خرج منهم عام سبعة عشر بعد الألف[(9)] ، خرج البعض لفاس والبعض لتلمسان والجل لتونس، وذلك لأن العدو الكافر نقض الشروط الواقعة بينه وبين المسلمين سنة أربع وتسعمائة [(10)].

---

(1) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

(2) هو : محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف، الفاسي، المالكي . أبو عبد الله مولده ووفاته بفاس (1042 - 1116 هـ / 1632 - 1704 م) : أديب، مفسر، محدث ومشارك في عدة علوم.
انظر القادري، نشر المثاني، ج : 3 : 151 ، م . الكتاني، سلوة الأنفاس ج 1 : 316 – 318 ، ابن مخلوف، الشجرة ص 329 . أ . البغدادي، الهدية ، ج 2 : ,309 ابن سودة ، الدليل، ج 1 : 80 ، 112 ، خ . الزركلي الأعلام ج 6 : ,212 كحالة . معجم المؤلفين، ج 10: 182 ، المنوني المصادر العربية ، ج 1: 199 .

(3) لعله يقصد : محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر، الفاسي، أبو عبد الله (1064 هـ 1113 هـ/ 1654 - 1701 م) : أديب ومؤرخ. انظر : م. الكتاني ، سلوة الأنفاس ، ج 1 : 318 - 319 ، ع. الكتاني فهرس الفهارس ، ج 1: 128 - 130 ، ل. بروفنصال ، مؤرخو الشرفاء ، ص : 200 - 201 ، كحالة معجم المؤلفين ، ج 5 : 46 .

(4) د : فيه إماما . وكتب فوق الكلمتين حرفان : خ . ق ومعناهما : تأخير وتقديم.

(5) الرصيف : اسم حي قديم بفاس.

(6) عام 1141 هـ يوافق عام 1728 م

(7) انظر : القادري، نشر المثاني ، ج 3 : 314 . وقد نقله المؤلف بتصرف.

(8) لم يشر المؤلف إلى اسم القبيلة ، وهو يقصد القبيلة التي ينتمي إليها الناظم (الغالي بن المكي بن سليمان).

(9) عام 1017 هـ يوافق 1608 م

(10) سنة 904هـ توافق 1499م

(*) 6 أ.

بتقديم المثناة حسبما ذلك في أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر[11].

بكاء الخفاجي الأندلس

وقد بكى شهاب الدين الخفاجي الأندلس بقوله في رحلته[12]: هنالك تسكب العبرات، لتطفئ نيران الحسرات، فهذه الأندلس دار الإسلام ملكها الكفار وبدلوا نورها بالظلام، وجوامعها صارت كنائس، وأسودها للكلاب الكفرة فرائس، وجامع قرطبة الكبير مملوّ بالكتب (مردود)[13] الباب، ومأوى الحشرات ومرقد الكلاب، وأسطول الروم ينفق عليها الأموال فتخرج رؤساؤهم بعدد الحرب والرجال، ويأخذون الجزية من فقراء المسلمين فإذا عادوا عدوا أنفسهم غزاة غالبين.

ولولا أهل المغرب والجزائر لم يكن للدين معين ولاناصر، وقد سلط الله عليهم بني الأصفر فصار عيشهم أسود بالموت الأحمر[14]. انتهى، ولاحول ولا قوة إلا بالله.

ولا أدري هل كان خروج أسلاف الناظم من الأندلس إلى هذه الحضرة الإدريسية مع هذه الألوف المذكورة الواردة عليها في التاريخ المذكور أو كان ورودهم عليها قبل ذلك لأن ذلك كان من السابعة[15] إلى التاريخ المذكور[16].

---

(11) هذا الكتاب لمؤلف مجهول شهد وقائع سقوط الأندلس، وقد كتبه في جمادى الآخرة سنة 947 هـ / 1540 م.
والكتاب منشور. ففي سنة 1280/ 1863 نشره المستشرق الألماني م. ي موللر في ميونيخ. ثم طبع مرة أخرى في مطبعة المنار بمصر سنة 1343 هـ / 1925م ضمن مجموع. ثم أعادت نشره مؤسسة الجنيرال فرانكو بمدينة العرائش سنة 1940 م باسم: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر. والكتاب يصف حوادث سقوط غرناطة وما صاحبها من هجرة الأندلسيين إلى جهات مختلفة من دول المغرب العربي بأسلوب مؤثر.
وعن الشروط الواقعة بين الإسبان والمسلمين الأندلسيين يقول مؤلفه: «ومن جملة الشروط التي شرط أهل غرناطة على ملك الروم: يؤمنهم في أنفسهم ونسائهم وصبيانهم ومواشيهم ورباعهم وجناتهم ومحارثهم وجميع ما بأيديهم، ولا يغرمون إلا الزكاة والعشر لمن أراد الإقامة ببلدة غرناطة، ومن أراد الخروج منها يبيع أصله بما يرضاه من الثمن لمن يريده من النصارى والمسلمين من غير غبن، ومن أراد الجواز لبلاد العدوة بالغرب يبيع أصله ويحمل أمتعته ويحمله في مراكبه إلى أي أرض أراد من بلاد المسلمين من غير كراء ولا شيء يلزمه لمدة من ثلاث سنين، ومن أراد الإقامة من المسلمين بغرناطة فله الأمان على نحو ما ذكر. وكتب لهم بذلك كتابا وأخذوا عليه عهودا ومواثيق في دينه مغلظة على أن يوفي لهم بجميع ما شرطوه عليه».
وعن نقض هذه الشروط يقول نفس المؤلف: «فلما رأى ملك الروم أن الناس قد تركوا الجواز وعزموا على الاستيطان والمقام في الوطن أخذ في نقض الشروط التي شرطوا عليه أول مرة ولم يزل ينقضها فصلا فصلا إلى أن نقض جميعها وزالت حرمة المسلمين وأدركهم الهوان والذلة».
انظر: أخبار العصر في انقضاء دولة بني نصر، ص: 401، 402، 404.

(12) يقصد كتابه المسمى: ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا، وهو كتاب يضم تراجم لمجموعة من الأدباء العرب وبعض أشعارهم وقد نشر في المطبعة العثمانية بالقاهرة عام 1306 هـ / 1888 م.

(13) ن: من دود

(14) انظر: الخفاجي، ريحانة الألبا، ص: 181 وفيه اختلاف يسير في اللفظ.

(15) أي القرن السابع الهجري الذي يوافق القرن الثالث عشر الميلادي.

(16) أي سنة 1017هـ / 1608 م.

[رجوع المؤلف للتعريف بالناظم]

ولنرجع إلى تمام الكلام على الناظم، فهو من الحذاق الماهرين والكتاب القاهرين، تشهد بتقدمه في المواطن دبيب الأقلام، وتفصح بفصاحته ألسنة العرب، وتؤمه [17] في الإقدام، وإن سامك ريب فها نبذة من (إنشائه) [18] نوردها عليك لتسلم إن كنت منصفا هذا الكلام.

تآليف الناظم

فمن ذلك تأليفه المترجم ببدائع الاقتباس، في مناقب سيدي أبي العباس [19] نفعنا الله ببركاته. ونص خطبته فيه : «حمدا لمن جعل عوارف المسميات في معارف أسمائه وعلمها علما لدنيا لخاصة أوليائه، فاجتنابهم لبساط الحضرة [20] وخصهم فيه بالطواف والعمرة ، فسلك الحبيب طريق الترقي والشهود كما سلك المحبوب طريق التدلي بتحديد العهود، وكل على قدر نيته، "وإنما لكل امرئ ما نوى" [21] . وفي تجليات رحمانيته ، «الرحمان على العرش استوى» [22] فتمسكوا بالولاية واختصوا بالعناية، وشمروا للخدمة بالحضرة، وأثرها في المريد بالنظرة، فبدت بسببها أفعال النفع بمقتضيات الرفع حتى اضمحل الخلاف بظهور *الائتلاف فما من مريد إلا وقد تمايل في حلقة التربية، ورقص بالحال رافعا صوته بالتلبية، والورد بالقبول يقابله، والمقامات بالتجليات تعامله حتى يقطع المهامه [23] والسباسب، ويرى عيانا ما حكم به الوصف المناسب فيحصل

---

(17) في جميع النسخ : تامه . واقتضى السياق تصويبها، ومعناها تتخذه إماما.

(18) ز : كلامه.

(19) لم أعثر على هذا الكتاب. كما أنني لم أعثر على تآليف الغالي بن المكي بن سليمان، التي سوف يذكرها المؤلف بعد قليل. والأرجوزة المذكورة تقع - حسب ابن سودة - في نحو الخمسة كراريس من القالب الرباعي . انظر ابن سودة، الدليل، ج 1: 183. أما سيدي أبي العباس فهو : أحمد بن جعفر الخزرجي السبتي (524 - 601 هـ / 1127 - 1204 م) : شيخ صوفي ولد في سبتة وانتقل إلى مراكش حيث كثر مريدوه وعلت شهرته .
انظر : ابن الزيات، التشوف إلى رجال التصوف، ص : 451 - 477 المقري، نفح الطيب ، ج 7 : 266 - 279 ، م . الكتاني ، سلوة الأنفاس ج 1 : 16 ، و ج 3 : 56 - 57 ، ابن مخلوف، الشجرة، ص : 184 ، المراكشي، السعادة الأبدية، ص : 115 - 119 ، ابن إبراهيم، الإعلام، ج 1 : 239 - 383 ، كنون ، النبوغ المغربي، ج 1 : 150 - 151 ، حركات ، المغرب عبر التاريخ، ج 1 : 311 - 312 ، ابن منصور ، أعلام المغرب العربي ج 2 : 55 - 58 ، خ . الزركلي،الأعلام، ج 1 : 107 ، ابن عبد الله ، الموسوعة ، ج 3 : 94 - 95 .
G. Devrerdun, Marrakech des origines à 1912. T 1 .PP: 272 - 274 .

(20) الحضرة : العاصمة

(21) حديث شريف . يوجد في فتح الباري ج 1 : 135 عن عمر .

(22) هذه آية قرآنية : 5 من سورة طه .

(23) المهامه : مجمع مهمه ، وهو البلد المقفر والمفازة البعيدة انظر : الخفاجي، نسيم الرياض، ج 1 : 34 .

(*) * 6 ب.

على المراد ويتسمى إما بالمريد أو بالمراد، فحينئذ يتولاه الله لنفسه، وينظم في سلك أولياء جنسه، فيتصرف في الديوان بالإذن العام، ويتجلى في رسمه بخاصة الإنعام، فتظهر الكرامات على يده، وتتخذ الوسائل مطية لبلوغ مقصده، وتقصده البعداء وتسعد به السعداء حتى ينتشر صيته في الآفاق على مقتضى ما عنده من الإنفاق. ولما كان الأسد الضرغام [24]، والفرد الواحد في مادتي التفكيك والإدغام، الجامع للمعارف الربانية والفتوحات الصمدانية. القطب الفرد في ديوانه، الحائز قصب السبق في ميدانه، مولانا أبو العباس السبتي البحر الزاخر، بإجماع الأوائل والأواخر، خاصا بقضاء الحوائج، ومصححا أقيستها بصدق النتائج، حتى قصده القريب والبعيد،والشقي والسعيد، وذو الحاجات وصاحب المناصبات، جمعت بعض كراماته الجواهر اللوامع في هذا الهيكل الجامع تبركا بها لفظا وكتابة، وتكفيرا للذنوب بالتوبة والإنابة. ولما رسمته في الخزانة وجعلته بها دفانه (كذا) سميته: بدائع الاقتباس في مناقب سيدي أبي العباس، رضي الله عنه ونفع به وجعلنا من ذويه وحزبه إنه الكفيل بذلك والمنعم بما هنالك إلى آخر [25]ما اشتمل عليه من الفوائد النفيسة والفرائد التي كانت قبله في جانب هذا الأسد مهملة بخيسة».

ومن تآليفه أيضا: التحف العرائشية على الصلاة المشيشية، شرح فيه [26] صلاة مولانا عبد السلام بن مشيش [27] على النبي ﷺ التي مبدؤها: اللهم صل على من منه انشقت الأسرار وانفلقت الأنوار الخ، شرحا بديعا، وكان ذلك أيام إقامته بثغر العرائش [28] ولذلك ترجمها بما ذكر. وله أيضا حاشية على المسلك السهل في شرح توشيح ابن سهل للعلامة الإفراني، (حاشية) [29] عظيمة

---

(24) الضرغام: الشجاع

(25) في جميع النسخ: الخ. واقتضى السياق ترجمته إلى ما اثبتناه في المتن

(26) ز: فيها.

(27) هو: عبد السلام بن مشيش بن أبي بكر، الإدريسي، الحسني، أبو محمد، المتوفى سنة 622 هـ / 1225 م: قطب صوفي مشهور. ولد في جبل العلم بالقرب من مدينة تطوان، وقتل فيه على يد جماعة حرضهم عليه رجل يدعى ابن أبي الطواجين. انظر: العربي المشرفي، كناش، مخ. خ. ع. ر. 471ك. ص: 29، كنون، النبوغ المغربي، ج 1: 151 - 152، ابن سودة، الدليل، ج 1: 182- 216، 221، و ج 2: 378، 399. خ. الزركلي، الأعلام، ج 4: 9، ابن عبدالله، الموسوعة، ج 2: 115، حركات، المغرب عبر التاريخ ج 1: 310 - 311، كحالة، معجم المؤلفين، ج 5: 232.

- R. le Tourneau, Ency. de l'islam T1 . P: 94

- M. Benchekroun, la vie intellectuelle Marrocaine, P:420

(28) مدينة في الشمال الغربي للمغرب، تقع على مصب نهر اللوكس بالمحيط الأطلسي. تأسست عام 657 هـ/ 1258 م. وشهدت أحداثا متفاوتة في الأهمية. ونظرا لموقعها الاستراتيجي، فقد احتلها البرتغال عام 910 هـ / 1504 م وأخرجوا منها على يد أحمد المنصور الذهبي سنة 986 هـ/1578 م ثم استولى عليها الإسبان بمساعدة محمد الشيخ المأمون سنة1019 هـ / 1610م وظلت تحت نفوذهم إلى أن استرجها المولى إسماعيل سنة 1101هـ / 1690م.
انظر: الوزان، وصف إفريقيا، ص: 233 - 234، الضعيف، تاريخ الدولة العلوية، ج 1: 176 - 178، حركات، المغرب، ج 3: 47 - 48 الشاذلي، الحركة العياشية، ص: 27- 30.

- August Maulieras: le Maroc inconnu T2 PP: 543-550-: 568-576.
- Eugene Aubin: le Maroc d'aujourd'hui. PP . 90 - 95
- Budgett Meaking, the land of the moors. PP : 147-157.

(29) د، ك، ع: حشية. والتصحيح من ز.

القدر طالعة في فلك الحواشي مطلع البدر. وله أيضا تأليف مترجم بلوامع الغرر في جمع الطرر مضمنه أن الإمام سيدي محمد الحراق[30] جعل طررا على * الحزب الكبير للإمام الشاذلي[31] فخصها، ورتبها أحسن ترتيب، مع ما يناسب ذلك. وله أيضا شرح على قصيدة ابن الفارض التي مطلعها :

[الكامل] : زِدْنِي بِفَرْطِ الحُبِّ فيكَ تَحَيُّرا. الخ [32].

وله أيضا توليف [33] مترجم بنزهة الأبصار في شرح قصيدة الأنصار مدح به كعب ابن زهير[34] خصوص الأنصار. وله أيضا توليف[35] مترجم بمنادمة الأقيال في معنى الخيال. وله أيضا توليف[36] مترجم بالسيف المشرفي لقطع لسان المشرفي. سببه أن العلامة الأديب سيدي العربي بن علي المشرفي - رحمه الله - جعل تقييدا في نحو الورقتين في ذم فاس على عادته في الهجو فتصدر للرد عليه في هذا التأليف المذكور. وله نظم في اللغة مترجم بنظم اللآل الخ، وله أيضا أرجوزة في نظم ما اشتمل عليه المعرب المبين في أخبار ملوك بني مرين [37] للعلامة ابن زاكور [38] خطبته : [الرجز].

---

(30) هو: محمد بن محمد الحراق الحسني، الشاذلي، الدرقاوي ، أبو عبد الله 1186 - 1261 هـ/1772 - 1845 م : فقيه شاعر صوفي ومشارك في عدة علوم. توفي بتطوان. انظر : م . الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 1 : 342 ابن مخلوف ، الشجرة ص : 377 ، داود، مختصر تاريخ تطوان، ص : 305 - 308 ، خ . الزركلي الأعلام، ج 7 : 73

(31) يقصد : علي بن عبد الله بن عبد الجبار، الغماري، المالكي الشاذلي ، أبو الحسن 591 - 656 هـ / 1195 -1258 م صوفي، فقيه، شاعر ، زعيم ورئيس الطائفة الشاذلية. ينتهي نسبه إلى شرفاء الأدارسة. نشأ بهني زروال قرب شفشاون، وسكن مدة بشاذلة (قرية بتونس) فنسب إليها. وكان ضريرا.
انظر : المقري، نفح الطيب، ج 2 : 190 وج 5 : 322: العياشي، الرحلة العياشية، ج 1 : 213 ، العربي المشرفي، كناش ، مخ . خ. ع. ر. رقم 471 ك . ص : 30 م . الكتاني، سلوة . الأنفاس، ج 1: 84- 85 ، الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 59 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 4 : 305 ، ابن عبد الله، الموسوعة ، ج 3 : 21 - 23 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 7 : 137 حركات، المغرب، ج 2 : 87 - 89 .

(32) انظر : شرح ديوان ابن الفارض ص : 169 . والبيت كاملا كالآتي :
زدني بفرط الحب فيك تحيرا ** وارحم حشى بلظى هواك تسعرا

(33) في جميع النسخ : تويلف . والأصح ما أثبتناه في المتن.

(34) هو : كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني ، أبو المضرب المتوفى حوالي سنة 26 هـ / 645 م : شاعر مخضرم كان قبل إسلامه ممن يشبب بنساء المسلمين، فعفى عنه النبي ﷺ بعد ذلك.
انظر : الأصبهاني، الأغاني،ج 15 : 147 - 151 ، ر . بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، ج 2: 94 - 95 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 5 : 226 .

(35) في جميع النسخ : تويلف. والأصح ما أثبتناه.

(36) في جميع النسخ : تويلف. والأصح ما أثبتناه.

(37) كذا ورد اسمه في جميع النسخ. والصواب : المعرب المبين عما تضمنه الأنيس المطرب وروضة النسرين. اختصر فيه الأنيس المطرب لابن أبي زرع وروضة النسرين لابن الأحمر ، مع إضافة معلومات مفيدة . وقد تكرر نشره بالمطبعة الحجرية بفاس انظر : المنوني ، المصادر العربية ، ج 1 : 162 .

(38) هو : محمد بن قاسم بن محمد بن زاكور الفاسي، أبو عبد الله . مولده ووفاته بفاس حوالي 1076 - 1120 هـ / حوالي 1666 - 1708 م : أديب ، شاعر ومشارك في علوم أخرى كالحديث والفقه والتاريخ. انظر : القادري، نشر المثاني، ج 3: 201 ، م . الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 3 : 179 - 180 ، ابن مخلوف،الشجرة ، ص 330 - 331 ، ع . الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 : 130 - 131 كنون، النبوغ المغربي، ج 1 : 313 ، وج 3 : 82 - 83 ، ابن تاويت، الأدب المغربي ص : 346 - 354 ، ل . بروفنصال، مؤرخو الشرفا، ص: 204 - 205 ، ابن سودة ، الدليل ، ج 1 : 163 ، 182 ، 261 ، وج 2 : 401 ، 438 - 439 . الفاخوري ، تاريخ الأدب العربي، ص 407 - 420 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 7 : 7 - 8 ، ابن عبد الله ، الموسوعة ، ج 1 : 110 - 111 ، الأخضر، الحياة الأدبية،ص : 161 - 171 ، عنان ، فهارس الخزانة الملكية ج 1 : 60 ، 103 ، 352 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 11 : 145، المنوني المصادر العربية، ج 1: 162، 167، 174 ، 196 .
M. Hadj - sadok . Ency . de l'islam, T3 PP : 996- 997 .

(*) 7 أ

حَـمْـداً لِـمَـنْ وُصِـفَ بِـالـبَـقَـاءِ　　سُـبْـحَـانَـهُ جَـلَّ عَـنِ الضِّـيَـاءِ
ثُـمَّ صَـلاَتُـهُ عَـلَـى مَـنْ أَرَّخَـا　　بِـهِـجْـرَةٍ لَـهُ مِـمَّـنْ قَـدْ نَـسَـخَـا
وَالآلُ وَالصَّـحْـبُ عَـلَـى المَرَاتِـبِ　　مَـعْـلُـومَـةُ الـتَّـارِيـخِ فِـي المَكَـاتِـبِ
مَـا أَرَّخَ الـنُّـقْـلُ لِـعِـدَّةِ الحِسَـابِ　　لِـنَـعْـلَـمَ الأَحْـكَـامَ فِـي يَـوْمِ الحِسَـابِ
وَبَـعْـدُ فَـالـتَّـارِيـخُ عِـلْـمٌ يُـقْـصَـدُ　　لأَنَّـهُ عِـنْـدَ الخِلاَفِ يَـشْـهَـدُ
فَـجَـائِـزٌ رُؤْيَـتُـهُ فِـي الجُـمْـلَـةِ　　لِـكَـيْ تَـرَى بِـهِ مَـزَايَـا الأُمَّـةِ
مَـعَ انْـتِـظَـامِ كُـلِّ فَـخْـرِ الـدُّوَلِ　　وَمَـا جَـرَى عِـنْـدَ المُـلُـوكِ الأُوَلِ
لِـذَا جَـعَـلْـتُ فِـيـهِ هَـذَا الـرَّجَـزَا　　(لِـيُـقَـرِّبَ الأَمْـرَ لِـمَـا)[39]　قَـدْ أَحْـرَزَا
وَعُـمْـدَتِـي فِـيـهِ كِـتَـابُ المُغْـرِبِ　　لِـنَـجْـلِ زَاكُـورَ إِمَـامِ المَغْـرِبِ

[ذكر شيوخ الناظم]

وله أيضا أرجوزة[40] بديعة في ذكر شيوخه الآخذ عليهم العلم، وعد المعتمد عليه منهم دون غيره، نصها إذ في ذكرها كفاية عن عدهم من غيرها : [الرجز]

حَـمْـداً لِـمَـنْ[41]　جَـعَـلَ بِـالـتَّـسَـلْـسُـلِ　　نَـسْـلَ الـعُـلُـومِ فِـي الـزَّمَـانِ الأَوَّلِ
وَالأَبُ مِـنْـهُ أَبـاً لِـلأَرْوَاحِ　　مُـنَـوَّهُ الـقَـدْرِ كَـذِي الأَشْـبَـاحِ
ثُـمَّ صَـلاَتُـهُ عَـلَـى خَـيْـرِ الـوَرَى[42]　　مَـنْ جَـاءَ بِـالـعِـلْـمِ لِـعَـالِـمِ الـثَّـرَى[43]
*فَـسَـاسَ مِـنْـهُ السَّـهْـلَ وَالجَـمُـوحَـا　　مُـبَـلِّـغـاً مُـبَـيِّـنـاً نَـصُـوحَـا
وَالآلُ وَالأَصْـحَـابُ وَالأَزْوَاجْ　　مَـنْ خُـصِّـصُـوا بِـأَشْـرَفِ الـنِّـتَـاجْ
مَـا رَنَّـمَ الـطَّـيْـرُ عَـلَـى غُـصْـنِ　　وَنُـشِـرَ الـعِـلْـمُ بِـتَـلْـقِـيـنِ
هَـذَا وَإِنَّ الـعِـلْـمَ فِـي الأَوْرَاقِ　　لَـكِـنَّـهُ يُـعْـرَفُ بِـالأَذْوَاقِ
لِذَاكَ قَدْ (حَـضُّـوا)[44] عَلَى أَخْذِ العُلُومِ　　مِـنْ مِـفْـصَـلِ الشَّـيْءِ بِـمِـهْـيَـعِ الفُـهُـومِ
وَشَـرَّعُـوا الـتَّـلْـقِـيـنَ بِـالإِجَـازَةِ　　فَـمَـنْ رَأَى أَهْـلاً لَـهَـا أَجَـازَهُ
وَفْـقـاً مَـعَ الـنَّـصِّ الَّـذِي جَـا فِـي الخَـبَـرْ　　عَـنْ سَـيِّـدِ الـرُّسْـلِ الشَّـرِيـفِ مِـنْ مُـضَـرْ

---

(39) ز. ليعرب الأمر بها
(40) ذكر ابن سودة أن هذه الأرجوزة تقع في نحو المائة بيت، وأنها توجد بكناش الغالي بن المكي بن سليمان بالخزانة الزيدانية. انظر : الدليل، ج 2، 375.
(41) في طرة ح كتب ما يلي : لعله بمن ليستقيم الوزن.
(42) الورى : الخلق، البشر.
(43) الثرى : الخير
(44) د، ح، ك : حظوا. والتصحيح من ز.
(*) * 7 ب.

وَلَمْ يَزَلْ دَأْبُهُمْ ذَلِكَ عَلَى مَرِّ الزَّمَانِ، وَالعُلُومِ بِالوَلاَ
لِزَمَنٍ لَمْ يَدْرِ فِي الإِنْصَافِ عَالِمٌ أَوْ جَاهِلٌ بِالأَوْصَافِ
فَلْقْنَ البَالَ إِلَى التَّنْبِيهِ عَلَى المَشَائِخِ ذَوِي التَّنْوِيهِ
وَمَا أَخَذْتُ عَنْهُمْ فِي المَحَافِلِ مِنْ مُحْكَمِ الأَبْحَاثِ فِي المَسَائِلِ
وَمَنْ لَقَيْتُ بِهِ بِالحَمْرَاءِ مِنْ كُلِّ وَارِدٍ وَذَوِي اسْتِقْرَاءِ
وَأَسْأَلُ العَوْنَ عَلَى التَّمَامِ مِنْ رَبِّنَا فِي البَدْءِ وَالخِتَامِ
وَجَعْلِهِ الهِمَّةَ فِي الرِّوَايَةِ وَضِدِّهَا بِمُقْتَضَى الرِّعَايَةِ
الفَقِيهُ العَلاَّمَةُ الدَّرَّاكَةُ مُحَمَّدٌ جَنُّونٌ[45] (عَالِمٌ[46]) آحْتِبَاكِهِ

يعلم من هذا أن شيخه المعتمد عليه هو شيخ الجماعة بفاس الغراء سيدي الحاج[47] محمد بن المدني جنون كان - رحمه الله كما وصفه وفوق ما وصفه بلغ الغاية في تحقيق المهمات، وإيضاح المشكلات، فهو البحر الزاخر في كل فن من العلوم بحيث أن من شهده يدرس فنا ظن أنه لم يكن عنده سواه معلوم، ولاسيما الحديث و(الفقه)[48] والأصول والنحو. وفي درسه التوحيد يتبدل عليك سحاب الجهل والظن بالصحو، فترى المعاني و(الأمثلة والأقيسة)[49] في صورة الأجسام، فتنسى به ما يحكى عن الباقلاني[50] ومفاخره ومناقبه في علم الكلام مع الدين المتين والنصيحة لكافة المسلمين،وخصوصا الولاة والسلاطين.

---

(45) هو: محمد بن المدني بن علي جنون، أبو عبدالله مولده ووفاته بمدينة فاس حوالي 1239 - 1302 هـ / 1824 - 1885 م : فقيه، محدث، لغوي ، مفتي، مفسر وله مشاركة في علوم أخرى. كان من أبرز رجال الإصلاح الديني في مغرب القرن 13 هـ / 19 م، ومن أجل أفكاره الإصلاحية وتشبثه بها تعرض للسجن والإذاية. انظر : محمد المشرفي، الدر المكنون في التعريف بشيخنا كنون، طبع على الحجربفاس بدون تاريخ منه نسخة خطية في خزانة تطوان تحمل رقم : 412 . عبدالسلام اللجائي، المفاخر العلية والدرر السنية في الدولة العلوية الحسنية مخ . خ .ح. ر. رقم 12068 ، ص : 289 ، م . الكتاني، سلوة الأنفاس ، ج 2 :364– 365 ع . الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 : 375 - 376 ابن مخلوف، الشجرة ، ص : 429 - 430 ، ع . الفاسي، معجم الشيوخ، ج 1 : 52 49 الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 302 - 304 ، ابن إبراهيم الإعلام، ج 7: 54 - 58 ، ل .بروفنصال، مؤرخو الشرفا، ص :266 ، كنون، النبوغ المغربي، ج 1 : 297 - 299 ، ابن سودة، الدليل ، ج 1 : 94 ، 94 ، 208، مجاهد ، الأعلام الشرقية، ج 2 : 175 خ . الزركلي، الأعلام ج 7: 94 ،كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 12: 10 ، الأخضر، الحياة الأدبية، ص : 451 - 455 ، حركات ، التيارات السياسية، ص : 101 المنوني، المصادر العربية ، ج 2: 137 ، 141 ، 153 ، 154.

(46) في جميع النسخ كُتب حرف العين هكذا : ع . فلعله يقصد به : عالم. التي أثبتناها في المتن.

(47) في جميع النسخ ورد حرف :ج . وهو اختصار لكلمة : الحاج. التي اثبتناها في المتن.

(48) في د ، ط ، ح ، : الفقيه . التصحيح من ز

(49) ك : الأقيسة والأمثلة.

(50) هو: محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر ، أبو بكر ، المعروف بالباقلاني 338 - 403 هـ/ 950-1013 م : قاض من أبرز علماء الكلام في عصره.انتهت إليه رياسة مذهب الأشاعرة في بغداد. انظر : النباهي ، تاريخ قضاة الأندلس، ص : 37–40 البغدادي، تاريخ بغداد ، ج 5 : 379 - 383 ، الصدفي ، الوافي ، ج 3 : 177 ، اليافعي، المرآة ، ج 3 : 6 - 10 ابن كثير ، البداية، ج 11 : 350 - 351 ، ابن العماد ، الشذرات ، ج 3 : 168 - 170 ، ابن مخلوف ، الشجرة ، ص : 92 - 93 ، ج . زيدان ، تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 382 ، كرد علي ، كنوز الأجداد ، ص : 207 - 212 ، خ . الزركلي ، الأعلام ج 6 : 176 كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 10 : 109 - 110 .

وكان رحمه الله شديد الإنكار على المبتدعين ذا سمت ووقار وهيبة وافتكا ر، لا يخلو مجلسه * من مواعظ وفوائد عديدة وتحقيقات و(نكت)[51] شريفة مفيدة ، وكثيرا ما ينشد في درسه : [الرجز]

تَـقْـرِيـرُ مَـتْـنٍ وَبَـيَـانُ مُـشْـكِـلِ   تَـتْـمِـيمُ مَـا نَـقَـصَ لِلإِقْرَا آجْـعَلِ

وفضائله عديدة، وآراؤه سديدة يطول ذكرها، وإن كان يلوح على الأخذ عنه نورها. توفي في متم ذي القعدة الحرام عام إثنين وثلاثمائة وألف[52] .

وكان رحمه الله من العلماء العاملين والأتقياء العارفين أدركنا الله برضاه في الدارين آمين.

ثم قال الناظم متمما ومبينا ما أخذ عنه من العلوم مع بعض الثناء عليه، وهو بذلك قمين رحمه الله : [الرجز]

أَخَذْتُ عَنْهُ النَّحْوَ وَ (التَّوْحِيدَا)[53]   مَـعَ الـبَـرَاهِـينِ أَخْـذاً مُـفِـيـداً

وَمَا لَدَى القَزْوِينِي[54] فِي التَّلْخِيصِ[55]،   مَـعَ أُصُولِ الـفِـقْـهِ[56] بِالتَّفْحِيصِ

مُـوَطَّـا الإِمَـامِ[57] والصَّحِيحِ[58]   وَكُـتْـبِ الـتِّـرْمَـذِي[59] وَالفَصِيحِ

وَبُرْدَةِ الـبُوصَيْرِي[60] مَعَ هَمْزِيَّتِهِ[61]   وَ(نُبْذَةٍ)[62] كَـافِـيَـةٍ فِـي سِـيرَتِـهِ

---

(51) في جميع النسخ : نكث والصواب ما أثبتناه ليستقيم المعنى.

(52) متم ذي القعدة الحرام عام 1302 هـ يوافق 10 شتنبر عام 1885 م

(53) ز : التوحيد

(54) هو : محمد بن عبد الرحمان بن عمر ، أبو المعالي، جلال الدين القزويني ، الشافعي 666-739هـ /1268 - 1338 م : فقيه ، محدث، أديب ، شاعر وأصولي. من القضاة والخطباء، ولد بالموصل وتوفي بدمشق .
انظر : الصفدي ، الوافي ، ج 3 : 242 - 243 ، ابن كثير ، البداية، ج 14 : 185 ، إ. البغدادي ، الهدية، ج 2 : 156 ، ابن القاضي، درة الحجال ، ج 2 : 115 ، الشوكاني ، البدر الطالع ، ج 2 : 183 ، ج . زيدان ، تاريخ آداب اللغة ، ج 3 : 222 خ . الزركلي ، الأعلام، ج 6: 192 ، كحالة، معجم المؤلفين ، ج 10 : 145 - 146.

(55) اسمه الكامل : تلخيص المفتاح : صدرت طبعته الأولى 1390 / 1970 بدار الحكمة بدمشق.

(56) ك : الكل

(57) يقصد: موطأ الإمام مالك

(58) يقصد : صحيح البخاري

(59) يقصد : كتاب الجامع الصحيح، وكتاب الشمائل النبوية، وكتاب التاريخ، وغيرها من الكتب.
والترمذي هو: محمد بن عيسى بن سورة السلمي، أبو عيسى 210-279 هـ /825 - 892 م : محدث، فقيه، حافظ ومؤرخ.
انظر : ابن النديم، الفهرست، ص : 325 ، ابن خلكان ، الوفيات، ج 4 : 278 ، الذهبي ، التذكرة ، ج 2 : 633 - 635 ، الصفدي، الوافي، ج 4 : 294 - 296 ، ابن كثير ، البداية ، ج 11 : 66 - 67 ، ابن قنفذ ، الوفيات ، ص : 189 ، العسقلاني، التهذيب، ج 9 : 387 - 389 ، ابن العماد، الشذرات، ج2 : 174 - 175 ، ج . زيدان ، تاريخ آداب اللغة ، ج 2: 247 وج 3 : 189 - 195 ، إ . البغدادي، الهدية ج 2 : 19 ، خ . الزركلي ، الأعلام ، ج 6 : 322 ، كحالة معجم المؤلفين، ج 11 : 104 - 105 .

(60) البوصيري : محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي ، المصري، المعروف بالبوصيري، نسبة إلى بلدة بوصير بمصر. أصله من المغرب الأوسط وبالتحديد من قلعة بني حماد 608 - 696 هـ /1212 - 1296 م : شاعر صوفي . انظر : الصفدي،الوافي، ج 3 : 105 - 113 ، الكتبي ، فوات الوفيات، ج 3 : 362- 369 إ . البغدادي، الهدية ، ج 2 : 138 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة ، ج 3 : 120 ، ابن سودة ، الدليل ، ج 1 : 91 وج 2 :380 ، خ . الزركلي ، الأعلام ، ج 6 : 139 ، كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 10 : 28 .
أما اسم البردة فهو : الكواكب الدرية في مدح خير البرية. وهي قصيدة تعرف بالبردة. طبعت ضمن ديوان البوصيري بتحقيق محمد سيد كيلاني،وقد صدرت الطبعة الثانية سنة 1393 هـ / 1973م

(61) الهمزية :قصيدة تعرف بالقصيدة الهمزية في المدائح النبوية وتسمى بأم القرى طبعت ضمن الديوان المذكور آنفا.

(62) د، ز، ح : نبذة . والتصحيح من ك .

(*) • 8أ

وَعِلْمِ آدَابِ التَّصَوُّفِ وَمَا ... قُرِّرَ فِي الصُّحْبَةِ عِنْدَ العُلَمَا
مَعْ جَوَاهِرَ مِنَ النَّفِيسِ ... أَخَذْتُهَا فِي حَالَةِ التَّدْرِيسِ
لَوْلَاهُ مَا أَكَلْتُ خُبْزاً فِي الثَّرَى ... لَكِنَّهُ أَصَابَ حَيْثُ قَرَّرَا
لَوْ كَانَ فِي الشُّرْبَةِ عِلْمُهُ يُرَى ... بَادَرْتُ بِالسَّقْيِ لَهُ كُلُّ الوَرَى
فَيَالَهُ مِنْ عَالِمٍ جَدَّ السُّرَى[63] ... حِرْصاً عَلَى إِظْهَارِ العِلْمِ فَسَرَى
فَإِنْ يَكُ التَّجْدِيدُ رَأْسَ المِائَةِ ... لِعَالِمٍ فَهُوَ قُطْبُ القُبَّةِ
جَادَ بِهِ الدَّهْرُ البَخِيلُ فَبَدَا ... جُودُ العُلُومِ مِنْ يَنَابِيعِ النَّدَا
وَقُلِّدَتْ فَاسُ بِتِيمَةِ العُقُودِ ... إِذْ طَلَعَتْ بِهِ مِنَصَّةَ الصُّعُودِ
تَمَايَلَتْ بِفَضْلِهِ (دَلَالاً)[64] ... إِذْ كَانَ فِي غُرَّتِهَا هِلَالاَ
فَجُدِّدَ السَّيْرُ لَهُ مِنَ الآفَاقِ ... لِكَوْنِهِ الفَضْلَ العَمِيمَ بِاتِّفَاقِ
فَفَاضَ فِي الأَنَامِ عِلْماً وَهُدَى ... وَالقَوْمُ فِي الشُّرْبِ تُغَمِّسُ الرَّدَا
حَتَّى مَلأَ الغَرْبَ وَكُلٌّ ارْتَوَى ... «وَإِنَّمَا لِكُلِّ (مَرْءٍ)[65] مَا نَوَى»[66]
وَشَاعَ عِلْمُهُ بِكُلِّ بَلَدِ ... إِذْ كَانَ رَاوِيَةَ كُلِّ مُسْنَدِ
* فَصَارَ شَيْخاً لِشُيُوخٍ نَبَغُوا ... فِي مَرْتَعِ العِلْمِ فَنَالُوا مَا ابْتَغَوا
وَالمَرْءُ فِي مِيزَانِهِ أَتْبَاعُهُ ... وَالفَضْلُ فِي الجِنْسِ بِهِ أَنْوَاعُهُ[67]

ومن أشياخه المعتمد عليهم أيضا الفقيه العلامة سيدي المهدي بن الحاج[68] رحمه الله . كان[69] رحمه الله من العلماء العاملين والحفاظ المجتهدين ولاسيما في علم الفقه والحديث والكلام، قد انقادت له هذه العلوم بألين زمام .

قال مبينا لما أخذ عنه من العلوم : [الرجز]

أَخَذْتُ عَنْهُ الفِقْهَ وَالشَّمَائِلَ ... وَالنَّحْوَ وَالأُصُولَ وَالدَّلَائِلَ
وَعِلْمَيِ العَرُوضِ وَالتَّصْرِيفِ ... وَعِلْمَيِ التَّوْثِيقِ وَالتَّعْرِيفِ
وَسُلَّمَ المَنْطِقِ وَالعَقَائِدِ ... وَ(بَقِيَّةً)[70] مِنْ جُمْلَةِ الفَرَائِدِ
أَخْذاً مُفِيداً (بِانْعِكَاسٍ وَاطِّرَادٍ)[71] ... فِيهِ الأَمَانِي بِالوُصُولِ لِلْمُرَادِ

(63) السرى : السير ليلا
(64) د ، ك : ذلالا. والتصحيح من ز ، ح .
(65) في ح : امرئ . وقد اقتضت الضرورة الشعرية إثبات ما وجدته في د ، ز ، ك .
(66) هذا حديث شريف . انظر فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج 1 : 9 ، 135 . أخرجه البخاري عن عمر.
(67) هذه الأبيات توجد في الدر المكنون في التعريف بشيخنا محمد كنون للمشرفي المؤلف. مخ . م.ع . تطوان رقم :412 ، ص : 150-151 .
(68) انظر ترجمته عند الكتاني، سلوة الأنفاس، ج 1 : 238 .
(69) يقصد : المهدي بن الحاج المذكور قبل قليل.
(70) د : بغية ،وهو تصحيف . والتصحيح من ك ، ز ، ح .
(71) د: باطراد وانعكاس ،وورد فوقهما حرفان : خ . ق .
(*) 8 ب .

ومن شيوخه أيضا الفقيه العلامة الشريف سيدي جعفر الكتاني[72] أبقاه الله لنيل الأماني. قال : [الرجز]

أَخَذْتُ عَنْهُ العِلْمَ و(التَّوْثِيقَا)[73] ... أَخْذاً بِتَحْصِيلِ المُنَى حَقِيقَا
وعِلْمَ أمْرَاضِ القُلُوبِ بِالهَوَى ... وَنُبْذَةً مُفِيدَةً مِمَّا رَوَى

ومن أشياخه الفقيه العلامة القاضي سيدي أحمد بن سودة[74] قال :[الرجز]

أَخَذْتُ عَنْهُ النَّحْوَ وَالمَعَانِي ... وَالفِقْهَ وَالأُصُولَ (وَ)[75] المَبَانِي
وَ(نُكَتاً)[76] بِطَيِّهَا فَرَائِدُ ... قَدْ نُمِّقَتْ بِحُلْيِهَا القَلاَئِدُ

ومن أشياخه أيضا الفقيه، العلامة، الكاتب، الناثر، الشاعر، سيدي عبد الواحد بن الموّاز [77] ، قال فيه : [الرجز]

أَخَذْتُ عَنْهُ الأَدَبَ (المُكْتَسَبَا)[78] ... بِشَرْطِهِ المَعْرُوفِ عِنْدَ الأُدَبَا
وَ(نُبْذَةً)[79] مِنْ مَبْحَثِ الجِدَالِ ... مُفِيدَةَ المَجِيءِ بِالمِثَالِ
وَكُلُّهُمْ عَنْ عُلَمَا أَجِلَّةْ ... حَلُّوا سَمَاءَ العِلْمِ كَالأَهِلَّةْ

وهؤلاء المعتمد عليهم دون غيرهم. وفي هذا كفاية.

---

(72) هو : جعفر بن إدريس الكتاني الحسني، الإدريسي، أبو المواهب. ولد وتوفي بفاس 1246 - 1323 هـ / 1830 - 1905 م : فقيه المالكية بالمغرب في عصره. محدث ، متصوف، نسابة ومشارك في علوم أخرى.
انظر : عبد السلام اللجائي، المفاخر العلية . مخ . خ . ح . ر . رقم : 12068 ، ص : 295 ، عبد الحفيظ الفاسي / معجم الشيوخ، ج 1 : 173 - 177 ، الحجوي ، الفكر السامي ، ج 2 : 308 ، ع . الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 : 131 - 132 ، 219 ، ل. بروفنصال، مؤرخو الشرفا ص : 270 - 271 ، ابن سودة ، الدليل، ج 1 : 103 ، 142 ، 279 ، وج 2 : 369 ،455 ، خ . الزركلي ، الأعلام، ج 2: 122 ، كحالة، معجم المؤلفين ، ج 3 : 133 - 134 ، المنوني ، المصادر العربية، ج 2: 102 ، 112 ، 115 ، 116– 117 ، 138 ، 141، 142، 143 ، 144، 145 ، 166 .
(73) ز ، ح : التوثيق. وقد أثبتنا في المتن ما وجدناه في د ، ك لأن الرجز يقتضي تماثل القافية في الشطرين.
(74) هو : أحمد بن الطالب بن محمد بن محمد بن سودة المري 1241 - 1321 هـ / 1826 - 1903 م : فقيه ، محدث وأصولي . قام بعدة مهام منها : الإمامة ، القضاء ، ومشيخة الحديث.
انظر : عبدالسلام اللجائي، المفاخر العلية ، مخ ، خ. ح . ر . رقم : 12068 ، ص : 301 ، عبد الحفيظ الفاسي، معجم الشيوخ، ج 1 : 99 - 103 ، الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 309 - 310 ، ابن مخلوف ، الشجرة ، ص : 430 ، ابن إبراهيم ، الإعلام ، ج 2: 455 - 457 ، ابن سودة ، الدليل، ج 1 : 21 - 111 ، 142 ، 209 ، 259، وج 2 : 375 ، 401 ، 462 ،خ. الزركلي،الأعلام،ج 1: 139، ابن عبد الله، الموسوعة ، ج 2 : 12 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 1: 255 ، المنوني ،المصادر العربية ، ج 2 : 146 ، 162.
(75) د، ك : في . والتصحيح من ز . ح .
(76) د ،ك . ح : نكتا . والتصحيح من ز .
(77) هو : عبد الواحد بن محمد بن المواز، السليماني الحسني المتوفى بفاس سنة 1318 هـ / 1900 م : قاض مالكي المذهب وكاتب . اشتهر بجودة الخط وبلاغة الأسلوب، كما كانت له عناية بالتاريخ.
انظر : ابن داني، الدرة السنية ، مخ . خ . ح . ر. رقم : 481 ، ص : 139 - 144 ، عبد السلام اللجائي، المفاخر العلية ، مخ. خ. ح . ر. رقم : 12068 ، ص : 216 - 301 ،ابن إبراهيم، الإعلام ، ج 8: 533 –539 ابن سودة ، الدليل ، ج 1 : 254 ،خ. الزركلي ، الأعلام ، ج 4 : 177 ، ابن عبد الله ، الموسوعة ج 2 : 125 ، كحالة معجم المؤلفين ، ج 6 : 213 .
(78) د : المكتسب، واقتضت ضرورة شعر الرجز تصحيحها من ك ، ز ، ح .
(79) ك : نبدة .

[القصيدة وما يتعلق بها من علم العروض والقوافي]

وأما ما يتعلق بالقصيدة من علم العروض والقوافي، فأقول : فمن بنات فكره ، هذه المنظومة الفائقة في النظم والوصف (العبقة)[80] النسيم والعرف[81]، الفائزة (بقدح)[82] الحسن والظرف،المالكة لزمام القلب* والطرف مع ما وصفت به من الإيجاز، واشتملت عليه من مقاربة الإعجاز، فالله يمتعه بما منحه من هذه الغرر والأوضاح، كما أطلق في جانب هذه الدولة الشريفة السنية ألسنة الثناء والامتداح. ثم اعلم أن القاضي أبا بكر بن الطيب الباقلاني، حكى رحمه الله في كتاب الإعجاز[83] عن الفراء[84] أن العرب تسمي البيت الواحد يتيما، فإذا بلغ الشعر البيتين أو الثلاث سمي نتفة، وإلى العشرة سمي قطعة، فإذا بلغ العشرين استحق أن يسمى قصيدة[85]، وقال ابن جني[86]: القصيدة اسم جنس لما طال وتوفر.

وعليه فهذه القصيدة من البحر الطويل، وهو أتم البحور الخمسة عشر استعمالا. وسمي طويلا لأنه تام الأجزاء ، سالم من الجزء قاله الخليل[87]، وهو ذهاب جزأين من البيت. فالجزء ممنوع في الطويل لا يدخله، وكذلك السريع والمنسرح قال من حصله : [الطويل]

طَـوِيـلٌ سَـرِيـعٌ ثُـمَّ مُـنْـسَـرِحٌ غَـدَا ... لَـهُ الجُزْءُ مَـمْـنُـوعٌ وَقِيتَ مِنَ الـرَّدَى

والطويل مثمن مبني من فعولن مفاعيلن أربع مرات فتكون أجزاؤه ثمانية في البيت، وله عروض واحدة، ولا يستعمل إلا مقبوضها، وضروب ثلاثة : صحيح ومقبوض كالعروض ومحذوف حذف منه سبب خفيف.

---

(80) د، ز : العائقة . وفي ك ، ح : الفائقة . واقتضى السياق تصويبها.
(81) العرف : الرائحة . الطيب.
(82) د، ك : بقداح . والتصحيح من ز ، ح .
(83) اسمه الكامل : إعجاز القرآن وموضوعه الأدب والبلاغة. نشر عن دار المعارف بمصر - دون تاريخ - بتحقيق أحمد صقر.
(84) الفراء : يحي بن زياد بن عبد الله بن منظور ، الأسلمي، المعروف بالفراء . ولد بالكوفة وتوفي في طريق مكة 144 –207هـ/ 761– 822 : لغوي ، شاعر ، وله اهتمام بالطب والتاريخ.
انظر : اليافعي، المرآة ، ج 2 : 38 - 41 ، ابن الجزري، غاية النهاية، ج 2 : 371 - 372 ، إ . البغدادي، الهدية، ج 2 : 514 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 2 : 199 - 200 ،ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2: 134 ، خ ز الزركلي،الأعلام، ج 8 : 145 - 146 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 13 :198 .
(85) هذا النص نقله المؤلف بتصرف، للمقابلة انظر : الباقلاني، إعجاز القرآن ، ص : 390– 391
(86) ابن جني : عثمان بن جني، الموصلي، أبو الفتح، ولد بالموصل وتوفي ببغداد 330– 392 هـ / 942 - 1001 م : أديب، لغوي، شاعر.
انظر: ابن الأنباري ، نزهة الألبا، ص : 244 - 246 ، الحموي، معجم الأدباء ، ج 12 : 81–115 ، ابن خلكان، الوفيات ، ج 3 : 246 - 248 اليافعي، المرآة، ج 2 : 445 ، ابن كثير ، البداية، ج 11 : 331 ، ابن قنفذ ، الوفيات، ص : 224 . ج ، زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 348:2، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 2: 244 - 250 ،خ . الزركلي،الأعلام، ج 4 :204 كحالة ، معجم المؤلفين، ج 6 : 151 -252.
(87) يقصد : الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، الأزدي اليحمدي. ولد وتوفي بالبصرة 100 - 170 هـ / 718 - 786 م : أديب، لغوي ، نحوي وواضع علم العروض.
انظر : ابن النديم ، الفهرست، ص : 63 - 64 ، ابن الأنباري، النزهة، ص : 45– 47 ، الحموي، معجم الأدباء، ج 11 : 72 - 77 القفطي، إنباه الرواة، ج 1 : 341 - 347 ، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأنساب، ج 2 : 417 ، النووي، تهذيب الأسماء، ص : 177 - 178 القسم الأول، ابن خلكان،الوفيات، ج 2 : 244 - 248 ،الذهبي ، العبر ج 1 : 268 ، اليافعي ، المرآة ، ج 1 : 140 ، ج، الزركلي ، الأعلام، ج 2 : 314 ، كحالة، معجم المؤلفين ج 4 : 112 .
-R . Sell Heim,Ency . de l'islam. T4 . PP : 994 - 996 .
(*) • 9 i .

وهذه القصيدة من القسم الثاني، وهو مقبوض الضرب أيضا، إذ القبض هو حذف الساكن الخامس، وهو خاص بفعولن مفاعيلن متداركة القافية، إذ القافية عند الخليل عبارة عن الساكنين اللذين في آخر البيت مع ما بينهما من الحروف المتحركة، ومع المتحرك الذي قبل الساكن الأول. [و][88] تنقسم باعتبار الحركات التي بين الساكنين إلى خمسة أقسام كل منها يسمى باسم مخصوص، فإذا كان مابين الساكنين أربع حركات يسمى هذا القسم: المتكاوس، وإذا كان ما بينهما ثلاث حركات سمي : المتراكب، وإن كان بينهما حركتان سمي : المتدارك، كما هنا في هذه القصيدة . وإذا كان [ما][89] بينهما حركة واحدة سمي : المتواتر، وإذا لم يكن بينهما حركة واجتمعا ساكناها سمي : المترادف، وأمثلتها معلومة بمحلها مؤسسة موصولة باللين.

والعروض هو علم بأصول يعرف بها صحيح أوزان الشعر وفاسدها وموضوعه : الشعر من حيث صحة وزنه وسقمه. وواضعه على المشهور : الخليل بن أحمد .

أول من أنشد الشعر

وقيل : إن أول من أنشد الشعر : آدم * عليه السلام

وذلك لما قتل (قابيل هابيل)[90] حزن عليه وأسف على فقده، فرثاه بما هو مستفيض على ألسنة الناس يعزونه إليه وهو : [الوافر]

تَغَيَّرَتِ البِلاَدُ وَمَنْ عَلَيْهَا ... فَوَجْهُ الأَرْضِ مُغْبَرٌّ قَبِيحُ
تَغَيَّرَ كُلُّ ذِي (لَوْنٍ وَطَعْمٍ)[91] ... وَقَلَّ بَشَاشَةَ الوَجْهُ (الصَّبِيحُ)[92]
وَبَدَّلَ أَهْلُهَا (خَمْطاً وَأَثْلاً)[93] ... (بِجَنَّةٍ)[94] مِنَ الفِرْدَوْسِ فِيحِ
وَجَاوَرَنَا عَدُوٌّ لَيْسَ يَنْسَى ... لَعِينٌ (لاَ)[95] يَمُوتُ فَنَسْتَرِيحُ
وَ(قَاتَلَ قَابِلُ)[96] هَابِيلَ ظُلْماً ... فَوَا أَسَفاً عَلَى الوَجْهِ المَلِيحِ
فَمَا لِي لاَ أَجُودُ بِسَكْبِ دَمْعٍ ... وَهَابِيلُ تَضَمَّنَهُ الضَّرِيحُ
أَرَى طُولَ الحَيَاةِ عَلَيَّ غَمّاً ... وَمَا أَنَا مِنْ (حَيَاةٍ)[97] مُسْتَرِيحٌ[98]

---

(88) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح . والتكملة من ك.
(89) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح والتكملة من ك.
(90) د، ز،ح : قابل والتصحيح من ك.
د : مابل . والتصحيح من ز، ح، ك.
(91) في مروج الذهب للمسعودي، ج 1 : 39 : طعم ولون
(92) في الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ج 2 : 350 : المليح والبيتان وردا في تاريخ الأمم للطبري، ج 1 : 76 . الكامل، لابن الأثير ، ج 1 : 45 ، والإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري ج 2 : 350 .
(93) في مروج الذهب ، ج 1 : 39 : أثلا وخمطا.
(94) كذا . وفي ز . ك : بجنات، وكذلك في مروج الذهب ج 1 : 39
(95) في مروج الذهب: ج1: 39 : ما
(96) في مروج الذهب: ج1: 39 : قتل قاين هابيل
(97) ز: حياة. وفي مروج الذهب: ج1: 39 : حياتي
(98) هذه الأبيات -كلها- توجد في مروج الذهب: ج1: 39 . ولعل المؤلف نقلها منه.
(*) * 9 ب .

وقال بعضهم : إن آدم لما نطق بهذا الشعر أجابه إبليس لعنه الله من حيث يسمع صوته ولايرى شخصه وهو يقول : [الوافر]

تَـنَـحَّ عَـنْ الـبِـلاَدِ وسَـاكِـنِـيـهَـا ... فَـقَـدْ فِـي الأَرْضِ ضَـاقَ بِـكَ الـفَـسِـيحُ

وَكُـنْـتَ وَزَوْجُـكَ الحَوَّاءُ فِـيـهَـا ... آَدمُ مِـنْ أَذَى الـدُّنْـيَـا مُـرِيـحُ

فَـمَـا زَالَـتْ مُـكَـايَـدَتِـي وَ (مَـكْـرِي)[99] ... إِلى أَنْ فَـاتَـكَ الـثَّـمَـنُ الـرَّبِـيـحُ

فَـلَـوْلاَ رَحْـمَـةُ (الـرَّحْـمَـانِ أَضْـحَـتْ)[100] ... (بِكَفِّكَ)[101] مِـنْ جِـنَـانِ الخُلْدِ رِيـحُ[102]

وقيل : إنما قال آدم معنى هذا لالفظه، إذ لم يثبت عن نبي قط أنه قال الشعر، وإنما اخترعته العرب. وسمي شعرا لأن العرب شعرت به، أي تفطنت له.

وكان الكلام كله نثرا فاحتاجت العرب إلى الغناء بذكر محاسنها وأيامها فتوهموا أعاريض جعلوها موازن والله أعلم . وحكمه الندب والإباحة.

[مدح الشعر]

ومما جاء في مدحه وفضله ما أخرجه البخاري عن أبي بن كعب [103] قال : إن رسول الله ﷺ قال : "إن من الشعر لحكمة" [104]، وعن ابن عباس قال : جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فجعل يتكلم بكلام ، فقال : "إن من البيان سحرا وإن من الشعر حكما"[105] أخرجه أبو داود[106].

---

(99) د، ك : فكري. والتصحيح من ز، ح ، ومروج الذهب: ج1: 39 .

(100) في مروج الذهب: ج1: 39 : الجبار أضحى.

(101) في مروج الذهب: ج1: 39 : يكفك.

(102) هذه الأبيات وردت في مروج الذهب: ج1: 39 ولعل المؤلف نقلها منه كذلك.

(103) هو : أبي بن كعب بن قيس، أبو المنذر، الأنصاري المدني المتوفى حوالي 21 هـ / 642 م : قارئ، كاتب للوحي وراوية للحديث. انظر: الطبقات الكبرى، ج 2 : 340 - 341 و ج 3 : 498 - 502 ، الذهبي، التذكرة، ج 1 : 16 - 17 والعبر ، ج 1 : 23 ، 26، الوفيات، ص : 47 ، غاية النهاية، ج 1 : 31 - 32 ، شجرة النور، ص : 82 ، الزركلي، الأعلام، 1 : 82 .

(104) انظر : الجيلاني، فضل الله الصمد، ج 2 : 311 ، 314 ، العسقلاني، فتح الباري، ج 10 : 538 . كما أخرجه : الدارمي، السنن، ج 2 : 297 ، ابن ماجه، السنن، ج 2 : 1235 ، أبو داود، السنن، ج 2 : 598 ، الترمذي، السنن، ج 4 : ,216 ابن عبد ربه، العقد، ج 5: 274 ، أبو الليث السمرقندي، بستان العارفين، ص : ,47 والسبكي، طبقات الشافعية الكبرى، ج 1 : 116 .

(105) انظر : أبو داود السنن، ج 2 : 598 ، كما أخرجه : الجيلاني، فضل الله الصمد، ج 2 : 321 ، ابن رشيق القيرواني، العمدة، ج 1: 27 ، السبكي، طبقات الشافعية ج 1 : 116 . وكلهم باختلاف يسير في اللفظ.

(106) هو : سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (202 - 275 هـ/ 817 - 889 م) : محدث، حافظ وفقيه.
انظر : تهذيب الأسماء للنووي، ج 1 (القسم الثاني من الجزء الأول) ص : 224 - 227 . المرآة لليافعي، ج 2 : 189 - 190 - 269، البداية، ج 11 : 54 - 56 . تهذيب التهذيب، ج 4 : 169 - 173 الشذرات، ج 2 : 167 - 168 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان ج 2: 247 تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج 3 : 185 - 189 ، الأعلام للزركلي، ج 3 : 122 ، معجم المؤلفين، ج 4 : 255 .
J. Rolbson . Ency . de l islam. T1 . PP : 117 - 118 .

وروى مسلم [107] عن عمرو بن (الشريد) [108] عن أبيه قال : ردفت وراء رسول الله ﷺ يوما فقال : هل معك من شعر أمية بن * [أبي] [109] الصَّلْتِ شيءٌ ؟ قلت : نعم ، قال : هيه . فأنشدته بيتا. فقال : هيه. ثم أنشدته بيتا (فقال) [110] : هيه حتى (أنشدته)[111] مائة بيت. زاد في رواية : لقد كاد يُسلم في شعره[112].

عن جابر بن سمرة[113] قال : جالست النبي أكثر من مائة مرة، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون أشياء من أمر الجاهلية وهو ساكت فربما تبسم معهم[114]. أخرجه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح. وقال الشعبي[115] : كان أبو بكر يقول الشعر، وكان عمر يقول الشعر، وكان عثمان يقول الشعر، وكان علي أشعر الثلاثة. وأما قوله ﷺ "(لَأَنْ) [116] يمتلىء جوف أحدكم قيحا حتى (يريه)[117] خير له من أن يمتلئ شعرا"[118] فمحمول على الذم الباطل، والهجو الغير اللائق بالمسلمين.

---

(107) هو : مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري. ولد وتوفي بنيسابور (204 - 261 هـ/ 820 - 875 م) : حافظ ومن أئمة المحدثين. انظر : الفهرست، ص : 322 ، المرآة لليافعي، ج 2 : 174 - 175 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2 : 246 ، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج 3 : 179 - 185 ، الهدية، ج 2 : 431 - 432 ضحى الإسلام لأحمد أمين، ج 2 : 119 - 121 ، الإعلام للزركلي ، ج 7 : 221 - 222 .

(108) ز : الثريد، وعمرو بن الشريد ورد ذكره في كتب الحديث. وفي الطبقات الكبرى لابن سعد. ج 5 : 513 ، 518 .

(109) ما بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ. والتكملة من مصادر الحديث والتراجم. وأمية بن أبي الصلت هو أمية بن عبد الله أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف الثقفي. المتوفى سنة 5 هـ / 626 م . كان أحد الحكماء والشعراء في الجاهلية. انظر : الطبقات الكبرى، ج 5 : 513 ، الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، ج 3 : 186 - 193 وج 16 : 71 - 81 ، 96 - 110 معجم الشعراء للمرزباني، ص: 196 ، خزانة الأدب للبغدادي، ج 1 : 247 - 253 ، زيدان تاريخ الأدب العربي، ج 1 : 113 - 114 ، تاريخ الأدب العربي لبلاشير، ج 2 : 133 - 136 ، الأعلام للزركلي، ج 2 : 23 .

(110) د، ز، ح : قال. والتصحيح من ك.

(111) د، ح : أنشدت ، والتصحيح من ز، ك.

(112) انظر : صحيح مسلم بشرح النووي، ج 15 : 11 ، وفي لفظه اختلاف يسير. وأخرج الحديث كذلك : أحمد في المسند ج 4 : 388 ، 390 ، ابن ماجة في السنن، ج 2 : 1236 ، ابن عساكر في التاريخ الكبير، ج 3 : 119 ، ابن كثير ، في البداية ج 2 : 228 ، وعلي ناصف، التاج الجامع، ج 5 : 301 - 302 ، وكلهم باختلاف يسير في اللفظ.

(113) هو : جابر بن سمرة بن جنادة السوائي المتوفى سنة 74 هـ / 693 م : صحابي جليل. روى له البخاري ومسلم وغيرهما 146 حديثا ، انظر : الطبقات الكبرى، ج 1 : 372 ، وج 6 : 24، المرآة لليافعي ج 1 : 141 ، تهذيب التهذيب، ج 2 : 39 - 40 ، تاريخ الخميس، ج 2 : 308 ، الأعلام للزركلي، ج 2 : 104 .

(114) انظر : الترمذي، السنن، ج 4 : 218 ، وفي لفظه اختلاف يسير. كما أخرجه : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 1 : 372 ، وعلي ناصف، التاج الجامع، ج 5 : 301 - 302 ، وكلاهما باختلاف يسير في اللفظ .

(115) هو : عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي، ولد وتوفي بالكوفة (19 - 103 هـ / 640 - 721 م) : محدث ، فقيه، راوية وشاعر. انظر : الطبقات الكبرى، ج 6 : 246 - 256 ، تاريخ بغداد، ج 12 : 227 - 234 ، وفيات الأعيان ، ج 3 : 12 - 16 ، المرآة لليافعي، ج 1 : 215 - 219 ، البداية، ج 9 : 230 - 231 ، غاية النهاية ، ج 1 : 350 تهذيب التهذيب، ج 5 : 65 -69 ، الأعلام للزركلي، ج 3 : 251، معجم المؤلفين، ج 5 : 54 ، التاريخ العربي والمؤرخون لشاكر مصطفى، ج 1 : 175 - 176 .

(116) د، ح ، ك : لئن ، والتصحيح من ز .

(117) د، ح ، ك : يذيه، وهو تصحيف. والتصحيح من ز.

(118) أخرجه : ابن ماجة ، السنن، ج 2 : 237 عن سعد بن أبي وقاص : بنفس اللفظ. كما أخرجه باختلاف يسير في اللفظ : الدارمي، السنن، ج 2 : 297 عن سالم بن عمير، الجيلاني، فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، ج 2 : 312 عن أبي هريرة وكذلك في ص : 318 من نفس الجزء عن ابن عمر، العسقلاني، فتح الباري، ج 10 : 548 عن أبي هريرة، أبو داود، السنن ج 2 : 598 عن أبي هريرة، والترمذي، السنن، ج 4 : 219 عن سعد بن أبي وقاص.

(*) * 10 أ.

أعظم الوسائل عند رسول الله ﷺ: الشعر

ولو لم يكن من فضائل الشعر إلا أنه أعظم الوسائل عند رسول الله ﷺ لكفى. فمن ذلك أنه قال لعبد الله بن رواحة[119] : "أخبرني ما الشعر يا عبد الله؟ [120] قال شيء يختلج في صدري(فينطق) [121] به لساني، قال :

"فأَنْشِدْنِي"، فأنشده شعره الذي يقول فيه : [البسيط]

(قَبِلْتَ لِلَّهِ) [122] مَا أَتَاكَ مِنْ حَسَنٍ ... فَفَوْتَ عِيسَى بِإِذْنِ اللهِ وَالقَدَرِ

فقال النبي ﷺ : " وإياك (قبلت لله) [123] وإياك (قبلت لله) [124].

ومن ذلك أيضا ما رواه ابن إسحاق صاحب المغازي[125]، وابن هشام[126]. قال ابن إسحاق: لما نزل رسول الله ﷺ الصفراء [127] ، وقال ابن هشام : الأُثَيل[128] أمر عليا، فضرب عُنق النَّضْرَ بن (الحارث) [129]بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف [130] صَبراً بين يدي النبي ﷺ فقالت أخته (ابنة الحارث) [131] ترثيه : [الكامل]

---

(119) هو : عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري، من الخزرج : صحابي، شهد بدرا، أحدا، الخندق، الحديبية، واستشهد في وقعة مؤتة بالشام سنة 8 هـ / 629 م.
انظر : الطبقات الكبرى، ج 3 : 525 - 530 وج 3 : 612 - 613 ، تهذيب التهذيب، ج 5 : 212 - 213 ، شرح شواهد المغني للسيوطي، ج 1 : 286 - 293 ، خزانة الأدب، ج 2 : 304 - 305، شجرة النور، ص : 79 ، تاريخ الأدب العربي لبلاشير، ج 2 : 143، الأعلام للزركلي، ج 4 : 86 .
A. Schaad, Ency. d l' islam . T1 . P : 52 .

(120) مابين المعقوفتين ساقطة من ز.

(121) ز، ح : فينطلق.

(122) في العقد الفريد، ج 5 : 278 : فثبت الله. وقال محقق العقد في الهامش رقم 1 من نفس الصفحة بأنه في بعض الأصول : قبلت لله.

(123) في العقد الفريد ، ج 5 : 278 . ثبت الله.

(124) في العقد الفريد ، ج 5 : 278 . ثبت الله.
وورد هذا النص - بكامله- في العقد الفريد ، ج 5 : 278 . بنفس اللفظ تقريبا مما يشير إلى أن المؤلف نقل منه. كما ورد جزء من هذا النص في شرح شواهد المغني للسيوطي ج 1 : 289 باختلاف كبير في اللفظ.

(125) المغازي : هي سيرة ابن إسحاق (ت : 151 هـ / 768 م) المسماة : كتاب المبتدإ والمبعث والمغازي.
والكتاب مؤلف أساسا في سيرة الرسول ﷺ . وهو أقدم كتاب في الموضوع، ألفه ابن إسحاق للمنصور العباسي بالحيرة. وقد اعتمد عبد الملك بن هشام على هذه السيرة، فهذبها ولخصها وهي المتداولة بين الناس.
أما كتاب السيرة الأصلي، فمنه قطعة حققها وعلق عليها محمد حميد الله، ونشرت بمعهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط سنة 1396 هـ / 1976 م

(126) هو : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري، الذهلي السدوسي، المعافري، البصري، المتوفى في حدود 213 هـ / 828 م أخباري، نسابة، أديب، ولغوي.
انظر : وفيات الأعيان، ج 3 : 177 المرآة لليافعي، ج 2 : 77 - 78 ، البداية، ج 10 : 281 - 282 ، شذرات الذهب، ج 2 : 45 ، تاريخ آداب اللغة لجرجي زيدان، ج 2 : 174، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان، ج 3 : 12 - 15 ، معجم المؤلفين، ج 6 : 192 .

(127) الصفراء : واد في ناحية المدينة (المنورة).

(128) الأثيل : أثيل : موضع قرب المدينة.

(129) د ، ح ، ك : الحرث، والتصحيح من ز.

(130) كان النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف- من قريش - صاحب لواء المشركين ببدر، وممن آذى النبي وناصبه العداوة.
انظر : ابن هشام، السيرة، ج 1 : 311 ، ابن سعد، الطبقات ج 1 : 165 ، 201 ، 228 ، وج 2 : 18 ، ثم ج 5 : 448 ، ح . الزركلي، الأعلام، ج 8 : 33 .

(131) د، ح، ك : ابنت الحرث . والتصحيح من ز. واسمها هو : قتيلة بنت الحارث، توفيت حوالي 20 هـ / 640 م . كانت شاعرة وراوية للحديث.

يَا رَاكِباً (إِنَّ)[132] الأُثَيْلَ (مَطِيَّةٌ)[133] ... مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفَّقُ
أَبْلِغْ بِهَا مَيْتاً بِأَنَّ تَحِيَّةً ... مَا إِنْ (تَزَالُ)[134] بِهَا النَّجَائِبُ تَخْفِقُ
مِنِّي (عَلَيْكَ)[135] وَعَبْرَةً مَسْفُوحَةً ... جَادَتْ (بِوَاكِفِهَا)[136] وَأُخْرَى تَخْنُقُ
هَلْ (يَسْمَعَنَّ)[137] النَّضْرُ إِنْ نَادَيْتُهُ ... أَمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لاَ يَنْطِقُ
أَمُحَمَّدٌ يَا خَيْرَ (صِنْوٍ)[138] كَرِيمَةٍ ... فِي قَوْمِهَا وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا ... مَنَّ الْفَتَى وَهُوَ الْمَغِيظُ الْمُحْنَقُ
(وَالنَّضْرُ)[139] أَقْرَبُ مَنْ أَسَرْتَ قَرَابَةً ... وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ (عِتْقٌ)[140] يُعْتَقُ
ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ ... لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ (تُمَزَّقُ)[141]
*صَبْراً يُقَادُ إِلَى الْمَنِيَّةِ مُتْعَباً ... رَسْفَ الْمُقَيَّدِ وَهُوَ عَانٍ مُوثَقُ

[و][142]قال ابن هشام : قال النبي ﷺ لما بلغه هذا الشعر :
"لو بلغني قَبْلَ قَتْلِهِ مَا قَتَلْتُهُ"[143].

وعن عائشة - رض الله عنها- قالت : كان رسول الله - [صلى الله عليه وسلم][144] يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله [صلى الله عليه وسلم][145] وينافح ويقول وسول الله : "إن الله يُؤَيِّدُ حَسَّانَ بِرُوحِ القُدُسِ مَا نَافَحَ أو فَاخَرَ [عَنْ][146] رسول الله" [147] إلى غير ذلك مما ورد فيه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : الشعر جزل من كلام العرب، يسكن به الغيظ و(تطفأ)[148] به (الثائرة)[149] ويبلغ (به) [150] القوم في ناديهم ويُعطى به السائل، وقال ابن عباس : الشعر علم العرب وديوانها فتعلموه، وعليكم بشعر الحجاز[151].

(132) د، ك : إلى. والتصحيح من ز، ح ، والسيرة النبوية لابن هشام ج 2 : 802 ، والعقد الفريد، ج 5 : 279 .
(133) في السيرة، ج 2 : 802 : مظنة. وكذلك في العقد، ج 5: 279 .
(134) ك : ثراء.
(135) في السيرة، ج 2 : 803 : إليك
(136) د، ك : بوافقها. والتصحيح من ز، ح، والسيرة ، ج 2 : 803 والعقد، ج 5 : 279 .
(137) في العقد، ج 5 : 279 : يسمعني
(138) في السيرة، ج 2 : 803 : ضنء. وكذلك في العقد، ج 5 : 279 .
(139) في السيرة، ج 2 : 803 : فالنضر. وكذلك في العقد، ج 5 : 279
(140) في جميع النسخ : عتقا. والتصحيح من السيرة ج 2 : 803 والعقد ج 5 : 279 .
(141) في السيرة، ج 2 : 803 : تشقق.
(142) مابين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.
(143) ورد هذا النص - بكامله - في العقد الفريد، ج 5 : 278 - 279 باختلاف يسير في اللفظ مما يشير إلى أن المؤلف نقله منه كما يوجد في السيرة لابن هشام، ج 2 : 684 ، 802 - 803 باختلاف يسير في اللفظ وبزيادة بيت شعري بعد البيت الذي يبدأ ب"ماكان ضرك..." وهو : أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ فَلْيُنْفِقَنْ ** بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ.
(144) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ح . والتكملة من ز، ك .
(145) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(146) ما بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ، فاستدركناها ليستقيم المعنى.
(147) الحديث، أخرجه : الترمذي، السنن، ج 4 : 216 - 217 . أبو داود، السنن، ج 2 : 599 ، السبكي، طبقات الشافعية، ج 1 : 117 علي ناصف، التاج الجامع، ج 5 : 301 . كلهم أخرجوه باختلاف في اللفظ.
(148) في جميع النسخ : يطفأ . والتصحيح من العقد ج 5 : 281 .
(149) في جميع النسخ : النائرة. وهو تصحيف. والتصحيح من العقد ، ج 5 : 281 .
(150) في جميع النسخ : له. وهو تصحيف، والتصحيح من العقد ج 5 . 281 .
(151) النص بكامله ورد في العقد، ج 5 : 281 وفي لفظه اختلاف يسير مما يشير إلى أن المؤلف كان ينقل منه مباشرة لكن دون التنبيه إلى ذلك .
(*) * 10 ب

ودخل كعب بن زهير على النبي صلى الله عليه وسلم قبل صلاة الصبح فمثل بين يديه وأنشد : [البسيط]

بَانَتْ سُعَادُ فَقَلْبِي اليَومَ مَتْبُولُ مُتَيَّمٌ إثْرَهَا لَمْ (يُفْدَ)[152] مكبول[153]

ثم خرج إلى مدح النبي صلى الله عليه وسلم، فكساه برداً اشتراه منه معاوية - رضي الله عنه- بعشرين ألفا.

وقد تأسى به مولانا [154] - نصره الله- وأعطى العطاء الجزيل للشعراء، حتى اشتهر بذلك، وما رد أحدا خائبا حتى تنافست الطلبة في إدراك الغاية منه والتّنمق وعذب المنطق بهذا السبب، ويأتي مزيد بيان إن شاء الله في أوصافه الحميدة.

أفضل صناعة الرجل الأبيات من الشعر

وقال [155] عمر بن الخطاب رضي الله عنه : أفضل صناعات الرجل، الأبيات من الشعر يقدمها في حاجته، يستعطف بها قلب الكريم، ويستميل بها قلب اللئيم.

وقال الحجاج للمساور بن (هند : مالك) [156] تقول الشعر وقد بلغت من العمر ما بلغت؟ قال : أرعى به الكلإ، وأشرب به الماء، وتقضي لي به الحاجة، فإن كَفَيْتَنِي ذلك تركته.

وقال عبدالملك بن مروان [157] لمؤدب[158] ولده : روّهم الشعر يمجدوا [159] وينجدوا[160].

---

(152) في شرح ديوان كعب بن زهير ، ص : 6 : يُجْزَ

(153) انظر : شرح ديوان كعب بن زهير، ص : 6 . كما ورد هذا البيت في العمدة لابن رشيق القيرواني، ج 1 : 24 .

(154) يقصد : السلطان الحسن بن محمد بن عبدالرحمان العلوي.

(155) من هنا يستأنف المؤلف النقل من العقد ج 5 : 274 دون التنبيه إلى ذلك.

(156) في جميع النسخ: عبدالملك. وهو تصحيف. والتصحيح من العقد ، ج 5 : 274 .
ومساور بن هند هو : مساور بن هند بن قيس بن زهير العبسي، المتوفى في حدود سنة 75 هـ / 695 م : شاعر وفارس من المتقدمين في الإسلام. انظر : عبد الرحيم بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص، ج 1 : 283 . خ. الزركلي، الأعلام، ج 7 : 214 .

(157) عبدالملك بن مروان (26 - 86 هـ / 646 - 705) يعد من أبرز خلفاء بني أمية. أصبح خليفة للمسلمين في سنة 73 هـ / 692 م.
يعتبر عهده مقدمة للفتوحات الكبرى : فتح المغرب وَوَاجَهَ الروم في الأناضول وأرمينيا ، وحارب الترك في الشرق وبلاد ما وراء النهر. كما كان عهده مقدمة لأعمال ومنجزات هامة منها : النقش على الدراهم والدنانير وتعريب الدواوين . انظر أخباره في تاريخ الأمم للطبري، ج 7 : 175 - 283 وج 8 : 2 - 57 ، الإمامة والسياسة لابن قتيبة، ج 2 : 17 - 69 ، الأخبار الطوال للدينوري، ص : 286 - 325 ، البداية لابن كثير، ج 8 : 260 - 295 وج 9 : 61 – 69 ، العبر لابن خلدون، ج 3 : 31 - 59 ، تاريخ الخميس للديار بكري، ج 2 : 311 .

(158) المؤدب هو : إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، مولى بني مخزوم الدمشقي حسب رواية ابن كثير في البداية. وهو الشعبي (عامر بن شراحيل) حسب السيوطي في المزهر، وفضل الله الصمد للجيلاني.
انظر: ابن كثير البداية، ج 9 : 66، السيوطي، المزهر، ج 2 : 309، وفضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد للجيلاني ج 2 : 322 .

(159) يمجدوا : من المجد وهو نيل الشرف، والمروءة والسخاء.

(160) ينجدوا : من النجدة، وهي القتال والشدة والشجاعة.
وهذه القولة توجد مثبتة باختلاف يسير في اللفظ في عيون الأخبار لابن قتيبة، ج 2 : 167 ، البداية، ج 9 : 66 ، والمزهر ج 2 : 309 - 310 ، وفضل الله الصمد ، ج 2 : 322 .

وقالت عائشة : رووا أولادكم الشعر تعذب ألسنتهم. وبعث زياد[161] بولده إلى معاوية، فكاشفه عن فنون من العلم، فوجده عالما بكل ما سأله عنه، ثم استنشده الشعر، فقال : لم أروِ منه شيئا، فكتب معاوية إلى زياد : ما منعك أن تُرويَهُ الشِّعرَ؟ فواللهِ إن كان العاقُّ يرويه فيبرُّ، وإن كان البخيلُ يرويه فيسخو، وإن كان الجبان يرويه فيقاتلُ [162].

اعتراف الروم بأفضلية لغة العرب

وحتى أن العجم اعترفوا بأفضلية لسان العرب على سائر * الألسنة لاشتماله على هذه الأبحر المستعملة وغيرها.

وبالشعر استدلوا على ذلك واتفقت آراؤهم على أن لغة العرب أفضل لغات الأمم. كما أن لغة الفرانسيس أفضل لغات الروم، وأن شر اللغات، لغة أهل السودان والبربر، كما ذكره من حضر مجلس المفاوضة في هذا ببلد السويد من أرض الروم. [الكامل]

وَحَسْنَاءُ قَدْ شَهِدَتْ لَهَا ضَرَّاتُهَا ... وَالحَقُّ (مَا) [163] شَهِدَتْ بِهِ الأَعْدَاءُ

وفيما ذكرناه كفاية وإلاّ فالكلام فيه طويل الذيل.

---

(161) هو : زياد بن أبيه (1 - 53 هـ / 622 - 673 م) : من القادة الفاتحين المشهورين في عهد الدولة الأموية، ألحقه معاوية بن أبي سفيان بنسبه، وولاه البصرة والكوفة وسائر بلاد العراق، وبقي يزاول مهامه إلى أن توفي.

(162) إلى هنا ينتهي النقل - بنفس اللفظ - من العقد الفريد ج : 5 : 274 .
والملاحظ أن المؤلف كان ينقل من العقد الفريد دون إشعار لا ببدايته ولا نهايته.

(163) د، ك : قد . والتصحيح من ز . ح.

(*) - 11 أ

شرح القصيدة
[تركيز السلطة ومواجهة التهافت الأوربي]

[المقصد الثالث : أفضلية الدولة العلوية]

[الحمد وأقسامه]

ولنصرف عنان القلم إلى شرح هذه القصيدة [1] المواعد بها لناظمها المعرّف به قبل التي مطلعها : [الطويل]

أَقُــولُ وَحَـمْـدُ الــلَّــهِ أَوَّلُ وَاجِــبٍ *** عَلَـى الـعَبْدِ إِنَّ الْـحَمْدَ بَعْضُ المَرَاتِبِ
فَـحَـمْـداً وَشُـكْـراً دَائِـمَـيْـنِ بِـقَـدْرِمَـا *** تَـرَاءَتْ لَـنَـا الـنَّـعْـمَـاءُ مِنْ خَـيْرِ وَاهِبِ

الكلام في الحمد وأقسامه وسبب الابتداء به، واضح ومبسوط في محله، وكذلك الشكر فلا نطيل به.

وقوله : أول واجب على العبد، أي في حالة ابتدائه لكل [أمر] [2] مهم ذي بال لا عموما، إذ معرفة الله والرسل بالصفات الواجبة والجائزة والمستحيلة عند أهل السنة هي أول واجب على العبد. ووجوب الحمد في الابتداء بالمهم شرعا أداء لحق ما وجب على العبد من شكر نعمائه التي من آثارها ذلك المهم المبتدإ به.

والعبد يقال على (أضرب) [3] أربعة :

الأول : عبد بحكم الشرع، وهو الإنسان الذي يصح بيعه.

والثاني : عبد بالإيجاد، وذلك ليس إلا لله، وإياه قصد بقوله : **﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَانِ عَبْداً﴾** [4].

والثالث : عبد بالعبودية، وهو المقصود بقوله : **﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ﴾** [5]، ومنه : **﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾** [6].

---

(1) القصيدة المذكورة، أثبتها - كذلك - عبدالقادر بن محمد بناني في كتابه - المخطوط - تلخيص ما عليه المعول في أخبار من بالمغرب من الدول، خ ، ح ، ر . رقم : 12385 ز . من ورقة 88 أ إلي ورقة 90 أ .
(2) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز ، ح . والتكملة من ك .
(3) د : أضراب. والأصح ما أثبتناه من ز، ح ، ك .
(4) سورة مريم ، الآية : 93 .
(5) سورة ص ، الآية : 41 .
(6) سورة الإسراء ، الآية :1 .

والرابع : عبدالدنيا ،و(أعراضها) [7] وهو المعتكف على خدمتها وإياه قصد النبي ﷺ بقوله : "تَعِسَ عَبْدُ الدُّنْيَا"[8] وفي العبودية إظهار التذلل، والعبادة أبلغ منها، لأنها غاية التذلل، ولايستحقها إلا من له غاية الأفضال.

والمراد بالعبد في كلامه : المعنى الثاني أو الثالث الذي هو مقام العبودية ، وهي أشرف المقامات ولذا تقدم على الرسول في التوراة وغيره كما ورد فيها : أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس (بفَظ)[9] ولا غَلِيظٍ ، ولا (سَخَّاب)[10] في الأسواق[11].

وفي معجم (الطبراني)[12] أن فصَّ* خاتم سليمان عليه السلام الذي أُلقى الله إليه من السماء كان نقشه : أنا الله لا إله إلا أنا محمد عبدي ورسولي. والإضافة في ذلك كله للتشريف والتعظيم.

[وقال الشاعر][13] : [السريع]

(لاتَدْعُني)[14] إلاَّ بِيَـا عَـبْـدَهَـا ... فَـإِنَّـهَـا أَشْـرَفُ (أَسْـمَـاءِ)[15]

وَلاَ تَـصِـفْـنِـي بِـالـهَـوى عِـنْـدَهَـا ... فَـعِـنْـدَهَـا تَـحْـقِـيـقُ أَنْـبَـاءِ

وقوله : إن الحمد بعض المراتب. أي هو أحد مراتب الابتداء الواجبة ، والبعض الآخر البسملة، والثالث ذكر الله مطلقا من غيرهما لرواية أحمد [16] : " كل أمر ذي بال لايفتتح بذكر الله فهو أبتر"[17] الحديث.

---

(7) ك : أغراضها. وأعراضها : أي مالها الكثير.

(8) هذا الحديث أخرجه البخاري رواية عن أبي هريرة باللفظ التالي : " تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ والدِّرْهَمِ والقَطِيفَةِ والخَمِيصَةِ إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ". انظر : العسقلاني، فتح الباري، ج 11 : 253 .

(9) د : بفض. والتصحيح من ز، ح ، ك .

(10) د، ز، ك : سخابا . التصحيح من ح . وسخاب أو صخاب من السُخب والصخب أي الضَجّة واختلاط الأصوات للخصام. انظر : ابن منظور، لسان العرب، ج 4 : 2407 .

(11) الجملة الأخيرة من هذا النص وردت باختلاف في اللفظ - عند : ابن سعد، الطبقات، ج 1 : 360 ، القاضي عياض، الشفا بتعريف حقوق المصطفى، ج 1 : 312 ، ابن منظور، لسان العرب، ج 4 : 2407 .

(12) د، ك : الطبري . والتصحيح من ز ، ح .
والطبراني هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطر اللخمي، أبو القاسم (260-360 هـ/870 - 970 م) : حافظ محدث. وله اهتمام بالتاريخ.
انظر : ابن خلكان، الوفيات، ج 2 : 407 . الذهبي، التذكرة، ج 3 : 912 - 917 . اليافعي، المرآة ج 2 : 372 . ابن الجزري غاية النهاية، ج 1: 311 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 3 : 224 - 226 . الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 88 . خ . الزركلي، الأعلام، ج 3: 121 . ولعل المؤلف يقصد بالمعجم هنا، معجم الكبير للطبراني المذكور . وهو كتاب في الحديث. مطبوع.

(13) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز .

(14) د، ز، ك : فلا تدعوني . وفي طرة ح : لا تدعوني، واقتضى السياق تصحيحها من نسيم الرياض، ج 1 : 149 .

(15) ز : أسمائي. وهذا البيت يوجد في نسيم الرياض للخفاجي ج 1 : 149 دون نسبة .

(16) لعله يقصد أحمد بن حنبل (164 - 241 هـ / 779 - 856 م) حافظ ومحدث مشهور.
انظر : ابن النديم، الفهرست، ص : 320 أبو نعيم، حلية الأولياء ج 9 : 161 - 233 ، ابن خلكان الوفيات ، ج 1 : 63 - 65 اليافعي، المرآة ج 2 : 132 - 134 السبكي، الطبقات الشافعية ج 1 : 199 - 203 ، أبو زهرة، ابن حنبل، أ . أمين ضحى الإسلام، ج 2 : 121 - 123 ، 234 - 242 .
H. LAOUST. Ency. de l'islam, T1 . PP : 280-26.

(17) الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج 1 : 43 عن أبي هريرة باختلاف يسير في اللفظ. وفي رياض الصالحين للنووي ص : 397 عن أبي هريرة باختلاف في اللفظ وقال : حديث حسن.

(*) * 11 ب

ويحتمل أنه أراد بعض المراتب العالية في الذكر الموصلة صاحبها للسعادة الأبدية بما ناله بالحمد من الثواب الجسيم المدّخر له بسببه، ويشهد له حديث الديلمي[18] مرفوعا: "إنَّ اللَّه يُحِبُّ الحَمْدَ يُحْمَدُ بِهِ لِيُثِيبَ حَامِدَهُ، وَجَعَلَ الحَمْدَ لِنَفْسِهِ ذِكْراً ولِعِبَادِهِ ذُخْراً"[19] وهو الرتبة الثالثة في قوله تعالى: ﴿التَّائِبُونَ العَابِدُونَ الحَامِدُونَ﴾[20].

ويصح أن يقال في البيت: إن الحمد أعلى المراتب. ولذلك قيد الحمد والشكر بالدوام طلبا للكثرة وعدم التناهي كما لا نهاية لنعمائه جل وعلا المترائية والحاصلة له ولغيره من الله تعالى، إذ هو الواهب، تقول: وهب يهب وهبا بوزن وضع يضع وضعا، المعطى في الحقيقة لا إله غيره، ولاتخلو لحظة من نعمائه على العبد سبحانه وتعالى، فيكون الناظم كثير الحمد والشكر بهذا الاعتبار.

حكمة الحمد في العطاس

وأول من قال: الحمد لله، آدم - عليه السلام- لما عطس فقال الله لآدم: لهذا خلقتك يا آدم. كذا لأبي الليث السمرقندي[21] والحكمة في قول آدم: الحمد لله، لأن في العطاس تخفيف الدماغ وهو نعمة من الله، والنعمة تقابل بالحمد.

ورُوي أن من قال الحمد لله مع فهم معناها فتحت له أبواب الجنة الثمانية، لأن الحمد لله ثمانية أحرف وللجنة ثمانية أبواب.

ومعنى الحمد المدح لله على كماله في ذاته وتكميله لخلقه، ومن عرف معناها فمن أي باب شاء دخل منه. قال تعالى: "**لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ**"[22] وقال ﷺ: "أول من يُدعى إلى الجنة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء"[23].

وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال: "إن الله ليرضى عن العبد يأكل الأكلة فيحمده عليها ويشرب الشربة فيحمده عليها"[24].

---

(18) هو: فيروز الديلمي أو فيروز بن الديلمي حسب ابن سعد: صحابي جليل، فارسي الأصل، ولاه معاوية على صنعاء، وبها توفي (53 هـ / 673 م) له أحاديث.
انظر: ابن سعد، الطبقات، ج 5: 533 - 534، ابن قنفذ الوفيات ص: 42، خ. الزركلي، الأعلام، ج 5: 164.

(19) أخرجه الألباني في ضعيف الجامع الصغير وزيادته، ج 2: 116 باختلاف في اللفظ وقال: ضعيف.

(20) سورة التوبة. الآية: 112.

(21) هو: نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي، أبو الليث المتوفى سنة 373 هـ / 983 م: محدث، حافظ مفسر صوفي وفقيه. انظر: ع. الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2: 342 - 343. إ. البغدادي، الهدية، ج 2: 490. خ. الزركلي، الأعلام، ج 8: 27. كحالة معجم المؤلفين. ج 13: 91.

(22) سورة إبراهيم. الآية: 7.

(23) انظر: الطبراني، المعجم الصغير، ج 1: 103، السيوطي، الجامع الصغير، ج 1: 112 - 113، كلاهما عن ابن عباس وبنفس اللفظ. والنيسابوري، المستدرك، ج 1: 502، الذهبي التلخيص(بهامش المستدرك) ج 1: 503، كلاهما عن ابن عباس وباختلاف يسير في اللفظ.

(24) انظر: صحيح مسلم بشرح النووي، ج17: 51. عن أنس ابن مالك وباختلاف يسير في اللفظ. ورياض الصالحين للنووي ص: 397 عن أنس بن مالك وبنفس اللفظ.

(*) * 11 ب.

أفضل المحامد صيغة

وقيل : أفضل المحامد أن يقال الحمد لله * بجميع محامده كلها، ما علمت منها وما لم أعلم عدد خلقه كلهم، ما علمت منهم وما لم أعلم على جميع نعمه كلها، ما علمت منها وما لم أعلم. وحجته ما روي أن رجلا قال هذه الكلمات بعرفة، فلما كان العام القابل حج وأراد أن يقولها فسمع قائلا يقول: ياعبد الله، لقد أتعبت الحفظة فإنهم يكتبون ثواب هذه الكلمات من العام الماضي.

[و][25] يقرب من هذا كلام الناظم :

وَصلِّ عَلى المُختَارِ مِنْ آل هَاشِم   وآلِه والأصْحَابِ أولِي المَنَاقِبِ

أراد الجمع بين الثناء على الله عز وجل، والصلاة على رسول الله ﷺ لما في ذلك من البركة الموعود بها في الشرع وذلك مرجو للقبول والإجابة كما جاء في حديث فضالة بن عبيد[26] أنه قال : بينما رسول الله ﷺ قاعد إذ دنا رجل فصلى فقال : اللهم اغفر لي وارحمني، فقال رسول الله ﷺ : " عجلت أيها المصلي(إذا) [27] صليت فَقَعدت فاحمد الله بما هو أهله و(صل عليّ)[28] ثُمَّ ادْعُهُ".

(قال)[29] : ثم صلى رجل آخر بعد ذلك، فحمد الله وصلى على النبي ﷺ فقال رسول الله ﷺ "أيُّهَا المُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ" [30].

فإن قلت هذا وارد في السؤال ولاسؤال في كلام الناظم فالجواب أن ثناءه على الله تعالى، وإدخاله نفسه تحت الرق لخير واهب وأن جميع النعم الحاصلة منه تعالى هو تعرض، وهو معنى السؤال بلسان الحال، وهو معروف عند العرب وله أصل في الشرع.

---

(25) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز،ح . والتكملة من ك.

(26) هو : فضالة بن عبيد بن نافذ بن قيس الأنصاري الأوسي، أبو محمد المتوفى سنة 53 هـ / 673 م صحابي وراوية للحديث، انظر: ابن كثير ، البداية، ج 8 : 78 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 8 : 267 - 268 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 5 : 146 .

(27) في جميع النسخ : إذ . واقتضى السياق تصويبها.

(28) د، ك : وصلى عليه. ز: وصل عليه . والتصحيح من ح .

(29) ك : فقال.

(30) الجزء الأول من هذا الحديث أخرجه الترمذي ، السنن ، ج 5 : 180 ، باختلاف في اللفظ، والهندي، منتخب كنز العمال (بهامش مسند أحمد) ج 2 : 83 بنفس اللفظ لكن يبتدئ وينتهي بـ (عجلت ... ادعه).

(*) • 12أ.

ذكر بعض المؤرخين عن الحسن بن الحسن المروزي قال : سألت سفيان بن عيينة [31] فقلت : يا أبا محمد ما تفسير قول النبي ﷺ : "كَان من أكثر دعاء الأنبياءِ قَبلي بمعرفة لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير" [32] وليس فيه من الدعاء شيء؟ فقال لي : أعرفت حديث مالك بن (الحارث) [33] : إذا أشغل عبدي ثناؤه علي عن مسألته أعطيته أفضل ما أعطى السائلين" [34] ثم قال : أعلمت ما قال أمية بن أبي الصلت حين خرج إلى ابن جدعان يطلبه نائله وفضله؟ قلت : لاأدري قال : قال : [الوافر]

(أَأَذكُرُ)[35] حَـاجَـتِـي أَمْ قَـدْ كَـفَـانِـي ... (حَيَاؤُكَ)[36] إنَّ شِيمَتَكَ (الحَيَاءُ)[37]
إذَا أَثْـنَـى عَـلَـيْـكَ المَرْءُ يَـوْمـاً ... (كَفَاهُ)[38] مِنْ (تَعَرُّضِكَ)[39] الثَّنَاءُ[40]

* ثم قال سفيان : هذا مخلوق ينسب إلى الجود. قيل له : يكفينا من مسألتك أن نثني عليك ونسكت حتى تأتي على حاجتنا، فكيف الخالق؟

وذكر ابن عبدالبر هذه الحكاية في التمهيد[41] على نحو اخر، والمقصود واحد. فأردف الناظم بالصلاة على النبي المختار ﷺ لتحصيل الإجابة؛ لأن الصلاة على النبي ﷺ مستجابة على القطع، فإذا اقترن بها السؤال شفعت بفضل الله فيه.

والصلاة من العبد الدعاء، أي داعيا له بالرحمة والبركة وزيادة التشريف والإكرام. وهي في العرف عبادة معروفة.

---

(31) هو : سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد(107 - 198 هـ / 725 - 814 م) : محدث، وحافظ . من الموالي.
انظر : ابن سعد، الطبقات، ج 5 : 497 - 498 ابن النديم، الفهرست، ص : 61 ، 316 ، أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 7 : 270 - 318، اليافعي، المرآة ، ج 1 : 459 - 460 ، خ . الزركلي، الأعلام ج 3 : 105 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 4 : 235 .

(32) هذا الحديث يوجد عند ابن عساكر في التاريخ الكبير، ج 3 : 122 باختلاف يسير في اللفظ.

(33) د، ك ، ح : الحرث . والتصحيح من ز.

(34) انظر : ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج 3 : 122 ، القضاعي، مسند الشهاب، ج 1 : 340 - 341 ، الغزالي، إحياء علوم الدين ج 1 : 262 ، المرتضى الزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج 4 : 464 - 465 . وكلهم باختلاف في السند واللفظ.

(35) في التاريخ الكبير لابن عساكر، ج 3 : 122 : أأطلب.

(36) ز، ح : حباؤك.

(37) ز، ح : الحباء.

(38) ز : كفاك.

(39) ز : تعرضه.

(40) البيتان يوجدان عند : ابن عساكر، التاريخ الكبير، ج 3 : 122 ، ابن كثير، البداية، ج 2 : 229 .

(41) اسم الكتاب كاملا : التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.
تأليف : ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله النمري القرطبي (368 - 463 هـ / 978 - 1070 م).
تحقيق : مصطفى بن أحمد العلوي وآخرون. وقد نشر بالرباط بعناية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية (1386 - 1407هـ/ 1967 - 1987 م).

(*) * 12 ب.

الصلاة لغة

وفي اللغة الدعاء، وأصلها الانحناء والانعطاف، مأخوذة من الصلوين وهما : عرفان في الظهر من جانب الذنب إلى الفخذين، وعظمان ينحنيان في الركوع والسجود. قالوا : ولهذا كتبت في المصحف بالواو.

وقال النووي(42) رحمه الله ورضي عنه : وقيل في اشتقاقها أقوال أكثرها باطل. وقال الإمام السهيلي - رحمه الله- بعد قوله : مأخوذة من الصلوين، ولذا قالوا : صلى عليه، أي انحنا عليه رحمة وتعطفا، ثم سموا الرحمة حنوا وصلاة إذا أرادوا المبالغة فيها. فقولك : صلى الله على محمد أرق وأبلغ من قولك : رحم الله محمدا. فالحنو العطف.

والصلاة أصلها في المحسوسات ثم عبر (بها عن هذا) (43) المعنى مبالغة وتأكيدا.

قال الشاعر : [الطويل]

فَمَازِلْتُ فِـي لِيـنِي لَـهُ وَتَـعَـطُّفِي عَـلَـيْـهِ كَمَـا تحْنُـو عَـلَـى الـوَلَـدِ الأُمُّ

ومنه قيل : صليت على الميت، أي دعوت له دعاء من يحنو عليه، ويتعطف إليه. ولذلك لا تكون الصلاة بمعنى الدعاء على الإطلاق، فلا يقال : صليت على العدوّ، أي دعوت عليه، وإنما يقال صليت عليه بمعنى الحنو والرحمة والتعطف لأنها في الأصل انعطاف، ومن أجل ذلك عديت في اللفظ بعلى، فتقول : صليت [عليه](44) أي حنوت عليه، ولا تقول في الدعاء إلاّ دعوت له (بتعدي)(45) الفعل باللام إلاّ أن تريد الشر والدعاء على العدو. ولهذا فرّق بين الصلاة والدعاء، وأهل اللغة لم يفرقوا ولكن قالوا في الصلاة بمعنى الدعاء مطلقا، ولم يفرقوا بين حال ولا حال، ولا ذكروا التعدي (بحرف) (46) اللام، ولا بعلى. ولابدّ من تقييد العبارة - كما ذكرناه- والله أعلم.

وقال في شرح الشفا (47) : ولا أشهر من أنها من الله رحمة ومن الملائكة استغفار ومن الأدميين تضرع ودعاء، صح عن السلف الصالح، وبه تمسك الشافعي(48) * واستيفاء الكلام على الصلاة يستدعي (للطول) (49) وفيما ذكرناه كفاية.

---

(42) هو : يحي بن شرف بن مري بن حسن الحزامي الحوراني، النووي الشافعي، أبو زكريا محي الدين(631 - 677 هـ / 1233 - 1278). محدث ، حافظ ، فقيه ولغوي من سوريا.
انظر : السبكي، الطبقات الشافعية، ج 5 : 166 - 168 ، ابن كثير ، البداية، ج 13 : 278 - 279 . ج زيدان ، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 242 ، إ. البغدادي، الهداية، ج 2 : 524 ، ع . الزركلي، الأعلام ، ج 8 : 149 - 150 . بدوي، الحياة العقلية، ص : 139 - 143 كحالة، معجم المولفين، ج 13 : 202 - 203 .

(43) ك : عنها بهذا.

(44) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(45) ك : يتعدى.

(46) ز : بحروف.

(47) اسمه الكامل : نسيم الرياض، في شرح شفاء القاضي عياض. والكتاب من تأليف أحمد شهاب الدين الخفاجي المصري. وقد صدرت الطبعة الأولى منه سنة 1325 هـ / 1907 م بالمطبعة الأزهرية المصرية.

(48) انظر : نسيم الرياض، ج 1 : 21 - 22 - وفيه اختلاف في اللفظ.

(49) ك : إلى الطول.

(*) 13 أ.

تاريخ مشروعية الصلاة على النبي ﷺ

وكان ابتداء مشروعية الصلاة على النبي ﷺ في السنة الخامسة من الهجرة[50]، وقيل: كان بمكة، لأنه ورد في حديث الإسراء، فإن صح الثاني فيحمل الأول على ابتداء إظهاره للناس، وهذا مما خص به نبينا ﷺ دون الأنبياء كلهم، فإنه لم يشرع ذلك لأممهم.

وجاءت كيفيات عن رسول الله ﷺ في الصلاة عليه، ولنقتصر منها على كيفية واحدة تبركا بذلك لطول الكلام على الإحاطة بجميعها، وهي ما روى عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - أنه قال: "إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، قالوا: فعلمنا، قال: قولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد عبدك ورسولك، إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة، اللهم ابعثه المقام المحمود الذي يغبطه فيه الأولون والآخرون[51] انتهى.

والقائد: اسم فاعل من القود وهو تقدمه على من يتبعه باختياره وهو يقودهم إلى الجنة برضاهم.

والمقام المحمود: كل مقام يتضمن كرامة محمد ﷺ، ولكنه خص هنا بمفرد معين من أفراده، واختلف فيه كما نقله البرهان[52] عن القرطبي[53] على ستة أقوال، فقيل هو الشفاعة العامة السابقة - جعلنا الله من أهلها - وقيل: إعطاؤه لواء الحمد وهو لا ينافي ما قبله.

[صفة لواء الحمد]

و صفة لواء الحمد على ما في الحديث عنه ﷺ أنه قال: "في طوله ألف وستمائة عام من ياقوتة حمراء قضيبه من فضة بيضاء وزجه من (زَبَرْجَدَة)[54] خضراء له ثلاث ذوائب، ذؤابة بالمشرق وذؤابة بالمغرب وذؤابة وسط الدنيا، مكتوب عليه ثلاثة أسطار: الأول بإسم الله الرحمان الرحيم، والثاني الحمد لله رب العالمين، والثالث لا إله إلا الله محمد رسول الله. طول كل سطر مسيرة ألف عاما» [55].

---

(50) السنة الخامسة من الهجرة توافق سنة 626 م.

(51) الحديث أخرجه المنذري، الترغيب والترهيب، ج 3 : 305 باختلاف يسير في اللفظ.

(52) لعله يقصد: محمود بن عبيد الله المحبوبي، الحنفي الشهير ببرهان الشريعة المتوفى سنة 673 هـ/ 1274 م: فقيه ومفتي. انظر: إ. البغدادي، الهدية، ج 2 : 406، كحالة، معجم المؤلفين ج 12: 178.

(53) لعله يقصد: أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي 578 - 656 هـ 1182 - 1258 م فقيه مالكي من رجال الحديث. انظر: خ. الزركلي، الأعلام، ج 1 : 186.

(54) د، ك: زبردة وهو تصحيف. والتصحيح من ز، ح.

(55) لم أقف عليه.

وفي رواية أنه ﷺ قال : «له ثلاث شقق كل شقة ما بين السماء والأرض، على الأولى مكتوب : باسم الله إلى آخر فاتحة الكتاب. وعلى الثانية : لا إله إلا الله محمد رسول الله. وعلى الثالثة مكتوب : أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذو النورين وعلي الرِّضَى» (56).

والمختار هو الذي اختصه الله واختاره من سائر الخلق صفوة ولبابا منهم وهو محمد ﷺ، *فهو مختار من صفوة الصفوة الذين هم الأنبياء والرسل-[عليهم السلام]-[57] لأنهم المصطفون من الخلق، ومحمد ﷺ ، مصطفى ومختارا من أولئك المصطفين، ألا ترى إلى نحو ما جاء من قوله : "أَنَا سَيِّدُ وَلَدَ آدَمَ وَلاَ فَخْرَ" (58) . وما في معنى ذلك؟

وقد جاء في الصحيح عن واثلة بن الأسقع (59) أنه قال : قال رسول الله ﷺ ، : «إن الله اصطفى من ولد إسماعيل)(60) كنانة واصطفى من بني كنانة قريشا و اصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»(61) . وإليه الإشارة بقوله : المختار من آل هاشم. الثاني واسمه عمرو، وكنيته أبو الصلت. ولقب بها لأنه هشم الثريد لقومه في زمن المجاعة .

وآله ﷺ قيل : هم رهطه الأقربون وعشيرته الأدنون وقيل : من يول إليه في الدين، يعني أمته. والصحيح أن آله ﷺ ، من اجتمع معه في هاشم.

[و](62) الأصحاب : جمع صحب لاجمع صاحب، لأن فاعلا لايجمع على أفعال كما صرح به سيبويه(63) وارتضاه الزمخشري (64) وقال به القسطلاني (65) وغير واحد من

---

(56) يقصد علي بن أبي طالب.

(57) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(58) الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج 15 : 37 رواية عن أبي هريرة، وسنن الترمذي، ج 5 : 247 رواية عن أبي سعيد. وقال الترمذي : هذا حديث حسن. والمصدران أوردا الحديث باختلاف يسير في اللفظ.

(59) واثلة بن الأسقع :صحابي جليل . مقرئ وراوية للحديث .قرأ عليه جماعة من الشاميين. وتوفي 83هـ/ 702 م . انظر : اليافعي، المرآة، ج 1 : 175، خليل الزرو، الحياة العلمية، ص : 36 ، خ . الزركلي ، الأعلام، ج 8 : 107 .

(60) العبارة كررت في د، ك، ن.

(61) الحديث يوجد في : صحيح مسلم بشرح النووي، ج 15 : 26 ، والسنن للترمذي ج 5 : 243 ، والبداية لابن كثير. ج 2 : 202 وكلهم أخرجوه باختلاف في اللفظ.

(62) مابين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ن ح، ك.

(63) هو : عمرو بن عثمان بن قنبر سبويه، أبو بشر 148 - 180 هـ / 765 - 796 م نحوي، أديب . تتلمذ على الخليل بن أحمد ويونس بن حبيب وغيرهما. ولد في إحدى قرى شيراز وقدم البصرة وتوفي بالأهواز.
انظر البغدادي، تاريخ بغداد، ج 12 : 195 - 199 ، ابن الأنباري، النزهة، ص : 54 - 58 الحموي، معجم الأدباء، ج 16 : 114 - 127 اليافعي، المرآة، ج1 : 348 - 445 ، ابن كثير ، البداية ج 10 : 176 - 177 وج 11 : 69 - 70 ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 132ك . بروكلمان،تاريخ الأدب ج2 : 134 -137خ . الزركلي، الأعلام،ج 5 : 81، كحالة، معجم المؤلفين، ج 8 : 10.

(64) هو: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري أبو القاسم 467 - 538 هـ / 1075 - 1144 مفسر، محدث، أديب، ناظم ومشارك في عدة علوم . ولد بزمخشر من قرى خوارزم وتوفي بجرجانية خوارزم. بعد أن تفقه في العلم ببغداد.
انظر: ابن الجوزي ، المنتظم ج 10 : 112 ، ابن الأنباري، النزهة، ص : 290 - 292 ، الحموي، معجم الأدباء، ج19: 126 - 135، ابن كثير، البداية، ج 12 : 219 ابن خلكان، الوفيات، ج 5 : 168 - 174 ، العسقلاني، اللسان، ج 6 : 4 ، ابن العماد ، الشذرات، ج 4 : 118 - 121 ، المقري ، أزهار الرياض، ج 3 : 282 - 303، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 46 ، أ . أمين ، ظهر الإسلام ج 4 : 51 - 58 ، خ.
الزركلي ، اعلام ، ج 7 : 178 ، م . كرد علي، كنوز الأجداد . ص : 291- 294 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 12 : 186 - 187 .

(65) لعله يقصد : أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري ، 851 - 923 هـ / 1448 - 1517 م محدث، فقيه، مقرئ، مولده ووفاته بالقاهرة.
انظر : السخاوي، الضوء اللامع، ج 2 : 103 - 104 الغزي، الكواكب السائرة، ج 1: 126 - 127 ، ابن العماد، الشذرات ج 8 : 121-123، لكتاني، فهرس الفهارس، ج 2 : 318 -320خ. الزركلي، الأعلام، ج 1 : 232 ، كحالة، معجم المؤلفين ج 2 : 85 -86
C. BROCKELMAN. Ency . de l'islam. T 4 . p: 766.

(*) 13ب

المؤلفين، وهو كل من اجتمع مؤمنا بالنبي ﷺ وعرّفه البخاري أيضا بقوله : "من صَحِبَ النبيَّ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه"[66] ولا أحد من الأئمة أعظم منهم منصبا رضي الله عنهم، ومناقبهم أشهر من أن تذكر.

والمناقب : جمع منقبة وهي الفعل الكريم، ولو تتبعناها لطال الأمر فهم أصحاب المناقب الفاخرة التي لا يشاركهم فيها أحد من الأمم رضي الله عنهم ونفعنا بمحبتهم آمين، إذ الصحبة لايعادلها شيء، ولا مساوي لها في الفضل.

وأول الصحابة إسلاما خديجة على ماصويه بعضهم. وحكى ابن عبد البر الإتفاق عليه. وقال بعضهم : أول من أسلم أم أيمن مولاته ﷺ ، ولكن الصحيح سبقية خديجة عليها. قيل: وأول امرأة أسلمت بعد خديجة أم الفضل زوج العباس وأسماء بنت أبي بكر الصديق وأم أيمن. [و] [67] أول ذكر بعد خديجة، ورقة بن نوفل[68]. وصحح جمع من العلماء سبقية أبي بكر وهو قول ابن عباس وحسان بن ثابت. وقيل : إن عليا كرم الله وجهه بعد خديجة. وقال ابن الصلاح[69] : والأورع أن يقال : أول من أسلم من النساء خديجة، ومن الرجال الأحرار أبو بكر، ومن الصبيان علي ومن الموالي زيد بن حارثة[70] ومن العبيد بلال [71] انتهى.

[الاختلاف في أول من تكلم بأما بعد]

ثم قال الناظم :

*وَبَعْدُ فَإِنَّ العِلْمَ أَفْضَلُ مُقْتَنَى فَشَمِّرْ عَلَيْهِ وَٱعْتَكِفْ فِي المَطَالِبِ

من المقرر الشائع أن الواو في وبعد قائمة مقام أما؛ إذ الأصل أما بعد، وعليه فلا فرق بينهما كما عند الشافعية، ثم إنها تستعمل مقرونة بأما والواو، وبأحدهما فقط، وإن كان الواقع منه ﷺ أما بعد.

---

(66) انظر : فتح الباري بشرح صحيح البخاري للعسقلاني، ج 7 : 3 بنفس اللفظ.

(67) مابين المعقوفتين ساقطة من د. والتصحيح من ز، ح ، ك.

(68) هو : ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى. من قريش، أدرك أوائل عصر النبوة، ولم يدرك الدعوة. وهو ابن عم خديجة (أم المؤمنين). توفي حوالي 12 ق هـ / حوالي 611م. انظر : خ الزركلي، الأعلام، ج 8 : 114 - 115 .

(69) لعله يقصد : عثمان بن عبد الرحمان بن عثمان بن موسى الكردي الشهرزوري، الموصلي، المعروف بابن الصلاح (577 - 643 هـ / 1181 - 1245 م) : محدث، مفسر ونحوي.
انظر : أ. بدوي ، الحياة العقلية ، ص : 136 - 138 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 6 : 257 .

(70) هو : زيد بن حارثة بن شراحيل، الكلبي، المتوفى سنة 8 هـ / 629 م . صحابي جليل. وهو من أقدم الصحابة إسلاما.
انظر : ابن مخلوف، الشجرة، ص : 79 . خ . الزركلي، الأعلام، ج 3 : 57 .

(71) هو بلال بن رباح الحبشي، أبو عبدالله، مؤذن رسول الله وأمين بيت المال في عهده. توفي في دمشق حوالي 20 هـ / 641 م.
انظر : ابن سعد ، الطبقات الكبرى، ج 5 : 204 ، أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 1 : 147 - 151 ، اليافعي، المرآة، ج 1 : 75 - 76 ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج 2 : 245 - 246 ، خ . الزركلي الأعلام، ج 2 : 73 .

(*) 14« أ .

قال الحافظ الرهاوي(72) في أربعينه (73) عن أربعين صحابيا أنه ﷺ كان يقول : أما بعد، في خطبه وشبهها أي كتبه. انتهى .

وقد أجمع المحققون على أن فصل الخطاب هو : أما بعد، كما نقله السعد(التفتازاني)(74) عن ابن الأثير. وقد (يختصر)(75) بعضهم فيقول : وبعد، وهي ظرف زمان باعتبار النطق، ومكان باعتبار الرقم يفصل به ما قبله عما بعده، ولذا سمي فصل الخطاب مبني على الضم لإضافته لمحذوف منوى معناه لا لفظه والتقدير. وبعد الحمد والشكر والصلاة على النبي ﷺ فإن العلم ... الخ.

واختلف في أول من نطق بها فقيل : داود عليه الصلاة والسلام وهي فصل الخطاب الذي أوتيه، لأنها تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب والمواعظ، وقيل أول من تكلم بها : يعقوب عليه السلام لما جاءه ملك الموت قال من جملة كلامه : أما بعد فأنا أهل (البيت)(76) موقن ببقاء البلاء.

وقيل أول من تكلم بها : أيوب عليه السلام. وقيل قُسّ بضم القاف وتشديد السين المهملة ومعناه العالم ابن ساعدة الإيادي(77) بكسر الهمزة نسبة لإياد بن معد، آمن بالنبي ﷺ (قبل) (78) بعثته، ورآه النبي مرتين، وعاش ستمائة أو سبعمائة سنة (79) ، وقيل أول من تكلم بها كعب بن لؤي(80)، وقيل أول من تكلم بها : يعرب بن قحطان. وقيل : (سحبان بن وائل) (81) (لقوله) (82) : [الطويل]

لَقَدْ عَلِمَ (الحَيُّ اليَمَانِيُّ أَنَّنِي)(83) إذَا قُلْتُ : أَمَّا بَعْدُ أَنِي خَطِيبُهَا(84)

---

(72) هو : عبدالقادر بن عبدالله الفهمي الرهاوي، أبو محمد. (536 - 612 هـ/ 1141 - 1215 م) محدث، وحافظ. ولد بالرها وتوفي بحران.
انظر : ابن كثير، البداية، ج 13 : 69 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 4 : 40.

(73) اسم الكتاب : الأربعين المتباينة الإسناد والبلاد. وضعه مؤلفه في الحديث.

(74) في جميع النسخ : التفتزاني. وهو : مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني، سعد الدين (712 793 هـ / 1312 - 1390 م) أديب، لغوي، فقيه ومشارك في عدة علوم.
انظر : ابن العماد، الشذرات، ج 6 : 319 - 322 ، ابن القاضي، درة الحجال، ج 3 : 13 - 14 ، الشوكاني، البدر الطالع، ج 2 : 303 - 305 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية ج 3 :235 ، إ. البغدادي، الهدية، ج 2 : 429 ، الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 347، خ. الزركلي ، الأعلام ج 7 : 219 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 12 : 228 - 229

(75) د، ك : يختص. والتصحيح من ز، ح.

(76) د، ك : بيت والأصح ما اثبتناه من ز، ح .

(77) هو : قس بن ساعدة بن عمرو بن عدي بن مالك، من بني إياد حكيم عربي، ومن خطبائهم المرموقين في الجاهلية، وقد طالت حياته. توفي حوالي سنة 23 قهـ / حوالي 600 م .
انظر : المرزباني معجم الشعراء، ص : 222 - 223 ، الأصبهاني، الأغاني، ج 14 : 41 - 44 ، البغدادي، خزانة الأدب، ج 2 : 89 - 91 خ . الزركلي، الأعلام، ج 5 : 196 .

(78) د، ز ، ح : بعد . والتصحيح من ك .

(79) هذا سن مبالغ فيه كثيرا.

(80) هو : كعب بن لؤي بن غالب أبو هُصيص، جد جاهلي من قريش اشتهر بالخطابة والوعظ، من نسله بنو سعد وبنو سهل وبنو العاص وبنو نفيل من بطون قريش . توفي حوالي 173 ق هـ / 454 م انظر : خ. الزركلي، الأعلام ، ج 5 : 228 ، ومصادر

(81) ترجمته بالهامش رقم : 1 .
في جميع النسخ : لحبان بن وائل. والتصحيح من ابن القاضي، المنتقى المقصور، ج 1 : 372 . وسحبان بن وائل هو : سحبان بن زفر بن إياس الوائلي، من باهلة المتوفي حوالي سنة 54 هـ / حوالي 674 م. خطيب يضرب به المثل في البيان والفصاحة. دخل الاسلام وأقام في دمشق أيام معاوية وله شعر.
انظر : ابن القاضي، المنتقى المقصور، ج 1 : 372 ، خ. الزركلي، الأعلام، ج 3 : 79 .

(82) د،ك،ح : بقوله . والتصحيح من ز.

(83) د، ك : اليمانيون أني. والتصحيح من ح، ز ، وفي المنتقى المقصور لابن القاضي، ج 1 : 372 : الحي اليمانون أنني.

(84) البيت يوجد في المنتقى المقصور لابن القاضي، ج 1 : 372 .

ورد بأن النبي ﷺ كان يقولها في خطبه ويأمر بكتابتها في مكاتبه وهو قبل (سحبان) [85] إجماعا لأن (سحبان) [86] كان في زمن معاوية.

وقد نظم بعضهم أول من نطق بها فقال : [الطويل]

جَرَى الخَلْقُ أمَّا بَعْدُ مَنْ كَانَ بَادِياً ... فَسَبْعَةُ أقْوالٍ وَدَاوُدُ أقْرَبُ
لِفَصْلِ خِطَابٍ ثُمَّ يَعْقُوبُ قِسُّهُمْ ... فَسُحْبَانُ أيُّوبُ فَكَعْبُ فَيَعْرُبُ

أول من نطق بالعربية

ومما يناسب المقام مع فائدة، أن أول من تكلم بالعربية قحطان [87] حين تبلبلت الألسن * بعد الطوفان ببابل بأرض العراق - وما قيل أنه [بأرض] [88] المغرب ضعيف جدا لايلتفت إليه - وسار حتى نزل باليمن هو وأولاده. ثم (بعده نطق)[89] ثمود[90] بلسانه وشخص حتى نزل بالحجاز فكان منهم تسع قبائل قديمة فتقت ألسنتهم بالعربية وبُعث فيهم هود[91] وصالح[92] وشعيب [93] عليهم الصلاة والسلام، ولما بوأ الله إسماعيل الحرم وأنبع له زمزم مرت به (فرقة)[94] من أخواله جرهم فرأوا ماء لم يكونوا رأوه فأخبرتهم أمه بنسبه وحاله فتبركوا به وبمكانه، ونزلوا معه فنشأ إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - معهم بين ولدانهم وتكلم بلسانهم فأنكحوه منهم امرأة.

وقحطان المذكور هو ابن (شالخ)[95] بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام، وما قيل [من][96] أنه من ولد إسماعيل - عليه السلام- غلط نشأ من اشتراك اسمين قاله [الإمام] [97] السهيلي - رضي الله عنه - في كتابه المسمى بالروض (الأنف)[98]، هذا هو الصحيح عند أصحاب التاريخ. وما رُوي عن الحبر عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- من أن أول من تكلم بالعربية

---

(85) في جميع النسخ : لميان وهو تصحيف. واقتضت الضرورة تصحيحها.
(86) في جميع النسخ : لحيان. واقتضى السياق تصحيحها.
(87) قحطان بن عابر بن شالح بن أرفخشذ بن سام ابن نوح : أصل العرب القحطانية وأبو بطون حمير وكهلان والتبابعة (ملوك اليمن) واللخميين (ملوك الحيرة) والغساسنة (ملوك الشام) في الجاهلية. انظر : خ. الزركلي، الأعلام، ج 5 : 190 - 191 .
(88) مابين المعقوفتين ساقطة من ز، ح ، د ، والتكملة من ك .
(89) ك : نطق بعده.
(90) ثمود بن عابر بن إرم، من بني سام بن نوح: رأس قبيلة من العرب العاربة في الجاهلية، كانت إقامته في بابل ورحل بعشيرته إلى الحجر (بين المدينة والشام). انظر : خ . الزركلي، الأعلام، ج 2 : 101 .
(91) هود- عليه السلام- ابن عبدالله، هو نبي من نسل سام بن نوح، أرسله الله سبحانه وتعالى إلى قوم عاد (قوم كانوا يسكنون الجبال في أرض تقع شمال حضر موت). وكانوا يعبدون الأوثان فدعاهم هود إلى عبادة الله وأمرهم أن يوحدوه. انظر : علي فكري، أحسن القصص، ج 1 : 26 خ . الزركلي ، الأعلام ج 8 : 101 - 102 .
(92) صالح - عليه السلام- نبي عربي، من نسل ثمود ويقال لهم أصحاب الحجر وهي بلادهم المعروفة اليوم بمدائن صالح، نسبة إليه.
انظر : علي فكري، أحسن القصص، ج 1 : 37 ، خ. الزركلي، الأعلام، ج 3 : 188 .
(93) شعيب : النبي العربي من ولد مدين بن إبراهيم منازل قومه بقرب تبوك.
انظر : علي فكري، أحسن القصص، ج 1 : 114 ، خ. الزركلي، الأعلام، ج 3 : 165 - 166 .
(94) د، ح ، ك : رفقة. والتصحيح من ز.
(95) ز، ح : سالخ.
(96) مابين المعقوفين ساقطة من د، ك ، ح .
(97) مابين المعقوفين ساقطة من ز.
(98) د، ك : الأنوف. والتصحيح من ز، ح .
(*) * 14 ب.

إسماعيل بن إبراهيم عليهما الصلاة والسلام، فقال الإمام الزركشي[99] بعد نقله له : أراد عربية قريش التي نزل بها القرآن وأما عربية يعرب وقحطان فكانت قبل إسماعيل عليه السلام. انتهى.

وفي الجامع الصغير [100] : "أول من فتق لسانه بالعربية البينة إسماعيل وهو ابن أربع عشرة سنة" [101]. (قال)[102] في الروض (الآنف)[103] : وهو نبي أرسل إلى جرهم والعمالقة الذين كانوا بأرض الحجاز[104]. وقال في المصباح : يقال العرب العاربة وهم الذين تكلموا بلسان يعرب بن قحطان، وهو اللسان العربي القديم، والعرب المستعربة وهم الذين تكلموا بلسان إسماعيل ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام، وهي لغة الحجاز وما والاه[105] انتهى.

وحينئذ فلا تصغ لقول من قال أن أول من تكلم بالعربية على الإطلاق إسماعيل عليه الصلاة والسلام، وأن العرب لم تكن إلا منه بل هو منهم ، لأن أمه من جرهم كما للسهيلي وغيره، فهو عربي من جهة أمه. قيل : ولذا كان أفضل أبناء إبراهيم عليه السلام والتوفيق بيد الله يوتيه من يشاء.

أول من ركب الخيل

[و] [106] هو أول من ركب الخيل وكانت قبل ذلك وحشا،[و][107] هو أول من طلق ووضع الكتاب العربي ونطق بالعربية التي هي عربية يعرب بن قحطان.

[و][108] أول من تمنى الموت يوسف عليه السلام.

أول من اختتن

[و] [109] أول من اختتن* من الرجال، وقص الشارب، واستحد، وقلم الأظفار، وشاب وخضب بالحناء والكتم سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام. [و] [110] أول من خفضت من النساء وثقبت أدنها (هاجر) [111].

---

(99) هو : محمد بن بهادر بن عبدالله الزركشي، أبو عبدالله بدرالدين (745 - 794 هـ / 1344 - 1392 م) فقيه شافعي، محدث وأديب. تركي الأصل، مصري المولد والوفاة.
انظر : ابن العماد، الشذرات، ج 6 : 335 ابن هداية الله، طبقات الشافعية ص : 241 - 242 إ. البغدادي، الهدية، ج 2 : 174 ، خ . الزركلي، الاعلام، ج 6 : 60 - 61 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 9 : 121 - 122 .

(100) إسمه الكامل : الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير. وهو كتاب في الحديث من تأليف جلال الدين السيوطي المتوفى 1505/911 . وقد أصدرت دار الكتب العلمية، الطبعة الرابعة منه بدون تاريخ.

(101) انظر : السيوطي، الجامع الصغير، ج 1 : 113 باختلاف يسير في اللفظ. وقال : حديث حسن.

(102) ك : قاله.

(103) د، ح ، ك : الأنوف. والتصحيح من ز.

(104) انظر : السهيلي، الروض الأنف، ج 1 : 12 باختلاف يسير في اللفظ.

(105) انظر : الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ج 2 : 547 بنفس اللفظ تقريبا.

(106) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(107) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(108) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(109) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(110) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(111) د، ح ، ك : أجر .والتصحيح من ز .

(*) 15 أ.

أول من رتب العسكر

وسيدنا إبراهيم هو أول من رتب العسكر ميمنة وميسرة وذلك لما خرج لقتال عدوه الذين أسروا لوطا واستنقذه[منهم](112) ولوط عليه السلام هو أول من آمن بسيدنا إبراهيم [و](113) أول من أحدث وطء الرجال قومه ونهاهم -عليه السلام- فلم يمتثلوا، فأمر الله سبحانه جبريل -عليه السلام - بإهلاكهم فقلع بيوتهم من أصلها ورفعها في الهواء وجعل عاليها سافلها.

[و] (114) أول من عمل الدروع داود عليه السلام، وكانت قبل ذلك صفائح.

[و] (115) أول من اتخذ الحمام والنورة والصابون إبنه سليمان - عليه السلام - اخترعتها له الجن.

[و] (116) أول من آمن بزكرياء ابنه يحي.

وآخر من بعث من بني إسرائيل عيسى عليه السلام.

وأول من اتخذ المنجنيق و(نصبها)(117) للحرب وأوقد الشمع وملك الحيرة جذيمة الأبرش، وهو أول من اجتمع له الملك بأرض العراق، وكان بعد سيدنا عيسى - عليه السلام - بثلاثين سنة.

[و] (118) أول من أحدث الرقص بنو إسرائيل حين اتخذوا العجل إلهاً.

[و] (119) أول من أحدث الضرب بالقضيب الزنادقة ليشغلوا الناس عن طاعة الله.

[و] (120) أول من اتخذ ركب الحديد المهلب(121) وكانت قبل ذلك من الخشب.

[و] (122) أول من خضب بالسواد وغيره وصلب الناس فرعون.

[و] (123) أول من سيب السوائب عمرو بن عامر الخزاعي.

[و] (124) أول من وأد البنات ودفنهن بالتراب وهن حيات قيس بن عامر التميمي(125) وتبعه العرب على ذلك، و أول من منع من ذلك في الجاهلية مصعب بن ناجية جد الفرزدق.

---

(112) مابين المعقوفتين ساقطة من ز.

(113) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(114) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(115) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(116) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(117) ز، ك : نصبها.

(118) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(119) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(120) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(121) هو : المهلب بن أبي صفرة ظالم بن سراق الأزدي العتكي أبو سعيد (7 - 83 هـ / 628 702 م) ولي إمارة البصرة من لدن مصعب بن الزبير، ثم إمارة العراق بأمر من عبدالملك بن مروان، حارب الخوارج مدة من الزمن، فانتصر عليهم وعين على إمارة خراسان. وهو أول من اتخذ الركب من الحديد.
انظر : الدينوري الاخبار الطوال، ص : 271 - 280 الطبري، تاريخ الامم، ج 7 : 191 - 206 - 208 ، 215 - 217 وج 8 : 17 - 20 ابن خلدون، العبر، ج 3 : 42 ,40 ، 44 .

(122) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(123) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(124) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(125) هو : قيس بن عاصم بن سنان المنقري السعدي التميمي، أبو علي، المتوفى حوالي 20 هـ / حوالي 640 م . كان أحد أمراء العرب المشهورين بالشجاعة والحلم، أسلم في السنة التاسعة للهجرة وروى أحاديث عن النبي ﷺ. انظر : خ . الزركلي، الأعلام، ج 5 : 206 - 207 .

[و][126] أول من جمع بين العروبة وسماها الجمعة كعب[127] جد النبي ﷺ.

[و][128] أول من حكم في الخنثى عامر بن (الضريب)[129].

[و][130] أول من خضب شعره بالسواد من العرب عبدالمطلب.

[و][131] أول من ضرب الدنانير هرقل- بكسر أوله وفتح ثانيه وسكونه وسكون ثالثه وكسره- ولقبه قيصر ملك الروم إحدى وثلاثين سنة.

[و][132] أول من كتب من فلان إلى فلان قس بن ساعدة.

[و][133] أول امرأة هاشمية ولدت من هاشمي فاطمة بنت أسد أم الإمام علي كرم الله وجهه.

[و] ([134] أول سورة نزلت بتمامها الفاتحة.

[و][135] أول صلاة صلاها النبي ﷺ خلف جبريل الظهر. (وأول)[136]* صلاة وقع فيها الركوع، العصر.

[و][137] أول مسجد أسس على التقوى مسجد المدينة.

[و][138] أول من قدم إليها مهاجراً مصعب بن عمير[139].

[و][140] أول من أقام الجمعة بها سعد بن زرارة بإذن من النبي ﷺ، وهو أول دفين بالبقيع.

[العلم وأفضليته]

[و][141] قوله فإن العلم .. الخ الفاء رابطة بين الشرط والجواب. وقد سبق أن الواو قائمة مقام أما في وبعد، وهي نائبة عن اسم الشرط وفعله، ولتضمنها معنى الشرط (لزمتها)[142] الفاء اللازمة للشرط غالبا، وكذا ما ناب عنها، والأفضلية معلومة. والاقتناء : الاكتساب

---

(126) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(127) أي كعب بن لؤي بن غالب. وقد ترجمنا له في الهامش رقم 80 من هذا المقصد (المقصد الثالث).
(128) مابين المعقوفتين ساقطة من د، ن، ح . والتكملة من ك.
(129) د، ك : الضروب. والتصحيح من ز ، ح.
(130) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(131) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(132) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(133) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(134) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(135) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(136) تكرار في د.
(137) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(138) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(139) هو : مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف القرشي المتوفى سنة 3 هـ / 625 م : صحابي شجاع من السابقين إلى الإسلام. انظر : حلية الأولياء لأبي نعيم ج 1 : 106 - 108 . الأعلام للزركلي ج 7 : 248 .
(140) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(141) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(142) د، ح، ك : بزمتها. والتصحيح من ز.
(*) *15 ب

والادخار، يعني أن أفضل ما يكتسبه المرء ويدخره العلم. وعرفه بعضهم بقوله : هو الإدراك الجازم وحصول صورة الشيء في العقل أو الصورة الحاصلة فيه أو غيره مفردا كان أو مركبا، وقد يراد به المعدوم الحاصل في الذهن والملكة والتهيء وأكثريته ظاهرة ولاشك في علو رتبته وأفضلية اكتسابه والتحلية به على سائر ما عداه كما قال. كيف وقد قال الله تعالى : ﴿**ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا**﴾[143]، وقال ﴿**يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتو العلم درجات**﴾[144] ، وقال : ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط**﴾[145] ، وقال عليه الصلاة والسلام "نوم العالم أفضل من عبادة الجاهل"[146] وهو ممدوح لدى كل أمة، [و] [147] من أحسن ما قيل فيه مما يناسب قول الزمخشري : [الوافر].

وَكُـلُّ فَـضِـيـلَـةٍ فِـيـهَـا سَـنَـاءُ ... وَجَـدْتُ الـعِـلْـمَ مِـنْ هَـاتِـيكَ أَسْـنَـى
فَـلاَ تَـعْـتَـدْ غَـيْـرَ الـعِـلْـمِ ذُخْـراً ... فَـإِنَّ الـعِـلْـمَ كَـنْـزٌ لَـيْـسَ يَـفْـنَـى[148].

وكأنه يشير إلى هذا، وقال (ابن)[149] السيد [150] : [الطويل]

أَخُـو الـعِـلْـمِ خَـالِـدٌ بَـعْـدَ مَـوْتِـهِ ... وَأَوْصَـالُـهُ تَـحْـتَ الـتُّـرَابِ رَمِـيـمُ
وَذُو الجَهْلِ مَيْتٌ وَهُوَ مَاشٍ عَلَى الثَّرَى ... (يُعَدُّ)[150] مِنَ الأَحْـيَـاءِ وَهُوَ عَدِيمُ[152]

وقال ابن سينا [153] : [الخفيف]

هَـذِّبِ الـنَّـفْـسَ بِـالـعُـلُـومِ لِـتَرْقَـى ... (فَتَرَى)[154] الكُل (وَهْيَ)[155] للكُلِّ بَيْتٌ
إِنَّـمَـا الـنَّـفْـسُ كَـالـزُّجَـاجَـةِ وَ(الـعَقْـ ... لُ سِـرَاجٌ)[156] وَحِـكْـمَـةُ الـلّـهِ زَيْـتٌ
فَـإِذَا أَشْـرَقَـتْ فَـإِنَّـكَ حَـيٌّ ... وَإِذَا أَظْـلَـمَـتْ فَـإِنَّـكَ مَـيْـتٌ[157]

---

(143) سورة البقرة، الآية : 269 .
(144) سورة المجادلة، الآية : 11 .
(145) سورة آل عمران الآية : 18 .
(146) الحديث يوجد في كشف الخفاء للعجلوني، ج 2 : 325 ، باختلاف في اللفظ ، وقال (العجلوني) بأن سنده ضعيف.
(147) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(148) البيتان يوجدان عند أبي القاسم الزياني، الأنيس النفيس مخ ، م ، ع ، ت ، رقم : 341 ص :25 .
(149) د، ك : أبو ، وهو تحريف، والتصحيح من ز، ح.
(150) هو : عبدالله بن محمد بن السيد، أبو محمد (444 521 هـ / 1052 - 1127م) : أديب، لغوي من الأندلس. ولد ونشأ في بطليوس (Badajoz) ثم انتقل إلى بلنسية وعاش فيها إلى أن توفي. انظر : ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ج 1 (القسم الثالث) : 890 - 896، العماد الأصفهاني، خريدة القصر ج 3 : 478 - 484 ، الكتبي، عيون التواريخ، ج 12 : 191 - 193 ، المقري نفح الطيب، ج 3 : 567-459 -287-228 ، وأزهار الرياض، ج 3 : 101 - 149 ، ابن مخلوف، الشجرة ص : 130 ، خ. الزركلي، الأعلام، ج 4 : 123 ابن عبد الله، الموسوعة ج 2 : 16 .
(151) في عيون التواريخ للكتبي، ج 12 : 193 ونفح الطيب للمقري ج 3 : 228 ، أزهار الرياض للمقري، ج 3 : 103 : يُظَنُّ .
(152) يوجد البيتان في عيون التواريخ للكتبي ج 12 : 193 ، أزهار الرياض للمقري، ج 3 : 103 ، و نفح الطيب للمقري، ج 3 : 228، والأنيس النفيس للزياني مخ. م. ع. ت رقم 341 ص : 24 .
(153) هو : الحسين بن عبدالله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي البخاري، أبو علي (370 - 428 هـ / 980 - 1037 م) فيلسوف، طبيب، شاعر ومشارك في عدة علوم.
انظر : اليافعي، المرآة ، ج 3 : 47 - 51 ابن كثير، البداية، ج 12 : 42 - 43 ، العسقلاني، اللسان، ج 2 : 291 - 293 ، ج . زيدان تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 388 ، فليب حتي، صانعو التاريخ العربي، ص 277 - 300، فؤاد الأهواني، ابن سينا (سلسلة نوابغ الفكر العربي)، شيخ الأرض، ابن سينا، كارادوفو، ابن سيناء، خ. الزركلي ، الأعلام، ج 2 : 241 - 242 الصعيدي، المجددون في الإسلام ص : 185 - 189 ، كحالة معجم المؤلفين ج 4 : 20 - 23 .
- A.M.Goichon. Ency. de l'islam . T3 , PP : 965 - 972 .

(154) في ديوان ابن سينا ص 135 : وَدَعْ.
(155) في ديوان ابن سينا ص 135 : فهي.
(156) في ديوان ابن سينا ص 135 : والعلمُ ضياءُ.
(157) هذه الأبيات توجد في ديوان ابن سينا ص 135 وفي الانيس النفيس للزياني، مخ ، م.ع. ت رقم 341 ص : 25 - 26 .

* إلى غير ذلك مما قيل فيه مما لايحصى. ولما كان بهذه المثابة والدرجة العظيمة دنيا وأخرى، (حض) [158] على اكتسابه وادخاره والاستعانة به بقوله : شمِّرْ واعتكفْ. إذ التشمير هو رفع الثوب عند التهيء لشغل آكد، تقول : شمَّر إزاره تشميراً، إذا رفعه. وتشمّر للأمر بمعنى تهيأ له.

والاعتكاف الاحتباس والإقبال على الشيء بالكلية والمواظبة عليه، وبابه دخل وجلس، قال تعالى : ﴿يعكفون على أصنام لهم﴾[159] . وما أمر به من التشمير والاعتكاف هو كناية عن الحرص والاجتهاد في طلب العلم، وهو مؤذن بالجد اللازم له الكد والتعب وطول الإقامة في طلبه، لأنه لايُدرك باللهو والراحة ويسير المدة، كما يؤذن أيضا بتعداد المطالب جمع طلب من باب نصر، وهو اللائق لمريد الفوز والسعادة الأبدية، وذكّرني بهذا قول (ابن حيان) [160] في الإمام البخاري من جملة قصيدة مدحه بها وصحيحه إلى أن قال : [الطويل]

وَكَمْ بَذَلَ النَّفْسَ (المَصُونَةَ)[161] جَاهِداً فَجَازَ (لَهَا) بَحْراً[162] وَجَابَ لَهَا بَرًّا
فَطَوْراً عِرَاقِيّاً وَطَوْراً يَمَانِياً وَطَوْراً حِجَازِيّاً وَطَوْراً أَتَى مِصْرَا
إِلَى أَنْ حَوَى مِنْهَا الصَّحِيحَ (صَحِيحَهُ)[163] فَوَافَى كِتَاباً قَدْ غَدَا الآيَةَ الكُبْرَى
كِتَابٌ لَهُ مِنْ شَرْعِ أَحْمَدَ شِرْعَةٌ مُطَهَّرَةٌ تَعْلُو السِّمَاكَيْنِ وَالنَّسْرَا [164]

وفي طول الزمان مع الغربة يقول الشافعي[165] رضي الله عنه : [الطويل]

(سَأَطْلُبُ عِلْماً)[166] أَوْ أَمُوتُ بِبَلْدَةٍ يَقِلُّ بِهَا (قَطْرٌ)[167] الدُّمُوعِ عَلَى (قَبْرِي)[168]

---

(158) د، ك : حظ . والتصحيح من ن، ح .
(159) سورة الأعراف، الآية : 138 .
(160) في جميع النسخ ابن حيان. فصححناها. هو : محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي الأندلسي، أثير الدين، أبو حيان(654 745 هـ / 1256 - 1344 م) : أديب، نحوي ، محدث، مفسر، مؤرخ ومشارك في عدة علوم أخرى.
انظر : الكتبي، فوات الوفيات، ج 4 : 71-79 ، ابن العماد، الشذرات، ج 6 : 31 - 44، 145-147 ، السبكي، الطبقات الشافعية، ج 6 : 31 - 44 ، الشوكاني، البدر الطالع ج 2 : 288-291 ، الكتاني ، فهرس الفهارس، ج 1 : 108-109 إ. البغدادي، الهدية، ج 2 : 152، عنان، تراجم إسلامية ص : 271 ، عمر فروخ تاريخ الأدب العربي، ج 6 : 426-430 كحالة ، معجم المؤلفين، ج 12 : 130 - 131 .
(161) في رائية في مدح الإمام البخاري، مخطوط ضمن مجموع بخزانة تطوان تحت رقم 587 ، ص : 328 : النفيسة.
(162) في رائية في مدح الإمام البخاري مخ . م، ع ، ت . رقم -587 ص328 : بها .
(163) في نفح الطيب للمقري ، ج 2 : 574 : صحيفة.
(164) الأبيات توجد في نفح الطيب للمقري، ج 2 : 574 ، وفي مخطوط ضمن مجموع م، ع ، ت . رقم 587 ص : 328 .
(165) هو : محمد بن ادريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي. أبو عبدالله(150 - 204 هـ /767 - 820 م) ولد بغزة بفلسطين ونشأ بمكة ثم أتى مصر ونزل بها إلى حين وفاته. يعد أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه تنسب الشافعية.
انظر : البغدادي، تاريخ بغداد، ج 2 : 56 - 73 أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 9 : 63 - 161 ، الحموي، معجم الأدباء، ج 17 : 281 - 327 ، ابن خلكان، الوفيات، ج 4 : 163 - 169 ، اليافعي، المرآة، ج 2 : 13 - 28 ، ابن كثير ، البداية، ج 10 : 251 - 255 ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج 2 : 335 - 336 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 9 : 25 - 31 ، ابن العماد، الشذرات، ج 2 : 9 - 11 ابن هداية الله طبقات الشافعية ص : 11 - 14 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 163 ، إ. البغدادي، الهدية، ج 2 : 9 ، الصعيدي، المجددون، ص : 92 - 97 أ. أمين ، ضحى الإسلام، ج 2 : 218 - 234 ، خ . الزركلي، الأعلام ج 6 : 26 - 27 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 9 : 32 - 34 .
(166) في ديوان الشافعي، ص : 52 . هامش رقم 1 : سأكسب مالا.
(167) في ديوان الشافعي، ص : 52 ، هامش رقم 1 : فيض.
(168) د، ك : قبر . والتصحيح من ن، ح، والبيت الشعري ورد في ديوان الشافعي، ص : 52 ، هامش رقم 1 : دون نسبة.
(*) 16 * أ.

[و] [169] في الكد يقول بعض الفضلاء : [البسيط]

يَـا مَـنْ يُـرِيـدُ اكْـتِـسَـابَ الـعِـلْـمِ وَالأَدَبِ ... بِـلاَ امْـتِـحَـانٍ وَلاَكَـدٍّ وَلاَتَـعَـبِ
لاَتَـحْـسَـبَـنَّ حُـظُـوظَ الـعِـلْـمِ تُـرْزَقُـهَـا ... كَالمَالِ يَأْتِي الفَتَى (غنى)[170] بِلاَ سَبَبِ
الـعِـلْـمُ حَـظٌّ شَـرِيـفٌ لَـيْـسَ يُـدْرِكُـهُ ... إِلاَّ الـلَّـبِـيبُ وَأَهْـلُ الـكَـدِّ وَالـتَّـعَـبِ
فَـطَـالِـبُ المَالِ دَابًـا خَـائِـفـاً(نَـكِـدا)[171] ... وَطَـالِـبُ الـعِـلْـمِ لَـمْ يَـحْـزَنْ وَلَـمْ يَـخِـبْ
الـعِـلْـمُ كَـنْـزٌ عَـظِـيـمٌ لاَ نَـفَـاذَ لَـهُ ... شَتَّانَ مَابَيْنَ كَسْبِ (العِلْمِ)[172] وَالذَّهَبِ
الـعِـلْـمُ يَـنْـفَـعُ فِـي الـدُّنْـيَـا وَآخِـرَةٍ ... وَالمَالُ لاَبُدَّ يُـلْـقِـي المَرْءَ فِـي الـتَّـعَـبِ
كَـمْ مِـنْ غَـنِـيٍّ ذَوِي عِـزٍّ رَأَيْـتَـهُـمْ ... [مِنْ بَعْدِ عِزِّهِمْ صَارُوا إِلَى العَطَبِ][173]
*[كَمْ مِنْ فَقِيرٍ ذَوِي عِلْمٍ رَأَيْتُهُمْ][174] ... صَـارُوا مُـلُـوكـاً بِـلاَ مَـالٍ وَلاَ نَـسَـبِ
لَـيْـسَ الـيَـتِـيـمُ الَّـذِي مَنْ مَـاتَ وَالِـدُهُ ... إِنَّ الـيَـتِـيـمَ يَـتِـيـمُ الـعِـلْـمِ وَالأَدَبِ[175]

ومن الكلمات الحكمية في فضيلة وصف العلم : اطلب العلم يعظمك الخاصة، وأطلب المال يعظمك العامة، واطلب الزهد يعظمك الجميع. ومن فضيلة العلم أنه لا يخدمك فيه أحدكما يخدمك في سائر الأشياء، وإنما تخدمه بنفسك، ولا يستطيع أحد أن يسلبك إياه كما يسلبك غيره. إذا أكرمك الناس لمال أو سلطان فلا يعجبنك ذلك، فإن زوال الكرامة بزوالها، ولكن يعجبك إن أكرموك لدين أو علم أو أدب عطية العلم (موهوبة) [176] من الله تعالى. وفي هذا كفاية.

ولا يخفى ما في هذا البيت من النصيحة والاعتناء لمن وفقه الله تعالى.

فائدة

أول من ألف في الحديث ودونه الزهري[177] بأمر سيدنا عمر بن عبدالعزيز رضي الله عنه، وقيل أول من ألف في الإسلام ابن جُريج[178] بضم الجيم الأولى، وقيل أول من ألف

(169) مابين المعقوفتين ساقطة من ك .
(170) في الأنيس النفيس، للزياني، مخ. م. ع. ت رقم 341 ، ص : 25 : غيها.
(171) د، ك : ناكدا . والتصحيح من ز، ح.
(172) د، ز، ح : المال . والتصحيح من ك والأنيس النفيس ص : 25 .
(173) مابين المعقوفتين ساقطة من الأنيس النفيس للزياني ص : 25.
(174) مابين المعقوفتين ساقطة من الأنيس النفيس للزياني ص : 25.
(175) هذه الأبيات توجد في الأنيس النفيس للزياني، مخ . م . ع. ت، رقم 341 ص : 25 .
(176) ح : موهبه
(177) هو: محمد بن مسلم بن عبيدالله بن شهاب الزهري، أبو بكر (58 - 124 هـ / 678 - 742 م) : محدث ، حافظ، مؤرخ وفقيه من أهل المدينة. انظر : ابن سعد، الطبقات الكبرى، ج 2 : 388 - 389 أبو نعيم، حلية الأولياء ج 3 : 360 - 381 ، ابن خلكان، الوفيات، ج 4 : 177 - 179 ، اليافعي، المرآة، ج 1 : 260 - 261 ، العسقلاني ، تهذيب التهذيب ج 9 : 445 - 451 ، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، ج 1 : 254 وج 3 : 19 - 20 ، أ . أمين ضحى الإسلام، ج 2 : 325 - 327 خ. الزركلي، الأعلام، ج 7 : 97 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 12 : 21 ، خليل الزرو ، الحياة العلمية في الشام ص : 44 - 45 ، شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 127 ، 157 ، 158 .
(178) هو: عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج الأموي، أبو الوليد(80-150 هـ / 699-767 م) محدث، فقيه، حافظ ومفسر . أصله من بلاد الروم، ولد بمكة وحدث بالعراق(البصرة). انظر : البغدادي، تاريخ بغداد، ج 10 : 400-407، اليافعي، المرآة ، ج 1 : 312 -313 ، ابن خلكان، الوفيات، ج 3 : 163 - 164 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 6 : 402 - 406، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 6 : 183 - 184 .
(*) • 16ب.

سعيد بن عروبة وقيل : الربيع بن صبيح[179] كذا في نسيم الرياض وفي الإرشاد. وكانوا يصنفون كل باب على حدة إلى أن انتهى الأمر إلى الطبقة الثانية، فصنف الإمام مالك بن أنس الموطأ بالمدينة. والأوزاعي[180] بالشام، والثوري[181] بالكوفة، وحماد بن سلمة بن دينار[182]، ثم تلاهم كثير من الأئمة في التصنيف على حسب ما انتهى إليه علمه، إلى أن قال : وأول من ألف في الصحيح محمد بن إسماعيل البخاري، أي على شرطه وهو الملاقاة دون المعاصرة وإمكان اللقاء مع بقية القيود الخمسة، فلا يرد موطأ مالك لأنه لم يتقيد بالصحيح على هذه القيود، إذ هو صحيح وإن أدخل فيه المرسل والمقطوع ونحوهما، على سبيل الاحتجاج لوصل الجميع، انظر : فتح الباقي في شرح ألفية العراقي[183].

[علم التاريخ وأفضليته]

وَلاَسِيَمَا عِلْمِ التَّوَارِيخِ إِذْ بِهِ   تَرَى القَوْمَ إِذْ كَانُوا بِرُؤْيَةِ صَاحِبِ

وهذا منه (تحضيض) [184] ثاني على علم التاريخ بالخصوص، لما فيه من المنافع والفوائد، إذ بمعرفته ترى رؤية يقين بأخبار من مضى من الأمم والدول، وهم المراد بالقوم على ما كانوا عليه من الأخلاق والسير، وكيف كانت أحوالهم لتقتدي بما شئت من ذلك، إذ كانوا من غير مرية على اختلاف أهوائهم وطبائعهم، وحسن سيرتهم وإساءتها، حتى كأنك تراهم بما حصل * لك من معرفة علم ذلك. رؤية صاحب : أي مصاحب لك حقيقة، مشاهد بالمعاينة، وهو غاية الإدراك وحصول الفائدة والله أعلم.

ولاسيما : كلمة مركبة من سي الذي بمعنى مثل، ويثنى على سيان أي مثلان، ولام الجحود، وما الموصولة أو الزائدة على ما قيل، وصار ذلك كالكلمة الواحدة، وتساق لترجيح ما بعدها على ما قبلها، فيكون كالمخرج عن مساواته إلى التفضيل.

---

(179) هو : الربيع بن صبيح السعدي البصري، أبو بكر من زهاد البصرة في عهده وأول من صنف بها . روايته للحديث لا يعتد بها . مات بالسند سنة 160 هـ / 777 م . انظر : أبو نعيم ، حلية الأولياء، ج 6 : 304 - 310 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب ج 3: 247-248 خ . الزركلي، الأعلام ، ج 3 : 15 .

(180) هو : عبدالرحمان بن عمرو بن يُحمد الأوزاعي، الدمشقي، أبو عمرو (88-157 هـ/ 707- 774 م) : محدث وفقيه، زاهد، ولد في بعلبك، ونشأ في البقاع، وتوفي ببيروت. انظر : ابن النديم، الفهرست، ص : 318 أبو نعيم، حلية الأولياء ج 6 : 135 - 149 ، ابن كثير، البداية، ج 10 : 115-120 ، ابن العماد الشذرات، ج 1 : 241-242 ، خ . الزركلي، الأعلام ج 3 : 320 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 5 : 163، شاكر مصطفى، التاريخ العربي، ج 1 : 127-128 .

(181) هو : سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، الكوفي، أبو عبدالله (97-161 هـ / 716-778م) : محدث وفقيه، اشتهر بالتقوى ورواية الحديث.
انظر : ابن النديم، الفهرست ص : 85 ، 314 ، أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 6 : 356 ، وج 7 : 3 - 144 ، اليافعي، المرآة ج 1 : 345 - 347 العسقلاني، تهذيب التهذيب، ج 4 : 111 - 115 ، خ . الزركلي الأعلام، ج 3 : 104 - 105 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 4 : 234 - 235 .

(182) هو : حماد بن سلمة بن دينار البصري، أبو سلمة، المتوفى سنة 167 هـ / 784 م : محدث ومفتي البصرة إضافة إلى اهتمامه بالنحو.
انظر: أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 6 : 249 - 257 ، العسقلاني، تهذيب التهذيب ج 3 : 11 - 16 ، خ . الزركلي، الاعلام، ج 2 : 272 .

(183) هذا الكتاب ألفه زكريا الأنصاري (823 - 926 هـ / 1420 - 1520 م) وصدر بفاس عن المطبعة الجديدة سنة 1354 / 1935 .

(184) د، ك : تحظيظ، والتصحيح من ز ، ح .

(*) 17 • أ.

وعليه فيكون المعنى أفضل ما يكتسبه الإنسان ويدخره ، العلم ولاسيما علم التاريخ، بمعنى أن أفضليته آكد أو أفضل أو هذا على سبيل المبالغة والترغيب على تفاصيله [وطلبه] [185]، وكل يمدح فنه بما لا مزيد فوقه، وإلا فمن العلوم من هو أشرف وأفضل منه بالضرورة. وقد مرّ شرفه وفضيلته. ولا تستعمل إلا مع الجحد. نص عليه أبو جعفر أحمد بن محمد النحوي [186] في شرح المعلقات، ولفظه :

ولايجوز أن تقول جاءني القوم، سيما زيد حتى تأتي بلا، لأنه كالاستثناء. وقال ابن يعيش أيضا : ولايستثنى (سيما) [187] إلا ومعها جحد.

[و][188] في البارع مثل ذلك، قال : وهو منصوب بالنفي. ونقل السخاوي[189] عن ثعلب من قاله بغير اللفظ الذي جاء به امرؤ القيس، فقد أخطأ يعني بغير لا. قال ابن الحاجب[190] : ولايستثنى بها إلا ما يراد تعظيمه [و][191] قال السخاوي أيضا وفيه إيذان بأن له فضيلة ليست لغيره إذا تقرر ذلك، فلو قيل : سيما بغير نفي. اقتضى التسوية ونفى المعنى عن التشبيه فيكون تقدير كلامه أفضل ما يكتسبه الإنسان العلم، سيما أي مثل أفضلية علم التاريخ، ولايخفى ما فيه، إذ لم يبق فيه زيادة مدح وتعظيم، وهو علم شريف، ومنه علم الأنساب. وقد كانت العرب تعتني به، والنبي ﷺ أعلم الناس به، وأعلمهم بعده الصديق رضي الله عنه، وأمر [النبي] [192] ﷺ بالمحافظة عليه، ولعن من انتسب لغير نسبه، فقال : "من خرج من نسبه وانتمى لغير قبيلته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين"[193] كما نقله ابن التلمسانى [194] ومن تبعه.

الفضائل النفيسة

وقال بعضهم : الفضائل النفيسة آكدها العلم بأيام الناس وسير الملوك، وسياسة الرياسة، وآداب الخدمة، ومعرفة الخط والكتابة، والحساب والأدب الديني والدنيوي والورع والعدالة. انتهى.

---

(185) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.

(186) هو : أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، أبو جعفر النحاس : مفسر، أديب ، نحوي ، من مصر زار العراق واستفاد من علمائه وتوفي بموطنه سنة 338 هـ / 950 م .انظر : ابن الأنباري، الإنباه، ج 1 : 101 - 104 ، الحموي، معجم الأدباء ، ج 4 : 224 - 230 ، ابن خلكان الوفيات، ج 1 - 99 - 100 اليافعي، المرآة ج 2 : 327 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 222، ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج 3 : 300 ، ابن العماد، الشذرات، ج 2: 346 ،ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 212 ، خ. الزركلي، الأعلام، ج 1: 208.

(187) ك : سيماً.

(188) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .

(189) لعله يقصد : علي بن محمد بن عبدالصمد الهمداني المصري السخاوي الشافعي، أبو الحسن (558 - 643 هـ / 1163 - 1245 م) مقرئ مفسر، لغوي، أصولي وله نظم. انظر : ابن كثير، البداية، ج 13 : 170 ، خ . الزركلي ، الاعلام ج 4 : 332 - 333 .

(190) هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو، ابن الحاجب (570 - 646 هـ / 1174 - 1249 م) فقيه مالكي، لغوي ونحوي، نشأ في القاهرة وسكن دمشق مدة من الزمن، ومات بالأسكندرية.
انظر : ابن كثير، البداية، ج 13 : 176 ، ابن مخلوف، الشجرة ص : 167 - 168 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 53 خ . الزركلي، الأعلام ج 4 : 211 ، أحمد بدوي، الحياة العقلية ص : 205 - 209 كحالة، معجم المولفين، ج 6 : 265 - 266 .

(191) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .

(192) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .

(193) الحديث يوجد في فتح الباري، ج 6 : 539 ، عن أبي ذر . لكن بلفظ : "من ادعى قوما ليس فيهم نسب فليتبوأ مقعده من النار".

(194) لعله يقصد : عبدالله بن محمد بن علي الفهري، المصري، الشافعي، المعروف بابن التلمساني، أبو محمد (567 - 644 هـ / 1172 - 1246 م) فقيه، مقرئ وأصولي. توفي بالقاهرة. أنظر : كحالة ، معجم المؤلفين ، ج 6 : 133 .

وفي صحيح مسلم عن جابر بن حرب قال : "قلت لجابر بن سمرة رضي الله عنهما : كنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال : نعم * كان لايقوم من مصلاهُ الذي صلى فيه الصبح حتى تطلع الشمس فإذا طلعت قام، وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية ويضحكون ويسخرون"[195].

وفي سنن أبي داود عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما : "كان رسول الله ﷺ يحدثنا عن بني إسرائيل ما يقوم إلا لعظيم صلاة"[196].

دأب معاوية كل ليلة

وكان دأب معاوية - رضي الله عنه- يؤذن للخاصة بعد صلاة العشاء ، وخاصة الخاصة والوزراء والحاشية، فيؤامره الوزراء فيما (أرادوا صدرا)[197] من ليلتهم، ويستمر إلى ثلث الليل في أخبار العرب وأيامها، والعجم وملوكها وسياستها لرعيتها، وسائر ملوك الأمم وحروبها ومكائدها وسياستها لرعيتها، وغير ذلك من أخبار الأمم السالفة، ثم تأتيه الطرف الغريبة من عند نسائه من الحلوى وغيرها من المآكل اللطيفة، ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها، والحروب والمكائد، فيقرأ عليه ذلك غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير، وأنواع السياسة ثم يخرج فيصلي[198].

وحاول كثير من الملوك أن يفعل فعله ولم يطق منهم أحد على ذلك.

وقد مر في المقدمة ما هو أكثر من هذا مع أصل التاريخ، ومعناه وما يتعلق بذلك انظره[199].

ولله در (أبي)[200] عيسى بن لبون[201] حيث يقول : [البسيط]

---

(195) انظر صحيح مسلم النووي، ج 5 : 171 . وفي لفظه اختلاف يسير . وتوجد هذه الرواية - أيضا- في الطبقات الكبرى ج 1: 372 باختلاف في اللفظ.

(196) انظر : سنن أبي داود، ج 2 : 289 . وفيه اختلاف في اللفظ.

(197) ز، ح : أوردوا وأصدروا.

(198) هذا النص يوجد في مروج الذهب باختلاف يسير في اللفظ ج 3 : 222 .

(199) انظر : المقصد الاول من الجزء الأول ص : 122 - 138 .

(200) د، ك : أبو . والتصحيح من ز، ح.

(201) أبو عيسى بن لبون : أحد وزراء ذي النون بالأندلس ولقب بذي الوزارتين. اشتهر بالجود والكرم، وكان من المهتمين بالأدب ، وله أشعار. انظر : ابن بسام، الذهيرة، ج 1 (القسم الثالث) : 104 - 108 ، الفتح بن خاقان، قلائد العقيان، ص : 99 - 102 ، العماد الأصفهاني، خريدة القصر، ج 1 : 140 وج 3 : 375 - 380 ، 481 ، المقري أزهار الرياض ج 3 : 120 - 123 ، 146 - 147 ونفح الطيب ج 1 : 672 - 673 وج 3 : 597 .

(*) * 17 ب.

نَفَضْتُ كَفِّي(مِنَ)[202] الدُّنيَا وَقُلْتُ لَهَا ... إلَيْكِ عَنِي (فَمَا)[203] فِي الحَقِّ أَغْتَبِنُ
مَنْ كَسْرِ بَيْتِي لِي رَوْضٌ وَمِنْ كُتُبِي ... جَلِيس صِدْقٍ عَلَى الأَسْرَارِ مُؤْتَمِنُ
أَدْرِي بِهِ مَا جَرَى فِي الدَّهْرِ مِنْ خَبَرٍ ... فَعِنْدَهُ الحَقُّ مَسْطُورٌ وَمُخْتَزِنُ
وَمَا مُصَابِي سِوَى مَوْتِي وَيَدْفِنُنِي ... قَوْمٌ وَمَالَهُمْ عِلْمٌ بِمَنْ دَفَنُوا[204]

ثم قال الناظم أمنه الله:

لَقَدْ كُنْتُ فِي تِذْكَارِهِ فَإِذَا بِهِ ... أَشَارَ عَلَيَّ فِي رُكُوبِ النَّجَائِبِ
لِكَيْمَا يُرِينِي دُرَّةً عَلَوِيَّةً ... بِهَا المُلْكُ يَسْمُو فِي نَوَاحِي المَغَارِبِ

وفي القاموس : الذكر(بالكسر)[205] الحفظ للشيء ، كالتذكار ، والشيء يجري على اللسان[206]. والإشارة والركوب معروفان.

[و][207] النجائب : جمع نجيبة من الإبل، هي عتاقها التي يسابق عليها، وسميت (عتاقا)[208]* لسلامتها من العيب، أي عتقت منه. وقيل : وهي الكريمة الأصل. وقيل : القوية الخفيفة (السريعة)[209] . وقيل : النفيسة الفاضلة في نوعها.

وكي مخففة : وهي جواب لقول القائل : قلت كذا؟

فتقول : كي يكون كذا، ومنه هذا، وهي المعاقبة للام، وتنصب الفعل المستقبل، ويقال: كيمه في الوقف.

والدرة بالضم : اللؤلؤة العظيمة الكبيرة.

وعلوية : منسوبة إلى مولانا علي الشريف.

والمُلك بضم الميم : اسم بمعنى السلطنة، ومن فضّله الله على خلقه يوليه عليهم، ولذلك سمي(ملكا) [210] لهم، لكونه مالكا لرعيته بالإحسان إليهم والقهر لهم، ويسمى أيضا أميرا لوجوب طاعته ونفوذ أوامره، كما قال تعالى : "ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم"[211]، وتقول : ملك على الناس أمرهم إذا تولى السلطنة، فهو ملك بكسر اللاّم وإنما يعطي الله هذه المملكة لمن اصطفاه ورآه لرعاية عباده أهلا، قال الله تعالى: "قل اللهم مالكَ الملك توتي الملك من تشاء" [212].

---

(202) في قلائد العقيان للفتح بن خاقان ص : 102 : عن . و كذلك في خريدة القصر للعماد الأصفهاني، ج 3 : 379 ، والذخيرة لابن بسام، ج 1 (القسم الثالث) : 108 .
(203) ح : معا.
(204) الأبيات الشعرية توجد في قلائد العقيان للفتح بن خاقان، ص : 102 ، وخريدة القصر للعماد الاصفهاني، ج 3 : 379 - 380، والذخيرة لابن بسام، ج 1 (القسم الثالث) : 108 ، ونفح الطيب للمقري، ج 3 : 597 .
(205) في جميع النسخ : بالفتح. واقتضى السياق اللغوي تصحيحها من القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج 2 : 36 .
(206) انظر : القاموس المحيط للفيروز آبادي، ج 2 : 36 .
(207) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(208) د، ك : عتاق، والتصحيح من ز، ح.
(209) ز : الشريفة.
(210) د، ح ، ك : ملك . والتصحيح من ز.
(211) سورة النساء، الآية : 59 .
(212) سورة آل عمران، الآية : 26 .
(*) * 18 أ.

والسمو: العلو أي يعلو. والنواحي : جمع ناحية، وهي الجانب فاعلة بمعنى مفعولة لأنك نحوتها أي قصدتها.

والمغارب: جمع مغرب، وسمي مغربا لغروب الشمس فيه كما سمي المشرق لشروقها منه.

والمعنى أنه لما كان علم التاريخ من أشرف العلوم، شغف به وصرف همته في التفكير فيه واذكاره والاعتناء بشأنه، وبما يؤول إليه من حصول تلك الفوائد حتى صار ذلك دأبه وديدانه ففاجأه منه ما يوصله لمطلوبه، حيث أشار عليه بسبب الاهتداء والرشد الذي هو ركوب النجائب لأنها المسرعة السير دون غيرها، وبه يرى ما كان خافيا عليه قبل الاعتناء به، وقبل ركوب النجائب، وتصل نفسه لمناها بإدراك حقيقة هذه الدرة النفيسة العديمة النظير، السامي بشرفها وحسن بهائها، ملك المغرب على كل الأقطار، وأصلها ومعدنها، فيستغنى بها عما عداها دنيا وأخرى، ويكون المراد على هذا بالنجائب بنات الفكر، وشبَّهها بالنجائب لشرفها بجامع بلوغ المراد المؤمل بسرعة ويسير مشقة في كل. وفيه من المحسنات التمليح، إذ الدر من زينة الإسلام، وعدة الخلافة، وأبهات الملك.

[فتح موسى بن نصير الأندلس]

ومما ينخرط في هذا السلك ما حكي عن موسى بن نصير[213] أنه لما بلغ خبر فتح مولاه طارق الأندلس في حكاية عجيبة، وأتته البشائر وهو بالقيروان أحب* أن يكون له فيه ذكر وغنيمة أجر، فخل ابنه عبدالملك على إفريقية سنة ثلاث وتسعين[214]، وجهزه للأندلس في عشرة آلاف فارس، ففتح فتوحات عظيمة في مدة عشرين شهراً، حتى انتهى إلى بلد شلونة[215] شرقا وإلى أربونة[216] جوفا وإلى صنم قادس[217] غربا، وعزم أن يذهب مشرقا مجاهداً في الجلالقة[218]

---

(213) هو: موسى بن نصير بن عبدالرحمان بن زيد، أبو عبدالرحمان (19 - 97 هـ / 640 - 715م) أصله من وادي القرى بالحجاز. نشأ في دمشق. وتولى عدة مهام في خلافة معاوية وعبد الملك بن مروان وعبدالعزيز بن مروان وأهمها ولاية إفريقيا الشمالية في خلافة الوليد بن عبدالملك، حيث أقام في القيروان، ومن أهم أعماله : فتح الأندلس(سنة 93 هـ 711 م) ، في ظرف لا يتعدى سنة واحدة.
انظر : ابن قتيبة، الإمامة والسياسة، ج 2 : 59 - 103 . الطبري، تاريخ الأمم، ج 8 : 75 ، 90 ، ابن عبد الحكم، فتوح إفريقية والأندلس: 70 - 86 ، المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب : 21 - 23 ابن خلدون، العبر، ج 4 : 187 - 188 فليب حتي، العرب ، تاريخ موجز : 90 - 101 .

(214) سنة 93 هـ توافق سنة 711 م

(215) يقصد : مدينة برشلونة (BARCELONA) الواقعة في شمال شرق إسبانيا، تشرف على البحر الأبيض المتوسط. وقد سماها العرب : برشلونة، برشنونة، بردجلونة، وبرجلونة بعد موسى بن نصير بمدة من الزمن استرجعها الإسبان وفي سنة 242 هـ / 856 م احتلها العرب مرة أخرى، كما احتلها المنصور سنة 375 هـ / 985 م.
انظر : الحميري، صفة جزيرة الأندلس ص 42 - 43 بن عبد الله الموسوعة (معلمة المدن والقبائل)ملحق 2 ص : 94 95 .

(216) اربونة : آخر مكان بأيدي المسلمين من مدن الأندلس وثغورها. وقد استردها الإسبان من أيدي العرب سنة 330 هـ / 941 م. انظر : الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص : 11 - 12 .

(217) قادس (CADIZ) : مدينة تقع في الجنوب الغربي من بلاد الأندلس على شاطئ المحيط الأطلسي.
انظر : الحميري، صفة جزيرة الأندلس ص : 145 - 149 .

(218) جلالقة أو جليقية (GALICIA) : بلدة تقع غرب الأندلس قريبة من المحيط الأطلسي.
انظر : الحميري ، صفة جزيرة الأندلس، ص : 66 - 67 .

(*) • 18 ب.

وروم القسطنطينة، فسمع الوليد[219] فخاف على المسلمين فكتب إليه بالتوبيخ والانصراف. وقال بعض : أمر الوليد عمه عبدالله بن مروان بإرسال موسى إلى إفريقية فقفل سنة خمس وتسعين [220]، وقدُم كتاب الوليد بن عبدالملك فقال فيه بالنسبة لما سبى : إنه لمحشر وليس بفتح.

ومن العجائب أنه قدم بمائة عجلة مملوّة ذهبا وفضة وجوهراً وغير ذلك، لكونه تعذر حمله على الدواب. وقدم أيضا بثلاثين ألف أسير سوى أولاد الملوك، فقدم بشيء منهم كثير. وقدم أيضا بسبع تيجان مرصعة بما لا يوصف من مثل تاج كسرى.

ولما بلغ إفريقية استخلف ولده عبدالله عليها، وعلى الأندلس ولده عبدالعزيز، وشرق يجرّ الدنيا خلفه ومعه ملك قرطبة أسيراً، فوصل إلى الشام سنة ست وتسعين [221]، فوجد الوليد مريضا، فبعث إليه ولي العهد سليمان[222]: لاتدخل دمشق في حياة الوليد. فخالفه ودخل، وإذا بالوليد قد مات، وولي سليمان فحقد عليه وصادره، فغرم ديته ألف مرة، فكانت مائة ألف دينار. قال الحافظ ابن عبد ربه[223] في عقده : أقرضها له يزيد بن المهلب[224] . وطاف موسى في أحياء العرب لوفائها، وقاسى كربا. وما في ابن خلكان من [أن][225] الذي صادره هو الوليد فغير صحيح كما قاله أبو رأس [226]. وكان مجاب الدعوة فدعى أن يقبضه الله فقبض في طريق الحج مع سليمان، ومات بواد القرى [227] سنة سبع وتسعين[228] والله أعلم.

---

(219) هو : الوليد بن عبدالملك بن مروان أبو العباس(50-96 هـ /670- 715 م) : خليفة أموي. ولي بعد وفاة أبيه (سنة 86 هـ / 704م). حدثت في أيامه فتوحات واسعة في المشرق والمغرب والأندلس. واتسم عهده بالاستقرار والهدوء والتشييد.
انظر : ابن قتيبة الإمامة والسياسة، ج 2 : 72، 75- 76، 83 ، الدينوري الأخبار الطوال، ص : 325-329 ، الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 8 : 55، 58- 59، 60 - 61 ، 65 - 66 ، 68-97 ، ابن كثير، البداية ج 9 : 60 ، 70، 161- 166 ، ابن خلدون، العبر ج 3 : 57 - 68 .

(220) سنة 95 هـ توافق 714 م.

(221) سنة 96 هـ توافق 715 م.

(222) هو : سليمان بن عبد الملك بن مروان، أبو أيوب (54 - 99 هـ / 674 - 717 م) خليفة أموي، ولد في دمشق وتولى الخلافة سنة 96 هـ / 715 م وقعت على عهده فتوحات في جرجان وطبرستان كما حاصر القسطنطينية.
انظر : الدينوري، الأخبار الطوال، ص : 329-330 الطبري، تاريخ الأمم والملوك ، ج 8 : 102-128 ، ابن كثير، البداية ج 9: 166 - 184 ، ابن خلدون، العبر، ج 3 : 68-75 الكتبي، فوات الوفيات، ج 2 : 68-70 الديار بكري، تاريخ الخميس ج 2 : 314 - 315 .

(223) هو : أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي، أبو عمر (246 - 328 هـ / 860 - 940 م) أديب ، شاعر وأخباري.
انظر : الحموي، معجم الأدباء، ج 4 : 211- 224 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 193 - 194 ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 2 : 201، ك . بروكلمان، تاريخ الأدب ج 3 : 139 - 141 . أ. أمين، ظهر الإسلام، ج 3 : 207 - 208 خ . الزركلي، الأعلام ج 1 : 207، محمود كرد علي، كنوز الأجداد، ص : 107 - 110 ، ابن عبد الله الموسوعة، ج 2 : 43 ، كحالة ، معجم المؤلفين ج 2 : 115، ابن منصور، أعلام المغرب، ج 2 : 279 - 283 .

(224) هو : يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي، أبو خالد (53 - 102 هـ/ 673 - 720 م) ولي خراسان بعد وفاة أبيه سنة 83 هـ / 702م ثم عزله عبد الملك بن مروان بتحريض من الحجاج بن يوسف. وفي خلافة سليمان بن عبد الملك ولي العراق ثم خراسان مرة ثانية. وقام بفتح جرجان وطبرستان . وفي سنة 102 هـ / 720 م قتل في معركة جرت بينه وبين مسلمة بن عبدالملك انظر : الطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج 8 : 113 - 126 ، 136 - 140 ، 151 - 161 ، ابن خلدون ، العبر : ج 3 : 64 - 65 ، 69 - 70 - 76 - 80 وهذا النص يوجد في العقد الفريد، ج 1 : 303 باختلاف في اللفظ.

(225) ما بين المعقوفتين ساقطة من د،ح،ك. والتكملة من ز.

(226) يقصد : محمد بن أحمد بن عبد القادر بن ناصر، الناصري المعسكري(1165 - 1239 / 1752 - 1824) : مؤرخ ، أديب، ناظم ومشارك في علوم أخرى، ترجم لنفسه في كتاب فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته مخ. خ. ر . 2263 ك.
وانظر : خليل مردم بك أعيان القرن الثالث عشر : 153 - 154 ، سركيس، معجم المطبوعات، ج 2 : 1835 ، بلهاشمي بن بكار، مجموع النسب والحسب : 13 . ع . الزركلي، الأعلام ج 6 : 18 المنوني، المصادر العربية، ج 2 : 42 - 43 .

(227) واد القرى : واد قريب من المدينة (المنورة) تحيط به كثير من القرى . انظر : البغدادي، مراصد الاطلاع، ج 3 : 1417 .

(228) سنة 97 هـ توافق 715 - 716 م . وهذا النص كاملا يوجد عند أبي رأس محمد بن أحمد في كتابه الخبر المعرب عن الأمر المغرب م. خ.ع.ر. 2273 : ورقة 37 أ بنفس اللفظ مما يشير إلى أن المؤلف نقل نصه هذا منه.

[الدولة العلوية أحق بالمدح من غيرها]

ثم قال رحمه الله :

لِـدَوْلَـةِ أَبْـنَـاءِ الشَّـرِيـفِ حَـرِيَّـةٌ   بِـوَصْـفِ ثَنَـا الأَمْدَاحِ مِنْ كُلِّ كَـاتِبِ

الدولة بفتح الدال وضمها وجمع المفتوح دول بالكسر مثل : قطعة وقطع ، وجمع المضموم دُول بالضم مثل : غرفة و (غرف) [229] .

ومنهم من يقول: الدولة بالضم في المال، وبالفتح في الحرب، ودالت الأيام تدول، مثل : دارت تدور وزنا ومعنى، وهي انقلاب الدهر من حال إلى حال، قال تعالى : "وتلك الأيام نداولها بين الناس"[230] . وأبناء : جمع ابن، وهو الذكر بخلاف * الولد فإنه يطلق على الذكر والأنثى.

والشريف هو جد الملوك العلويين، وذلك اسمه ووصفه أيضا.

وحرية : حقيقة . والوصف : لغة النعت ، وبابه وعد مأخوذ من قولهم : وصف الثوب الجسم إذا أظهر حاله وبيّن هيئته، تقول : وصفت فلانا، إذا نعته بما فيه من خلق أو خلق.

والثناء : بالفتح والمد وقصره ضرورة، يقال : أثنيت عليه خيراً أو بخير، وأثنيت عليه شراً أو بشر، لأنه بمعنى وصفته. ولما كان الثناء يستعمل في الخير والشر، وهو الصحيح لحديث : هذ أثنيتهم عليه خيراً فوجبت له الجنة، وهذا أثنيتهم عليه شراً فوجبت له النار، احتيج إلى البيان، فأضافه للإمداح، فالإضافة بيانية والمدح خاص بالثناء الجميل في الخلق، والخلق سواء كانت الصفات خلقية أو اختيارية. ولهذا قالوا : إن المدح أعم من الحمد.

والكاتب عند العرب : العالم و(بابه)[231] قتل ونصر، [و] [232] منه قوله تعالى : ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾[233].

[و][234] الإسم : الكاتب (لأنه)[235] صناعة كالنجارة وغيرها.

[و][236] المعنى أنه أفصح بالمراد، وأخبر بأن دولة أبناء مولاي الشريف الذي هو أب الملوك العلويين الثلاثة : مولاي مَحمد فتحا، ومولاي الرشيد، ومولاي إسماعيل مباشرة، وماعداهم مما تنسل من مولاي إسماعيل، حقيقة بأن تتصف وتنعت عن سائر الدول، وتمتاز بالثناء الجميل الذي هو معاني الإمداح من كل كاتب بالقوة، وأحرى بالفعل، فتكون حقيقة بالمدح من جميع الناس، إذ لا خصوصية للكاتب (حينئذ)[237]، وذلك لما اكتسبته

---

(229) د : عرفة. والتصحيح من ز، ح و ك .
(230) سورة آل عمران، الآية : 140 .
(231) د، ز : بأنه . والتصحيح من ح، ك .
(232) مابين المعقوفتين ساقطة من ك .
(233) سورة الطور ، الآية : 41 .
(234) مابين المعقوفتين ساقطة من ك .
(235) د، ز، ك : لأنها ، والأصح ما أثبتناه من ح.
(236) مابين المعقوفتين ساقطة من ك .
(237) كتب في جميع النسخ : ح (حرف الحاء) فترجمناه إلى ما اثبتناه في المتن.
(*) 19 أ.

من المحامد والفضائل والمناقب الفاخرة، والفواضل والسجايا المحمودة والسيرة المرضية والحلم والإناءة والأخلاق التي لا تعادلهم في حسنها دولة، كيف وهم قوم آثار علومهم على صفحات الدهر مكتوبة، وفضائلهم في (محاسن)[238] الدنيا والدين محسوبة ، وإلى كل قطر مجلوبة، فما من متين علم وقديم رأي إلا ومن شرفهم مطلعه، (ولا من حائز فضل إلا)[239] وعندهم منتجه وإليهم منزعه، وما نشأ من كرم أخلاق بلا اختلاف إلا وجدته فيهم، ولا درة حكمة إلا اجتلبتها من معانيهم، أطفالهم رجال، وشيوخهم أبدال، بشواهد مناقبهم باهرة، ودلائل مجدهم ظاهرة، لا يشاكلهم أحد في نجابتهم وبسالتهم، ومعرفتهم وعلو همتهم، دانت لهم العباد وأصلحوا البلاد، ومحوا آثار البغاة والفساد، فهم على معنى ما قيل : [الكامل]

* قَوْمٌ زَكَوْا أَصْلاً وَطَابُوا مَحْتِداً ... وَتَدَفَّقُوا جُوداً وَرَاقُوا مَنْظَراً
وَتَعَافُ خَيْلُهُمُ الوُرُودَ بِمِنْهَلٍ ... مَا لَمْ يَكُنْ (بِدَمٍ)[240] الوَقَائِعِ أَحْمَرَا

ولازلنا نبتهل إلى الله تعالى في إبقاء هذه الدولة العليّة العلوية السُّنيّة السَّنيَّة أدام الله تأييدها، وزكى محاسنها وعوائدها إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

[صفة الكاتب المعتبر]

وفي الكاتب المعتبر أمور اشترطوها، وهو من [حاز][241] الخصال المحمودة بأن يكون فصيح اللسان، جريء الجنان، بليغ البيان، عارفا(بالأدب)[242]، سالكا طريق الصواب، بارع الخط، حسن الضبط، عالما بالحل والربط، كاتماً للأسرار، متحليا بحلي الوقار، ذا عقل وافر، وفهم حاضر، وذهن ثاقب، وفكر صائب ، حلو الشمائل، موسما بالفضائل، جميل الهيئة واللباس، والموالاة للناس؛ لأن الكاتب عنوان المملكة، وبه (تتبين)[243] الأمور (المشتبكة) [244]، فبها يمتاز الكاتب ويكون في حقه هذا واجب وإن كان بهذه المثابة، صلح أن يكون للكتابة، وإن أخلَّ بهذه الشروط، كان جديراً بالتأخر والسقوط، ولاشك في توفر هذه الشروط، في الناظم وآكد منها به منوط، وقيل [245] للشعبي: أي شيء تعرف به عقل الرجل؟ قال : إذا كتب فأجاد. ومن هذا ما حكاه أبو جعفر البغدادي، قال : حدثنا عثمان

---

(238) ح : محاسنهم.
(239) تكرار في ز ، مع زيادة : ومن شرفهم مطلعه
(240) ز : يوم.
(241) ح : جاز
(242) ز : بالآداب
(243) د، ز ، ك : تبيين . والتصحيح من ح .
(244) د ، ك : المشتملة. والتصحيح من ز ، ح .
(245) من هنا يبدأ النقل من العقد الفريد لابن عبد ربه ج 4 : 174 .
(*) * 19 ب.

ابن سعيد قال : لما رجع المعتصم [246] من الثغر وصار بناحية الرقة [247]. قال لعمرو بن مسعدة [248] : مازلت تسألني في (الرُخجيّ) [249] حتى وليته الأهواز [250] فقعد في سرّة الدنيا يأكلها خَضْما وقضما، ولم يوجه لنا بدرهم واحد، اخرج إليه من ساعتك، فقلت في نفسي: أبعد الوزارة (أصير) [251] مستحثا على عامل خراج ! ولكن لم أجد بدّاً من طاعة [أمير] [252] المؤمنين فقلت أخرجُ إليه [يا] [253] أمير المؤمنين. (فقال) [254] : احلف لي أنك لاتقيم ببغداد إلاّ يوما واحدا، فحلفتُ له، ثم انحدرت إلى بغداد، فلما صرت بين دَيْر (هزِقِل) [255] ودَيْر العاقول [256] إذا رجل يصيح : ياملاح رجل منقطع ! فقلت للملاح : قرب إلى الشط . فقال : ياسيدي هذا رجل شحاد إن قعد معك أذاك. فلم ألتفت إلى قوله، وأمرت الغلمان فأدخلوه، فقعد في كوثل [257] الزورق، فلما حضر وقت الغداء. عزمت أن أدعوه إلى طعامي فدعوته، فجعل يأكل أكل جائع بنهامة إلا أنه نظيف الأكل، فلما رفع الطعام أردت أن يستعمل معي ما يستعمل العوام مع الخواص : أن يقوم فيغسل يديه * في ناحية فلم يفعل، فغمزه الغلمان فلم يقم، فتشاغلت عنه ، ثم قلت ياهذا ما(صناعتك) [258] ؟ قال : حائك الكلام، فقلت في نفسي : هذه شر من الأولى! فقال لي : جعلت فداك قد سألتني عن صناعتي فأخبرتك، فما صناعتك أنت؟ قال: فقلت في نفسي : هذه أعظم من الأولى، وكرهت أن أذكر له الوزارة، فقلت : أقتصر له على الكتابة ،(فقلت) [259] : كاتب، قال : جعلت فداك الكتاب على خمسة أصناف : فكاتب رسائل يحتاج إلى أن يعرف الفصل من الوصل، والصدور،

---

(246) هو : محمد بن هارون الرشيد بن المهدي بن المنصور أبو إسحاق المعتصم بالله (179 - 227 هـ / 795 - 841 م) خليفة عباسي. بويع بالخلافة أثر وفاة أخيه المأمون (218 هـ / 833 م) الذي كان يميل إليه لشجاعته وحسن تدبيره. أكثر المعتصم في ولايته من جيوش الاتراك واستغنى عن جيوش العرب. وهو فاتح عمورية وباني مدينة سامرا. انظر : الأخبار الطوال، ص : 401-406 الطبري، تاريخ، ج 11 : 6 - 9 ، تاريخ بغداد ، ج 3 : 343 - 347 ، الكامل ، ج 6 : 439، 443 ، 454 ، 461، 475 ، 477 - 493 ، 495 - 507 ، 510 - 518 ، 523 - 528 ، البداية ج 10 : 280 - 293 ، 295 - 297 . فوات الوفيات، ج 4 : 48 - 50، العبر ج 3 : 256 - 270 ، تاريخ الخميس ج 2 : 336 - 337 .

(247) الرقة : بفتح أوله وثانيه وتشديده : مدينة مشهورة - على الفرات من جانبها الشرقي بالعراق.
انظر : البغدادي، مراصد الاطلاع ج 2 : 626 .

(248) هو عمرو بن مسعدة أبو الفضل الصولي، المتوفى سنة 217 هـ / 832 : وزير المأمون وأحد الكتاب البلغاء.
انظر : الفهرست ص : 236 ، تاريخ بغداد ج 12 : 203 - 204 ، معجم الأدباء ج 16 : 127 - 131 ، اليافعي المرآة ج 2 : 59 - 60 ، ج . زيدان تاريخ آداب اللغة ج 2 : 151 ، ع . الزركلي، الأعلام، ج 5 : 86 . ويلاحظ في هذه الرواية وجود تناقض. لأن عمرو بن مسعدة توفي في حياة المأمون (217هـ) أما المعتصم فقد تولى الخلافة في رجب سنة 218 هـ.

(249) في جميع النسخ : الرجحي. والتصحيح من العقد الفريد، ج 4 : 175 والرّخجي نسبة إلى رخج (مدينة من نواحي كابل) واسمه: عمر بن الفرج. وهو من أعيان الكتاب في أيام المأمون إلى خلافة المتوكل. انظر : العقد الفريد، ج 4 : 175 ، هامش رقم : 6 .

(250) الأهواز : آخره زاي، أصله أحواز. وهي سبع كُوربَيْن البصرة وبلاد فارس. انظر : البغدادي، مراصد، الأطلاع، ج 1 : 135.

(251) في جميع النسخ : أسير . والتصحيح من العقد الفريد، ج 4 : 176

(252) مابين المعقوفتين ساقطة من د . والتكملة من ز . ح . ك والعقد الفريد، ج 4 : 176 .

(253) مابين المعقوفتين ساقطة من د . والتكملة من ز ، ح ، ك والعقد الفريد، ج4 : 176 . ليستقيم المعنى.

(254) ز : قال.

(255) في جميع النسخ : هرقل. والتصحيح من العقد الفريد ج 4 : 176 . ودَيْر هزقل بكسر أوله وزاي ساكنة وقاف مكسورة دَيْرٌ مشهور بين البصرة وعسكر مكرم. انظر : البغدادي مراصد الاطلاع. ج 2 : 579 .

(256) دَيْر العاقول : دير بين مدائن كسرى والنعمانية على شاطيء دجلة. بينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخا. انظر : البغدادي، مراصد الاطلاع ج 2 : 567 والعقد الفريد ج 4 : 176 هامش رقم : 5 .

(257) كوثل الزورق : مؤخرة الزورق.

(258) في جميع النسخ : صنعتك . والتصحيح من العقد الفريد ج 4 : 176

(259) ز : فقال .

(*) 20 أ.

والتهاني، والتعازي، (والتراغب والتراهب)[260]، والمقصور والممدود، وجملا من العربية، وكاتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزرع والمساحة و(الأشوال)[261] و(الطسوق)[262]، والتقسيط، والحساب، وكاتب جند يحتاج إلى أت يعرف حساب التقدير وشيات الدواب وحلى الناس، وكاتب قاض يحتاج أن يكون عالما بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث، وكاتب شرطة يحتاج أن يكون عالما بالجروح والقصاص والعقول والديات، فأيهم أنت أعزك الله؟ قال : قلت : كاتب رسائل، قال : فأخبرني[263] (اذا) كان لك صديق تكتب إليه في المحبوب والمكروه وجميع الأسباب فتزوجت أمه فكيف تكتب له أتهنيه أم تعزيه؟ قلت : والله ما أقف على ما تقول، قال : فلست بكاتب رسائل ، فأيهم أنت؟ قلت : كاتب خراج قال : فما تقول - أصلحك الله - وقد ولاك السلطان عملا فبثثت فيه عمالك فجاءك قوم يتظلمون من بعض عمالك فأردت أن تنظر في أمورهم وتنصفهم إذ كنت تحب العدل والسير، وتوثر حسن الأحدوثة وطيب الذكر، وكان لأحدهم قَرَاح[264] قاتل فينا، كيف كنت تمسحه؟ قال : كنت أضرب العطوف في العمود وانظركم مقدار ذلك؟ قال : إذن تظلم الرجل، قلت : فأمسح العمود على حدَة، قال : إذن تظلم السلطان قلت : والله ما أدري ! قال : فلست بكاتب خراج فأيهم أنت؟ قلت : كاتب جند، قال : فما تقول في رجلين اسم كل واحد منهما أحمد أحدهما مقطوع الشفة العليا والآخر مقطوع الشفة السفلى، كيف كنت تكتب (حليتِهما)[265]؟ قال : كنت أكتب أحمد الأعلم وأحمد الأعلم، قال : كيف يكون هذا ورزق هذا مائتا درهم، ورزق هذا ألف درهم، فيقبض هذا على دعوة هذا، فتظلم صاحب الألف؟ قلت : والله ما أدري ، قال : فلست بكاتب جند، فأيهم أنت؟ قلت : كاتب قاض، قال : فما تقول أصلحك الله في رجل توفي وخلف زوجة وسُرِيَّة[266] وكان للزوجة بنت وللسرية * ولد فلما كان في تلك الليلة أخذت الحرة ابن السرية وادعته وجعلت ابنتها مكانه فتنازعا فيه، فقالت هذه : هذا ابني، وقالت هذه : هذا ابني، كيف تحكم بينهما وأنت خليفة القاضي؟ قلت : والله لست أدري، قال : فلست بكاتب قاض أنت، فأيهم أنت؟ قلت كاتب شرطة، قال : فما تقول - أصلحك الله- في رجل وثب على رجل فشجه[267] شجة موضحة[268] فوثب عليه المشجوج فشجه شجة(مأمومة)[269] قلت : ما أعلم!

---

(260) في العقد الفريد ج 4 : 176 : الترغيب والترهيب وكلاهما صحيح.
(261) في جميع النسخ : الأشول. والتصحيح من العقد الفريد ج 4 : 177 . والأشوال جمع شول وهي النوق أتى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر فجف لبنها، الواحدة شائلة. انظر العقد الفريد ج 4 : 177 هامش رقم : 1 .
(262) في جميع النسخ : الدسوق : والتصحيح من العقد الفريد ج 4 : 177 . والطسوق : جمع طسق وهو ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الأرض، فارسي معرب. انظر العقد الفريد ج 4 : 177 هامش رقم : 2 .
(263) في جميع النسخ . إن . والأصح ما اثبتناه من العقد الفريد ج 4 : 177 .
(264) قراح : جمع أقرحة، وهي الأرض التي لاماء فيها ولا شجر.
(265) ز : حليتيهما .
(266) سرية : السُرية بالضم، المملوكة يتسراها صاحبها.
(267) فشجه : فخرجه.
(268) موضحة : الموضحة من الشجاج : التي بلغت العظم فأوضحت عنه.
(269) في جميع النسخ : مامومية، والتصحيح من العقد، ج 4 : 178 . ومامومية : أي بلغت أم الرأس.
(*) • 20 ب .

ثم قلت : أصلحك الله فسِّرْ لي ما ذكرت، قال : أما الذي تزوجت أمه فتكتب له : أما بعد، فإن أحكام الله تجري بغير محاب المخلوقين والله يختار للعباد فخار الله لك في قبضها إليه فإن القبر أكرم لها، والسلام. وأما القراح فتضرب واحدا في مساحة العطوف فمن ثم بابه، وأما أحمد وأحمد فتكتب حلية المقطوع [الشفة][270] العليا أحمد الاعلم، والمقطوع الشفة السفلى أحمد الأشرم. وأما المرأتان فيوزن لبن هذه ولبن هذه، فأيهما كان أخف فهي صاحبة البنت وأما الشجة فإن في الموضحة خمسا من الإبل وفي (المأمومة)[271] ثلاثا وثلاثين وثلثا، فيرد صاحب (المأمومة) ثمانية وعشرين وثلثا قلت : أصلحك الله فما نزع بك إلى ها هنا؟ قال : ابن عم لي كان عاملا على ناحية، فخرجت إليه فألفيته معزولا فقطع (بي)[273]، فأنا خارج اضطرب في المعاش، قلت ألست[274] ذكرت أنك حائك؟ قال : أنا أحوك الكلام، ولست بحائك الثياب، قال : فدعوت المزين فأخذ من شعره و(أُدْخِلَ)[275] الحمام وطرحت عليه شيئا من ثيابي، فلما صرت إلى الأهواز كلمت (الرخجي) [276] فأعطاه خمسة آلاف درهم ورجع معي، فلما صرت [إلى][277] أمير المؤمنين، قال : ماكان خبرك في طريقك؟ فأخبرته خبري حتى حدثته حديث الرجل فقال [لي][278] : هذا لا يستغنى عنه، فلأي شيء يصلح؟ (قلت)[279] : هذا أعلم "الناس بالمساحة والهندسة، قال : فولاه أمير المؤمنين البناء والمرمة، فكنت والله ألقاه في الموكب النبيل فينحط عن دابته فأحلفُ عليه فيقول : سبحان الله إنما هذه نعمتك وبك أفدتها[280]! انتهى.

[تأكيد المؤلف على أحقية مدح الدولة العلوية]

لِذَاكَ نَظَمْتُ دُرَّهَا فِي عُقُودِهِ ... وَرَصَّعْتُهَا الوُسْطَى بِوَقْفِ الجَوَانِبِ
وَلَمْ أَلْتَفِتْ لِلْقَائِمِينَ وَإِنْ جَرَوا ... عَلَى مُقْتَضَاهَا فِي كَلَامٍ مُنَاسِبِ

الإشارة بذاك إلى مفاخرها. والنظم في اللغة : الجمع، تقول نظمت اللؤلؤ بمعنى* جمعته في السلك، وبابه ضرب، ومنه نظم الشعر. ودرها : جمع درة بالضم، وهي اللؤلؤة العظيمة الكبيرة. والعقود : جمع عقد بالكسر، وهو القلادة. والترصيع : التركيب على وجه مستحسن بشيء نفيس، تقول : تاج مرصع بالجواهر، وسيف مرصع، أي محلى بالرصائع،

(270) مابين المعقوفتين ساقطة من الأصل. والتكملة من العقد ج 4 : 178 .
(271) في جميع النسخ : المأمومية. والتصحيح من العقد ج 4 : 178 .
(272) في جميع النسخ : المأمومية. والتصحيح من العقد ج 4 : 178 .
(273) في جميع النسخ : المأمومية. والتصحيح من العقد ج 4 : 179 .
(274) في جميع النسخ : وردت كلمة زائدة - بعد كلمة ألست- وهي : أنك . فحذفناها.
(275) في جميع النسخ : دخل. والتصحيح من العقد ج 4 : 179 .
(276) في جميع النسخ : الرجحي.
(277) مابين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز، ح . ك والعقد، ج 4 : 179 .
(278) مابين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ والتكملة من العقد ج 4 : 179 .
(279) ز، ح : قال .
(280) إلى هنا ينتهي النقل من العقد الفريد لابن عبد ربه ، ج 4 : 179 بنفس اللفظ ودون التنبيه على ذلك.
(*) * 21أ .

وهي حلي يحلى بها، الواحدة رصيعة. والوسطى : الفضلى، ومنه قوله تعالى : ﴿قال أوسطهم﴾[281] أي أفضلهم، والصلاة الوسطى أي الفضلى. والموافقة : الاتفاق وعدم الاختلاف في أمرها. والجوانب : جمع جنب أو جانب على غير قياس، وقياسه جنوب كفلس وفلوس. والالتفات : صرف الوجه إلى يمين أو شمال، من باب ضرب تقول : لفته عن رأيه لفتا إذا صرفه عنه، وقد نفى هذا الالتفات إلى القائمين أي لا أصرف وجهي نحوهم وهم جمع قائم، سموا بذلك لقيامهم بالعظائم والمهمات. والجري بفتح الجيم : معلوم ، تقول: جريت إلى كذا جريا وجراء، قصدت وأسرعت على مقتضى هذه الدولة، أي دلالتها تقول : اقتضى الأمر الوجوب أي دل عليه.

والمعنى : أنه بسبب ما ثبت لهذه الدولة الفخيمة من المفاخر والمكارم، ومن أجله جمعت ملوكها في هذه القصيدة وحسنتهم بمحاسن مولانا الحسن خلد الله ملكه، إذ هو واسطة عقدهم، وبحسنها وبهائها وفيض نورها ازدادت عقودها جمالا وبهجة ونفاسة وغبطة واعتناء بأمرها، وذلك باتفاق الأمم، على أن مناقبه ومكارمه فاقت كل مكرمة ومنقبة لغيره، وحيث كان هو المقصود، أمده الله بنصره مع آبائه الكرام المختصين بالملك قبله مع آثارهم الفخيمة وسيرتهم الحميدة، اقتصرت عليهم دون من عداهم من القائمين الذين لم يتم لهم أمر من أقاربهم، وإن ذهبوا على مادلت عليه هذه الملوك بسيرتهم من المحامد والمفاخر في كلام لهم مناسب لكلام الأئمة المذكورين لقلة جدواهم وعدم مزاياهم. ولم يختص الناظم بهذا، فقد قال صاحب الجيش أيضا : كل من قام بعد بيعة مولاي عبد الله إنما هو ثائر لا إمامة له، ولذلك اقتصر مولاي عبد السلام بن محمد[282] في تأليفه المسمى بدرة السلوك[283] على ذكر مولاي عبدالله ولم يزد عليه ذكر أحد من إخوانه إلا نزرا يسيرا في أخبار مولاي أحمد الذهبي ومولاي عبدالمالك[284] انتهى.

قلت : وبذلك يتلخص عقدهم مما يشينه * فتكون كل درة منه مجانبة وملاصقة لدرة مثلها من غير فصل بينهما (بناقص)[285] كعقيقة(تنبو)[286] الأعين عنها لعدم مما ثلتها (للدرر)[287] النفيسة، وذلك مما يزيد (رفعة)[288] واغتباطا في محاسنه.

---

(281) سورة القلم . الآية : 28 .

(282) هو : عبدالسلام بن محمد بن عبدالله، أبو محمد. العلوي الحسني السجلماسي (حوالي 1170 - 1228 هـ / حوالي 1756 - 1813 م): عالم من الأسرة العلوية، له اشتغال بالتاريخ والأدب . تولى عدة مهام في حياة أبيه.
انظر : الاستقصا، ج 8 : 34 ، 51 ، 57 ، 100 ، الدليل، ج 1 : 129 ، 147 ، 224 وج 2 : 349 ، ع . الزركلي، الأعلام، ج 4 : 7 - 8 المنوني، المصادر العربية ، ج 2 : 50 ، 78 - 79 .

(283) اسمه كاملا : درة السلوك وريحانة العلماء والملوك. دوّن فيه المؤلف سير الملوك وآثارهم ومن ضمنهم الملوك الذين تعاقبوا على المغرب إلى عصره. وقد فرغ من تأليفه سنة 1203 هـ / 1788 م . والكتاب لايزال مخطوطا توجد نسخة منه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 3728 د . والنسخ الاخرى توجد بالخزانة الحسنية . انظر : المنوني المصادر العربية ج2 : 78 - 79 .

(284) انظر الجيش العرمرم الخماسي لأكنسوس، ج 1 : 133 وقد تم النقل بتصرف.

(285) ز ، ح : يناقص.

(286) د ، ك : شوا . ح : شبو. والتصحيح من ز.

(287) ز ، ح : للدرة .

(288) ز ، ح : غبطة.

(*) * 21 ب

هذا نظر الناظم ومن أهمل ذكرهم قبله، والله أعلم. ويصح إطلاق بغلة الشطرنج عليهم لأنه يشبه بها من يستغنى عنه ولايحتاج إليه، ومن يكن دخيلا في القوم، إذ ليس للبغل مكان في دواب الشطرنج ولذلك يقال : من أنت في (الرفعة)[289]؟

قال بعض الشعراء : [الرجز]

يَاكَاتِباً أَقْبِلْ مِنْ زَرْنَجِ
مُبْرَقَع الوَجْهِ بِلَوْنِ الزِّنجِ
اذْهَبْ فَأَنْتَ بَغْلَةُ الشَّطْرَنجِ

[اهتمام الملوك والخلفاء بالجوهر]

وفي قوله : نظمت درها تورية ، إذ المعنى البعيد من الدر الملوك، والقريب منه اللؤلؤ المعروف، وهو من زينة الملوك و(ذخائرها)[290]. وبجوهر الخلافة ضرب المثل، وهو أن جواهر الأكاسرة وغيرهم من الملوك. صارت إلى خلفاء بني أمية، ثم صارت إلى السفاح[291] ثم إلى المنصور[292] فاتخذها عدة للخلافة، وفيها كل فص ثمين وعقد نفيس، واشترى الربيع[293] جوهرا بألف دينار، وضمه إلى جوهر الخلافة، ولم يزل هو والخلفاء بعده، يحفظونه ويزيدون فيه ما يقدرون عليه، ويجلب إليهم من الآفاق، فأفضت الخلافة إلى المقتدر[294] وفي خزانة الجوهر ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وفيه المعروف بالمنقار مالا يقدر قدره والمعروف بالبحر والدرة اليتيمية.

---

(289) د، ز، ح : الرقعة . والتصحيح من ك .

(290) د، ك : دخائره. والتصحيح من ز، ح .

(291) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس بن عبد المطلب، أبو العباس(104 - 136 هـ/ 722 - 754 م) : أول خليفة عباسي. اشتهر بالدهاء وسفك الدماء. وكان لأبي مسلم الخراساني الدور الفعال في وصوله للحكم (132 هـ/ 749 م). انظر : الدينوري، الأخبار الطوال : 370 - 377 ، ابن قتيبة، الإمامة، ج 2 : 142 - 151 ، 158 - 161 ، البلاذري، أنساب الأشراف، ج 3 : 80 - 84 ، الفهرست : 149، 215. تاريخ بغداد ج 10 : 46 - 53 ، البداية ، ج 10 : 40 - 44 ، 52 - 61 ، فوات الوفيات ج 2 : 215 - 216 ، اليافعي، المرآة، ج 1 : 284 .

(292) هو : عبد الله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس، أبو جعفر المنصور (95 - 158 هـ / 714 - 775 م) : ثاني خلفاء بني العباس. ولد بالحميمة من أرض الشراة، وولي الخلافة بعد وفاة أخيه السفاح (136 هـ/ 754 م). اهتم بالعلوم وبالمنجزات العمرانية. انظر أخباره في : الأخبار الطوال : 378 - 385 ، الإمامة، ج 2 : 160 - 182 ، أنساب الأشراف، ج 3 : 85 - 136 ، 138، الفهرست : 153 ، تاريخ بغداد، ج 10 : 53 - 61 ، الكامل ج 6 : 17 - 32 ، فوات الوفيات، ج 2 : 216 - 217 ، البداية ، ج 10 : 61 - 101 ، 103 - 115 ، 120 - 129 ، العبر ، ج 3 : 180 - 205 .

(293) لعله يقصد : الربيع بن يونس الذي استوزره المنصور وولاه الحجابة . وكان فصيحا حازما، عاقلا، فطنا، عارفا بخدمة الخلفاء. توفي سنة 170 هـ / 786 م . انظر : ابن خلكان، الوفيات، ج 2 : 294 - 299 ، حضري بك ، تاريخ الأمم الاسلامية (الدولة العباسة) : 72- 73 .

(294) هو : جعفر المقتدر بالله بن المعتضد (282 - 320 هـ / 895 - 932 م) : خليفة عباسي. تميزت فترة حكمه باضطراب الأحوال السياسية والإجتماعية. انظر أخباره عند : الطبري تاريخ الأمم ج 11 : 404 - 407 ، البغدادي، تاريخ بغداد، ج 7 : 213 - 219، ابن الأثير، الكامل، ج 8 : 169 - 200 ,170 - 207 ، 224 - 225 ، 241 - 244 ، الكتبي، فوات الوفيات ج 1 : 284 - 285 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 105 ، 107 ، 108 ، 169 - 170 ، ابن خلدون، العبر ، ج 3 : 358 - 360 ، 366 ، 372 - 377 ، 379 - 381 ، 384 - 391. ابن تغري، النجوم الزاهرة، ج 3 : 233 - 234 ، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج 2 : 345 - 350 .

وزن للدرة اليتيمية

وزعموا أن وزنها ثلاثة مثاقيل، فتبسط فيها المقتدر، وقسم بعضه على الحرم، ووهب بعضه لصاحبي الحرم، ووجه إلى وزيره العباس بن الحسن منه شيئا كثيرا فرده العباس، وكتب إليه يعلمه أن هذا الجوهر زينة الإسلام وعدة الخلفاء، وأنه لايصلح أن يفرق، فكان ذلك أول ثقله على قلبه.

وقد كانت زيدان القهرمانية[295] ممكنة من خزانة الجوهر فاتخذت (سبحة)[296] لم ير مثلها، والمثل مضروب بها في الارتفاع والنفاسة، فيقال : سبحة زيدان، كما يقال أشقر مروان، وجامع سفيان، وعود بنان.

ولما ورد علي بن عيسى[297] من مكة قال للمقتدر بعد كلام جرى بينهما : ما فعلت [ب] ـــسبحة[298] جوهر قيمتها ثلاثون ألف دينار أخذت من ابن الجصاص[299] ؟ قال : هي في الخزانة. قال : إن رأى سيدنا أن يأمر بطلبها، وطلبت فلم توجد، فأخرجها من كمه وقال : قد عرضت عليّ بمصر فعرفتها فاشتريتها، فإذا كانت خزانة الجوهر لاتحفظ فما الذي يحفظ؟ فاشتد * ذلك على المقتدر [وعلى السيدة][300] واتهمت بالسبحة زيدان، وقيل ليس يصل إلى خزانة الجوهر غيرها. ثم أفضت الخلافة إلى القاهر[301] ثم إلى (الراضي)[302].

وقد امتدت إلى الجواهر أيدي الخوُونة، وأتى عليها سوء السياسة فلم يبق منه شيء فكأنه تلاشي بتلاشي مملكتهم. انتهى. ومنه أيضا أن بختنصر حمل أموال بيت المقدس وأعمدة الذهب والفضة التي بنى عليها الهيكل واليواقيت والجواهر على سبعين ألف عجلة قاله قُوَيْسِم[303] على رجال الشفا[304] في ترجمة محمد بن عبدالله الزبيدي . انتهى.

---

(295) زيدان القهرمانية : من ربات النفوذ والسلطان في الدولة العباسية.

(296) ك : سبحات

(297) علي بن عيسى : قلَّده المقتدر الوزارة سنة 301 هـ / 913 م . وكان علي بن عيسى رجلا عاقلا متدينا حافظا للأموال. انظر: خضري بك ، تاريخ الأمم الإسلامية (الدولة العباسية) ص : 340 - 343 .

(298) مابين المعقوفتين زيادة أثبتناها ليستقيم المعنى.

(299) هو : الحسين بن عبدالله بن الجصاص الجوهري، أبو عبدالله البغدادي كان ذا مال وثروة واسعة. انظر : ابن كثير ، البداية، ج 11: 156-157.

(300) مابين المعقوفتين ساقطة من ز، ح.

(301) هو : محمد القاهر بن أحمد المعتضد، أبو محمد (287 - 339 هـ / 900 - 950 م) : خليفة عباسي. بويع سنة 320 هـ / 932 م واشتهر بالقسوة وسفك الدماء. فكثر أعداؤه الذين خلعوه من الحكم بالقوة والعنف. انظر أخباره عند ابن الاثير : الكامل، ج 8 : 244 - 246 ، 250 - 263 ، 279 - 282 ، اليافعي، المرآة، ج 2 : 328 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 170 - 171 ، 178 ، 223 - 224 ، ابن خلدون، العبر، ج 3 : 391 - 398 ، ابن تغري النجوم الزاهرة، ج 3 : 303 - 304 .

(302) في جميع النسخ : الرضي. والراضي هو : أبو العباس أحمد بن المقتدر (297 - 329 هـ / 909 - 940 م) : خليفة عباسي. بويع بالخلافة بعد خلع القاهرة سنة 322 هـ / 934 م ، كان الوضع أثناءه يزيد إدبارا وانتكاسا، حيث انقسم العراق إلى شيع يقتتلون ويتنافسون. وكان الراضي أديبا يحب مجالسة الأدباء، وله شعر مدون. انظر : المرزباني، معجم الشعراء : 430 - 431 ، البغدادي، تاريخ بغداد ج 2 : 142 - 145 ابن الاثير ، الكامل ج 8 : 282 - 284 ، 285 - 287 ، 322 - 324 ، 327 ، 329 - 333 ، 353 - 354 ، 366 - 368 ، اليافعي ، المرآة ، ج 2 : 296 ابن كثير، البداية، ج 11 : 178 - 179 ، 196 - 198 ، ابن خلدون، العبر ، ج 3 : 396 - 398، 401 ، 402 - 403 ، الديار بكري، تاريخ الخميس ج 2 : 351 - 352 .

(303) هو : محمد قويسم بن علي التونسي، المالكي (1033 - 1114 هـ / 1623 - 1702 م) : فقيه ، مؤرخ، وباحث في التراجم، انظر: ابن مخلوف، الشجرة : 320 خ. الزركلي، الأعلام، ج 7 : 11 ، كحالة، معجم المؤلفين ، ج 11 : 154 .

(304) يقصد كتابه : سمط اللآل في تعريف ما بالشفاء من الرجال. وهو كتاب موضوعه السيرة النبوية وتراجم الصحابة والتابعين والمحدثين وفقهاء الأنصار والشعراء وغيرهم. وهو ما يزال مخطوطا. توجد نسخة منه بالخزانة الأحمدية بتونس. انظر : خ. الزركلي، الأعلام ج 7 : 11.

(*) 22* أ .

حكاية في صدق المحبة

والشيء بالشيء يذكر. حكِيَ أن بعض ذوي الثروة من التجار أوصى ولده عند موته أن يحتفظ على صحبة الكرام، ولا يصحب اللئام، ولايسوءه من كريم سوء فعله، فإنه يرجع إلى أصله، فلما توفي والده دُلَّ على رجل شريف النسب، كريم الحسب، فصحبه وكان معه مال فبدّده وضيعه، ثم تربت يداه وافتقر فذهب لصاحبه يسأله، فقيل له : في أسوء حال، فأنكر نفسه منه فشق ذلك عليه وانكسر لها فلزم بيته، فبينما هو جالس في بيته إذ طرق عليه بابه فخرج، فإذا ثلاثة نفر فقال : ما الخبر؟ فقالوا : نحن تجار من مدائن سبإ ، معنا جوهر ودرٌّ نفيس، ولنا عادة نبيعه من صاحب هذه الدار، يعنون أباه، ونمهل عليه بالثمن، فقال : أروني (الجوهر)[305] فأخرجوا له جوهراً نفيسا، فاشتراه منهم وأمهلوه بثمنه وذهبوا، فلما كان في اليوم الثاني جاءته امرأة فقالت له : أنا من عند بيت الخليفة، ولنا عادة أن نشتري من صاحب هذه الدار جوهراً ودُرّاً لبنت الخليفة، فأخرج لها الجوهر، فاشترته منه ورابحته مالاً كثيراً وأقبضته له، فصلح حاله، واشترى له ثيابا وعبيدا ومركوبا، وذهب إلى صاحبه، فلما قيل له إنه بالباب خرج إليه ورحّب به، فعاتبه وقال : أتيتك وأنا سيء الحال، فنكرت نفسك مني، والآن تخرج إليَّ، فقال له : حيث ظننت ذلك ولم تحملني على المحمل الحسن، فأنا أقول : [البسيط]

أمّا الثّلاثُ الّذي جاؤكَ مِنْ سَبأٍ ... لَمْ يَعْرِفُوا سَبَنا لَكِنَّهُمْ رُسُلِي

وَالمُشْتَرِيةُ مِنْكَ الدُّرَّ والِدَتِي ... وَالمَالُ وَالجَوْهَرُ المَبْعُوثُ مِنْ قِبَلِي

وَمَا مَنَعْتُ لِقَائِي عَنْكَ مَنْقَصَةً ... لَكِنْ كَفَيْتُكَ مِنِّي مَوْقِفَ الخَجَلِ

*أَرَدْتُ أُوَلِّيكَ مَعْرُوفاً بِلاَنَصَبِ ... لَنْ تَحْمِلَنَّ فِيهِ ثِقْلَ (المَنِّ مِنْ)[306] رَجُلِ

فسر بذلك و(اعتذر)[307] إليه من ظنه به ـلك، ودامت صحبتهما واستمرت مودتهما.

[السبب الموجب لمدح الدولة العلوية]

هذا ، ويسرد ملوك هذه الدولة، تعلم(مصداق)[308] قول (الناظم)[309] قبل من سمو الملك بها، وأنها الحقيقة بالأمداح لخلوها مما ارتكبته الدول قبلها من النقائص والإساءة.

فهذه دولة بني أمية.

(305) د : الجواهر. والتصحيح من ز، ح ، ك.
(306) ح : المرمر.
(307) ز : اعتزز.
(308) د، ح ، ك : مصدق. والأصح ما أثبتناه من ز .
(309) في جميع النسخ : ظلم . وقد ترجمناه إلى ما أثبتناه في المتن.
(*) * 22 ب .

[نقائص دولة بني أمية]

وكانت في القرن الأول [310] وهي أول دول الإسلام، وفيهم اليزيد[311] . قال ابن حجر[312] : فإن يزيد بلغ من قبائح الفسق والانحلال عن التقوى مبلغا لا يستكثر عليه صدور تلك القبائح منه بل قال أحمد بن حنبل بكفره، وناهيك به ورعا وعلما[313]. انتهى. ومن قبائحه قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وإباحة المدينة المنورة.

والوليد[314] الجبار الزنديق، من تمنى شرب الخمر فوق ظهر الكعبة، و(اقتض)[315] ابنته، ووضع يوما المصحف الكريم بين يديه، وجعل يضربه بالنشاب حتى مزقه، ويقال أنه تفاءل فيه ففتح على قوله تعالى : "واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد"[316] .

فقال في ذلك :[الوافر]

(تُـهَـدِّدُنِـي بِـجَـبَّـارٍ عَـنِـيـدِ)[317] فَـهَـا أَنَـا ذَاكَ جَـبَّـارٌ عَـنِـيـدُ

إِذَا مَـا جِـئْـتَ رَبَّـكَ يَـوْمَ حَـشْـرٍ فَـقُـلْ : يَـارَبِّ (مَـزَّقَـنِـي)[318] الوَلِيدُ[319]

و(وطيء)[320] جارية وشربها الخمر، وأمرها بالخروج لتصلي بالناس، وحلف لايصلي بالناس غيرها، فصلت بهم إلى غير ذلك من قبائحه[321].

ثم دولة بني العباس

---

(310) 1 هـ / 7 م .

(311) هو: يزيد بن معاوية بن أبي سفيان (25 - 64 - هـ / 645 - 683 م) ثاني خليفة أموي، انظر أخباره عند : الدينوري، الأخبار الطوال: 225 - 268 ، ابن قتيبة، الإمامة، ج 1 : 175 - 220 ، و ج 2 : 3- 12 ، الطبري، تاريخ، ج 6 : 188 - 194 ، 271 - 275، وج 7: 2 - 16 ، ابن كثير، البداية، ج 8 : 226 - 237 ، ابن خلدون ، العبر، ج 3 : 15 - 16 ، 19 - 22 ، العسقلاني، اللسان، ج 6 : 293 - 295.

(312) هو: أحمد بن علي بن محمد الكناني، العسقلاني، المصري المولد والمنشأ والوفاة (773 - 852 هـ / 1372 - 1449 م) محدث، مؤرخ أديب وله نظم ومشارك في علوم أخرى، انظر : السخاوي، الضوء اللامع، ج 2 ك 36 - 40 ، ابن العماد، الشذرات، ج 7 : 270 - 273 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 165 ، الشوكاني، البدر الطالع، ج 1 : 87 - 92 ع. الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 : 236 - 250 ، خ. الزركلي، الأعلام، ج 1 : 178-179 ، ابن عبدالله ، الموسوعة، ج 1 : 72 . كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 : 20 - 22 ، المنوني، المصادر، ج 1 : 96 .

(313) هذا النص لايوجد عند ابن حجر العسقلاني في لسان الميزان ج 6 : 293 - 295 أثناء ترجمة يزيد بن معاوية.

(314) هو الوليد بن يزيد بن عبدالملك (90 - 126 هـ / 708 - 743 م) خليفة أموي، بويع يوم مات عمه هشام بن عبدالملك (125 هـ / 742 م). واشتهر بخلاعته ومجونه واستهتاره بأمور دولته، حتى نسبت إليه أخبار شنيعة، فنقم الناس عليه وبايعوا ابن عمه يزيد بن الوليد الذي استطاع أن يدخل دمشق، وأن يقتل الوليد بن يزيد. انظر التفاصيل عند : الدينوري، الأخبار الطوال : 347 - 349 . ابن قتيبة الإمامة ، ج 2 : 132 - 136 ، الطبري، تاريخ الأمم، ج 8 : 65 ، 288 - 301 ، الأصبهاني، الأغاني، ج 6 : 101 - 141 ، اليافعي، المرآة، ج 1: 264 ، ابن كثير، البداية، ج 10 : 2 - 16 ، ابن خلدون، العبر، ج 3 : 103 - 109 ، البغدادي، خزانة الأدب ، ج 2 : 228 .

(315) ن ح : افتض. وكلاهما صحيح.

(316) سورة إبراهيم، الآية : 15 .

(317) في شعره الوليد بن يزيد : 45 : أتوعد كل جبار عنيد، وكذلك في مروج الذهب ، ج 4 : 54 .

(318) في شعر الوليد بن يزيد : 45 : خرقتني، وكذلك في مروج الذهب ج 4 : 54 .

(319) البيتان يوجدان في كتاب شعر الوليد بن يزيد : 45 ، وكذلك في مروج الذهب ج 4 : 54 .

(320) د، ح : وطء والأصح ما أثبتناه من ز، ك .

(321) هذه الأخبار التي أوردها المؤلف، في شأن الوليد بن يزيد فيها - حسب رأينا - كثير من المبالغة، فلا يعقل أن تنحط أخلاق الوليد وينحط سلوكه إلى هذه الدرجة التي وُصف بها، ذلك أن المصادر التي دونت هذه الأخبار تعود إلى العصر العباسي، ونظرا للعداء الشديد بين العباسيين والأمويين فمن البديهي أن تتحامل هذه المصادر خاصة تلك التي ألفت بإشراف ويأمر الخلفاء العباسيين على الأمويين وتأتي بروايات تحط من قيمة وشأن خلفاء بني أمية، ومع ذلك فإننا لا نستبعد ما قيل في شأن الوليد من انسياقه مع الشهوات والملذات والفساد وإهماله شؤون الرعية، وكان هذا من أسباب ما أشيع عنه، يقول ابن خلدون : "ولقد ساءت القالة فيه كثيرا وكثير من الناس نفوا ذلك عنه، وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به".
وفيما يتعلق بالبيتين المنسوبين إليه أعلاه (في المتن) فالراجح أنهما من الشعر الملحد المفتعل ويقول حسين عطوان محقق شعر الوليد: "وأبو الفرج هو أول من حمل البيتين بإسناد ضعيف ونسبهما إلى الوليد وألصقهما بالوليد دون إسناد المسعودي" انظر : ابن خلدون العبر ، ج 3 : 106 ، حسين عطوان، شعر الوليد 45 و 46 هامش رقم : 2 .

[نقائص دولة بني العباس]

وفيهم القاهر بن المعتضد، وكان سفاكا للدماء، قبيح السيرة، مدمن الخمر،فخلع ووجد سكرانا، فأُخذ وسُملت عيناه أي فقئت وهو أحد الثلاثة من ملوكها الذين سملت أعينهم.

ومنهم أيضا (الراشد) [322] بن المسترشد، أخذ أموال الناس وارتكب كبائر كثيرة، كنكاح أمهات أولاد أبيه [323] إلى غير ذلك، إلى أن مات قتيلا في حبسه على ذلك.

ومنهم المعتمد [بن] [324] المتوكل [325] ، المنهمك في اللذات. ومنهم المنتصر [326] القاتل أبيه.

ثم دولة الأدارسة .

[نقائص دولة الأدارسة]

وبعتوهم وفسادهم في الأرض سلط الله عليهم موسى بن [أبي] [327] العافية [328] . وآخرهم الحسن الحجام [329]، فرّ وهو سكران، فأخذ وقتل.

ثم دولة لمتونة.

---

(322) في جميع النسخ : الرشيد. والصحيح ما أثبتناه في المتن. والراشد هو : أبو جعفر منصور بن المسترشد، المعروف بالراشد بالله، بويع بالخلافة بعد مقتل أبيه المسترشد سنة 529 هـ / 1134 م إلا أنه كان ضعيف الشخصية لا يعرف شؤون السياسة، فساءت وضعيته وخلع في السنة التي تلت بيعته. وقد تضاربت أخبار المؤرخين حول سبب وفاته (سنة 532 هـ / 1137 م) . انظر : ابن الوردي، تتمة المختصر، ج 2 : 62 - 64 ، 66 - 67 ، الكتبي، عيون التواريخ، ج 12 : 294 - 296 ، 306 ، 329 - 330 ، 378 ، ابن كثير البداية، ج 12 : 209 ، 210 ، 213 - 214 ، ابن خلدون ج 3 : 511 - 512 .

(323) لعله محض كذب ومغالاة في الأحكام، وهنا نشير إلى أن هذا الخبر لم نقف عليه في المصادر التي ذيلنا بها ترجمته.

(324) مابين المعقوفتين سقط من ز ، ح .

(325) هو : أحمد المعتمد على الله بن المتوكل بن المعتصم (229 - 279 هـ / 843 - 892 م) وُلي الخلافة العباسية سنة 256 هـ / 869 م ، وطالت أيام خلافته، وتميزت بالاضطراب والفتن حيث فشل مذهب القرامطة كما ظهر عنصر الزنج، وسهل على الروم استرجاع الأراضي والحصون.
انظر البغدادي، تاريخ بغداد ج 4 : 60 - 62 ، الطبري، تاريخ الأمم، ج 11 : 214 - 217 ، 341 ، ابن الأثير، الكامل، ج 7 : 235 ، 394 - 395 ، 455 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 23 - 24 ، 28 ، 30 - 31 ، 36 ، 43 ، 65 . ابن خلدون، العبر، ج 3 : 303 - 305 ، 337 - 339 ، 346 .

(326) هو : محمد المنتصر بالله بن جعفر المتوكل على الله بن المعتصم، أبو جعفر (223 - 248 هـ / 838 - 862 م) : خليفة عباسي، ولد في سامراء، ولما اشتد عوده بويع بالخلافة بعد أن قتل أباه (سنة 247 هـ / 861 م) لكن لم تطل خلافته وتميز عهده بازدياد شوكة الاتراك، حيث صاروا يتدخلون في شؤون الخليفة بل ويتحكمون فيه، وهم الذين قتلوا محمد المنتصر.
انظر : الطبري، تاريخ الامم، ج 11 : 69-81، البغدادي، تاريخ بغداد، ج 2 : 119 - 121 ، ابن كثير ، البداية، ج 10 : 349 ، 352 . ابن خلدون، العبر، ج 3 : 279- 280-283، الديار بكري، تاريخ الخميس، ج 2 : 339 - 340 .

(327) مابين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ فأثبتناها في المتن للتصحيح.

(328) هو : موسى بن أبي العافية بن أبي العافية بن أبي بسال، ابن أبي الضحاك المكناسي، المتوفى سنة 341 هـ / 952 م . أمير مكناسة، عرف بشجاعته ودهائه، فعينه ابن عمه مصالة بن حبوس قائد الفاطميين بالمغرب، على جميع أنحاء المغرب باستثناء فاس التي كانت تحت سلطة يحي بن ادريس إلا أن موسى هذا عمل على نفي الأدارسة إلي الريف وأصبح نفوذه يشمل المغربين الأقصى والأوسط.
انظر التفاصيل عند : ابن أبي زرع الأنيس المطرب : 83 - 87 ، ابن خلدون، العبر، ج 6 : 217 ، 134 - 136 ، الناصري، الاستقصا، ج 1 : 80-83 ! ، حركات المغرب، ج 1 : 101 ، 102 ، 138 ، 139 ، أبو ضيف، أثر القبائل العربية، ج 1 : 340 - 346 .

(329) هو : الحسن بن محمد بن القاسم بن دريس، المتوفى سنة 313 هـ / 944 م : اخر أمراء الأدارسة بفاس، كانت له حروب مع موسى بن أبي العافية، ثم اعتقاله في إحداها فقتل.
انظر : ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 82 - 83 ، ابن عذاري ، البيان المغرب، ج 1 : 213 - 214 ، ابن خلدون ، العبر ، ج 6 : 216 - 217 ، الاستقصا ، ج 1 : 184 - 185 .

[نقائص دولة لمتونة]

وقد أنكر المهدي بن تومرت على أبي الحسن علي بن تاشفين بيع الخمر جهارا بمراكش، وتمشي الخنازير بين المسلمين، وأخذ (أموال)[330] اليتامى مع عادة جنده وممالكه التي* تصعد كل سنة لقبض الخراج من الرعية فينزلون في بيوت الرعية، ويخرجون رجالها، ويخلون بمن فيها من النساء حتى كان هذا سبب انتصار المهدي عليهم.

ثم دولة الموحدين.

[نقائص دولة الموحدين]

وإمامهم المهدي. وقد علمت ماحكوا عنه، من النزغة الخارجية مع موافقة الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم.

ومنهم المنتصر يوسف بن الناصر [331] المولع باتخاذ الحيوانات حتى طعنته بقرة.

ومنهم أبو دبوس الخائن العهد.

ثم دولة بني مرين.

[نقائص دولة بني مرين]

ومنهم أبو عنان القاتل نفسه على ما قيل ، العاق لوالديه.

ثم دولة السعديين .

[نقائص دولة السعديين]

وفيهم محمد المنتصر[332] بالنصارى الهالك من جملتهم، المملِّك أرض المسلمين للكفرة.

وفيهم عبدالملك[333] المسيء السيرة، المدمن على شرب الخمر إلى أن قتله العلوج وهو سكران.

وهذا كله بتواتر المؤرخين، بخلاف هذه الدولة، فإن جميع ملوكها على ما ينبغي من الديانة والمروءة والعفة.

---

(330) د : أقوال.

(331) هو : يوسف المنتصر أو المستنصر بن محمد الناصر، بن يعقوب القيسي، الكومي (594- 620 هـ / 1198- 1224م) بويع أميراً على الموحدين وهو حديث السن(سنة 610 هـ /1213 م) لم يجاوز الست عشرة سنة، مما جعله عاجزا عن تسيير شؤون الحكم، فسادت الفتن ونشطت حركة المرينيين. وفي الأندلس أصبح المسيحيون الإسبان يسيطرون على معظم مدنه وحصونه في الوقت الذي انشغل المنتصر بتربية الحيوانات وتحقيق مآربه. انظر : المعجب للمراكشي : 459 - 463 الأنيس المطرب : 241 - 243 ، الحلل الموشية : 161 - 162 ، العبر ، ج 6 : 250 - 251 .

(332) يقصد : محمد الشيخ المأمون بن أحمد المنصور، الذي بويع بفاس سنة 1015 هـ / 1606م. وكان المغرب يشهد فترة تمزق واضطراب وانقسام خطير، تذكيه حماسة ومصالح أبناء المنصور، الإخوة الأعداء. فعلى إثر احتلال زيدان لمدينة فاس التجأ محمد الشيخ المأمون إلى الإسبان، يطلب منهم المساعدة مقابل أن يتخلى لهم عن العرائش. وبالفعل فقد سلمت هذه المدينة إلى الإسبان سنة 1019 هـ / 1610م. وقد أغضب هذا العمل كل العناصر الشعبية، ورفضت الموافقة على هذا التنازل واعتبرته خيانة وطنية يجب معاقبة صاحبها فاغتالته سنة 1022 هـ / 1613 م.
انظر : الاستقصا ج 6 : 20-23 ، المغرب عبر التاريخ ج 2 : 278-279 .

(333) هو : عبد الملك بن زيدان الذي بويع إثر وفاة والده زيدان بمراكش سنة 1037هـ/1627 م. وتمكن من الاستيلاء على فاس لكنه كان ضعيف الشخصية سكيرا فاسقا اغتاله أخوه الوليد بمساعدة بعض قواد الجيش وذلك سنة 1040 هـ / 1630 م.
انظر : الإستقصا ، ج 6 : 72 - 73 ، 77 - 78 المغرب عبر التاريخ ج 2 : 282

(*) * 23 أ.

أول ملوك الدولة العلويـة

فَــأَوَّلُــهُــمْ نجلُ الشَّـرِيــفِ مُـحَـمَّـدٌ   لَـهُ نَـظَرٌ يَـطْـفِي اشْـتِـعَـالَ المَشَـاهِـبِ
تَـرَاءَتْ لَـهُ حَـتَّـى تَـعَـلَّـى سِـنَـامَـهَـا   وَأَبْـدَى فِـرَارًا مِـنْــهُ كُـلُّ مَحَـارِبِ

النجل : الولد . والنظر : تأمل الشيء. وطفئت النار، تطفأ بالهمز من باب تعب : خمدت، ومنه اطفأت الفتنة إذا سكنتها على وجه الاستعارة . والاشتعال : إيقاد النار، تقول: اشتعلت النار، بمعنى توقدت، ويتعدى بالهمز فيقول : أشعلتها، واستعمال الثلاثي متعديا لغة، ومنه قيل : اشتعل فلان غضبا، إذا امتلأ غيظا. والمشاهب : جمع مشهاب، وهو شعلة نار ساطعة. والسنام : واحد أسنمة الإبل، وهي للبعير كالآلية للغنم. والمحارب : المقاتل، لأن الحرب المقاتلة والمنازلة، تقول : حاربته محاربة، فهو محارب، وقد أشار بها إلى أول ملوك هذه الدولة العلوية[و][(1)] هو مولاي محمد فتحا بن مولاي الشريف.

ورمز بقوله : نظر ، إلى سنة ولايته ومبايعته وهي سنة خمسين وألف [(2)] إذ الظاء بثمان مائة، والراء بمائتين والنون بخمسين،. وإلى وفاته بلهم، من قوله : فأولهم، وذلك (بحساب)[(3)] الجمل [(4)] أيضا ، سنة خمس وسبعين، ولا يخفى ما في ذلك من الاختصار في إفادة التاريخ، مع حسن التلميح وبديع التورية، وهي من المحسنات البديعية.

وكان والده الشريف - رحمه الله- وجيها عند أهل سجلماسة، وكافة أهل المغرب، يقصدونه في المعضلات ويستشفعون به في * الأزمات ويهرعون إليه فيما جل وقل حتى بايعه [(5)] أهل سجلماسة سنة إحدى وأربعين وألف[(6)] . ونازعه بنو الزبير أصحاب

---

(1) مابين المعقوفتين ساقطة من د ، ك . والتكملة من ز ، ح .
(2) سنة 1050 هـ توافق سنة 1640 م .
(3) في جميع النسخ : يحسب واقتضى السياق تصحيحها.
(4) الجمل : حساب يتألف من مجموعة من الحروف. كل حرف منها يرمز لرقم معين، استعمله الأدباء المغاربة في أشعارهم للدلالة على تاريخ حدث هام لفت انتباههم.والغرض من هذا الاستعمال هو الاختصار وإضفاء الجمالية على الأسلوب. وهذا جدول الحروف ورموزها :

أ 1	هـ 5	ط 9	م 40	ف 80	س 300	ذ 700
ب 2	و 6	ي 10	ن 50	ض 90	ت 400	ظ 800
ج 3	ز 7	ك 20	ص 60	ق 100	ث 500	غ 900
د 4	ح 8	ل 30	ع 70	ر 200	خ 600	ش 1000

(5) من هنا يبدأ التطابق مع الناصري، الاستقصا، ج 7 : 28 .
(6) سنة 1041 هـ توافق سنة 1631 م .
(*) * 23 ب.

تابو عصامت[7]، وبذلك استصرخ عليهم أبا حسون حتى ملك سجلماسة[8] كما مر[9]، ولما تخلص من نكبة السوس[10] وجد ابنه المولى (محمدا)[11] قد قام بالأمر بعده فتخلى له عنها. وقطع[12] بقية عمره فيما يرضي الله، إلى أن توفي في ثالث عشر رمضان سنة تسع وستين وألف[13] بسجلماسة[14]. وقد مر[15] ذات يوم وهو صبي صغير، على الإمام الرباني، أبي محمد مولاي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني، فسأل عنه أبو محمد إذ لم يكن يعرفه قبل، فقيل : هو ابن مولاي علي بن محمد، ففرح به، ومسح على ظهره وقال : ماذا يخرج من هذا الظهر من الملوك والسلاطين ! (فتيقن)[16] الناس وقوع ذلك، لما يعلمون من ولاية أبي محمد رضي الله عنه، فكان مولاي الشريف بعد أن كبر له الأولاد، يشيع أن هذا الأمر لابد أن يصير إلى (بنيه)[17] ويملكونه، وأنه سيكون لهم الشأن العظيم، اعتمادا على فراسة المولى عبدالله بن علي بن طاهر[18].

[منازعة المولى محمد للثوار]

وكان نظر المولى محمد في تقدمه لهذا الأمر، اللائق بمكانته وجلالته، وكمال شجاعته، إطفاء نار (الثوار) [19] الذين هم كالمشاهب في اشتعال النار، وإيذاء الناس بالإحراق والدخان الغير اللائقين بالخلافة والإمارة لعدم توفر شروطها فيهم، كعبد الكريم بن أبي بكر الشباني الحريزي، وأبي حسون علي بن محمد السملالي المدعو : بودميعة، وقد كان بويع للأول بمراكش، وللثاني بسوس، وملك درعة [20] وسجلماسة إلى أن نهض المولى محمد هذا، فأطفأ نار السملالي المذكور، وفل جموعه وأبادها، فحينئذ تراءت له الخلافة والإمارة، واستوثق بها. حتى تعلى سنامها به وارتفع بعد انخفاضه، مأخوذ من السنم الذي هو النبات المرتفع الذي خرجت سنمته، أي نوره، أو البعير العظيم السنام، أي الذروة كما سبق.

---

(7) تابوعصامت : حصن منيع بتافيلالت، يبعد عن مدينة سجلماسة بحوالي 13 كلم جنوبا، وأهله يطلق عليهم : بنو الزبير. انظر: الناصري، الاستقصا ج 7 : 13، السوسي، إيليغ قديما وحديثا ص: 88-89، ابن عبدالله، الموسوعة (معلمة المدن) ملحق 2 : 140 .

(8) سجلماسة : مدينة بجنوب شرق المغرب، على نهر وادي زيز، بالمنطقة المعروفة بتافيلالت، يرجع تأسيسها إلى سنة 140 هـ / 758 م ، وإن كانت بعض الدراسات ترجع بتاريخ تأسيسها إلى القرطاجيين وقد لعبت دورا اقتصاديا وسياسيا وحضاريا منذ القرن 2 هـ / 8 م إلى القرن 9 هـ / 15 م ، حيث أصبحت كلمة سجلماسة تطلق على القرى المجاورة لأطلال المدينة الأصل. انظر : اليعقوبي البلدان ص : 110 ، البكري، المغرب : 148 - 153 ، المقدسي، أحسن التقاسيم : 219 - 231 ، الاستبصار : 200 - 206 حجي ، الحركة الفكرية، ج 2 : 528 .
G. Deverdun, Marrakech, T 1 . PP : 35 - 36 .

(9) التباس من المؤلف، فلم يسبق له أن تعرض لهذا الموضوع فيما قبل. وسبب الالتباس، هو أن المؤلف كان ينقل من الناصري حرفيا.

(10) سوس : اعتاد الجغرافيون والمؤرخون تقسيم سوس إلى سوس أقصى وسوس أدنى. الأقصى من درن إلى وادي نول، يسكنه عرب معقل، والأدنى يمتد من وادي ملوية إلى وادي أم الربيع وهو أخصب بلاد المغرب.
انظر : اليعقوبي، البلدان : 110-111، المقدسي، أحسن التقاسيم : 221 كربخال، إفريقيا ج 1 : 33، ابن عبدالله، الموسوعة (معلمة المدن) ملحق 2 : 277، ثم الموسوعة (معلمة الصحراء) ملحق 1 : 129-130 ، حجي ، الحركة الفكرية ج 2 : ص : 555 - 556 ، لفا ، مسألة النقود، ص : 65-70 .

(11) في جميع النسخ : محمد . والتصحيح من الاستقصا، ج 7 : 28 .

(12) أي قضى .

(13) 13 رمضان سنة 1069 هـ توافق 4 يونيو سنة 1659 م .

(14) إلى هنا ينتهي التطابق مع الناصري، الاستقصا ج 7 : 28 .

(15) من هنا يبدأ التطابق مع الناصري، الاستقصا، ج 7 : 13 .

(16) في الاستقصا ، ج 7 : 13 : فعلم.

(17) في الاستقصا ، ج 7 : 13 بيته.

(18) إلى هنا ينتهي التطابق مع الاستقصا ، ج 7 : 13 . وصاحب الاستقصا كان بدوره ينقل من نزهة الحادي للإفراني.

(19) د ، ح ، ك : الثور . والتصحيح من ز .

(20) درعة : منطقة شاسعة في جنوب المغرب، يحدها شمالا الأطلس الكبير ، وشرقا إقليم تافيلالت، وغربا السوس الأقصى، وجنوبا الصحراء الكبرى. وتجري في شمال هذه المنطقة عدة أنهار نابعة من جبال الأطلس، وتلتقي كلها لتكون النهر الكبير واد درعة الذي يصب في المحيط الأطلسي. وتميزت المنطقة بظهور الأسرة السعدية. كما كانت مركز إشعاع ثقافي وصوفي في عهد الدولة العلوية بفضل نشاط زاوية تامكروت أو الزاوية الناصرية.
انظر : البكري، المغرب : 155 ، الاستبصار : 206 + 207 كربخال، إفريقيا ج 1 : 46 ، ابن منصور ، قبائل المغرب، ج 1 :70 حجي ، الحركة الفكرية، ج 2: 529 ، ابن عبدالله، الموسوعة (معلمة الصحراء) ملحق 1 : 101 - 102 ثم الموسوعة (معلمة المدن) ملحق 2 : 195 - 197 .

[و][21] يحتمل أن نظرهُ وبصره لغزارته وكمال قوته، إذا قابل الشهب، وهي تشتعل، أطفأها بقوته وصارت بالنسبة لنظره باردة وكأن تأثير نظره أقوى من تأثيرها، وهو كناية عن كمال الشجاعة المتأصلة فيه، كيف وهو فرع أصلها، وسليل وصلها ! ولما تمكن منها أظهر كل محارب الفرار منه، لما يعلمونه من قوته وبسالته ونسبه الطاهر، وأنه أولى منهم في ذلك.

وكان سبب ظهوره بعد التفكر في المعنى المذكور، أن أباه المولى الشريف كان [22] بينه وبين * أهل تابوعصامت، وهو حصن منيع من حصون سجلماسة، عداوة فاستصرخ عليهم بأبي حسون علي بن محمد صاحب سوس المتقدم الذكر لمحبة كانت بينه وبينه، واستصرخ أهل تابوعصامت بأهل زاوية الدلائيين [23] فأغاثوهم، وتوافى عسكر أبي حسون، وعسكر الزاوية بسجلماسة، فانفصل الجمعان عن غير قتال صلحا وحقنا لدماء المسلمين، وكان ذلك سنة ثلاث وأربعين وألف[24]، ولما رأى أهل تابوعصامت مابين المولى الشريف وأبي حسون من المصادقة والمحبة، مالوا بكليتهم لأبي حسون، وخدموه بنفوسهم وأولادهم، وأظهروا له النصيحة وصدق الخدمة، طمعا أن يفسدوا ما بينه وبين المولى الشريف، إذ كان ظاهرا عليهم به ، فلم يزالوا يفسدون بينهما إلى أن أظلم الجو بينهما، و(استكملت)[25] القطيعة، ثم إن المولى محمداً بن المولى الشريف لما رأى ذلك، انتهز الفرصة في أهل تابوعصامت وخرج ليلا في نحو مائتين من الفرسان، مظهراً أنه قاصدٌ لبعض النواحي، فلما رام أهل تابوعصامت، قصدهم وتسور عليهم، وحكم السيف فيهم، ومكنه الله منهم، واستولى على ذخائرهم، فقرّت بذلك عين أبيه، وبلغه الله مأموله في أعدائه.

ثم لما نمى الخبر لأبي حسون غضب لذلك، وكتب لعماله على سجلماسة أن يقبضوا على المولى الشريف، وليتحيّلوا عليه، حتى يبعثوا به إليه حبيسا، ففعلوا، وحمل المولى الشريف لصاحب السوس، فاعتقله في قلعة هنالك، إلى أن افتكه ولده المولى محمد بمال عظيم[26]، فرجع لسجلماسة في حكاية طويلة، وكان ذلك كله في حدود سبعة وأربعين وألف[27].

---

(21) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز ، ح ، ك .

(22) من هنا يبدأ بعض التطابق في الألفاظ مع الاستقصا للناصري ج 7 : 13 . ومع الجيش العرمرم لأكنسوس، ج 1 : 55 .

(23) زاوية الدلائيين : أو الزاوية الدلائية، نسبة إلى مؤسسها أبي بكر محمد بن محمد بن سعيد الدلائي، الذي أسسها في القرن 10 هـ / 16 م ، ثم تفرع عنها مركز آخر يبعد عنها بنحو 12 كلم ، أسسه محمد الحاج الدلائي سنة 1048 هـ / 1638 م .
وتقع الزاوية الدلائية في مرتفعات جبال الأطلس المتوسط بين خنفيرة وتادلا. لعبت دورا بارزا في المجال الديني والثقافي والسياسي، فقد تكاثر عدد الطلبة والعلماء بها كما اتسع العمران بتشييد المساجد والمكتبات والأسواق والمدارس، ومن أبرز علمائها، أبو الحسن اليوسي، الأديب والفقيه المشهور، وتقوم الآن على أنقاض الزاوية الدلائية، زاوية آيت إسحاق. انظر : حجي ، الحركة الفكرية، ج 2 : 499 - 503 .

(24) سنة 1043 هـ توافق سنة 1633 م.

(25) في الاستقصا ج 7 : 14 : استحكمت.

(26) ورد في طرة ك ما يلي : قدره ثلاثمائة ريال في ذلك الوقت على ما سمعته من أصحاب التاريخ. قاله كاتبه سامحه الله.

(27) 1047 هـ توافق 1637 م .

(*) * 24 أ.

وفي أيام اعتقال المولى الشريف، كان ولده المولى [محمد][28] مجمعا على هلاك من بقي من أهل تابوعصامت، وحريصا على استئصالهم، وقوى عضده بما أخذ من أموال تابوعصامت، واتخذ جيشاً لابأس به، وانضاف (له)[29] جمع من أهل سجلماسة ونواحيها وذلك سنة خمس وأربعين وألف[30].

وكان أصحاب أبي حسون أساءوا السيرة بسجلماسة، ونصبوا حبالة الطمع حتى (بذروا بذر)[31] بغضه في قلوب أهلها، وقد كانوا ضربوا الخراج على من يجدونه في الشمس زمن الشتاء ! والظل زمن الصيف! وضيقوا على الناس فازدرتهم العيون، فلما ثار المولى محمد، وجد في أهل سجلماسة الداعية للخلاف، فاعصوصبوا[32] عليه، *ووجه العناية إليه، وحاولوا محو ولاية أبي حسون من بلادهم، وإخراجهم عماله عنهم ، فوافقهم القدر، وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

وكانت مبايعته -رحمه الله- بسجلماسة في التاريخ المذكور في النظم [33] ، حياة أبيه بعد جلاء أصحاب أبي حسون عنها. ووافق على (بيعته)[34] أهل الحل والعقد يومئذ بسجلماسة، وبعدها شمر لمضايقة أبي حسون بدرعة، إذ كانت تحت ولايته، فوقع بينهما (بسببها)[35] حروب فظيعة يشيب لها الرضيع آل الأمر فيها إلى هزيمة أبي حسون ومن معه، وتولية المولى محمد على درعة.

ولما عظمت إيالته وتوفرت جموعه[36] ، وانتشر في البلدان صيته، بعث له أهل فاس وعرب المغرب يطلبون منه المجيء، وواعدوه بالنصرة له، وتقويته بالعدد والعدة، فجاء مسرعا إلى أن حلّ بفاس الجديد في منسلخ جمادى الثانية سنة تسع وخمسين وألف[37]، فبايعه أهل فاس القديمة والجديدة، وبقي بها إلى أن جلاه أهل الزاوية الدلائية في خبر طويل ، وقعت الهزيمة عليه بظهر الرمكة[38] في السنة المذكورة، ورجع لسجلماسة.

ولم يزل مقتصراً على ما صفا له من درعة وسجلماسة ونواحيها، إلى أن ثار عليه أخوه المولى الرشيد بن الشريف بعرب أنكاد[39] بعد أن كان تحته وفي خدمته،

---

(28) ما بين المعقوفتين ساقطة من د . والتكملة من ز ، ح ، ك .

(29) في الجيش العرمرم لأكنسوس، ج 1 : 56 : إليه.

(30) سنة 1045 هـ توافق سنة 1635 م

(31) د ، ح ، ك : بدروا بدر (بالدال المهملة) والتصحيح من ز .

(32) اعصوصبوا : اجتمعوا

(33) حيث استعملت كلمة : نظر . ويقصد بها سنة 1050 هـ / 1640 م وقد وردت في صفحة 269 من هذا المقصد الرابع.

(34) في جميع النسخ : بسببها والصواب ما اثبتناه في المتن.

(35) د، ح : بيعة . والتصحيح من ز ، ك .

(36) إلى هنا ينتهي بعض التطابق في اللفظ مع الاستقصا ج 7 : 16 .

(37) سنة 1059 هـ توافق سنة 1649 م.

(38) ظهر الرمكة : مكان بالقرب من مدينة فاس. انظر : ابن عبدالله، الموسوعة (معلمة المدن) ملحق 2 : 208 .

(39) عرب أنكاد : يشكلون قبيلة في شرق المغرب بناحية وجدة، وهم من عرب معقل، نقلهم إلى نواحي وجدة السلطان الزياني حمو الثاني حوالي 762 هـ / 1360 م.
ونظرا لمشاركتهم في حرب إيسلي وإخلاصهم لعبد القادر الجزائري ومناهضتهم للقبائل العميلة لفرنسا فإن هذه الأخيرة شنت ضدهم حملات تأديبية في السنوات : 1852 ، 1856 ، 1859 ، 1871 م انظر : الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ج 1 : 132، ابن عبدالله، الموسوعة (معلمة المدن) ملحق 2 : 59 ثم الموسوعة، ج 4 : 148 .
Saïd SAYAGH. La France et les frontières Maroco-Algériennes. 1873 - 1902 . PP : 9 - 10 .

(*) • 24 ب

(فوقع)[40] بينهما ما أوجب أن فرّ المولى الرشيد منه خوفا على نفسه. ولم يزل يجول في البلاد طامعا في اقتناص الملك إلى أن وصل إلى قصبة ابن مشعل [41]، وهي على نصف مرحلة من تازا[42] ، فوجد بها يهوديا من أهل الذمة له أموال وذخائر نفيسة، وله على المسلمين صولة، واستهزاء بالدين وأهله، فتحيل في قتله، فأمكنه الله منه وقتله، وأخذ أمواله وذخائره، فتقوى بذلك عضده، وتوافر جمعه، فلما انتهى خبره للمولى محمد، تخوف منه لما يعلمه من شهامته وإقدامه، فتوجه (لقتاله) [43] والقبض (عليه)[44]،فلما التقى الجمعان، كانت أول رصاصة في نحر المولى محمد - رحمه الله - وذلك يوم الجمعة التاسع من المحرم في التاريخ المذكور[45] كما رمز له أيضا في الدر السني [46] بقوله : لشهم، من قوله :[الطويل]

وَإِنَّ الشَّرِيفَ بْنَ الشَّرِيفِ (مُحَمَّدٌ)[47] لَشَهْمُ المُلُوكِ الضَّارِبِينَ بِأَنْصُلِ[48]

ودفن بدار ابن مشعل المذكور، فأسف مولاي الرشيد عليه، وأظهر الحزن.

[مناقب المولى محمد]

وكان شجاعا * مقداما لايبالي بنفسه، ولايجول في خاطره خوف من أحد من أبناء جنسه، ولقد أحسن أهل الزاوية [الدلائية][49] حيث قالوا في حقه : وإنه أجدل [50] لا تؤذه سموم الليالي ولا حرارة المصيف عقاب (أشهب)[51] على قنة كل عقبة، لا يقنعه المال على حسم الرقبة، وكان أيضا قويا لا يقاوم في المصارعة.

حكي أنه في بعض حصاره لتابوعصامت جعل يده في بعض ثقب القصر وصعد عليها مالا يحصى من الناس كأنها خشبة ممدودة، أو لبنة مضروبة.

---

(40) د، ك : فأوقع . والتصحيح من ز، ح .

(41) قصبة ابن مشعل : لعلها مدينة مندثرة منذ القرن 10 هـ / 16 م ، تنسب لأحد اليهود الأثرياء الذي حولها إلى مركز تجاري ومالي وكانت تقع في بني يزناسن شرق المغرب . انظر : ابن عبد الله، الموسوعة (معلمة المدن) ملحق 2 : 190 - 191 .
Pierre, Decenival, la legende du juif ibn Mechal. In Hespéris. T5 / année 1925 . 2ème trim/ PP : 137 - 218 .

(42) تازا : مدينة قديمة، تقع في ممر استراتيجي يصل شرق المغرب بغربه، بين سلسلتي جبال الأطلس وجبال الريف. لعبت أدوارا سياسية أيام الموحدين والمرينيين ، وقد شيد بها يوسف بن يعقوب المريني الجامع الأعظم، وأبو الحسن المريني المدرسة الجميلة، وظلت همزة وصل بين شرق المغرب وغربه. انظر : الاستبصار : 186 ، الوزان، وصف إفريقيا، ج 1 : 275 - 276 ، إ . حركات المغرب، ج 1 : 340 - 341 ، حجي ، الحركة الفكرية، ج 2 : 434 - 436 .
- CH . de Foucauld , Reconnaissance au Maroc . PP : 30 - 34 .

(43) د، ك : لمقاتلته. والتصحيح من ز، ح .

(44) د، ح . ك : إليه . والتصحيح من ز .

(45) التباس. لم يذكر المؤلف هذا التاريخ من قبل. وكان تاريخ مقتل المولى محمد هو : يوم الجمعة 9 محرم سنة 1075 هـ / 1 غشت 1664م .

(46) اسمه : الدر السني ، في بعض من بفاس من أهل النسب الحسني ألفه عبد السلام القادري (المتوفى سنة 1110 هـ / 1698 م) عرّف فيه ببعض الأسر الشريفة النسب بفاس والتي يرجع نسبها إلى عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب. نشر الكتاب بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1308 هـ / 1890 م .

(47) في الدر السني، ص : 56 : محمدا.

(48) انظر الدر السني، ص : 56 .

(49) ما بين المعقوفتين ساقطة من د ، ك . والتكملة من ز، ح .

(50) أجدل : الشديد، القوي.

(51) د، ك : الشهب. والتصحيح من ز، ح .

(*) • 25 أ.

وكان سخيا جوادا، حتى أنه أعطى للأديب الشهير المتقدم في صناعة الملحون والموزون، أبي عثمان سيدي سعيد التلمساني[52] صاحب العقيقية [53] نحوا من خمسة وعشرين رطلا [54] من خالص الذهب جائزة له على بعض أمداحه فيه [55] .

وبالجملة فشجاعته وقوته وكرمه وفصاحته، أمر شهير شهد له الأعداء بذلك.

[جواب المولى محمد على رسالة الدلائي]

ومن جوابه للدلائي (تعرف مصداق)[56] ما أخبرناك به وما بثثناه في شأنه، وتعترف بفضله، وذلك أن الدلائيين كتبوا له كتابا ومجدوه فيه، ورموه بالغدر، وأنه ناكث و(قسم)[57] حانث، وأغلظوا له في الخطاب، وأفحشوا عليه، فأجابهم برسالة منها باختصار:

إلى السيد محمد الملقب بالحاج بن السيد أبي بكر بن محمد ابن سعيد بن عمر بن سيد الوجاري، الزموري، ومن شمله (معك)[58] رداء الديوان، من الأبناء والإخوان، سلام على جلهم سلام استحباب وسنة، فقد كتبناه إليكم من سجلماسة، كتب الله لها من شركم أنفع التمائم ، وألبسها من الظفر بكم أرفع العمائم، وبعد السلام عليكم، فإن نيران هذه الفتن التي أضرمتموها بعد خمودها لستم بأهل لها، إذ لم يعرفكم أهل المغرب إلا بإطعام قصاع العصائد، وهجو بعضكم لبعض مما لا يسمع من بشيع القصائد، أما العلوم فقد أقررنا لكم فيها إنصافا بالتسليم، لو قصدتم بها العمل وأجر التعليم، وأيم الله لئن نظم فينا الديان، يوما من الدهر شمل الديوان، لتعاينن أنت أو بنوك ما يحبه لنا البنون والإخوان، ولقد حدّث السادة أهل البصيرة، أن ستدور عليكم منا الدائرة المبيرة، أتطمعون في النجاة بعد ترويعكم الشرفاء والشريفات والعابدين والعابدات؟ فشمروا إن شئتم عن ساعد الجد للصلح، واغتنموا السلم مادام يساعدكم * وقت النجح[59] فإن الحرب نار، والتخلف عنها بعد إيقادها شنار، والله يعلم أن هذه المراودة ليست بجزع ولا وجل منكم، وما نشبهكم عند الهراش [60]، إلا بما يطيش حول المصابيح من الفراش، بل المراد الأكيد، نشر رداء

---

(52) هو: سعيد بن عبدالله التلمساني المنشأ المنداسي الأصل أبو عثمان المتوفى سنة 1088 هـ / 1677م : شاعر وزجال تلمساني انظر : عباس الجراري، القصيدة ، ص : 604-608 . ابن عبدالله الموسوعة (معلمة الصحراء) ملحق 1:122 ، كحالة، معجم المؤلفين ج 4 : 225 .

(53) العقيقية : قصيدة نظمها أبو عثمان سعيد التلمساني في السيرة النبوية، وقد اشتق اسمها من وادي العقيق في الحجاز. ونظرا لشهرتها فإنها نشرت بالجزائر في نصها العربي ومترجمة إلى الفرنسية وشرحها كثيرون منهم : الشيخ أبي رأس الناصري المعسكري، انظر : ع . الجراري، القصيدة : 604 - 605 .

(54) رطل : الرطل، هو معيار للوزن يساوي 12 أوقية إجمالا والأوقية تساوي إثني عشر درهما. انظر : موسى لقبال، الحسبة الذهبية : 73 .

(55) إلى هنا ينتهي بعض التطابق لفظا ومعنى مع الجيش العرمرم ج 1 : 58 .

(56) د ، ك: : تقد مصدق . والتصحيح ، من ز ، ح .

(57) ز : مقسم . وفي ك : قاسم.

(58) ز ، ح : معه .

(59) النجح : مصدر نجح : النجاح .

(60) الهراش : القتال.

(*) * 25 ب.

التبري ، لئلا تجأرون[61] متى أنشبنا فيكم مخالب التجري، وما قذفتم به أعراضنا من خسة القدر، وأننا قساة لا نصغى لقبول العذر، فأنتم تنهون عن الفحشاء، وقد ملأتم منها الأحشاء، وإن زجرتم عنها قلتم : كلا وحاشا، لكن من نتج نسلا نسب إليه ، ومن خاف من شيء سلط عليه.
وأما ما احتوى عليه بساط (الغرب)[62] مابين عرب وبربر فقد طمعنا من الله كونه في القبضة عندما تمكن إليه النهضة، إن لم أكنه بالذات والديوان فبالأبناء والإخوان، كعوائد الدول، يشيد الآخر منها ما أسسه الأول، وانظر ما يكون لخاطركم به اطمئنان، فنساعدكم عليه الآن، فلله درّه من دغوغى[63] أشاع عارك. بأبيات أنشدها لنا مولاي محمد بن مبارك[64] : [الكامل]

وَاعْلَمْ بِأَنَّكَ مِنْ دَجَاجِلِ مَغْرِبٍ ... فَبِعِيسَى صَوْلَةُ نَصْرِهِ سَتَمُوتُ
انْتُمْ عَكَاكِزُ خَلْفَتْكُمْ عَاهِرٌ ... وَ(أَبُو يَسِيرٍ)[65] جَدُّكُمْ جَالُوتُ
شُبَّانُكُمْ مُرْدٌ وَكُلُّ كُهُولِكُمْ ... قِرنَانُ صَنْعَةَ شَيْخِكُمْ (دَيُّوثُ)[66]
(ضَجَرَتْ)[67] لِدَوْلَتِكُمْ سَمَاوَاتُ الْعُلَى ... وَاسْتَثْقَلَتْهَا الأَرْضُ وَالْبَهَمُوتُ

وما أنت في الحقيقة إلا قرد من القرود والقراد اللاصق في كل كلب مجرود، وما صرحتم به من الصلح بين الملوك مكيدة، فقد سبقكم بها [السلطان][68] أبو حمو رحمه الله.
وحتى الآن (آخر)[69] المراجعة [هذا الكتاب][70] فإن رغبتم في الخير فهو مطلبي ومغناطيس طبّي، وإن عشقتم الغير فجوابي لكم قول أبي الطيب المتنبي[71] : [الطويل]

(فلاَ)[72] كُتبَ إلاَّ المَشْرَفِيَّةُ[73] (وَالقَنَا)[74] ... وَلاَ رُسُلٌ إلاَّ الخَمِيسُ[75] العَرَمْرَمُ[76].

---

(61) تجأرون : ترفعون صوتكم للتضرع والاستغاثة.
(62) د، ج ، ز ، العرب. والأصح ما أثبتناه من ك .
(63) الدغوغي : من موالي أهل الدلائيين ، برع في الأدب وكان هجاء قاسيا. انظر : الإفراني، نزهة الحادي، ص : 283 .
(64) لعله أحمد بن مبارك السجلماسي اللمطي (1090 - 1156 م / 1679 - 1743 م) : فقيه أديب.
انظر : القادري، نشر لمثاني ، ج 4 : 40 ، الأزهري اليواقيت الثمينة ص : 47 - 51 ابن مخلوف، الشجرة : 352 ، ابن سودة ، الدليل 1 : 209 ، وج 2 : 317 ، ابن عبدالله، الموسوعة، ج 3 : 126 ، الأخضر الحياة الأدبية : 237 - 238 ، عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 184 - 185 ، المنوني، المصادر العربية، ج 1 : 170 ، 216 .
(65) في نزهة الحادي للإفراني، ص : 283 : أبو سعيد.
(66) د، ك : ذيوث . والتصحيح من ز، ح .
(67) في نزهة الحادي، ص : 283 : كرهت
(68) ما بين المعقوفتين ساقطة من د ، ز ، ح . والتكملة من ك .
(69) د ، ك : أقر . والتصحيح من ز، ح .
(70) ما بين المعقوفتين ساقطة من د ، ك .
(71) هو : أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي (303 - 354 هـ / 915 - 965 م) : شاعر حكيم ، عالم باللغة العربية وآدابها. انظر : البغدادي، تاريخ بغداد، ج 4 : 102 - 105. ابن الأنباري، النزهة ، ص : 219 - 223، ابن الجوزي، المنتظم، ج 7 : 24 - 30. العاملي، أعيان الشيعة، ج 8 : 61 - 278، اليافعي، المرآة، ج 2 : 351 - 357 ، ابن كثير، البداية، ج 11 : 256 - 259، العسقلاني، اللسان، ج 1 : 159-161، ابن لاعماد، الشذرات، ج 3 : 13 - 15، البغدادي، خزانة الأدب، ج 2 : 347 - 363 ، ج. زيدان، تاريخ آداب اللغة ، ج 2 : 285 ، الرافعي، تاريخ آداب العرب، ج 2 : 190-191، خ. الزركلي، الأعلام، ج 1 : 115 ، كحالة، معجم المؤلفين ، ج1 : 201- 204 .
(72) في ديوان أبي الطيب المتنبي، ج 3 : 352 : ولا . وكذلك في الاستقصا ج 7 : 18 .
(73) المشرفية : السيوف.
(74) في ديوان أبي الطيب المتنبي، ج 3 : 352 : عنده.
(75) الخميس : الجيش العظيم.
(76) العرمرم : الكثير.
وإلى هنا ينتهي نص الرسالة ، وهي توجد مثبتة في نزهة الحادي للإفراني : 282 - 283 باختلاف يسير . وفي تاريخ الدولة السعيدة للضعيف، ج 1 : 102 - 105 باختلاف كبير . وفي الاستقصا للناصري، ج 7 : 17 - 18 باختلاف يسير.
(*) • 26 أ.

[تمهيد المولى محمد للصحراء والمغرب الأوسط]

وقبله بعد آنهزامه من فاس، ورجوعه (لسجلماسة)[77] صرف عزمه لتمهيد عمائر الصحراء والمغرب الأوسط إلى أن وصل أرض[78] أنكاد، فبايعته الأحلاف[79] من عرب معقل، ومن انضاف إليهم من تلك النواحي، فصار بهم إلى بني يزناسن [80] فغار عليهم، وهم حينئذ من عمالة * الترك فانتهب أموالهم وامتلأت (أيد)[81] العرب من مواشيهم، ثم سار إلى وجدة، وكان أهلها يومئذ حزبين : بعضهم قائم بدعوة الترك وبعضهم خارج ، فانحاز الخارجون إليه وضعف أمر القائمين بدعوة الترك، فاستولى عليها، وكان ذلك في حدود الستين وألف[82]، ثم شن الغارة على ما حولها من عرب الزكارة، وأولاد علي، وبني سنوس المجاورين لهم، ونهب أموالهم، فدخلوا في طاعته، ثم سار إلى ندرومة فشن الغارة أيضا على ما حولها من أ طرارة وولهاصة، ورجع إلى وجدة، ومنها توجه إلى تلمسان أيضا، فأغار على (سرحها وسرح)[80] ما حولها من القرى، فبرز إليه أهلها مع ما معهم من عسكر الترك، فأوقع بهم وقتل منهم عدداً كثيراً، ورجع إلى وجدة ثم خرج بعد حين منها إلى الصحراء، فأغار على الجعافرة وانتهب أموالهم، وهناك أقبل عليه محمود رئيس حميان من عرب زغبة في قبيلته مبايعا له، ومتمسكا بطاعته، ففرح بهم وأكرمهم ودلوه على الأغواط وعين ماضي والغاسول، فذهب إليهم واستولى على أموالهم، وفرت أمامه عرب الحارث وسويد وحصين من بني مالك بن زغبة، فنزلوا بجبل راشد متحصنين به، فرجع عنهم.

واضطربت أحوال المغرب الأوسط، وبعث صاحب معسكر [84] إلى باي الجزائر عثمان باشا يخبره بما لحق الرعايا من صاحب سجلماسة، فأخرج له عسكرا واستعد لحرب المولى محمد، وقدم نائبه بالعساكر إلى تلمسان، فلما سمع به المولى محمد رجع إلى وجدة، ومنها إلى سجلماسة، ووعد العرب بفصل الربيع من السنة القابلة.

---

(77) ز، ح : من سجلماسة .

(78) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا، ج 7 : 20 .

(79) الأحلاف: قبيلة عربية، تنتشر بصفة خاصة في ناحية وجدة والشاوية. انظر: عكاشة برحاب، معلمة المغرب،ج 1 : 157-158.

(80) بنو يزناسن : قبيلة تضم مجموعة كبرى من القبائل الزناتية المستقرة بين نهري ملوية وكيس بالمغرب الشرقي، شاركوا إلى جانب المخزن في معركة إيسلي وساعدوا الأمير عبدالقادر ثم تراجعوا عنه.
انظر : الضعيف، تاريخ الدولة السعيدة، ج 1 : 115 ، ابن العربي، المغرب ص : 86 ، ابن عبدالله، الموسوعة ج 4 : 268 .
- Mouliéras : Le Maroc inconnu : T 1 PP : 183 - 193 .
- Saïd SAYAGH . La France et les Frontières Maroco Algériennes 1873 - 1902 . PP : 10 - 13 .

(81) ز : يد.

(82) في حدود 1060 هـ توافق سنة 1650 م .

(83) د ، ك : سرحها وسرح. والتصحيح من ز،ح .

(84) معسكر : مدينة بالجزائر. كانت عاصمة منطقة الراشدية التي تحدها شرقا جبل المناور، وغربا جبل كرسوط، ومالا، القلعة ، وجنوبا واد البنيان. يُرجع بعض المؤرخين تأسيس معسكر إلى القرن 7 هـ / 13 م . عندما جعل منها يغمراسن قاعدة عسكرية.
انظر : بلهاشمي بن بكار، حاشية رياض النزهة (مجموع النسب والحسب) : 33 - 34 .

(*) * 26 أ .

ولما وصل عسكر الترك إلى تلمسان، وأخبروا برجوع المولى محمد إلى أرضه سقط في أيديهم، ووجدوا البلاد خالية وكل الرعايا قد أجفلت عن أوطانها، وتحصنت بالجبال فرأى الترك أنهم قد شوركوا في بلادهم، وزوحموا في سلطانهم[85]، ولاسبيل للتخلص من سطوة المولى محمد، لعدم التمكن منه لتوغله بعد الفتك والنهب في الصحاري.

كتاب الترك للمولى محمد

فبعثوا إليه برسالة من إملاء [الكاتب] [86] أبي الصون المحجوب الحضري مع إثنين من أعيان الجزائر وعلمائها، وإثنين من كبار الترك ورؤسائها. نص الرسالة : الحمد لله الذي وصى ولا رخص في مدافعة اللص والصائل شريفا أو مشروفا، ونص وهو الصادق سبحانه، على فصم عرى أصله المتأصل مجهولا أو معروفا، * وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد ابن عبدالله بن عبد المطلب ابن هاشم، وعلى اله تيجان العز ويراقع الجباه والخياشم، وصحابته صوارم الصولة الحاسمة من الكفر الطلى والغلاصم، بالرماح العاملة والسيوف القواصم، ولا زائد بعد حمد الله إلا مقصد خطاب الشريف الجليل القدر، الصادق اللهجة والصدر، من رتق الله به فتوح وطنه، وحمى به من أحزاب (الأباطيل)[87] أنجاد أرضه وأغوار عطنه، حفيد مولانا علي وسيدتنا البتول ، وولد مولانا الشريف بن مولانا علي السيتل الصؤول، سلام عليكم ما رصعت الجفان سماوات البحور، ولمعت الجواهر الحسان على بيض النحور ، ورحمة الله تعالى وبركاته، ما أساغت محض الحلال ذكاته وبعد، فقد كاتبناكم من مغني غنيمة المقيم والظاعن والزائر، رباط الجريد مدينة ثغر الجزائر، صان الله من البر والبحر عرضها ، وأمن من زعازع العواصف والقواصف أرضها، إلماعاً لكم معادن الرياسة، وفرسان القيافة والعيافة والفراسة، فضلا عن سماء صحا من الغيم والقتام جوّه، وضحى نشرت عليه الرديقة وشيا (ففشا) [88] ضوءه ، بأن شؤون المملكة لم يتوان عن مكنون علمكم أمرها، ولا أعوز عزائمكم زيدها وعمرها، وذلك أن الوهاب سبحانه منحكم هيبة وهمة في الجود والحلم والحماسة، واختار لكم عنوان عنايتها في الصون سجلماسة (لكن)[89] فاتكم سرّ رزي (التدبير وأركبتم)[90] حزمكم (جموح)[91] الجهل

(85) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا . ج 7 : 21 .
(86) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح . والتكملة من ك .
(87) في جميع النسخ : الأباطل . والتصحيح من الاستقصا ج 7 : 22 .
(88) د ، ك : ففشى. والتصحيح من ز ، ح والاستقصا، ج 7 : 22 .
(89) د، ك : لأن . والتصحيح من ز، ح . والاستقصا ج 7 : 23 .
(90) د : لاتبدير وارتبتم . والتصحيح من ز، ح والاستقصا ج 7 : 23 .
(91) د، ك : جموع والتصحيح من ز، ح .
(*) • 26 ب .

والتبذير مع أن ذلك في الحقيقة دأب كل مؤسس للدولة، لا يجمعها إلا بجنايات الجولة والصولة، فخرقت على الإيالة العثمانية جلباب صونها الجديد، من وجدة الأبلق إلى حدود الجريد، فشوشت علينا أخلاق أخلاط الأعراب، إلى أن تعوقوا علينا في أرفق الاراب، وشننت الغارة الشعواء على بني يعقوب، فحسمت رسمهم على العقيب والعرقوب، وغادرت جماهرهم تسعى على عيالهم الزياني والموزونة في أسواق مستغانم وديار مازونة وجررت ذيل المذلة على أطراف الغاسول والأغواط، فالتقطتهم بطانتك التقاط سباع الطير الوطواط، وقادك الجاهل الجهم محمود حميان، لعين ماضي والصوانع وبني يطفيان، فراحت رياح [و][92] سويد ينفض كل بطل منهم غباره وطينه، على طود راشد، وبلد* قسطينة، ولاكادنا إلا ماهتكتم من ستر السرّ على مرس أبي الربيع السيد سليمان مع أنكم أولى منْ يراعي حرمته وتوقيره، ويدافع عنه وعمن سواه ويرفد فقيره، وتنسبون العجم للجهل و(أنتم)[93] جفاة وأجلاف، ثم صرتم بدلا وأخلاف، خرج جيش قصبتنا بتلمسان، بما لديهم من الرماة والفرسان، فهزمتموهم بقرار، وقتلتموهم قتل مذلة واحتقار، فقلنا هذا أقل جزاء كل كلب حقير عقور، يعرض عرضه لصولة الأسد الهصور، ولا وافت الآفة في الغالب إلا الحضر، مع شيع في الأجنة تجني الجنى والخضر، كان أولاد طلحة وهدّاج وخراج، يؤدون لهذه المثابة ما ثقل و(خف) [94] من الخراج، ولا يفوتنا من ملازمها وبرّ ولا شعر ولا صوف، ولا سقب، ولا جدي ولا خروف ، إلى أن طلعت علينا غرة شمسك السعيدة، فعادت كل شيعة قريبة عنا بعيدة، وأعانك افتراق الجفاة من أهل وجدة، وإن نصيبك الأوفر منهم أهل جدة ونجدة، ولولاك ما ثار علينا أهل تلمسان، وأنكروا مالنا عليهم من قديم الحنانة والإحسان، وردوا عليك الساحة والبساط، ومرغوبهم أن تزفر علينا بسطوة الثعبان والساط، مع علمنا اليقيني أن شجرتنا لا تتضعضع بزعازع حيان، ولا تندرس ولو انهارت عليها جبال جيان، وإن الحجر لا يدق بالطوب، والخاطف لايطأ أوطية الخطوب، كذلك في المثل جندك خلال (الصدور)[95] والورود، لا (يصبرون)[96] لصواعق البارود، ولا تنجح حجة الدروع و(الذوابل)[97]، إلا في سوق شن الغارات على حلل القبائل، وأما أسوار الجحافل وأدوار الكتائب، فلا يصدمها فيهدمها إلا سيول الخيول والرماة الرواتب، (وزينت)[98] صولتك لبني عامر، لذاذة النفار لكنف الكافر، وداخل الوسواس والسوس

(92) مابين المعقوفتين ساقطة د، ك . والتكملة من ز ، ح
(93) د، ح ، ك : أنهم. والتصحيح من ز .
(94) د : حق . والتصحيح من ز ، ح ، ك .
(95) ك : الصدر.
(96) د ، ز ، ح : يصبر . والأصح ما أثبتناه من ك .
(97) د ، ح : الدوابل . والتصحيح من ز ، ك .
(98) د، ك : وزنت . والتصحيح من ز، ح .
(*) * 27 أ.

جبال طراوة [ومضغرة][99] وبني سنوس، والرعايا تود أن يحتفل لبنها في ضروعها، لتختزن في تبن الخداع سنبل زروعها، وإن قبلت منهم الأقوال والأفعال، تعل طباعها على الدولة فتصير كالأغوال ، وإياك إياك والغرر ! لما عثرت عليه في كتاب البوني[100] وأوراق السيوطي[101] وعلي بادي وابن الحاج[102] ورسالة أهل سبتة[103] لعبدالحق بن أبي سعيد المريني[104] بأنك المخصوص بصعود تلك الأدراج، ذلك (منه)[105] بعيد الوصول، لاتدركه (بالمصمرة)[106] ولا (بقبائم)[107] النصول، وإن أوتاد الروم والترك (تتقوض)[108] من أرض الغرب، ولا يبقى من ينازعكم فيها بحرب ولاضرب* ليس لك في غنيمة (إدراكه)[109] طمع، ولاسبيل لتبديد ما نظمه حازمنا وجمع، وقد غرتك أضغاث الأحلام، وأغواك ضباب الغيب فأصبح ظنك منه في غياهب الأظلام، فإن (جزمت)[110] به فأنت لاشك حانث، وإن كان منكم يقينا فرابع أو ثالث، أولكم ثائر، والثاني مقتف له سائر، والثالث لكما أمير (نائر)[111]، إما عادل أو جائر، ولا تمدَن باع المخاطرة إلى أوطاننا، فتخشى مخالب سطوة سلطاننا، أما الشجاجة (الغريزية)[112] فقد علمنا أن لك بالمهيمن تعلى أوفر نصيب[113] وممن ضرب فيها فأصاب [الغرض][114] بسهم مصيب، لكن غاية كغاية الشجاع، إذا حمى الوطيس الدفاع، سيما في هذا الحين التي أبخستها عند الخلاص، صناعة البارود والرصاص، وجسرك علينا كونك عقابا على فرع شجر، أو يعسوب نحل احتل صدع حجر، لو رأيت ملوك آحاد أمصار البر والبحر، لعلمت أنك محجوب ومحجور، في حق ذلك الحجر، وتحققت أن بين الأمراء مدارات ومراعاة، وأن أحوال الدول أيام وساعات، كل أحد يخاف على صدع فخاره، ويطلق بخوره تحت نتن بخاره، وما مرادنا إلا أمان العرب في المواضع، ليطيب

---

(99) مابين المعقوفتين ساقطة من د، والتكملة من ز ، ح ،ك .

(100) لعله يقصد : أحمد بن قاسم بن محمد ساسي، التميمي، البوني أبو العباس (1063-1139 هـ / 1653 - 1726 م)، مولده ووفاته ببونة بالجزائر (وتسمى حاليا : عنابة) : محدث وله اهتمام بالتراجم. انظر : ع . الكتاني، فهرس الفهارس، ج 1 : 169 - 172 ، خ . الزركلي، الأعلام، ج 1: 199 ، ابن عبدالله، الموسوعة ج 3 : 124، النويهض، معجم أعلام الجزائر، ص : 33-34 ، كحالة، معجم المؤلفين، ج 2 : 49 -50 .

(101) هو : عبد الرحمان بن أبي بكر بن محمد الخضيري القاهري، الشافعي المتوفى سنة 911 هـ / 1505 م : محدث ، فقيه ، أديب لغوي ، مؤرخ ومشارك في عدة علوم. انظر : الشوكاني، البدر الطالع، ج 1 : 328 - 335 ، عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 85 ،75 - 86 ، 96 - 97 ، 146 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 5 : 128 ، المنوني، المصادر العربية ج 1 / 121 - 122 .

(102) لعله يقصد : محمد بن محمد بن محمد بن الحاج، أبو عبد الله العبدري، المالكي الفاسي، نزيل مصر، والمتوفى بالقاهرة سنة 737 هـ / 1336 م . فقيه ومحدث.
انظر : ابن فرحون، الديباج المذهب : 327 - 328 ، ابن مخلوف ، الشجرة : 218 ، كنون، ذكريات مشاهير رجال المغرب ج 1 الترجمة رقم : 22 خ . الزركلي، الأعلام ، ج 7 : 35 .

(103) هذه الرسالة نشرها عبد الوهاب بن منصور، في ملحق وضعه بكتاب : اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، لمحمد الأنصاري : 76 وقال بأنه وجد الرسالة بمجموع خطي محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 4485 .

(104) هو : عبدالحق بن أبي سعيد المريني، أبو محمد ، آخر ملوك الدولة المرينية . تمت توليته وهو صبي لم يبلغ أكثر من سنة، وكان أبو زكريا الوطاسي وصيه والمباشر لشؤون الدولة. قتل سنة 869 /1464م انظر : الاستقصا، ج 4 : 95 - 100 المغرب عبر التاريخ، ج 2 : 61 -62 .

(105) ز : منك

(106) ك : بالمسمرة.

(107) د، ك : بقبائغ . والتصحيح من ز ، ح

(108) د، ح و ك : تتقوص . والتصحيح من ز. الاستقصا ج 7 : 24 .

(109) د ، ك : إدراك . والتصحيح من ز، ح والاستقصا ج 7 : 24 .

(110) د، ح ، ك : حزمت. والتصحيح من ز . والضعيف ج 1 : 110 .

(111) د، ك : نائر . والتصحيح من ز ، ح والاستقصا ج 7 : 24

(112) ك : الغريزة، وكذلك عند الضعيف، ج 1 : 110 .

(113) زاد في ك : منها.

(114) مابين المعقوفتين ساقطة من د، والتكملة من ز ، ح ،ك، والاستقصا ج 7 : 24 .

(*) * 27 ب .

لها جولان الانتقال في المشاة والمرابع، ويجلب إليهم الغني والعديم، ما يحصل له فيه ربح من الكساء والحناء والأديم، فإن تعلقت همتك بالإمارة فعليك بالمدن التي حجرها عليك (همج)[115] البرابر، فصار يدعي لها بها على المنابر، فشد لها حيا زيمك لتذوق حلاوة الملك، المعجونة بمرهم النجاة أو الهلك، دع عنك وطن الرمال والعجاج، ومخاطرة النفس في الفدافد والفجاج، فناشدناك جدك من الأب والأم، ومالك فيه من أخ وخال وعم، إلا ما (تجنبْتَ)[116] ساحة تلمسان، ولا زاحمتها بجموع رماة ولافرسان، وإن اشتهت الأعراب غارات بعضها على بعض، فموعدها ما نأى عنا من مطلق الأرض ، و(خميسنا)[117] أبداً على الغالب، لتعلموا أن رأيهم (عن معاني)[118] الصواب غائب، إذ كلهم ذو جفاء ونفار، ويعمهم عند الدول ما يعم الكفار، ليبقى بيننا وبينكم الستر المديد على الدوام، ونلغي كلام الوشاة من الأقوام، وقد شيعنا نحوكم أربعة صحاب، تسر بمجالستهم الخواطر والرحاب، الفقيه الوجيه السيد عبدالله النهزي، والفقيه الابر السيد الحاج محمد بن علي الحضري(المزغنائي)[119]، واثنين *من أركان ديواننا، وقواعد إيواننا، أتراك أسيوط وغاية غرضنا جميل(الجواب)[120]، بما هو أصفى وأصدق خطاب، والله تعالى يوفقنا لاحمد طريق ويحشرنا مع جدك في خير فريق، آمين والسلام.

وكتب في منتصف رجب الفرد الحرام عام أربعة وستين وألف [121] انتهى.

[جواب المولى محمد على كتاب الترك]

[و][122] لما وصلت الرسل إلى مولاي محمد وقرأ الكتاب، اغتاظ مما تضمنه من العتاب، فأحضر الرسل وعاتبهم على قول مرسلهم و(تحامله)[123] عليه، فقالوا له نحن أتيناك سفراء برسالة باشا الجزائر ، فاكتب لنا الجواب ولاتقابلنا بعتاب، فقال : صدقتم. فكتب (إليه)[124] بكتاب يقول في أوله : وبعد، فقد كتبناه إليكم من غرة جبين الصحاري، وصرة أمصار المغارب والبراري، مغنى سجلماسة التي هي قاعدة العرب والبربر، المسماة في القديم كنز البركة، حالتي السكون والحركة.[125]

ومضى في كتابه إلى أن ختمه ولم يجبهم إلى ما أرادوا.

---

(115) كذا، وفي ح : همم.
(116) د، ح ، ك : تجتنب . والتصحيح من ز، والاستقصا ج 7 : 25 .
(117) في تاريخ الضعيف، ج 1 : 110 والاستقصا ج 7 : 25 : خمسنا.
(118) في تاريخ الضعيف، ج 1 : 110 من مغاني
(119) د : المزعنائي . والتصحيح من ز، ح ، ك .
(120) د، ك : الصواب . والتصحيح من ز، ح .
(121) 15 رجب الفرد الحرام عام 1064 هـ يوافق 1 يونيو 1654 م . ونص الرسالة يوجد في تاريخ الضعيف، ج 1 : 107 - 111 . باختلاف في اللفظ، وفي الاستقصا ج 7 : 22 - 25 باختلاف يسير في اللفظ إلى حد التطابق.
(122) مابين المعقوفتين ساقطة د، ز،ح . والتكملة من ك. ومن هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 7 : 25 .
(123) في جميع النسخ : تحاملهم. والتصحيح من الاستقصا ج 7 : 25 .
(124) ك : إليهم.
(125) نص الرسالة يوجد في تاريخ الضعيف ، ج 1 : 111 - 114 .
(*) * 28 أ.

[عقد الصلح بين المولى محمد والترك]

ولما رجعوا برسالته إلى صاحب الجزائر قرأها بمحضر أرباب (دولته)[126] ثم ردهم في الحين دون كتاب.

ولما قدموا عليه ثانيا خاطبوه بجعل شريعة جده معهم في حرب المسلمين ونهب المستضعفين، وشكوا له ما لقوه من تعطل التجارة وإجفال الرعية، فسمع لهم وأثر فيه وعظهم وعلاه سلطان الحق فأذعن(لهم)[127] وقال : والله ما أوقعنا في هذا المحذور إلا شياطين [العرب][128] انتصروا بنا على أعدائهم، وأوقعونا في معصية الله، فلاحول ولاقوة إلا بالله، وإني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد هذا اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم بسوء، وإني أعطيكم ذمة الله وذمة رسوله لاقطعت وادي تافنا إلى ناحيتكم إلا فيما يرضى الله ورسوله.

وكتب لهم بذلك عهدا إلى صاحب الجزائر، وقنع بما فتح الله عليه من سجلماسة ودرعة وأعمالهما، إلى أن خرج عليه أخوه مولاي الرشيد فكان من أمره معه[129] ما قدمناه من موته عند الملاقاة.

وبعد موته قام ولده المولى محمد بسجلماسة، ولم يتم له أمر . وهذا ملخص خبر المولى محمد، الذي هو أول ملوك الدولة العلوية.

نسب الدولة العلوية

وأما نسبه الطاهر الشريف، وإن كان أجلا من الشمس في غنى عن التعريف، فلا بدّ من ذكره للتبرك به، وإتمام الفائدة، لأن حفظ النسب الذي هو سبب التعارف وسلم إلى التواصل، به تتعاطف الأرحام وتحافظ القرابة، له أصل أصيل، قال تعالى : ﴿**ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل* لتعارفو**﴾[130] فمن [لم يعرف النسب لم يعرف الناس ومن][131] لم يعرف الناس لم يعد من الناس[132]. وفي الحديث :"تعلموا من النسب ما تعرفون به أحسابكم وتوصلون به أرحامكم"[133]، وقال عمر بن الخطاب : تعلموا النسب ولا تكونوا كالقبط إذا سئل أحدهم عن أصله قال : من قرية كذا وكذا، وكان أبو بكر - رضي الله عنه - أنسب قريش وسائر العرب، وكذا ابن عباس، وجبير بن مطعم، وعقيل بن أبي طالب رضي الله عنهم.

---

(126) في الاستقصا ، ج 7 : 26 : ديوانه.
(127) في الاستقصا ، ج 7 : 26 : له .
(128) مابين المعقوفتين ساقطة د، ح ، ز، . والتكملة من ك و الاستقصا ، ج 7 : 26 .
(129) إلى هنا ينتهي تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 7 : 27 .
(130) سورة الحجرات . الآية : 13 .
(131) مابين المعقوفتين ساقطة من د، ز ، ح، . والتكملة من ك والعقد الفريد، ج 3 : 312 .
(132) المثل يوجد في العقد الفريد، ج 3 : 312 .
(133) الحديث تم تخريجه في المقصد الأول : 173 . هامش : 166.
(*) * 28 ب .

ومن الجاهلية دعبل وأكثم بن صيفي. ومن التابعين السعيدان والزهري وابن سيرين[134] والشعبي وغيرهم، وفيمن بعدهم أبو عبيدة والأصمعي والرقاشي وابن الكلبي، وروى عكرمة عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال : لما أمر رسول الله ﷺ، أن يعرض نفسه على القبائل، خرج مرة وأنا معه وأبو بكر حتى وقفنا على مجلس من مجالس العرب فتقدم أبو بكر فسلم، قال علي : وكان أبو بكر مقدما في كل (خبر) [135]، وكان رجلا نسابة فقال : ممن القوم؟ قالوا : من ربيعة، قال : وأي ربيعة أنتم أمِنْ هامتها أم لَهَازِمها ؟ قالوا : من هامتها العظمى، فقال : وأي هامتها العظمى أنتم؟ قالوا : ذهل الأكبر، قال أبو بكر : فمنكم عوف الذي كان يقال فيه لاحر بوادي عوف؟ قالوا: لا . قال : فمنكم بسطام منتهى الأحياء؟ قالوا : لا ، قال : فمنكم المزدلف صاحب العمامة؟ قالوا : لا، قال : فمنكم حسان بن ربيعة الحامي الذمار المانع الجار؟

قالوا : لا ، [قال][136] : فأنتم أخوال الملوك من كندة؟

قالوا : لا ، قال : فأنتم أصهار الملوك من لخم؟

قالوا : لا، قال أبو بكر : فلستم ذهلا الأكبر، أنتم ذهل الأصغر.

فقام إليه غلام من بينهم وقال : [الرجز]

إنَّ عَلَى سَائِلِنَا أنْ نَسْأَلَهُ   وَالعِبْءُ لاَ تَعْرِفُهُ أَوْ تَحْمِلُهُ

ياهذا ! إنك سألتنا فأخبرناك، ولم نكتمك شيئا فممن الرجل؟ قال أبو بكر : من قريش، قال : بخ بخ أهل (الشرف)[137] والرياسة ! فمن أي قريش أنت؟ قال : من ولدتيم بن مرة، قال : أمكنت والله الرمية من صفاء الثغرة، فمنكم قصي بن كلاب الذي جمع الله به القبائل من فهر فسمي مجمعا؟ قال : لا ، (قال)[138] : فمنكم هاشم الذي هشم الثريد لقومه ورجال مكة مستنون عجافا؟ قال : لا ، قال : فمنكم شيبة الحمد عبد المطلب مطعم طير السماء الذي وجهه كالقمر في الليلة الظلماء؟

قال : لا ، قال : أمن أهل الإفاضة بالناس أنت ؟ قال : لا ، قال : فلكم الندوة؟ قال : لا، قال: * فلكم الحجابة؟ قال : لا ، قال : أمن أهل السقاية؟ قال : لا . فاجتذب أبو بكر زمام الناقة ورجع إلى رسول الله ﷺ، فقال الغلام : أيْمُ الله، لو تلبثت لأخبرتك أنك من زمعات [قريش] [139] ، أو ما أنا بدعبل ! فتبسم رسول الله ﷺ ، قال علي : فقلت : يا أبا بكر، حصلت من الأعرابي على باقعة؟ قال : أجل إن فوق كل طامة طامة، والبلاء موكل بالمنطق[140] انتهى.

---

(134) هو : محمد بن سيرين، البصري، الأنصاري بالولاء، أبو بكر (33-110 هـ / 653-729 م) : محدث، مفسر، فقيه، معبر للرؤيا وله تآليف في ذلك. انظر : البغدادي، تاريخ بغداد، ج 5 : 331 - 338 ، أبو نعيم، حلية الأولياء، ج 2 : 263 - 282 ، ابن خلكان الوفيات، ج 4 : 181-183 ، اليافعي، المرآة، ج 1 : 232-234 ، الصفدي، الوافي، ج 3 : 146، ابن كثير البداية،ج 9 : 267، 274 - 276 ، ابن القاضي، درة الحجال، ج 2 : 133 ، إ. البغدادي، الهدية، ج 2 : 7، خ. الزركلي، الأعلام ج 6 : 154 ، كحالة ، معجم المؤلفين، ج 10 : 59 .

T. FAHD. Ency. de l' islam. T3 . PP : 972 - 973 .

(135) في جميع النسخ : خير. واقتضى السياق تصويبها.

(136) مابين المعقوفتين ساقطة من د، ز ، ح، . والتكملة من ك.

(137) في جميع النسخ : الشرق. واقتضى السياق تصويبها.

(138) ز، ح : قالوا.

(139) مابين المعقوفتين ساقطة من د، ز ، ح، . والتكملة من ك.

(140) هذه الرواية وردت في العقد الفريد، ج 3 : 326 - 327 .

(*) * 29 أ.

وكرم النسب فضيلة، قال الله تعالى :﴿وكان أبوهما صالحا﴾[141] وقال ﷺ في بنت حاتم: "إن أباها كان يحب مكارم الأخلاق"[142] ووصف الإنسان وسعيه هو الشأن، والنسب زيادة فإلغاء النسب أصلا جور، والاقتصار عليه عجز، والصواب ما قاله عامر بن الطفيل[143] : [الطويل]

(وَإِنّي)[144] وَإِنْ كُنْتَ (ابن سَيِّد)[145] عَامِرٍ ... وَفِي السِّرِ مِنْهَا[146] وَالصَّرِيحِ[147] المُهَذَّبِ[148].
فَمَا سَوَّدَتْنِي عَامِرٌ عَنْ وِرَاثَةٍ ... أَبَى اللهُ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلاَ أَبِ
وَلَكِنَّنِي أَحْمِي حِمَاهَا وَأَتَّقِي ... أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا (بِمَنْكِبِ)[149]

ومنه قول الملك الراضي من ملوك بني العباس : [الكامل]

(لاَتَعْذِلُوا كَرَمِي)[150] عَلَى الإِسْرَافِ ... رِبْحُ المَحَامِدِ مَتْجَرُ الأَشْرَافِ
(أَجْرِي كَآبَائِي الخَلاَئِف)[151] سَابِقاً ... وَأُشِيدُ مَا قَدْ أَسَّسَتْ أَسْلاَفِي
إِنِّي مِنَ القَوْمِ الَّذِينَ أَكُفُّهُمْ ... مُعْتَادَة (الإِخْلاَفِ)[152] وَالإِتْلاَفِ[153]

والنسب طويل وقصير، فالطويل عيب ويذم بالقصير، قال الشاعر : [الكامل]

أَنْتُمْ بَنُو النَّسَبِ القَصِيرِ وَطُولُكُمْ ... بَادٍ عَلَى الكُبَرَاءِ وَالأَشْرَافِ

والنسب القصير هو أن يقول : أنا فلان بن فلان، فيعرف لكون أبيه أو جده الأدنى من الأعيان.

والطويل هو أن يعرف إلى رأس القبيلة. وعليه فنسب المولى محمد من القصير ضرورة لأن أباه المولى الشريف كان كما في نزهة الحادي للإفراني : وجيها عند أهل سجلماسة وسائر المغرب، يقصدونه في المهمات ويستشفعون به في الأزمات[154]. وقد تقدم هذا، فبمجرد الانتساب إليه، يعرف المنتسب إليه. ففي نشر المثاني في ترجمته ما صورته : فمنهم الشريف الأسنى، والملاذ الأحمى، سيد الزمان، ووالد * الملوك الأعيان،

---

(141) سورة الكهف، الاية : 82 .
(142) الحديث رواه البيهقي في دلائل النبوة، ج 5 : 341 . ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية، ج 2 : 213 وج 5 : 67 - 68 بنفس اللفظ وقال : هذا حديث حسن المتن غريب الإسناد جدا عزيز المخرج. ولعل ابن كثير يقصد بحسن المتن الحديث : الحسن اللغوي.
(143) هو : عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، أبو علي (70 ق . هـ - 11 / 554 - 632 م) : شاعر وفارس شجاع، ولد ونشأ بنجد. انظر : المرزباني، معجم الشعراء . ص : 37 - 38 . البغدادي، الخزانة الأدب، ج 3 : 80 - 82 سركيس ، معجم المطبوعات، ج 2 : 1260 - 1261، خ . الزركلي، الأعلام، ج 3 : 252 . كحالة، معجم المؤلفين، ج 5 : 54 .
W. cas-Kel. Ency . de l' islam. T1 . P : 455 .

(144) في ديوان عامر بن الطفيل ص 28 : فإني .
(145) في ديوان عامر بن الطفيل ص 28 : ابن فارس.
(146) في السر منها : أي في أفضلها ولبها.
(147) الصريح : الصافي الأصل.
(148) المهذب : النقي من العيوب.
(149) في ديوان عامر بن الطفيل ص : 28 : بمقنب. وهذه الأبيات توجد في ديوان عامر بن الطفيل ص : 28 .
(150) في المنتظم لابن الجوزي ، ج 6 : 267 : لا تعذلي كرمي، وكذلك في الوافي للصفدي ج 2 : 298 وفي فوات الوفيات للكتبي ج 3 : 322 : لا نقد في كرمي ، وفي البداية والنهاية لابن كثير، ج 11 : 197 : لاتكثرن لومي.
(151) في البداية والنهاية لابن كثير ، ج 11 : 197 أحوي لما يأتي المكارم.
(152) في البداية والنهاية، ج 11 : 197 : الإملاق.
(153) هذه الأبيات توجد مثبتة في المنتظم لابن الجوزي، ج 7 : 267 . والوافي بالوفيات للصفدي، ج 2 : 298 . وفوات الوفيات للكتبي، ج 3 : 322 والبداية والنهاية لابن كثير ، ج 11 : 197 .
(154) انظر : نزهة الحادي للإفراني ، ص : 289 .
(*) * 29 ب .

مولاي الشريف بن مولاي علي السجلماسي الحسني، من بيت شريف شهير من مجدٍ عليٍّ كثير، له في ضخامة القدر وفخامة الأمر منصب ومكان، ممن شهرته تلحق الخبر بالعيان، قال سيدنا الجد [155] - رحمه الله- في الدر السني : وأول وارد منهم السيد الحسن بن قاسم عاشر الأباء من جدود الموجودين الآن منهم [156] انتهى.

وفيه أيضا [157] : وعمود نسب صاحب الترجمة مرفوع عند غير واحد، كصاحب المرآة [158] لما ذكر بعض أقاربه، والدر السني فقد أورده نظما ونثراً، وكذا صاحب الابتهاج [159] وغيره [160] انتهى.

وقال [161] أبو عبدالله [162] الفاسي في المرآة : إن الشرفاء الذين لا (يشك) [163] في شرفهم بالمغرب كثيرون كالجوطيين، من الحسنيين (الإدريسيين) [164] ، وكشرفاء تافلالت [165] من الحسنيين أيضا المحمديين [166] انتهى.

وعن شيخ الجماعة الإمام أبي محمد عبدالقادر الفاسي [167] رحمه الله أنه قسم شرفاء المغرب بحسب القوة والضعف إلى خمسة أقسام، ومثل للقسم الأول المتفق على صحته بأصناف، منهم هؤلاء السادات السجلماسيون.

---

(155) يقصد : عبد السلام بن الطيب القادري، أبو محمد (1058- 1110 هـ / 1648 - 1698م) : عالم الأنساب والتراجم، وله اهتمام بالأدب. نشأ وتعلم وتوفي بفاس.
انظر : نشر المثاني ، ج 3 : 86 ، مؤرخو الشرفاء : 195 - 197 ، الإعلام لابن إبراهيم، ج 8 : 478 - 481 ، شجرة النور : 328 ، فهرس الفهارس ، ج 1 : 132 - 133 ، المصادر العربية، ج 1 : 164 ، 167 ، 169 - 170 ، 180 - 181 .
M. la Khdar, Ency . de l' islam, T4 . PP : 396 - 397 .

(156) انظر : نشر المثاني، ج 2 : 88 . والنقل تم بتصرف. وكلام صاحب الدر السني يوجد في ص : 58 من كتابه.

(157) لعل المؤلف يقصد : كتاب نشر المثاني، إلا أن الكلام الآتي - وشيكا - ليس في نشر المثاني، ج 2 : 88 - 89 .

(158) اسم الكتاب كاملا : مرآة المحاسن، من أخبار الشيخ أبي المحاسن. ألفه صاحبه للتعريف بوالده أبي المحاسن يوسف الفاسي، وذيله بذكر شيوخه الذين تتلمذ عليهم. طبع الكتاب بالمطبعة الحجرية الفاسية سنة 1324 / 1906 م. ومؤلفه هو : محمد العربي بن يوسف الفاسي أبو عبدالله (988 - 1052 / 1580 - 1642) : كان له اهتمام بالتاريخ والأدب. انظر : نشر المثاني، ج 2 : 10 ، عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد للمولى سليمان العلوي : 29 - 32 .

(159) اسم الكتاب كاملا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج. يتضمن تراجم لأصحاب المذهب المالكي سواء كانوا بالمشرق أو المغرب. طبع بالمطبعة الحجرية بفاس، ثم طبع بهامش الديباج المذهب لابن فرحون في مطبعة المعاهد بالقاهرة سنة 1351 / 1932 م. ومؤلفه هو: أحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي، السوداني أبو العباس(963 - 103€ / 1556 - 1647 م) : مؤرخ وعالم بالحديث والفقه. انظر : المراكشي، الإعلام، ج 2 : 302 - 307 ، الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 275 . حجي ، الحركة الفكرية، ج 2 : 383 ، محمد مطيع، معلمة المغرب ، ج 1 : 165 - 169 .
-E. Levi - Provençal, Ency. de l'islam . T1 P : 288.
- O . Deverdum, marrakech . T1 PP : 433 - 434 .

(160) هذا النص لا يوجد في نشر المثاني ج 2 : 88 - 89 . كما أوهمنا المؤلف

(161) من هنا يبدأ تطابق يسير في اللفظ مع الاستقصا ج 7 : 3 .

(162) ويكنى أيضا بأبي حامد.

(163) د، ن، ح : شك . والتصحيح من ك . ومرآة المحاسن : 176 .

(164) د : كالإدريسيين . والتصحيح من ن، ح ، ك .

(165) تافيلالت: أو تفيلالت ، اسم بربري لإقليم شاسع يمتد وراء الأطلسين المتوسط والكبير متاخما لواحات فجيج وحدود الجزائر شرقا وبسائط درعة ونجودها غربا. وبهذا الإقليم توجد سجلماسة المدينة التاريخية المعروفة التي أسسها بنومدرار عام 140 / 758 م . انظر : حجي ، الحركة الفكرية، ج 2 : 519 ، ابن عبدالله ، الموسوعة، (معلمة الصحراء) ملحق 1 : 62 .
- W. HARRIS. Le Tafilelt, PP : 68 -104 .

(166) انظر : مرآة المحاسن : 176 والنقل تم بنفس اللفظ.

(167) هو: عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد، الفاسي، أبو محمد (1007 - 1091 هـ / 1099 - 1680م) مفتي، وعالم بالحديث والفقه والنحو، وله مشاركة في علوم أخرى. ولد في القصر الكبير، ونشأ ودرس بفاس. انظر : القادري، نشر المثاني، ج 2 : 270، الأزهري، اليواقيت الثمينة ، ص : 208 - 210 ل . بروفنصال مورخو الشرفا : 186 - 188 ، ابن سودة، الدليل، ج 1 : 62 ، 71،196 وج 2 : 315 ، 461 ، كنون، النبوغ المغربي، ج 1 : 283 - 284 ، ح. الزركلي، الأعلام، ج 4 : 41 ، الأخضر، الحياة الأدبية : 102 - 105 ، المنوني، المصادر العربية ، ج 1 : 172 - 173 ، 203 ، 213 .
E. Levi Provençal, Ency . de l'islam, T1 . P : 72 .

وقال الشيخ أبو علي اليوسي[168] رحمه الله : شرف السادات السجلماسيين مقطوع بصحته كالشمس الضاحية في رابعة النهار.

وعن الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد الله بن معن الأندلسي[169] أنه كان يقول : ماولِي المغرب بعد الأدارسة أصح نسباً من شرفاء تافيلالت[170]. انتهى.

وبيان عمود نسبهم على ما في نزهة الحادي ونصه : الملوك الثلاثة : مولاي محمد، ومولاي الرشيد، ومولاي إسماعيل، أبناء مولاي الشريف بن مولاي علي بن محمد بن علي بن يوسف بن علي الشريف السجلماسي بن الحسن بن محمد بن الحسن الداخل بن قاسم ابن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبدالله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن الحسن بن أحمد بن إسماعيل بن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبدالله الكامل بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي وفاطمة بنت رسول الله ﷺ. هكذا ذكر هذا النسب جماعة من العلماء الأكابر كالشيخ أبي العباس أحمد بن أبي القاسم الصومعي[171] ، والشيخ الإمام أبي [عبدالله][172] محمد العربي ابن يوسف الفاسي[173] انتهى.

وأصل[174] سلفهم ينبع النخل[175] لأن جدهم مولانا علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - كان النبي ﷺ أقطعه إياه ، فلذلك بقيت فيه سلالته رضي الله عنهم.

[التحقيق في تاريخ دخول المولى الحسن بن قاسم إلى المغرب]

وأول من دخل بلاد المغرب من أجدادهم مولاي الحسن بن قاسم. * قال الإفراني [176]: قرأتُ بخط بعض الفضلاء من أهل بلدنا ما صورته : أخبرنا شيخنا العلامة أبو عبدالله

(168) هو: الحسن بن مسعود بن محمد أبو علي (1040-1102 هـ / 1631-1691م) : فقيه مالكي، أديب، ومشارك في علوم أخرى. عمل مدرسا بفاس. انظر: القادري، نشر المثاني، ج 3 : 25 . الأزهري، اليواقيت، ص : 133 - 135 ، ابن مخلوف، الشجرة، ص : 328 - 329 . الكتاني، فهرس الفهارس، ج 2 : 464 - 470 ، ج . زيدان، تاريخ آداب اللغة، ج 3 : 285 سركيس، معجم المطبوعات، ج 2 : 1959 - 1960 ، ابن سودة الدليل، ج 1 : 88 ، 188 ، وج 2 : 312 ، 315 ، 316 ، 344 ، 387 ، 426 ، 458 ، 477 . حجي، الحركة الفكرية، ج 2 : 503 والزاوية الدلائية ص : 97 - 108 خ . الزركلي، الأعلام، ج 2 : 223 . عنان ، فهرس الخزانة الملكية، ج 1 : 438 - 439 . الأخضر الحياة الأدبية، ص : 122 - 136 . الفاخوري، تاريخ الأدب ص : 388 - 406 ، كحالة معجم المؤلفين ، ج 3 : 294 - 295 حركات ، التيارات السياسية ص : 28 ، 32 ، 115 ، 117 ، 130 ، 211 . المنوني ، المصادر العربية ج 1 : 173 ، 184 ، 195 ، 196 ، 197 - 198 ، 202 - 203 .
- Jacque Berque, Alyousi.

(169) هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن عبد الله بن معن (1043-1120 هـ /1633-1708 م) كان يدعى بأحمد بن عبد الله نسبة إلى جده. والمترجم له أندلسي الأصل، وفاسي الأباء والمولد. له اهتمام بالفقه.
انظر: الأزهري، اليواقيت الثمينة، ص : 39 - 40 ، ابن سودة ، الدليل ، ج 1 : 180 ، 226 وج 2 : 368 ، 411 ، 419 ، ابن عبدالله، الموسوعة ، ج 3 : 140 - 141 خ. الزركلي، الأعلام ، ج 1 : 240 .

(170) إلى هنا ينتهي التطابق اليسير في اللفظ مع الاستقصا ج 7 : 4 .

(171) هو: أحمد بن أبي القاسم بن محمد بن سالم بن عبدالعزيز بن شعيب الزمراني، أبو العباس، التادلي الصومعي(920 - 1013/ 1514 - 1604) اشتهر بلقب الصومعي، نسبة إلى زاوية الصومعة، الواقعة قرب بني ملال، وبها توفي بعد أن أمضى ردحا من الزمن بمراكش. وكان عالما متصوفا مهتما بالتراجم والأخبار.
انظر: القادري ، نشر المثاني، ج 1 : 113 ، ابن سودة ، الدليل، ج 1 : 218 ، 225 - 226 وج 2 : 313 ، حجي الحركة الفكرية، ج 2 : 504 - 506 . خ. الزركلي، الأعلام، ج 1 : 198 المنوني، المصادر العربية ، ج 1 : 146 .

(172) مابين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ، وقد أضفنا التكملة للتصحيح.

(173) انظر: نزهة الحادي : 288 . والنقل تم بتصرف.

(174) من هنا يبدأ التطابق لليسير في اللفظ مع الجيش العرمرم ج 1 : 47 .

(175) ينبع النخل : حصن وقرية خصبة بالقرب من جبل رضوى الواقع بين مكة والمدينة. انظر: مراصد الاطلاع ، ج 3 : 1485 .

(176) انظر: نزهة الحادي : 288 حيث يبدأ النقل. وروضة التعريف: 12

(*) * 30أ.

سيدي محمد بن سعيد المرغيثي[177]، قال: أخبرني سيدي ومولاي و(وسط عقد)[178] محياي، أبو محمد مولانا عبد الله بن علي بن طاهر الحسني: أن (جده)[179] الداخل للمغرب من ينبع النخل هو سيدنا الحسن بن قاسم، قال: وكان دخوله للمغرب أواخر المائة السابعة[180] وكان حينئذ من أبناء الستين أو نحو ذلك، وتوفي رحمه الله قبل انقضاء المائة المذكورة. انتهى[181].

وذكر بعضهم أن دخوله كان سنة أربع وستين وستمائة[182]، قال الشيخ الإمام أبو إسحاق إبراهيم بن هلال[183]: إن دخوله كان في الدولة المرينية، ذكره في (مناسكه)[184]، وعلى هذا فيكون دخوله في دولة السلطان أبي بكر بن عبدالحق المريني. ووفاته حسبما يأتي في خلافة السلطان يعقوب بن عبد الحق. ونقل صاحب الأرجوزة[185] عن ابن هلال[186]: أن ذلك كان في السادسة[187].

---

(177) هو : محمد بن سعيد بن محمد بن يحي السوسي، المرغيثي (أو امرغتي) أبو عبدالله (1007 – 1089 / 1598 – 1678): أديب، كاتب، ميقاتي، وله اهتمام بالطب. عاش وتوفي بمراكش. انظر: القادري، نشر المثاني، 2 : 241، المراكشي، السعادة الأبدية، ص : 96 – 100، الكتاني، فهرس الفهارس، 1 : 417 – 419، ابن إبراهيم، الإعلام، 5 : 304 – 314، ابن سودة، الدليل، 1 : 120، 250، و 2 : 306، الحجوي، الفكر السامي 2 : 280 – 281، حجيي، الزاوية الدلائية، ص : 96 – 97، ابن عبدالله، الموسوعة 2 : 5، خ. الزركلي الأعلام، 6 : 139 – 140، حركات التيارات السياسية، ص : 280 – 281، الفاسي، فهرس مخطوطات خزانة القرويين، 4 : 94 – 95، المنوني، المصادر العربية، 1 : 171.

(178) في نزهة الحادي، ص : 288 : سمط عضد.

(179) في نزهة الحادي، ص : 288 : جدهم.

(180) أواخر المائة السابعة للهجرة توافق أواخر القرن الثالث عشر الميلادي.

(181) يقصد : انتهاء كلام محمد بن سعيد المرغيثي.

(182) سنة 664 هـ توافق 1265 م.

(183) هو : إبراهيم بن هلال بن علي، أبو إسحاق (817 - 903 / 1414 - 1497 م) فقيه مالكي، عالم ومفتي سجلماسة.
انظر: ابن عسكر، دوحة الناشر، ص : 89 - 90، ابن القاضي، درة الحجال، ج 1 : 196 - 199، المقري، أزهار الرياض، ج 3 : 324 - 325، ابن مخلوف، شجرة النور، ص : 268 - 269، ابن سودة، الدليل، ج 2 : 311، ع. الزركلي، الأعلام، ج 1 : 78، كحالة، معجم المؤلفين، ج 1 : 123، المنوني، المصادرالعربية ج 1 : 122.

(184) في نزهة الحادي ص : 289 : منسكه. وكذلك في روضة التعريف ص : 13، والاستقصا ج 7 : 5.

(185) اسم الأرجوزة : زهر الشماريخ في علم التاريخ. وهي أرجوزة أوجز فيها المؤلف، ذكر دول الإسلام إلى عصره، حيث قدم أسماء الخلفاء والملوك، ورمز إلى تواريخهم بحروف حساب الجمل.
والأرجوزة نشرت بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1307 / 1889 م كما توجد منها نسخة خطية بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم : 487 / 4 (ضمن مجموع). ومؤلفها هو : عبدالرحمان بن عبدالقادر بن علي الفاسي أبو زيد (1040 - 1096 / 1631 - 1685) : فقيه، أديب، شاعر، مؤرخ، وله اهتمام بعلوم أخرى.
انظر ترجمته في : نشر المثاني، ج 2 : 325، اليواقيت الثمينة، ص : 195 - 196، الفكر السامي، ج 2 : 283، الدليل مؤرخو الشرفا 186 – 188، النبوغ المغربي ج 1 : 285، ج 1 : 62، 175، 144، 176، 185، 196، 217، 236، وج 2 : 289، 313، 377، 403، 407، 430، الحياة الأدبية ص : 114 - 121، فهارس الخزانة الملكية ج 1 : 13 - 14، 26 - 27، 182 - 183، 222، المصادر العربية، ج 1 : 159، 165، 169، 173، 179، 201، 202، 214.
-E. Levi Provençal; Ency. de l' islam. T 1. P : 88

(186) في جميع النسخ ورد - بعد هذا الإسم - حرف زائد وهو الواو فحذفناه ليستقيم معنى سياق الكلام.

(187) أي المائة السادسة للهجرة التي توافق القرن 12 للميلاد وهو يقصد تاريخ دخول الحسن بن قاسم إلى المغرب.
وقد استبعد الناصري هذا التاريخ، ورجح دخوله في القرن 7 هـ / 13 م. انظر : الناصري، الاستقصا، ج 7 : 5.

وقال شيخ شيوخنا الإمام أبو سالم العياشي[188] في رحلته[189] : مولانا الحسن دخل المغرب في المائة السابعة[190] وإليه أشار صاحب الأرجوزة بقوله : [الرجز]

ثُمَّ (أَبُو)[191] سَالِمِ (عَبْدُ)[192] اللَّهِ أَكْرِمْ بِهِ مِنْ عَالِمٍ أَوَّاهْ
ذَكَرَ فِي رِحْلَتِهِ الفَاضِلَةِ دُخُولَ ذَا الأَمْجَدِ فِي السَّابِعَةِ[193]

وكان سكناه ينبع النخل[194] يعرف بمدشر بني إبراهيم.

---

(188) هو : عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أبو سالم (1037 - 1100 هـ / 1627 - 1679 م) : رحالة ، شاعر ، وفقيه من فاس. انظر: اليواقيت الثمينة، ص : 178 - 183 ، فهرس الفهارس، ج 1 : 118 ، 123 وج 2 : 211 - 213 ، النبوغ المغربي، ج 3 : 79 ، 155 ، 156 الحياة الأدبية، ص : 90-101 الموسوعة المغربية، ج 3 : 34 - 35 ، الحركة الفكرية، ج 2 : 509 ، الأعلام للزركلي، ج 4 : 129 ، التيارات السياسية، ص : 31-32 ، فهارس الخزانة الملكية، ج 1 :58 - 59 ، 451 - 452 ، المصادر العربية، ج 1 : 171 - 172 ، 187 - 188 ، أبو سالم العياشي شاعرا لعبد الله بنصر علوي (رسالة جامعية (مرقونة) : لنيل د. د. ع جامعة محمد بن عبدالله بفاس)

M . Bencheneb + CH / PELLAT. Ency . de l'islam, T 1 . P : 818 .

(189) يقصد رحلته المشهورة التي سماها : ماء الموائد. ألفها أبو سالم العياشي عن رحلته الثالثة للحرمين الشريفين التي قام بها سنة 1072 / 1661 حيث وصف البلاد التي زارها، وعادات أهلها وذكر أسماء الشيوخ والعلماء الذين التقى بهم وغير ذلك.

والرحلة نشرت بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1316 / 1898 وعن هذه المطبعة أعيد نشرها بالأوفسيط سنة 1397 / 1977 بالرباط.

(190) المائة السابعة للهجرة توافق المائة 13 للميلاد.

(191) في جميع النسخ : ابن . والتصحيح من روضة التعريف ص : 13

(192) ز: عبيد.

(193) البيتان لا يوجدان في أرجوزة زهر الشماريخ (لا في المخطوطة ولا المطبوعة).

(194) زاد في نزهة الحادي ص : 289 : بمدشر . وكذلك في الاستقصا ج 7 : 5 .

[سبب القدوم بالمولى الحسن بن قاسم إلى المغرب]

[و][195] ذكر صاحب الأنوار (الحسنية)[196] في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية[197] أن ركاب الحج المغربية كانت تتوارد على الأشراف هناك، وكان أمير الركب المغربي إذ ذاك أحد أهل سجلماسة أظنه والله أعلم السيد [أبو][198] إبراهيم، فلما حج في بعض السنين اجتمع هنالك بالسيد الحسن المذكور، وكانت سجلماسة يومئذ خالية من سكنى الأشراف بها، فلم يزل السيد [أبو][199] إبراهيم يحسن له موطنها والإقامة بالمغرب حتى (استماله)[200] فأجمع على السير معهم وقدموا به مع ركبهم إلى المغرب، فرغب في سكناه (ببلدهم)[201] سجلماسة. وقال (حفيده)[202] الإمام أبو محمد عبدالله بن علي بن طاهر فيما قيد عنه : وكان الذين أتوا به من أهل سجلماسة، أولاد البشير وأولاد(المغراوي)[203]. انتهى.

وذكر صاحب الأرجوزة أن الشيخ أبا إبراهيم أحد الذين جاءوا به من ذرية عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال بعضهم : إن أهل سجلماسة لم تكن تصلح الثمار * ببلدهم، فذهبوا للحجاز بصدد أن يأتوا برجل من أهل البيت، فأتوا بمولانا الحسن المذكور، فحقق الله رجاءهم، وأصلح لهم (ثمارهم)[204] حتى عادت بلادهم هي (هجر المغرب)[205].

ونقل بعضهم على ما رأيته بخط بعض أصحابنا أن سبب مجيئهم [به][207] أن الشرفاء الأدارسة تفرقوا ببلاد المغرب، و(انتثر)[208] نظامهم، واستولى عليهم القتل والصغار من أمراء زناتة، فقل الشرف بالمغرب، وأنكره كثير من الأشراف حقنا لدمائهم، فلما طلع نجم الدولة المرينية أكبروا الأشراف ورفعوا أقدارهم واحترموهم، فلم يكن ببلاد سجلماسة أحد من الأشراف، فاجتمع رأي أعيانهم وكبرائهم على أن يأتوا بمن يتبركون به من النسب الشريف، فقيل :

---

(195) مابين المعقوفتين ساقطة من د. و التكملة من ز، ح ، ك.
(196) ز، ح : السنية، وكذلك في نزهة الحادي ، ص : 289 ، روضة التعريف ص : 13 ، والاستقصا ج 7 : 5 .
(197) هذا الكتاب ألفه صاحبه للتعريف بالشرفاء العلويين. وقد نشر من طرف وزارة الأنباء، بتحقيق أحمد مجيد ابن جلون. أما مؤلفه فهو أحمد بن محمد بن أحمد العلوي الحسني، أبو العباس. له اهتمام بالتاريخ وكان حيا سنة 1101 / 1689 .
انظر : الموسوعة المغربية، ج 3 : 129 فهارس الخزانة الملكية، ج 1 : 42 - 43 المصادر العربية، ج 1 : 180 .
(198) مابين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ. والتكملة من الأنوار الحسنية ص : 27 ، نزهة الحادي ص : 289 روضة التعريف ص : 13 والاستقصا ج 7 : 5 .
(199) مابين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ والتكملة من نفس المصادر وصفحاتها.
(200) ز، ح : استمالهم.
(201) في جميع النسخ : ببلده . والتصحيح من نزهة الحادي، ص : 189 ، روضة التعريف، ص : 14 والاستقصا ج 7 : 5 .
(202) في الأنوار الحسنية : 27 : حفيد. وكذلك في نزهة الحادي : 289 .
(203) في الأنوار الحسنية ص : 27 : المنزاري. وكذلك في الاستقصا ج 7 : 5 . وفي نزهة الحادي ص : 289 : المغزاري. وإلى هنا ينتهي ما ورد في الأنوار الحسنية ص : 27 وفي لفظه بعض الاختلاف.
(204) في جميع النسخ : أثمارهم . والتصحيح من روضة التعريف ص : 14 . الاستقصا ج 7 : 6 .
(205) د، ح ، ك : متجر الغرب. ز : متجر المغرب. والتصحيح من نزهة الحادي ص : 290 . روضة التعريف ص : 14 ، الاستقصا ج 7 : 6.
وهجر : بفتحتين مكان قرب المدينة يضرب به المثل في جودة التمر وكثرته.
انظر : روضة التعريف ص : 14 هامش رقم : 2 .
(206) هنا المتكلم هو : الإفراني. وتجدر الإشارة إلى أن المؤلف ما يزال ينقل من كتاب نزهة الحادي للإفراني ص : 290 .
(207) مابين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ. والتكملة من روضة التعريف ص : 14 ليستقيم سياق المعنى.
(208) ح : انتشر . وكذلك في نزهة الحادي ص : 290 .
(*) * 30 ب .

إن الذهب يطلب في معادنه، والياقوت يجلب من مواضعه، وبلاد الحجاز هي مقر الأشراف وصدفة جوهر ذلك النسب، فذهبوا إليه، وأتوا بمولانا الحسن على ماذكرنا، فأشرقت شمس النبوّة على أهل سجلماسة، وأضاءت أرجاؤها[209] حتى قيل : إن مقبرة سجلماسة هي بقيع المغرب، وليس لأهل سجلماسة مزية أعظم من هذه المزية، (لولاها)[210] مارفعت لهم راية، ولاشاع لهم ذكر. وفي ذلك أنشد شيخ شيوخنا أبو علي اليوسي [رحمه الله][211] : [البسيط]

لَوْلاَ (الكِرَامُ مِنْ آلِ)[212] المُصْطَفَى نَزَلُوا ... بِأَرْضِهِمْ آخِرًا لأَزْمَانِ مَاذُكِرُوا

وهذا البيت من قطعة [له][213] يهجو بها بعض فقهاء سجلماسة وهي : [البسيط]

حَيِّ الأَحِبَّةَ عَنِّي أَيْنَمَا ذُكِرُوا ... وخُصَّ مِنْ جيرَتِي قوماً هُمُ الغُرَرُ
وَلاَ تُحَيِّ لِنَا مَا قَدْ عَهِدْتَهُمْ ... سَجِيَّةً فِيهِمُ الإِيذَاءُ وَالضَّرَرُ
وَقُلْ لِذَاكَ السِّجِلْمَاسِيِّ إِنَّ لَنَا ... عِرْضاً مَصُوناً فَلاَ تَهْتِكْهُ يَاغُدَرُ
إِنَّ المُنَافِقَ لِلْعَوْرَاتِ مُلْتَمِسٌ ... وَالمُومِنُونَ إِذَا مَا اسْتَبْصَرُوا عَذَرُوا
وَلَيْسَ مِنْ عَجَبٍ إِنْ كُنْتَ مُنْتَهِشاً ... لَحْمَ الوَرَى فِعْلَ كَلْبٍ لَيْسَ يَنْزَجِرُ
فَإِنَّ أَسْلاَفَكَ (الأَنْذَالُ)[215] قَدْ أَكَلُوا ... لَحْمَ الكِلاَبِ فَذَاكَ (الفِعْلُ)[216] مُدَّخَرُ
أَهْلُ سِجِلْمَاسَةَ (الأَبْذَوْنَ)[217] إِنْ نَطَقُوا ... وَالأَمُ النَّاسِ أَحْلاَماً إِذَا قَدَرُوا
لَوْلاَ (الكِرَامُ مِنْ آلِ)[218] المُصْطَفَى نَزَلُوا ... (بِأَرْضِهِمْ)[219] آخِرَ الأَزْمَانِ مَاذُكِرُوا[220]

* وذكر بعضهم أن أهل سجلماسة لما طلبوا من مولانا قاسم أن يبعث معهم أحد أولاده للمغرب لأنه كان أكبر شرفاء الحجاز في وقته، له شهرة وديانة اختبر أولاده من يليق منهم لذلك، فيقال إنه كان له ثمانية أولاد فكان يسأل الواحد منهم بعد الواحد ويقول له : من فعل معك الشر ماتفعل معه؟ فيقول: الشر، ومن فعل معك الخير ما تفعل معه؟ فيقول : الخير ، فيقول له اجلس، إلى أن بلغ مولانا الحسن فقال له : ومن فعل معك الشر؟ فقال أفعل معه الخير، قال : (فمن عَادَ لكَ)[221] بالشر؟ فقال : أعود له بالخير إلى أن يغلب خيري على شره. فاستنار وجه مولانا قاسم وتهلل، ودخلته أريحية هاشمية، ودَعَا لَهُ بالبركة فيه وفي عقبه، فأجاب الله دعوته. وأماما اشتهر على الألسنة بأنهم وزنوه لأبيه بالمال فحكاية واهية لا رأس لها ولا ذنب، والله أعلم بحقيقة الحال.

---

(209) وردت في جميع النسخ بعد هذه الكلمة - زيادة حرف : و (الواو) فحذفناه من المتن ليستقيم سياق الكلام.
(210) في جميع النسخ : لولا هي . والتصحيح من روضة التعريف ص : 15 .
(211) مابين المعقوفتين ساقطة من ز.
(212) ز ، ح : الأكارم آل . وفي نزهة الحادي ص : 290 المكارم آل
(213) مابين المعقوفتين ساقطة من ز.
(214) هذا البيت ساقط من نزهة الحادي ص : 290 ، ويوجد في روضة التعريف ص : 15 .
(215) في الجيش العرمرم ج 1 : الارذال، والانذال : من النذل والنذيل وهو الخسيس من الناس المحتقر.
(216) في ديوان اليوسي ، مخ، خ ، ع ، ر 32 ج ص : 204 : الطبع. وكذلك في نزهة الحادي ص : 290 .
(217) د، ح ، ك : الأبدون. وفي نزهة الحادي ص : 290 : البدوي، وفي روضة التعريف ص : 15 أنذال. والتصحيح من ديوان اليوسي مخ. ع. ر. 32 ج (المجموع الأول) : 204 .
(218) ز، ح : الأكارم آل . وكذلك في : ديوان اليوسي ص : 204 ، الجيش العرمرم، ج 1 : 48 . وفي نزهة الحادي ص : 290 : المكارم آل.
(219) في الجيش العرمرم ج 1 : 48 : بدراهم.
(220) هذه الأبيات توجد في ديوان اليوسي مخ. خ. ع. ر 32 ج : 204 ونزهة الحادي - التي ما يزال المؤلف ينقل منها - ص : 290 وروضة التعريف ص : 15 ، والجيش العرمرم ج 1 : 48 .
(221) د، ك : فيمر ذلك، وفي نزهة الحادي ص : 290 فيرد ذلك. والتصحيح من ز ، ح .
(*) * 31 أ .

وبين مولانا الحسن الداخل وبين جده محمد النفس الزكية خمسة عشر أبا كما تقدم.
قال صاحب الأنوار : وعمود نسبه لم يزل محفوظا عند بنيه موصولا نسبه فيما بينهم، ونقل كذلك أيضا عن كثير من الأئمة الأعلام كالسيد (أحمد)[222] بن يحي العلمي جد الشرفاء الشفشاونيين حسبما قيده من خطه صاحب مرآة المحاسن[223]. انتهى.
وبالجملة فإن شرف السادات السجلماسيين مما لا (نزاع) [224] فيه ولاخلاف في صحته عند أهل المغرب قاطبة . وقد سبق ما يعضده من أقوال الأئمة الأعلام.

[مناقب المولى الحسن بن قاسم]

وكان مولانا الحسن الداخل - رحمه الله - رجلا صالحا ناسكاً له مشاركة في العلوم، وخصوصا علم البيان، فإنه كانت له فيه اليد الطولى. ولما استقر بسجلماسة واطمأنت به الدار زوجه أبو إبراهيم ابنته وسكن على ما يقال منها بموضع يقال له المصلح.

وفاة مولاي الحسن الداخل

ولما توفي تنازع في دفنه أهل سجلماسة حتى كادت نار الفتنة أن تشب بينهم، فاجتمع رأيهم على أن يمسحوا أرض سجلماسة بالحبال فقسموها أرباعا ودفنوه في موضع يتوسط جميع النواحي الأربعة بحيث لا يكون أقرب لجهة دون جهة.
وكانت وفاته - رحمه الله- حسبما يستفاد مما تقدم سنة ست أو سبع وسبعمائة.[225].
[و][226] في دخوله وإيوائه أهل سجلماسة، وإكبابهم عليه تصديق للحديث المروي عن رسول الله ﷺ ، قال في الجمان : روى أن فاطمة بنت رسول الله* ﷺ أعطت جارية لها صدقة بعد وفاة رسول الله ﷺ و (قالت) [227] لها أمض بها إلى السوق واتني بمن يقبلها، فذهبت وقالت : من يقبل مني صدقة فاطمة بنت رسول الله ﷺ ؟ فقال رجل مغربي : أنا موضع صدقة آل رسول الله ﷺ . فأعطته الصدقة، وقالت له : أجب بنت رسول الله ﷺ فقال: نعم، فلما بلغ الباب سألته : من أنت؟ فقال : أنا رجل مغربي، فقالت من أي المغرب؟ فقال : من البربر، فبكت فاطمة وقالت : قال لي والدي رسول الله ﷺ : لكل نبي حواري وحواري ذريتي البربر، يافاطمة سيقتل الحسن والحسين ويفر أولادهما إلى المغرب ، فلا (يأويهم)[228] إلا البربر، فياشؤم من فعل (بهم)[229] ذلك، وطوبى لمن أكرمهم وأعزهم [230]انتهى.

---

(222) في نزهة الحادي ص : 291 : محمد . وكذلك في الجيش، ج 1 : 49 .
(223) انظر : الأنوار الحسنية ص : 27 - 28 وفي لفظه اختلاف.
(224) د، ز ، ج : خلاف . والتصحيح من ك، ونزهة الحادي ص : 291 . والجيش العرمرم، ج 1 : 49 .
(225) سنة 706 أو 707 هجرية توافق 1306 أو 1307 ميلادية. وهذا التاريخ يوافق حكم أبي ثابت عامر بن عبدالله المريني (706 - 708 / 1306 - 1308) ونشير إلى أن المؤلف - وهو ينقل عن الإفراني - سبق له أن ذكر بأن الحسن الداخل توفي في خلافة يعقوب بن عبدالحق المريني (656 - 685 / 1258 - 1286). ومن هنا نلاحظ بأن الإفراني وقع في التباس أو خطإ، والمؤلف تبعه في ذلك، فلم يدقق ولم يحقق ما نقله منه. واعترض الناصري على الإفراني في أن يكون هذا التاريخ (706 أو 707 هـ) هو تاريخ وفاة الحسن الداخل بقوله: ولم يحفظ تاريخ وفاته . ومما استنبطه اليفرني في ذلك فمبني على غير أساس". انظر : الناصري، الاستقصا، ج 7 : 7 .
(226) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.
(227) ز : قال
(228) في جميع النسخ : يأويهما. والتصحيح من روضة التعريف ص : 18، والجمان في أخبار الزمان، مخ. خ.ع. ر 579 د . ورقة 141 ب.
(229) في جميع النسخ: بهم، والتصحيح من نزهة الحادي ص: 292 وروضة التعريف ص:18، والجمان في أخبار الزمان ، ورقة 141 ب .
(230) انظر : الشطيبي، الجمان في أخبار الزمان ، مخ ، خ ، ع ، ر 579 د ، ورقة 141 ب . كما يوجد هذا الحديث في نزهة الحادي التي ينقل منها المؤلف ص : 292 ، وروضة التعريف ص : 18 وكلهم أوردوه باختلاف يسير في اللفظ.
(*) * 31 ب .

[ذرية المولى الحسن بن قاسم]

ولم يخلف [231] مولاي الحسن من الأولاد إلا واحدا وهو محمد [بن مولاي الحسن] [232] وترك مولاي محمد هذا ولدا واحدا، وهو مولاي الحسن، سمي باسم جده، وهو الآن مدفون حول المدينة العظمى بإزاء سيدي محمد (الخراز) [233] بسجلماسة. وخلف مولاي الحسن هذا ولدين أحدهما: السيد عبدالرحمان المكنى بأبي البركات وهو أكبرهما، ومن بنيه أولاد السيد أبي حميد بالتصغير (القاطنون) [234] بوادي الرتب بالقصر الجديد على مرحلة من سجلماسة. ومنهم الشرفاء الساكنون ببني زروال [235].

[أخبار المولى علي الشريف]

وثانيهما: مولاي علي المعروف بالشريف، ومنه تكاثرت فروع المحمديين.

وكان رجلا صالحا مجاب الدعوة، كثير الأوقاف و(الصدقات) [236] حاجا مجاهدا، ذا همة سنية، وأحوال مرضية.

رحل في بعض الأوقات إلى فاس وسكنها مدة طويلة. وكان سكناه منها بحومة (جزاء) [237] ابن عامر من عدوة القرويين، وترك هنالك دارا، وأقام مدة بقرية (صفرو) [238] وخلف بها عقارا وآثارا، هي بها إلى الآن، وآقام مدة (ببلدة) [239] جرس (التي) [240] هي على مرحلتين ونصف من سجلماسة، وترك بها مثل ذلك.

ودخل عدوة جزيرة الأندلس برسم الجهاد مرارا وأقام بها مدة طويلة، ثم رحل إلى سجلماسة، فكاتبه أهل الأندلس يطلبون منه الرجوع إليهم و(يحضونه) [241] على الاعتناء بأمور الجهاد، ويظهرون له ضعف الجزيرة، وقد كانوا راودوه، وهو مقيم عندهم في أن

---

(231) من هنا يبدأ تطابق أغلب الألفاظ مع الاستقصا ج 7 : 7 (مع العلم أن المؤلف ما يزال ينقل من نزهة الحادي).

(232) مابين المعقوفتين ساقطة من ك. كما أنها ساقطة من المصادر السالفة الذكر.

(233) في جميع النسخ: الحرار. والتصحيح من النزهة ص 292 والروضة ص: 18. والاستقصا ج 7 : 7. وفي الجيش ج 1 : 50 : الحراز.

(234) في جميع النسخ: القاطنين واقتضى السياق تصحيحها.

(235) بنو زروال: قبيلة جبلية شهيرة تقع شمال المغرب، يحدها شرقا قبيلة كتامة ومزيات، وغربا بنو مستارة وسطة وبنو مزجلدة وبنو ورياغل، وجنوبا قبائل سلاس وفشتالة والجاية، وشمالا بنو أحمد وغمارة.
ويوجد بها زوايا ومساجد وأضرحة ونبغ منها ثلة من العلماء والفقهاء. انظر: الوزان، وصف إفريقيا، ج 1 : 262، ابن العربي، المغرب، ص: 84. البشير الفاسي، قبيلة بني زروال: 8، ابن منصور، قبائل المغرب، ج 1 : 331. ابن عبدالله، الموسوعة، ج 4 : 267 - 268، حجي الحركة الفكرية، ج 2 :475، تاريخ الضعيف ج 1 : 115. هامش رقم: 128.

-A . Moulieras; Le Maroc inconnu, T2. PP : 46 - 93
- E . Doutté, les Djbalas du Maroc . P : 17 .

(236) د، ح، ك: الصدقة، والتصحيح من ز. والنزهة ص: 293 والاستقصا ج 7 : 7.

(237) د، ك. جزام. والتصحيح من ز، ح. والمصدرين السابقين في نفس الصفحات.

(238) د، ك: صفر. والتصحيح من ز، ح.
وصفرو: إحدى دوائر عمالة فاس تشتهر بصناعة النسيج (الزرابي ومختلف أنواع منسوجات القطن) وهي مركز الأنشطة التجارية بين الدير والجبل. وكانت تسمى "صفروي". انظر: البكري، المغرب ص: 146-147 مجهول المؤلف، الاستبصار ص: 193، الوزان وصف إفريقيا ج 1 : 282. تاريخ الضعيف، ج 1 : 137 هامش رقم 11.
- CH . de Foucauld , Reconnaissance au Maroc, PP : 37 - 39
- J . Erckamann, le Maroc moderne, p : 35
-Engène Aubin; le Maroc d aujourd hui, PP : 395 - 398
- Budgett Meaking, the land of the Moors , PP : 339 - 344
- R . Le Tourneau, L activité économique de Sefrou, in, Hesperis. T25 . 2e . 3e trime . 1938 . PP : 260 - 286

(239) د، ك: بهلد. والتصحيح من ز، ح.

(240) د، ك: الذي. والتصحيح من ز، ح.

(241) د، ح، ك: يحظونه. والتصحيح من ز.

(يملكوه)[242] عليهم و(بايعوه)[243] والتزموا له النصرة والطاعة، فرغب عن ذلك زهداً وورعاً، وغض طرفه عن زهرة الدنيا رضي الله عنه.

قال الإفراني [244] : وقد وقفت على رسائل عديدة [245] * بعث إليه بها علماء غرناطة أعادها الله دار إسلام (يحرضونه)[246] على الجواز إليهم، والنفور إلى حماية بيضة الإسلام، ويذكرون أن كافة أهل غرناطة من علمائها وصلحائها ورؤسائها، وظفوا على أنفسهم [من][247] خالص أموالهم دون توظيف سلطان عليهم أموالا كثيرة برسم الغزاة الواردين معه من المغرب، وحلوه في بعض تلك (الرسائل)[248] بما نصه :

إلى الضرغام الهمام، وقطب دائرة فرسان الإسلام، الشجاع المقدام (المنصور)[249] الفاتك، الوقور الناسك، طليعة جيش الجهاد وعين أعيان الأنجاد، المؤيد بالفتح في هذه البلاد، المسارع إلى مرضاة رب العباد، مولانا أبي الحسن علي الشريف . انتهى . نص التحلية[250].

وكتبوا لعلماء فاس يأمرونهم أن يحضوا مولاي (عليا)[251] على العبور إلى العدوة، فكتب له أعلام فاس بمثل ذلك، وحثوه على مسارعة إغاثتهم، وذكروا له فضائل الجهاد، وأنه من أفضل أعمال البر.

وكان من موجبات تخلفه عن إغاثة أهل غرناطة، أنه عزم على المشي إلى الحج ، فقالوا له في بعض الرسائل : وعوض هذه الوجهة الحجية التي اجتمع رأيكم وتوفر عزمكم عليها بالعبور إلى الجهاد، فإن الجهاد (أصلحكم)[252] الله عند أهل المغرب أفضل من الحج كما أفتى به ابن رشد [253] رحمه الله حين سئل عن ذلك، وقد بسط الكلام عليه في أجوبته، ووجه ما ذهب إليه من ذلك . انتهى.

وكان الذي كتب إليه من علماء غرناطة جماعة، منهم شيخ المواق[254] الإمام أبو عبدالله بن سراج[255] قاضي الجماعة.

ومن شيوخ فاس الذين كتبوا له، الشيخ أبو عبدالله (العكرمي)[256] شيخ الإمام

---

(242) في جميع النسخ : يملك والتصحيح من النزهة : 293 ، الروضة : 19 الجيش ، ج 1 : 50 ، الاستقصا ، ج 7 : 8 .
(243) في النزهة : 293 : يبايعوه، وكذلك في : الروضة : 19 ، الجيش ج 1 : 50 الاستقصا ج 7 : 8 .
(244) هذا تنبيه من المؤلف إلى النقل المستمر من الإفراني (النزهة ص : 293).
(245) توجد بعض هذه الرسائل في الأنوار الحسنية، ص : 32 - 55 .
(246) في الاستقصا ، ج 7 : 8 يحضونه.
(247) مابين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ. والتكملة من النزهة ص : 293 ، الروضة ص : 19 ، الاستقصا ج 7 : 8 .
(248) د : الرسالة . والتصحيح من ز، ح ، ك .
(249) في النزهة ص : 293 : الهصور، وكذلك في الروضة : 19 ، والأنوار الحسنية ص : 32 ، والاستقصا 7 : 8 .
(250) النص الكامل لهذه الرسالة يوجد في الأنوار الحسنية ص : 32 - 39 وفيه أن صاحبها هو : أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الأندلسي الغرناطي.
(251) د، ك : علي . والتصحيح من ز، ح .
(252) في الروضة ص : 20 : أصلحك.
(253) هو : محمد بن أحمد بن رشد (الجد) أبو الوليد (450 - 520 / 1058 - 1126) قاضي الجماعة بقرطبة مالكي المذهب.
انظر : الضبي، بغية الملتمس ص : 40 ، ابن فرحون الديباج المذهب : 278-279 ابن ابراهيم، الإعلام ج 4 : 52-58 ، البغدادي، الهدية، ج 2 : 85 ، الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 219 ، ابن عبدالله، الموسوعة، ج 1 : 105 - 106 خ . الزركلي، الأعلام ، ج 5 : 316 - 317 .
(254) المواق هو : محمد بن يوسف العبدري، الشهير بالمواق، أبو عبدالله الغرناطي، فقيه توفي سنة 897 / 1491 . انظر : القادري، نشر المثاني، ج 1 : 86 . ابن مخلوف ، شجرة النور : 62 ، الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 263 - 264 .
(255) هو : محمد بن محمد بن سراج الغرناطي، المتوفى سنة 848 / 1444 : قاضي ومفتي غرناطة، مالكي المذهب. انظر : الحجوي، الفكر السامي، ج 2 : 257 .
(256) في الروضة ، ص : 20 : القوري.
وهو : محمد بن قاسم اللخمي المكناسي، آخر حفاظ المدونة بفاس ، توفي سنة 872 هـ / 1467 م
انظر : الروضة : 20 هامش : 4 .
(*) • 32 أ.

ابن غازي[257] و(أبو العباس الماواسي)[258] شارح الروضة، وأبو زيد عبد الرحمان الرقعي[259] صاحب الرجز المشهور[260] وغير هؤلاء رضي الله عنهم.

ومما ضمنوه في بعض تلك الرسائل قصيدة طنانة في مدح مولانا علي الشريف، وصاحبه الفاضل أبي عبد الله سيدي محمد بن إبراهيم العمري، وحثهما على إجابتهم. وهي من إنشاء العلامة أبي فارس [ابن][261] الربيع الغرناطي رحمه الله، وهذا نصها [الطويل]

أَيَا (رَاكِباً)[262] يَطْوِي المَفَاوِزَ وَالقَفْرَا   رَشَدْتَ وَ(لَقِيتَ)[263] السَّلاَمَةَ وَالخَيْرَا
تَرحَل وَجِدَّ السَّيْرَ يَوْماً وَلَيْلَةً   وَسَافِرْ(تَجِدْهَا)[264] فِي مَطَالِعِهَا زَهْرَا
تَحَمَّلْ (رَعَاكَ)[265] اللَّهُ مِنِّي إِلَى الحِمَا   تَحِيَّةَ مُشْتَاقٍ تُهَيِّجُهُ الذِّكْرَا
* وَ(أُمَّ)[266] دِيَارَ الحَيِّ مِنْ سِجِلْمَاسَةٍ   فَتِلْكَ دِيَارٌ تَجْمَعُ (العِزَّ)[267] وَالفَخْرَا
وَسَلِّمْ عَلَى تِلْكَ (الدِّيَارِ)[268] وَأَهْلِهَا   سَلاَمَ مُحِبٍّ لَمْ يُطِقْ عَنْهُمْ صَبْرَا
فَعِنْدِي لَهُمْ حُبٌّ (جَرَى فِي مَفَاصِلِي)[269]   وَمَازَجَ مِنِّي العَظْمَ وَالدَّمَ وَالشَّعْرَا
فَتِلْكَ بِقَاعُ الدِّينِ وَالخَيْرِ وَالهُدَى   فَكَمْ (مِنْ تَقِيٍّ)[270] فِي سَمَاهَا سَمَا بَدْرَا
هُمُ القَوْمُ لاَ يَشْقَى بِهِمْ جُلَسَاؤُهُمْ   يَضُوعُ عَبِيرُ الزَّهْرِ مِنْ (نَشْرِهِمْ)[271] نَشْرَا
وَقُلْ يَاأُهَيْلَ القِبْلَةِ السَّادَةَ (الأُولَى)[272]   إِذَا مَا دَعَوْا فِي حَادِثٍ أَسْرَعُوا النَّفْرَا
وَخُصَّ سَلِيلَ الهَاشِمِيِّ ابْنِ صِهْرِهِ   عَلَى الَّذِي يَعْلُو[273] عَلَى زُحَلٍ قَدْرَا
أَبَا الحَسَنِ المَوْلَى الشَّرِيفِ الَّذِي بِهِ   عَلَى الغَرْبِ شَمْسُ النَّصْرِ (طَبَقَتِ الصَّحْرَا)[274]
وَلاَحَتْ بِآفَاقِ القُلُوبِ عَجَائِبٌ   بِهَا سَلَبَ الأَلْبَابِ (تَحْسِبُهَا)[275] سِحْرَا

---

(257) ابن غازي هو : محمد بن أحمد بن محمد بن غازي العثماني، المكناسي الفاسي، أبو عبدالله (841 - 919 / 1437 - 1513) : فقيه ، محدث ، مؤرخ ، حاسب ، عروضي ونحوي من أعيان المالكية. انظر : دوحة الناشر : 45-47 نشر المثاني، ج 1 : 184، درة الحجال، ج 2 : 147 - 148 ، فهرس الفهارس ، ج 1 : 210 - 213 ، 315 ، اتحاف أعلام الناس، ج 4 : 2 - 11 ، ذكريات مشاهير رجال المغرب، ج 3 : الترجمة رقم 12 الهدية، ج 2 : 226 الموسوعة المغربية ، ج 1 : 73 - 74 الحركة الفكرية، ج 2 : 346 ، الأعلام للزركلي، ج 5: 336 ، تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج 6 : 695 - 697 ، معجم المؤلفين ، ج 9 : 16 .

- M. bencherkroun. la vie intellectuelle mamcaine; PP : 358 - 394 .
- J . F. HOPKINS. Ency. de l' islam, T 3. P : 796 .

(258) د، ح ، ك : أبو العباسي المراسي ز : أبو العباس المراسي. والتصحيح من النزهة ص : 294 ، الروضة ص : 20، وأبو العباس الماواسي هو : عيسى بن أحمد بن محمد الماواسي البطوئي الفاسي ، فقيه ، مفتي وحافظ، توفي سنة 869 هـ / 1490م. انظر : المنجور ، الفهرس : 18 ، 59 الحجوي، الفكر السامي ج 2 : 263 .

(259) عبدالرحمان الرقعي : فقيه ، مالكي المذهب ، كان حيا سنة 853 هـ / 1449 م انظر : سلوة الأنفاس ، ج 2 : 122 - 123 ، معجم المؤلفين، ج 5 : 138 .

(260) لعله يقصد : منظومته في الفقه، فرغ من تأليفها سنة 853 / 1449 م .

(261) مابين المعقوفتين ساقطة من ز، ح .

(262) في النزهة ص : 294 : راحلا. وكذلك في الجيش ج 1 : 51 .

(263) ك : لاقيت . وفي النزهة : 294 : ألقيت.

(264) في النزهة : 294 : تجدما. وكذلك في الأنوار : 51 .

(265) في النزهة : 294 : حماك . وكذلك في الأنوار ص : 51 .

(266) في الأنوار : 51 : أما .

(267) د : الذل . والتصحيح من ز ح ، ك . ومن النزهة : 294 ، الروضة : 21 ، الأنوار : 51 ، الجيش ج 1 : 51 ، الاستقصا ج 7 . 9 .

(268) في النزهة : الخيام. وكذلك في الروضة : 21 ، والأنوار : 51 .

(269) في النزهة: 294: جرى في جوانحي . وكذلك في الجيش ج 1 : 51 . وفي الأنوار: 51: سرى في جوانحي. وكذلك في الروضة : 21 .

(270) في النزهة :294 : مرتقي

(271) ك : بيتهم . وفي النزهة : 294 : بينهم . وكذلك في الأنوار : 52 ، والروضة : 21 ، والاستقصا ج 7 : 9 .

(272) د ، ز ، ح : الألى . والتصحيح من ك والمصادر السابقة في نفس الصفحات.

(273) في د، ح ، ك وردت كلمة زائدة - بعد الذي - وهي : قد. فحذفناها من المتن.

(274) في النزهة : 294 : أشرق بالصحرا. وكذلك في الروضة : 21 ، الأنوار : 52 ، الجيش ج 1 : 51 .

(275) في الجيش ، ج 1 : 52 : تحسبه.

(*) 32 ب .

هُوَ الصَّقْرُ مَهْمَا آهْتَزَّ كُلُّ مُجَلْجِلٍ[276] … هِزَبْرٌ[277] إِذَا مَا أَنْشَبَ النَّابَ وَالظُّفْرَا
هُوَ الغَوْثُ إِنْ دَارَتْ رَحَى (الحَرْبِ لِلِقَا)[287] … وَ(غَيْثٌ)[279] إِذَا مَا المُزْنُ مَا (أَسْلَتْ)[280] قَطْرَا
أَغَارَ عَلَى الأَعْلاَجِ (فَآجْتَاحَ)[281] (جمعهم)[282] … وَ(جَدَّ لَهُمْ)[283] قَتْلاً وَ(شَدَّدَهُمْ)أَسْرَا[284]
بِطَنْجَةَ قَدْ طَابَ المَمَاتُ لِزُمْرَةٍ … بِنُصْرَتِهَا (تَرْجُو)[285] مِنَ (المَلِكِ)[286] الأَجْرَا
(دَعَاهَا بِأَقْصَى)[287] السُّوسِ (قَوْمٌ)[288] فَأَسْرَجُوا … مِنَ (الصَّافِنَاتِ)[289] الجُرْدِ لَمْ يَأْخُذُوا(الجِذْرَا)[290]
فَهَبَّتْ رِكَابُ (القَوْمِ)[291] وَالشَّمْسُ أَشْرَقَتْ … وَأَزْهَقَ جَيْشُ اللّهِ أَعْدَاءَهُ (خَسْرَا)[292]
وَ(لاَعَجَبَ)[293] أَنَّ (الأُلَى)[294] هُوَ مِنْهُمْ … لُيُوثَ الشَّرَى (قَدْ أَوْسَعُوا مَرْحَبًا شَرَّا)[295]
أَجِرْ جَارَكَ اللَّهْفَانَ مِنْ (غَمَرَاتِهِ)[296] … أَبَا حَسَنٍ وَآنْصُرْ جَزِيرَتَكَ الخَضْرَا
وَنَادِ أَبَا عَبْدِ الإِلَهِ خَلِيلَكُمْ … بِهِ تَجْلِبُ السَّرَّاءُ فِي حَادِثِ الضَّرَّا
سَلِيلَ أَبِي إِسْحَاقَ أَكْرِمْ بِهِ أَبَا … لَقَدْ (خَلَّفَ)[297] الفَرْعَ الزَّكِيَّ الرِّضَا البَرَّا
أَلَيْسَ الَّذِي لَبَّى نِدَاءَ أَهْلِ طَنْجَةَ … وَجَمَّعَ أَهْلَ الغَرْبِ مِنْ حِينِهِ طُرًّا
وَأَوْقَعَ بِالكُفَّارِ أَيَّ وَقِيعَةٍ … فَمَنْ لَمْ يَمُتْ بِالسَّيْفِ (مَاتَ لَهُ)[298] ذُعْرَا
وَأَصْبَحَ الدِّينَ أَشْنَبَ بَاسِمَاً … وَأَزْهَقَ وَجْهَ الكُفْرِ مِنْ حُزْنٍ (قَتْرَا)[299]
وَنَالَ مِنَ اللّهِ السَّعَادَةَ وَالرِّضَا … وَ(جَنَّاتِ)[300] عَدْنٍ فِي المَعَادِ لَهُ ذُخْرَا
* وَقُلْ أَيُّهَا العَدْلُ الَّذِي اتَّخَذَ التُّقَى … شِعَاراً وَسَامَى فِي (مَنَازِلِهَا)[301] الشُّعْرَا
أَرَى كُلَّ (مَنْ)[302] فِي الغَرْبِ أَصْبَحَ (قَانِطاً)[303] … (لأَنْدَلُسٍ)[304] يَرْجُو بِطَلْعَتِكُمْ نَصْرَا

(276) مجلجل : من جلجل ، وهو شدة الصوت.
(277) هزبر : الأسد ، الشديد الصلب.
(278) في الأنوار : 52 : واللقا.
(279) ك : وغوث.
(280) في النزهة : 295 : أمطرت. وكذلك في الروضة : 21 ، الأنوار : 52 ، الجيش ، ج 1 : 52 . وفي الاستقصا ج 7 : 9 : أرسلت.
(281) د، ك : فاحتاج. والتصحيح من ز، ح والنزهة : 295 والروضة 21 ، الاستقصا، ج 7 : 9 .
(282) في الأنوار : جمعها.
(283) في الأنوار : زاد لهم. وفي الجيش ، ج 1 : 52 : جللهم.
(284) في النزهة : 295 : شردهم . وفي الروضة : 21 شد لهم. وكذلك في الجيش ج 1 : 52 و الأنوار : 52 .
(285) في الجيش ج 1 : 52 : نرجو.
(286) في الأنوار : 52 : المالك.
(287) في النزهة : 295 : دعاها بأدني. وفي الأنوار : 52 وعاها بأدنى.
(288) في النزهة : 295 : قدما . وكذلك في الجيش ج 1 : 52 .
(289) في النزهة : 295 : الصاقيات.
(290) في الجيش ج 1 : 52 : الجذرا.
(291) في الروضة : 21 : النصر.
(292) د : حبرا . والتصحيح من ز ، ح ، ك .
(293) في الأنوار : 52 : لاعجبا.
(294) ز : اللالي. وفي النزهة : 295 الأولي. وكذلك في الروضة : 21 . وفي طرة د ، ورد التعريف بالالي كالتالي : اسم اليهودي الذي مثله علي - رضي الله عنه - يوم خيبر.
(295) في النزهة : 295 : إن عاد من جبها هترا. وفي الأنوار : 52 : إن عاد مرحبها شهرا. وكذلك في الروضة : 21 .
(296) في النزهة : 295 : عثراته.
(297) في الجيش ج 1 : 52 : خالف.
(298) في النزهة : 295 : مات بها، وفي الروضة : 22 : مات لها . وكذلك في الجيش ج 1 : 52 : وفي الأنوار : 53 مالها.
(299) في الأنوار : 53 : قطرا.
(300) في النزهة : 295 : جنة.
(301) د، ح ، ز : منازلها. والتصحيح من ك، والنزهة : 295 والروضة 22 ،الأنوار : 53 ، والاستقصا ج 7 : 10 .
(302) في جميع النسخ : ما . والتصحيح من ك ، والنزهة : 295 والروضة 22 والانوار : 53 ، و في الجيش ج 1 : 52 : .
(303) في الجيش ج 1 : 52 : قانصا.
(304) في النزهة : 295 : وأندلس، وكذلك في الأنوار : 53 .
(305) في الجيش ج 1 : 52 تنتصر.
(*) - 133.

وَغَرْنَاطَةُ الغَرَّاءُ نَادَتْكُمَا أَقْبِلاَ   وَبِالرَّايَةِ البَيْضَاءِ كَيْ (تَنْصُرَ)[305] الحمْرَا

(فَسَاكِنُهَا)[306] وَقَفَ عَلَيْكُمْ (رَجَاؤُهُ)[307]   كَبِيرُهُمْ وَالطِّفْلُ وَالكَاعِبُ العَذْرَا

(فَجِئْنَا)[308] بِمَنْ فِي أَرْضِكُمْ حَامِياً لَهُمْ   رِجَالاً وَفُرْسَاناً غَطَارِفَةً غُرًّا

حُمَاةَ أُبَاةَ الضَّيْمِ مِنْ كُلِّ مَاجِدٍ   كَرِيمٍ يُبَارِي الغَيْثَ وَالسَّيْلَ وَالبَحْرَا

(فَدُونَكُمَا)[309] الكُفَّارَ (تُفْنِي طُغَاتَهَا)[310]   وَتُشْبِعُ مِنْ قَتْلاَهُمْ الوَحْشَ وَالطَّيْرَا

لَقَدْ طَمَعَ الكُفَّارُ مُلْكَ رِقَابِنَا   (وَإِهْلاَكَهُمْ)[311] فِي أَرْضِنَا الحرثَ وَالثَّمْرَا

مَنَازِلُنَا مِنْ كُلِّ حِصْنٍ وَقَرْيَةٍ   تُنَادِيكُمَا غَوْثاً لِخَطْبٍ أَتَى (أَمْرَا)[312]

فَكَمْ مِنْ ضَعِيفٍ لاَ حِرَاكَ (بِجِسْمِهِ)[313]   وَشَيْخٍ بِهَا أَرْبَى عَلَى مِائَةٍ عَشْرَا

وَبِيضٍ وَسُمْرٍ مِنْ أَوَانِسَ كَالدُّمَى   وَصَبِيَّةٍ مَهْدٍ لاَ (تَعِ)[314] النَّفْعَ وَالضرَّا

وَمِنْبَرِ جُمَعٍ لِلْخَطَابَةِ وَالدُّعَا   وَمَسْجِدِ دِينٍ لِلصَّلاَةِ وَلِلإِقْرَا

وَكُرْسِي عِلْمٍ مَقْعَدٍ لِمُهَذَّبٍ   تَصَدَّرَ يُمْلِي مَا يُضِيءُ لَنَا الصَّدْرَا

وَأَجْدَاثِ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ فَوْقَهَا   وَكُلُّ وَلِيٍّ أَشْعَثَ لاَبِسٍ طِمْرَا

تُنَادِيكُمَا غَوْثاً مِنَ اللَّهِ سُرْعَةً   فَقَدْ كَادَ أَنْ يَسْتَأْصِلَ الكُفْرُ ذَا البِرَّا

(فَحُثُّوا)[315] لَنَا (بِالسَّيْرِ بُعْداً وَ) قُرْبَةً[316]   (أَجِيرَانَنَا مِنْ كَيْدِ مَنْ أَضْمَرَ)[317] الجَوْرَا

وَعَزْماً بِأُخْرَى مِثْلَ تِلْكَ الَّتِي مَضَتْ   لِيَبْصِرَ هَذَا الفَنْشُ (مِثْلَكُمْ كَبْرَا)[318]

وَأَنْتُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ تَدْرُونَ مَا أَتَى   عَنِ المُصْطَفَى فِي الغَزْوِ مِنْ خَبَرٍ خَبْرَا

فَلِلَّهِ مَا (أَنْسَى)[319] وَدِدْتُ لَوْ أَنَّنِي   قُتِلْتُ فَأُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ (مُذْمَرَا)[320]

وَمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنْ آيَةٍ أَتَتْ   كَشَمْسِ (الضُّحَى)[321] فِي الصَّحْوِ سَافِرَةً غَرًّا

خُذَاهَا بِحَمْدِ اللَّهِ عَذْرَاءُ (جَبِينُهَا)[322]   (يَضُوعُ)[323] شَذَى تَهْدِي (لِمَغْنَاكُمَا)[324] عِطْرَا

وَ (تَبْلِيغٌ)[325] عَنِّي لِلْكِرَامِ تَحِيَّةً   (مِنْ أَنْدَلُسٍ)[326] لِلْغَرْبِ قَدْ عَبَرُوا (البَحْرَا)[327]

---

(306) في النزهة : 295 : سكانها. وكذلك في الروضة : 22 والأنوار : 53 .
(307) في النزهة : 295 : رجاؤهم. وكذلك في الروضة : 22 والأنوار : 53 .
(308) في الروضة : 22 فجينا. وكذلك في الأنوار : 53 .
(309) في النزهة : 295 : فدنكم. وكذلك في الروضة : 22 .
(310) في النزهة : 295 : تغني طغاتهم. وكذلك في الروضة : 22 والأنوار : 53 . وفي الجيش ج 1 : 52 تهني طغاتهم.
(311) في النزهة : 295 : بإهلاكهم . وكذلك في الروضة : 22 و الانوار : 54 .
(312) في النزهة : 295 : مرا. وكذلك في الروضة : 22 والأنوار : 54 والجيش ج 1 : 52 .
(313) في النزهة : 296 : لجسمه.
(314) د، ح : لا تعي. والتصحيح من ز، ح ، والاستقصا ج 7 : 10 . وفي النزهة 296 : لا تقي. وكذلك في الجيش ج 1 : 52 .
(315) في النزهة : 296 : فحث . وفي الروضة : 23 : فحثا . وكذلك في الأنوار : 54 والجيش ج 1 : 53 .
(316) في النزهة : 296 : المسير أم لنا.
(317) في النزهة : 296 : أجيرا لنا من كيد من أضمر. وفي الروضة : 23 : أجيرنا من كفار قد أظهروا . وفي الأنوار : 54 : أجيرانا من كفار قد أظهروا.
(318) في النزهة : 296 : جلتكم كبرا. وفي الروضة : 23 : ملتكم كبرا. وفي الأنوار : 54 : فعلتكم كبرى. وفي الجيش ج 1 : 53 مثلكم كفرا.
(319) في الأنوار : 55 : أنسى
(320) في الروضة : 23 : قد مرا . وكذلك في الأنوار : 55 والجيش ج 1 : 53 .
(321) في النزهة : 296 : ضحى . وكذلك في الأنوار : 55 والجيش ج 1 : 53 .
(322) في النزهة : 296 : جبتها . وفي الروضة : 23 : جبهها . وكذلك في الأنوار : 55 والجيش ج 1 : 53 .
(323) في النزهة : 296 : تضوع.
(324) د، ح ، ك : لمغناكم . والتصحيح من ز . وفي الجيش ج 1 : 53 : لحضرتكم.
(325) في الأنوار : 55 : تبليغ.
(326) في النزهة 296 : بأندلس. وكذلك في الروضة : 23 والأنوار : 55 والجيش ج 1 : 53 .
(327) في الروضة : 23 بحرا. وكذلك في الأنوار : 55 والجيش ، ج 1 : 53 .

(فَعَوْناً)[328] رِجَالَ اللَّهِ(عَوْناً)[329] لِعَدْوَةٍ أَحَاطَتْ بِهَا البَأْسَاءُ وَ(اشْتَدَّتْ)[330] الضَّرَا

*فَأَنْتُمْ لَنَا الجُنْدُ القَوِيُّ وَنَحْوَكُمْ (تَشَوَّفْنَا)[331] فَاسْتَعْجِلُوا نَحْوَنَا السَّيْرَا

وَنُثْنِي عَلَى خَيْرِ البَرِيَّةِ ذِي الهُدَى مُحَمَّدٍ المَبْعُوثِ بِالمِلَّةِ اليُسْرَا

وَآلٍ وَصَحْبٍ ثُمَّ تَالٍ (لِنَهْجِهِمُ)[332] وَمَنْ لِذَوِي الإِسْلَامِ قَدْ (قَصَدَ)[333] النَّصْرَا)[334]

وبهذه الرسائل العذبة الألفاظ، (المستوقفة)[335] الألحاظ[336]، يعلم أن المولى عليا الشريف رحمه الله كان مشهورا في عصره متقدما على كافة أهل مصره، وأنه كان ملحوظا بعين الإجلال عندهم والإكبار، وأن هذه الدار العالية البناء والأسوار معظمة من لدن قديم، مشهود لها بالخير والتقديم، ولم يزل رحمه الله(دؤوبا)[337] على فعل الخير، (حريصا)[338] على أسباب (الطاعات)[339] وقسم عمره بين حج وجهاد. انتهى كلام الإفراني[340] وفيه كفاية بالتبرك بنسب هذه الدولة السنية الشامخة المقدار.

[أولاد المولى علي الشريف]

وقد ذكر صاحب كتاب الأنوار السنية[341] أن المولى عليا الشريف هذا مكث أربع عشر سنة لايولد له، ثم ولد له بعد ذلك ولدان، أحدهما : المولى محمد فتحا، والثاني :(أبو المحاسن)[342] يوسف، وهو أصغرهما[343]. انتهى.

---

(328) في النزهة : 296 فعونا. وكذلك في الروضة : 23 والأنوار : 55، والجيش ج 1 : 53.

(329) في النزهة : 296 : عزما. وكذلك في الأنوار : 55.

(330) في النزهة : 296 : أمرها.

(331) في الأنوار : 55 : تشوقنا.

(332) في النزهة : 296 : لنهجه. وكذلك في الأنوار : 55 والجيش ج 1 : 53.

(333) في الجيش، ج 1 : 53 : نصر.

(334) هذه القصيدة وردت في : النزهة : 294 - 296، الروضة : 21 - 23، الأنوار : 51 - 55، الجيش، ج 1 : 51 - 53 والاستقصا ج 7 : 9-11. ومن خلال المقابلة لاحظنا تطابق نص المؤلف مع نص الاستقصا بخلاف نصوص المصادر الأخرى (السابقة الذكر) التي تباينت اختلافات ألفاظها. والجدير بالذكر أن المؤلف كان ينقل نصه من الإفراني كما أشار وسيشير إلى ذلك.

(335) د، ك : المستوفية، والتصحيح من ز، ح، والروضة : 23 والاستقصا 7 : 11.

(336) إلى هنا ينتهي بعض التطابق في الالفاظ مع الجيش، ج 1 : 53.

(337) د، ك : دؤوب، والتصحيح من ز، ح

(338) د، ك : حريص، والتصحيح من ز، ح.

(339) ز : الطاعة.

(340) انظر : النزهة : 296، والروضة : 23.

(341) يقصد كتاب : الأنوار الحسنية لأحمد بن عبد العزيز العلوي، ورد اسمه في المصادر (النزهة، الروضة والاستقصا) باسم : الأنوار السنية. والكتاب منشور تحت اسم : الأنوار الحسنية، ورجحنا الإسم الأخير عند تعريفنا به وبمؤلفه في صفحة 304 من هذا المقصد(المقصد الرابع)، الهامش رقم : 197.

(342) كذا في جميع النسخ، والاستقصا ج 7 : 11. وفي الأنوار : 56 : أبو الجمال، وكذلك في النزهة : 297، والروضة : 24.

(343) انظر : الأنوار: 55 - 56. والنقل تم بتصرف.

(*) * 33 ب.

وقيل : أنه لم يكن له ولد حتى بلغ ثمانين سنة فولد له تسعة أولاد ، خمسة أشقاء ، وأمهم حليمة من ذرية بعض المرابطين بسجلماسة وهم : السيد علي وهو جد الملوك أبقى الله فضلهم والسيد أحمد، والسيد عبدالواحد، والسيد الطيب، والسيد(عبدالواحد)[344] المكنى بأبي الغيث جد الأشراف البلغيثيين .

وأربعة أشقاء أمهم طاهرة من ذرية بعض المرابطين أيضا، وهم : السيد الحسن بالتكبير والسيد الحسين بالتصغير، والسيد عبدالرحمان، والسيد محمد.

وتفصيل أنساب هؤلاء الأولاد يطول.[345] وفيما ذكرناه كفاية والله الموفق.

وهذه الدولة العلوية هي من دول الإسلام بالمغرب الأقصى إذ الأولى دولة الأدارسة.

---

(344) في النزهة : 297 : عبدالله.

(345) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا، ج 7 : 12 كما نشير إلى وجود النص الأخير الذي ينتهي بكلمة "يطول" في النزهة :297 ، الروضة : 24 - 25 باختلاف في اللفظ.

[المقصد الخامس : الدول المتعاقبة على المغرب قبل الدولة العلوية]

1 - دولة الأدارسة

[أخبار المولى إدريس بن عبد الله]

وكان قدوم التاج مولانا إدريس بن عبد الله الكامل الذي هو أساسها للمغرب عام سبعين بالموحدة ومائة [1]. وذلك أن وقعة فخ الذي أنجاه الله منها كانت يوم السبت ثامن ذي الحجة من عام تسعة وستين [2]، وبها مات سيدي محمد النفس الزكية، كما في داعي الطرب [3].

وفخ موضع على ستة أميال من مكة شرفها الله. فجاء مولانا إدريس متنكرا حتى بلغ مصر، ولحق بالمغرب الأقصى ومعه مولاه راشد فنزل بوليلي. وهي كما في الروض الهتون في أخبار *مكناسة الزيتون [4] لابن غازي: مدينة بجبل زرهون، ويقال أن أصل أهل زرهون روم، ويذكر أن وليلي ملك الروم، وكانت له هناك هذه المدينة، وهي كانت حاضرة (ملك) [5] البلاد [6]. كذا ذكر بعض المؤرخين.

ولما استولى الفتح على المغرب شمل مدينة وليلي وغيرها، وكان نزوله على إسحاق أمير أوربة، فجمع البربر على القيام بدعوته وخلع بني العباس، فبويع إدريس سنة إثنين وسبعين ومائة [7] فلما تمت له البيعة زحف إلى البرابر الذين كانوا (كفارا) [8] بالمغرب، فأسلموا على يده طوعا وكرها، فافتتح تامسنا[9]، وتادلة[10]، وشالة [11] ثم زحف إلى تلمسان وفيها أميرها

---

(1) عام 170 هـ يوافق 786 م.

(2) يوم السبت 8 ذي الحجة عام 169 هـ / 10 يونيو 786 م.

(3) اسمه : داعي الطرب باختصار أنساب العرب. تأليف: محمد المهدي بن أحمد بن علي الفهري (ت: 1109/1698). توجد من الكتاب نسخة مخطوطة بالخزانة الحسنية تحت رقم 221 . أنظر : إيضاح المكنون، ج 3: 442 المصادر العربية ج: 1: 179 .

(4) هذا الكتاب أرخ فيه ابن غازي لمدينة مكناس، حيث وصف معالمها الحضرية، وذكر بعض أعلامها وأسرها، مع إيجاز أهم الأحداث التي مرت منها المدينة إلى عصره.

(5) ك: تلك.

(6) انظر: الروض الهتون: 7-8 بتصرف.

(7) سنة 172 هـ / سنة 788 م.

(8) د، ح، ز: كهارا. والتصحيح من ك.

(9) تامسنا: هي المنطقة الواقعة بين نهري أم الربيع جنوبا وأبي رقراق شمالا. كانت مركزاً للإمارة البورغواطية في العصر الوسيط. وحاليا يطلق عليها إقليم الدار البيضاء.

(10) تادلة: هي المنطقة الواقعة بين واد العبيد ونهر أم الربيع تتخللها جبال يفوق علوها 400 متر، يسكنها عدة قبائل أهمها: زيان وزعير شمالا. وزيان إشقيرن شرقا، وآيت سري، آيت عطا، آمالو غربا، والسراغنة، الشاوية جنوبا. أنظر:

- CH. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc, PP. 49-50

-J. ERckmann, le Maroc Moderne, P: 64

- Budgett Meaking, the land of the Moors, PP. 348-349

(11) شالة: إسم مدينة مغربية قديمة واقعة على نهر أبي رقراق الذي يفصل مدينة الرباط على مدينة سلا. كانت في الأصل قرية بربرية وأنشأ بها القرطاجنيون متجرا أطلق عليه إسم سلفيس. ولما أسس الموحدون مدينة الرباط انتقل إليه أهل شالة وأصبحت هذه الأخيرة خالية إلى أن أتى المرينيون فبنوا بها المدارس والمساجد واتخذوها مكانا لدفن سلاطينهم.

(*) • 34 أ.

محمد بن خرز المغراوي، فخرج إليه مبايعا مطيعا، فأمنه وأبقاه أميرا بها ورجع إلى مدينة وليلي، فبلغ خبره الرشيد فأهمه شأنه فبعث إليه سليمان الشماخ مولاه،فلحق بـإدريس وأظهر التورع إليه والتبري من بني العباس وجعل (ينتحل)[12] الطب وينتظر (الفرصة)[13] بمغيب راشد مولى إدريس عنه، حتى وجدها. قال صاحب درر الغرر[14]، فأعطاه قارورة فيها سم. وقال: استعمله في السحر لوجع كان بأسنانه. وخرج الشماخ من حينه. وقال صاحب بغية (الرواد)[15]، أعطاه قارورة يمنية فيها سم يقتل بمجرد (الشم)[16]، فكان في شمها حتفه [17]. وقال السهيلي: سمه في دلاحة.

وفاة مولانا إدريس بن عبد الله الكامل

وكانت وفاته - رحمه الله ورضي عنه- سنة سبع وسبعين ومائة [18] وزعم بعضهم أن راشدا لما بلغه خبر الشماخ ركب في أثره مع جماعة، فكلوا إلاّ راشد، فأدركه بوادي ملوية، فضربه راشد فقطع يده، وكبا الفرس براشد فقطع الشماخ ملوية [ومنع] [19].

وترك ولده إدريس من سبعة أشهر في بطن أمه، وقام بأمر الجيش بعده مولاه راشد أحد عشر عاما. وتوفي عام ستة وثمانين ومائة [20]. قتله بعض البربر بدسيسة من إبراهيم بن الأغلب [21] عامل إفريقية لبني العباس.

[بيعة المولى إدريس الثاني واختطاطه مدينة فاس]

وبويع لمولانا إدريس الثاني عام ثمانية وثمانين ومائة [22]، وهو ابن إحدى عشرة سنة. وتمت بيعة القبائل له.

واختط مدينة فاس عام إثنين وتسعين ومائة [23]، بعد شراء أرضها من عين عمير، وهو رأس الماء إلى وادي سبو من قبائل زناتة وزواغة وبني يازغة. وكانوا على دين اليهودية والنصرانية وقدر الثمن ستة آلاف دينار.

---

(12) د، ح: يتنحل. ك: يتنحل في. والتصحيح من ز.
(13) د.ك: الفرسة.
(14) لم أقف عليه.
(15) د: الوارد . ك: الو راد. والتصحيح من ز.ح.
(16) د: السم. والتصحيح من ز، ح، ك.
(17) انظر: بغية الرواد ليحي بن خلدون، ج 79:2 ، والنقل تم بتصرف.
(18) سنة 177 هـ / 793 م.
(19) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(20) عام 186 هـ / 801 م.
(21) هو: إبراهيم بن الأغلب بن سالم التميمي (140-196 / 757-812 م) ثاني الولاة بإفريقية لبني العباس. وكانت توليته عليها بأمر من الرشيد العباسي سنة 184 هـ /800 م ومن أعماله بها، بناء مدينة "العباسية" بالقرب من القيروان. وكان في صراع مع دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى. بلغت مدة إمارته 12 سنة و 4 أشهر.
انظر: ابن عذاري، البيان المغرب، ج 1:92-95 ابن الأثير، الكامل، ج 6: 269-270 السراج، الحلل السندسية، ج 1 (القسم 4) ص: 879: الإستقصاء، ج 1: 60 .
(22) عام 188 هـ / 803 .
(23) عام 192 هـ / 807 .

[استفتاح المغرب الأقصى والأوسط]

واستأنف استفتاح البلاد، فخرج إلى بلاد المصامدة فدوخها ثم إلى تلمسان. وامتدت جيوشه * إلى وادي شلف، فملك المغرب الأقصى والأوسط، وقطع منه دعوة العباسيين، فضايق بني الأغلب بإفريقية، إلى غير ذلك من أخباره.

[مناقب المولى إدريس الثاني ووفاته]

وكان -رحمه الله- فصيحاً، بليغاً، سمحاً، جواداً، بطلاً، شجاعاً، أجمل الناس، وأحسنهم خلقاً.

توفي -رحمه الله- ونفعنا ببركته- عام ثلاثة عشر ومائتين[24] وهو ابن ثمان وثلاثين سنة.

[تولية محمد بن ادريس الثاني ووفاته]

وتولى بعده ولده سيدي محمد [25]، وهو أكبر أولاده الإثنى عشر المجموعة في قول القائل: [الرجز].

أَبْنَاءُ إِدْرِيسَ ابن إِدْرِيسَ الوَلِيِّ ... مُحَمَّدٌ أَحْمَدُ قَاسِمٌ عَلِي
حَمْزَةُ داودُ وَيَحْيَى عُمَرُ ... ادْرِيسُ عَبْدُ اللَّهِ عِيسَى جَعْفَرُ

وقسم على إخوته البلدان بالمغرب الأقصى، خلائف على يده، ولم يخالف أمره أحد منهم.

وتوفي - رحمه الله- سنة إحدى وعشرين ومائتين [26].

ودفن مع أبيه وأخيه عمر، وترك أربعة من الذكور: علي، ويحيى وأحمد، وإبراهيم.

---

(24) عام 213 هـ / 828 م.

(25) هو: محمد بن إدريس بن إدريس بن عبد الله المتوفى سنة221 هـ/836 م تولى إمارة المغرب بأمر من أبيه فأقام بالعاصمة (فاس). وتشير المصادر إلى نفوذ كلمة كنزة (جدة محمد) التي ألمحت إليه بتقسيم الدولة بين إخوته ويكون هو المدبر. إلا أن هذا التقسيم أفضى إلى نتائج سلبية.
انظر: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 51-53 ابن عذاري، البيان المغرب ج 1 : 211-212 ، ابن خلدون، العبر، ج 6: 216 الاستقصا ج 7: 172- 174 أبو ضيف أحمد، أثر القبائل العربية ص: 133- 723 حركات، المغرب عبر التاريخ، ج 1: 99 .

(26) سنة 221 هـ / 836 م.

(*) • 34 ب.

[تولية علي بن محمد ووفاته ومناقبه]

وتولى الخلافة بعده ابنه علي [27]، وهو الرابع. ومات سنة أربع وثلاثين ومائتين [28].

وفي أيامه قصد الناس سكنى فاس لكثرة عدله وأمانته، ومحبته للفقراء والمساكين، وبنى الحمامات، والحوانيت، والمساجد، والفنادق. وبنى جامع القرويين، وأول من ابتدأها: فاطمة بنت محمد الفهري القيرواني[29]، ونقل إليها الخطبة، وبنى جامع الأندلس قبلها، فهو العتيق[30].

وتولى بعده يحي الحفيد [31].

[أخبار الحسن بن محمد]

ولازالت الخلافة تنقل في الأدارسة إلى أن بلغت الحسن الملقب بالحجام لشجاعته بضربه العدو في موضع المحاجم. فقال فيه عمه سيدي أحمد: إن ابن أخي (لحجام) [32]. فلزمه ذلك اللقب. وفي ذلك يقول بعضهم: [الطويل].

وَسُمِّيتُ حَجَّاماً وَلَسْتُ (بِحَاجِمٍ) [33]   وَلَكِنْ (لِطَعْنٍ) [34] فِي مَكَانِ المَحَاجِمِ [35]

---

(27) هو: علي بن محمد بن إدريس بن إدريس. تولى الحكم ولم يتجاوز العاشرة من عمره (221 هـ 836م) ومع ذلك فإن البلاد، خلال مدة حكمه (221 - 234 هـ / 836 - 349) سادها الأمن، والإستقرار السياسي والإجتماعي بوجه عام. إلا أنه لم يخلف من المنجزات والأعمال ما يستحق الذكر على خلاف ما سينسبه إليه المؤلف المشرفي -بعد قليل- التباسا أو خطأ. انظر أخباره عند: ابن أبي زرع، الأنيس المطرب: 53 ابن خلدون، العبر، ج 4: 14- 15 الناصري، الاستقصا، ج 1: 174-175

(28) سنة 234 هـ / 849 م.

(29) هي فاطمة بنت محمد بن عبد الله الفهري، المعروفة بأم البنين. من أسرة عربية استقرت بالقيروان، ثم التجأت إلى فاس، في عهد يحيى بن محمد بن إدريس. عرفت بالورع والعلم. وإليها ينسب مشروع تأسيس جامع القرويين (245 هـ / 859 م). هذا المشروع الذي ظل ماثلا شاخصا إلى اليوم يعد من أبرز المنجزات العالمية في ميدان المعمار الحضاري. للمزيد من المعطيات انظر: الأنيس المطرب. ص: 54-56 الإستقصا، ج 1: 175- 178 المغرب عبر التاريخ، ج 1: 126-128 جامع القرويين لعبد الهادي التازي، ج 1: 46-47 .

(30) المؤلف -هنا- وقع في التباس أو خطأ. فهذه الأعمال والمنجزات التي نسبها إلى علي بن محمد، تنسب حسب المصادر إلى أخيه يحي بن محمد (234-249 / 849-863) وللتأكد من هذا أنظر المصادر والمراجع السابقة في نفس الأجزاء والصفحات. وتجدر الإشارة إلى أن جامع الأندلس، من بناء مريم أخت فاطمة بنت محمد الفهري في تاريخ 245 هـ / 859 م وليس قبل ذلك كما يشير إليه المؤلف.

(31) هو: يحي بن محمد بن إدريس. تولى الحكم بعد وفاة أخيه علي سنة 234 هـ / 849 م وتوفي سنة 249 هـ / 863 م. وتذكر المصادر أن المغرب شهد في هذا العهد ازدهارا اقتصاديا، واستقرارا سياسيا، واجتماعيا، وكانت مدينة فاس (العاصمة(المستفيد الأول، فقد أنشئ بها عدة مؤسسات علمية، ومرافق اقتصادية واجتماعية (جامع القرويين، جامع الأندلس، فنادق حوانيت حمامات رغيرها). وعرفت كثافة سكانية ناتجة عن هجرة أسر بكاملها من الأندلس وإفريقية، وغيرها من البلدان.

(32) ز.ح : الحجام.

(33) د، ك: بحجام. والتصحيح من ز.ح، والبيان المغرب ج 1: 213 .

(34) في البيان المغرب، ج 1: 13: لضربي.

(35) هذا البيت دون نسبة. ويوجد في البيان المغرب، ج 1: 213 . والاستقصا، ج 1:184 .

وهو الحسن بن محمد بن القاسم بن إدريس. وكان قيامه على ريحان عامل العبيديين بفاس سنة عشر وثلاثمائة [36]، واجتمع الناس على بيعته، ودخل في طاعته أكثر قبائل البربر، إلى أن قام عليه موسى بن [أبي] [37] العافية وقاتله حتى قتل من عسكر موسى نحو ألفين وثلاثمائة، من جملتهم ابنه منهال بن موسى، ومن عسكر الحجام نحو السبعمائة، ثم كانت العاقبة لموسى على الحجام، فغدر به عامله على فاس حامد بن حمدان الهمداني، دخل عليه ليلا في داره * وقيده وأخذه إليه، وطير الخبر إلى ابن [أبي] العافية، ثم ندم على فعله وأرسله فتدلى من السور فسقط وانكسرت ساقه، فتحامل حتى انتهى إلى عدوة الأندلس إلى أن مات بها مختفيا لمضي ثلاث من سقطته، وذلك سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة [38].

[انقراض دولة الأدارسة]

وانقرضت دولة الأدارسة من فاس وأعمالها، وصفت [39] لابن العافية وأحوازها. وبعد انقراض دولة ابن [أبي] العافية رجع الأدارسة أيضا وآخرهم الحسن بن كنون [40]. قال ابن [أبي] [41] زرع [42]: كانت مدة ملك الأدارسة بالمغرب من يوم بويع إدريس ابن عبد الله وذلك (يوم الخميس السابع من ربيع الأول) [43] سنة إثنين وسبعين ومائة إلى أن قتل الحسن بن كنون وذلك في جمادى الأولى سنة خمس وسبعين وثلاثمائة [44]، مائتي سنة وثلاث سنين سوى شهرين [45] تقريبا، والبقاء لله.

وبلغ من إهانتهم مما أصابهم من ابن [أبي] العافية أن تركوا نسبتهم لأهل البيت النبوي، وتفرقوا في سائر البلدان. وهذه عادة الدهر.

---

(36) سنة 310 هـ / 922 م.

(37) إن المؤلف يكتب اسم موسى بن أبي العافية بإسقاط لفظة أبي. وقد استدركناها -هنا في المتن- كما سنستدركها في أماكن أخرى مع حصرها بين معقوفتين لكن دون الإحالة على ذلك.

(38) سنة 313 هـ / 925 م.

(39) زاد في ك: فاس.

(40) هو: الحسن ابن كنون بن محمد بن القاسم بن إدريس، آخر أمراء الأدارسة بالمغرب. بايع الفاطميين عند تغلبهم على معظم أنحاء المغرب. إلا أن الأمويين بالأندلس لم يرضيهم ذلك. فأرسل الحكم المستنصر حملة عسكرية إلى المغرب تنازل أثناءها الحسن بن كنون عن البصرة وقلعة حجر النسر وهما آخر معاقله ومات مقتولا (سنة375 هـ/985م) بمكيدة من المنصور بن أبي عامر. للمزيد من التفاصيل أنظر: الأنيس المطرب: 89-95 البيان المغرب ج1:213-214 العبر، ج 6: 218 - 219 الاستقصا، ج 1: 197، 202، 203— 205 .

(41) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز، ح.

(42) هو: علي بن عبد الله (أو ابن محمد) بن أحمد بن عمر بن أبي زرع الفاسي المتوفى في حدود سنة 741 هـ / 1340 م. مؤرخ من مدينة فاس. اشتهر بكتابه - المطبوع - الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس. أنظر: الدليل، ج 1: 126، 821 مقدمة الأنيس المطرب،الأعلام للزركلي، ج: 4:305-306 الموسوعة المغربية، ج 1: 82، معجم المؤلفين، ج 7: 181 تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج 6: 406-408 ذكريات مشاهير رجال المغرب لكنون ج 2 ، ترجمة رقم29، المصادر العربية، ج 1: 69-70 .

(43) في الأنيس المطرب ص: 95: يوم الجمعة الرابع من شهر رمضان المعظم. وهو الأصح أما ما ورد في المتن فلعله تصحيف. ويوم الجمعة 4 رمضان سنة 172 هـ توافق 4 فبراير 789 م.

(44) جمادى الأولى سنة 375 هـ / شتنبر 985 م.
وزاد في ز،ح : فكانت مدتها.

(45) إلى هنا ينتهي كلام ابن أبي زرع، الأنيس المطرب ص: 94-95 .

(*) 35 • أ.

يحكى أنه لما نزل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- الحيرة، قيل له: ها هنا عجوز من بنات الملوك يقال لها الحرقة بنت النعمان بن المنذر[46]، وكانت من أجل قبائل العرب، وكانت إذا خرجت إلى بيعتها نشرت عليها ألف قطيفة حرير وديباج، ومعها ألف وصيف ووصيفة، فأرسل إليها [سعد][47] فجاءت كالشن البالي فقالت: يا سعد، كنا ملوك هذا المصر قبلك يحمل إلينا خراجه ويطيعنا أهله مدة من المدد حتى صاح بنا صائح الدهر فشتت شملنا، والدهر ذو نوائب وصروف، فلو رأيتنا في أيامنا لأرعدت فرائصك فزعا منا. فقال لها سعد: ما أنعم ما تنعمتم به؟ قالت: سعة الدنيا علينا، وكثرة الأصوات إذا دعونا. ثم أنشأت تقول: [الطويل]

(وَبَيْنَا)[48] نَسُوسُ النَّاسَ وَالأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحنُ (فيهم)[49] سُوقَةٌ (لَيْسَ نُنْصَفُ)[50]
(فَتَبًّا)[51] لِدُنْيَا لاَ يَدُومُ نَعِيمُهَا تُقَلَّبُ (تَارَةً بِنَا)[52] وتَصرَّفُ[53].

ثم قالت: يا سعد إنه لم يكن أهل بيت خير إلا والدهر يعقبهم غيره حتى يأتي أمر الله على الفريقين. فأكرمها سعد وأمر بردها، فلما أرادت القيام، قالت: يا سعد لا أزال الله عليك نعمة ولا جعل لك إلى لئيم حاجة[54]. انتهى.

ثم دولة موسى بن أبي العافية المذكور.

2-[دولة آل ابن أبي العافية]

[تاريخ قيام موسى بن أبي العافية وذكر ملوك من ذريته]

وكان قيامه سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة[55]، وموته في إحدى وأربعين وثلاثمائة [56][*] ومن نسله ملوك قاموا بالأمر بعده منهم: القاسم، ثم ابنه ابراهيم، ثم ابنه توار، ثم ابنه علي، ثم ابن عمه محمد بن عبد الله ثم أولاد عبد الله والمعين، ثم القاسم بن موسى، ثم ابنه القاسم ابن محمد، وهو الذي تحارب مع تاشفين[57]. فكانت مدتهم سبعين سنة قاله ابن جزي[58].

---

(46) هي: حرقة بنت النعمان بن المنذر بن امرئ القيس، من بني لخم بالحيرة. كانت شاعرة بارزة. انظر: مروج الذهب، ج 2: 228-229 الأعلام للزركلي، ج 2: 173 فهارس عامة، ج 6 :268 .
(47) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(48) في مروج الذهب، ج 2: 228 : فبينا.
(49) في مروج الذهب، ج 2: 228 : منهم.
(50) في مروج الذهب، ج 2: 228 : نتنصف.
(51) في مروج الذهب، ج 2: 228 : فأف.
(52) ز،ح: فينا تارة. وفي مروج الذهب ج 228:2: تارات بنا
(53) البيتان يوجدان في مروج الذهب، ج2: 228 .
(54) هذه الحكاية (النص) توجد في مروج الذهب، ج 2 :228-229 باختلاف في اللفظ.
(55) سنة 313 هـ / 925 م.
(56) سنة 341 هـ / 952 م.
(57) مفرة. إن المصادر تشير إلى أن القاسم بن محمد، تحارب مع يوسف بن تاشفين وليس مع تاشفين كما في المتن. انظر: الأنيس المطرب: 167 ، العبر، ج 6: 136-137 الاستقصا، ج 1: 190-191 .
(58) لعله يقصد: محمد بن محمد بن أحمد، ابن جزي الكلبي، أبو عبد الله (721-757 هـ / 1321-1356 م): مؤرخ ، أديب وشاعر من غرناطة. وتوفي بفاس. أنظر: ع الزركلي، الأعلام، ج 7 : 37 كحالة، معجم المؤلفين ج 11: 188 .
(*) • 35 ب.

وقد ذكر ابن القاضي[59] أسماء ملوك أولاد ابن [أبي] العافية ومدتهم أيضا كما ذكرناه.

وبعد انقراض دولة أبناء [أبي] العافية سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، رجع إليها الأدارسة[60].

[أرجوزة الفاسي في ذكر أمراء الأدارسة]

وإلى ما ذكرناه من ترتيبهم، وتاريخ ملكهم ووفاتهم[61] يشير الفاسي في أرجوزته[62]: [الرجز].

قَدْ جَاءَ رَاشِدٌ بِإِدْرِيسَ الإِمَامْ   وَفِي وَلِيلِي عَامَ قَغْبرٍ قَدْ أَقَامْ
وَامْتَدَّ مُلْكُهُ إِلَى أَنْ وَصَلاَ   إِلَى الرَّشِيدِ فَلِذَاكَ أَرْسَلاَ
مَنْ سَمَّهُ فَمَاتَ عَامَ زَعَقٍ   وَقَامَ رَاشِدٌ بِأَمْرِ الخَلْقِ
وَكَانَ قَدْ تَرَكَ حَمْلاً (وُضِعَا)[63]   وَلَدَهُ إِدْرِيسَ مِنْهُ بُويِعَا
وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ مِنَ السِّنِينْ   واخْتَطَّ (عَامَ قَضَبَ فَاسَ الحَصِينْ) [64]
وَمَاتَ فِي (رِيجٍ)[65] وَبَعْدُ وَلِيَا   مُحَمَّدٌ وَلَدُهُ تُوفِيَا
سَنَةَ رَكَا ثُمَّ بَعْدَهُ عَلِيّ   ومات فِي رلد وبَعْدَهُ وَلِيَ
يَحيَ الحفيد بعده أَبُو الحَسَنْ   وَقَامَ مُوسَى عَامَ سيج فَامْتُهِنْ
وَمَاتَ فِي أم وَإِبْرَاهِيمْ   مِنْ بَعْدِهِ ولسي يَدُومُ
مُحَمَّدٌ أَحْسَنُهُمْ مِنْ بَعْدِهِ   وَعَامَ جص اخْتَفَى فِي لَحْدِهِ [66]
وَهُوَ ابْنُهُ (فَانْقَرَضَتْ)[67] ذِي الدَّوْلَه   فِي عَسهِ فَمَنْ (بِهَا)[68] لِلْمِلَّة [69]

---

(59) هو: أحمد بن محمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، أبو العباس ابن القاضي (960-1025 / 1553-1616): مؤرخ ورياضي تولى القضاء بسلا لمدة من الزمن. وتوفي بفاس. أنظر: روضة الأس للمقري: 239 -300 ، نشر المثاني، ج 1:213 ، صفوة من انتشر للإفراني (القسم الثاني): 77، 78 اليواقيت الثمينة: 24 ، شجرة النور: 297 ،فهرس الفهارس، ج: 1:77 ، إتحاف أعلام الناس، ج، 1:326-329 الدليل، ج 1:259، 268، 278، 44، 162، 245، و ج2: 296 ، 298 ، الأعلام للزركلي، ج 1: 236 ، الموسوعة المغربية، ج 2: 86-87 ، الزاوية الدلائية: 86-93 الحركة الفكرية بالمغرب، ج 2:368-448 ، معجم المؤلفين، ج 13:369 ، المصادر العربية، ج: 1: 141، 143، 145 ، 148 ، 149 .
G. Deverdun, Marrakech, T1, P: 433
G. Deverdum, Ency de l'islam, T3, PP: 837-838

(60) كذا في جميع النسخ. وهو التباس. ويمكن تصحيح هذه الجملة بالشكل التالي: وبعد انقراض دولة الأدارسة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، رجع إليها أبناء أبي العافية.

(61) في جميع النسخ ورد بعد ذلك ما يلي: وكذلك الأدارسة ونعتقد أنها زيادة غير مرغوب فيها، وتخل بسياق الكلام، فحذفناها حتى يستقيم المعنى.

(62) يقصد أرجوزة: زهر الشماريخ في علم التاريخ، لصاحبها: أبو زيد عبد الرحمان الفاسي (ت: 1096 هـ / 1685 م). بصدد الأرجوزة وصاحبها انظر صفحة 302 هامش رقم 185 من المقصد الرابع.

(63) في زهر الشماريخ مخ، خ، ع، ر. 487 د: 238: وضعها.

(64) د: فاسا عام قضب برلن. ك: فاسا عام قضب برالسي. ح: عام قضب فاس الحصير. والتصحيح من ن. وزهر الشماريخ 238

(65) في زهر الشماريخ: 238 : رلب. وهو خطأ. والصحيح ماهو مثبت في المتن.

(66) زاد في زهر الشماريخ: 238 . وفي الاقنوم في مبادئ العلوم 229 بيتين، وهما:

وعادت الدولة للأدارسة   من بعد أن صيروها دارسة
ابن محمد تولى القاسم   ثم أبو العيش الأخير منهم

(67) في زهر الشماريخ: 238: قد انقرضت.

(68) في زهر الشماريخ: 238: بهم. وكذلك في الأقنوم: 229 .

(69) أنظر: أبو زيد عبد الرحمان الفاسي، زهر الشماريخ، مخ، خ، ع، ر. 487 د: 237-238 ثم الأقنوم في مبادئ العلوم مخ، خ، ع، ن، 15 ك: 229 .

فقد استراح الناس من شرهم ومن أكبر قبائحهم (بغض)[70] أهل البيت النبوي وأضرار السفلة بهم. ولهذا قالت الحكماء: موت ألف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة. وفي الأمثال: إن زوال الدول باصطناع السفل.

وقال الشافعي، رضي الله عنه: أظلم الناس لنفسه اللئيم، إذا ارتفع جفا أقاربه وأنكر معارفه واستخف بالأشراف وتكبر على ذوي الفضل .

ثم دولة المرابطين.

3- دولة المرابطين

[سبب تسميتهم بالمرابطين]

ويسمون أيضا بالملثمين، واللمتونيين،أما (تسميتهم)[71] بالمرابطين، فلأن شيخ المذهب أبا عمران الفاسي لقوه بالقيروان وطلبوا منه أن يلتمس لهم من يوثق بدينه وفقهه فبعث* معهم عبد الله بن ياسين، فقام بتعليمهم إلى أن هلك أميرهم يحي[72] فحينئذ افترقوا واعرضوا عنه، فصحبه يحي بن عمر من أعيانهم وأخوه أبو بكر، وأتوا إلى ربوة يحيط بها النيل[73] وبنوا رابطة وتجردوا للعبادة بها فكان كل من في قلبه إيمان دخل معهم حتى (بلغوا)[74] ألفا، فسموا مرابطين لملازمتهم رابطة الشيخ عبد الله بن ياسين. ومن ثم صار هذا اللقب يستعمل لكل ناسك مشتغل بالعبادة لا يدخل في شؤون الإمارة، لا سيما في المغرب الأوسط.

ثم قتلوا من منع الزكاة اقتداءً بأبي بكر رضي الله عنه، حتى ينقاد لها. وقلدوا يحي الإمارة، وهو أول ملوكهم، ويدعى بأمير الحق. وقلدوا القضاء شيخهم عبد الله بن ياسين، ثم أتوا درعة فأخذوا زكاتها.

[سبب تسميتهم باللمتونيين والملثمين]

(وأما تسميتهم)[75] باللمتونيين فنسبة إلى لمتون الصنهاجي، (أخ)[76] تورك و(مسوف) [77].

(70) د: بعض. والتصحيح من ن ح، ك.
(71) ك: نسبتهم،
(72) يقصد: يحي بن إبراهيم الكدالي، المتوفى سنة 440 هـ / 1048 .
وهو أمير مرابطي، ذهب إلى المشرق حاجا وعند رجوعه اتصل في إفريقية بأبي عمران الفاسي، الذي أجابه لطلبه وأرسل معه أحد طلبته المخلصين، وهو عبد الله بن ياسين، انظر: الأنيس المطرب: 122-127 1 الحلل الموشية. 19-20
(73) لعل النيل -هنا- يقصد به مصب نهر السينغال، حيث توجد بعرضه جزر صغرى أقام فيه المرابطون إحدى رباطهم.
(74) ك: دخلوا.
(75) ك: أما نسبتهم .
(76) ك: أخو.
(77) د، ز، ح: مسون والتصحيح من ك.
(*) • 136أ

[و] [78] أما تسميتهم بالملثمين، فيقال أن رجالهم غزوا ويقي النساء، فغزى عليهم قوم فقاتلهم النساء متلثمين لئلا يعرفن فبقيت سنة فيهم. وقيل غير هذا.

[إبطال المكوس]

ثم بعد أخذهم زكاة درعة، كتب لهم الشيخ بما قال أهل سجلماسة من أمرائها بني واندين من مغراوة، فكانوا يأخذون المغرم حتى على من يقعد في الشمس في فصل الشتاء، وفي الظل في فصل الصيف. فخرجوا إليها سنة خمس وأربعين وأربعمائة [79] في ثلاثين ألف نجيب مسرج، ولقيهم ابن واندين فهُزِم وقتل، وقتلوا من بها من مغراوة، وأصلحوا حالها وأبطلوا منها المكوس والمغارم.

[تولية أبي بكر بن عمر ثم يوسف بن تاشفين]

ثم إن يحي مات سنة سبع وأربعين[80] ووَلِي أخوه أبو بكر بن عمر وهو الثاني، ففتح السوس إلى (أغمات)[81]، ثم رجع إلى الصحراء سنة ثلاث وخمسين[82] واستعمل مكانه ابن عمه يوسف بن تاشفين.

وكان مسكنهم بين البربر والسودان، فهم وأخواتهم بين البحر المحيط بالمغرب إلى فزان[83] بالمشرق.

وقوتهم اللحم واللبن، وكانوا على دين المجوسية، وقد فشا فيهم الإسلام بعد الأندلس.

وأول ملوكهم يتلوثان، كان يركب في مائة ألف نجيب، وذلك أيام عبد الرحمان الداخل. توفي سنة إثنين وعشرين ومائتين [84]. وواسطة عقدهم الرجل الصالح يوسف بن تاشفين.

بناء مراكش

وهو الذي اختط مدينة مراكش بموضع كان اسمه مراكش فسميت باسمه، ومعناه: امش مسرعا بلغة المصامدة. كان ذلك الموضع مأوى اللصوص، وكان المارون فيه

---

(78) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(79) سنة 445 هـ / 1053 م. وفي الأنيس المطرب 128 أن ذلك كان في 20 صفر سنة 447 هـ الموافق ليوم الأحد 21 ماي 1055 ميلادية.

(80) سنة 447 هـ / 1055 . وفي الأنيس المطرب: 128 أن وفاته كانت في شهر المحرم سنة 448 هـ / مارس - أبريل 1056 .

(81) د، ح: غمات. والتصحيح من ن، ك .

(82) سنة 453 هـ / 1061 م.

(83) فزان: ولاية واسعة بين الفيوم وطرابلس الغرب. انظر: البغدادي، مراصد الاطلاع، ج 3: 1035 .

(84) سنة 222 هـ / 836 م. وهذا النص الذي يبتدئ بكلمة: وكان مسكنهم، يوجد في القبر المعرب لأبي رأس المعسكري ، مخ، خ، ع، ر. 2273 ك: ورقة 10 ب. بنفس اللفظ. مما يشير إلى أن المؤلف نقله منه لكن دون إشعار بذلك.

يقولون لرفقائهم هذه الكلمة، فعرف الموضع بها، بنى [فيه] [85] أولاً قصبة * صغيرة لإحراز خزائنه، ومسجدا للصلاة وذلك سنة خمس وستين وأربعمائة [86].

وحارب المصامدة حتئ ذلهم. وقال ابن دحية [87] في النبراس [88]. بنى ابن تاشفين مدينة مراكش في سنة خمس وستين وأربعمائة، وكانت مزرعة لأهل نفيس، فاشتراها منهم بماله الذي خرج به من الصحراء.

[بناء تلمسان]

وهو أول من بنى تلمسان الجديدة[89] أيضا. وأما القديمة فقد ذكر ابن دينار القيرواني[90] في كتابه المؤنس في أخبار قرطاجنة وتونس[91] أن مدينة قرطاجنة بناها حواري من (حواريي)[92] عيسى عليه السلام. قال: وأهل تلمسان يزعمون أن مدينتهم أقدم من ذلك[93].

قلت: والشيء بالشيء يذكر، تلمسان بناها على ما وقفت عليه للشيخ أبي رأس[94] وغيره: بنو يفرن قبل الإسلام لبني وازمار، كما اختطوا طرابلس لبني (خزر)[95]، ومن ثم تصرفوا في أرض المغرب فملك (بنوا واسين)[96] مليانة[97] وبنو خزر وهران وبنو عطية فاسا، وبنو فلفل سجلماسة، وبنو منديل مازونة، وبنو الفرطاس البصرة[98]، وهي الآن خراب بأرض

---

(85) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(86) سنة 465 هـ / 1072 م. وتجدر الإشارة إلى المصادر العربية تختلف رواياتها في تحديد تاريخ بناء مدينة مراكش ونورد منها ما يلي: الإستبصار: 208-209 : 459هـ / 1067 م، المعجب: 149 463 هـ / 1070 م، الحلل الموشية: 16: 462 هـ / 1069 م، الأنيس المطرب: 454:138 هـ / 1062 م، العبر، ج 6: 184: 454 هـ / 1062 م، والروايتان الأخيرتان هما المرجحتان عند المؤرخين المحدثين.

(87) هو: عمر بن الحسن بن علي بن محمد، أبو الخطاب ابن دحية (544 - 633 هـ / 1150 -1236 م): محدث، أديب ومؤرخ، من الأندلس رحل إلى المغرب والشام والعراق وخراسان وأقام بمصر. انظر: البداية، ج 13: 144-145 ، لسان الميزان، ج 4: 292-298 شذرات الذهب، ج 5: 160-161 نفح الطيب، ج 2: 99-104 تاريخ آداب اللغة العربية ج 3: 57 ، الدليل، ج 1: 270-271 ، الأعلام للزركلي ج5: 44 معجم المؤلفين، ج 7: 280-281 المصادر العربية، ج 1:51 .

(88) لعل اسمه الكامل حسب الزركلي هو: النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس، والكتاب مطبوع إلا أنني لم أعثر عليه.

(89) لعل المؤلف يقصد: مدينة تاكرارت. وقد ذكر ابن خلدون في العبر، ج 186:6 أن يوسف بن تاشفين اختطها بتلمسان. وفي الأنيس المطرب: 263 الهامش رقم 154 تعريف بتاكرارت هذا نصه: تاكرارت: إسم الأحياء العليا من تلمسان، أما الأحياء السفلى فاسمها أكدير. والأولى من بناء المرابطين، وتاكرارت معناها الرباط بلغة صنهاجة.

(90) هو: محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، أبو عبد الله المعروف بابن دينار أو ابن أبي دينار (المتوفى حوالي 1110 هـ / 1698 م): مؤرخ من أهل القيروان .أنظر: شجرة النور: 307 أدب اللغة، ج 3: 320 الأعلام للزركلي، ج 6:7 معجم المؤلفين، ج 11: 139 ، المصادر العربية، ج 1: 160 .

(91) كتاب المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، يتناول تاريخ إفريقية (تونس) من الفتح الإسلامي إلى عصر الفتح العثماني إلا أنه لا يخلو من إفادات حول تاريخ المغرب الأقصى. صدرت طبعته الثالثة في مطبعة 20 مارس بتونس عام 1387 هـ / 1967 م.

(92) في جميع النسخ: حواريين، فصححناها ليستقيم السياق.

(93) انظر: المؤنس: 19 ، بتصرف.

(94) يقصد: كتاب الخبر المعرب عن الأمر المغرب لأبي رأس محمد بن أحمد المعسكري (تـ 1239 / 1824) وهو في الأصل شرح لمنظومة (لنفس المؤلف) تحمل عنوان: الحلل السندسية في شأن وهران والجزيرة الأندلسية. فبالإضافة إلى تاريخ الجزائر والأندلس وردت به معلومات عن المغرب الأقصى في عهد الإحتلال البرتغالي والإسباني. الكتاب مازال مخطوطا وقد أقدمت إحدى الطالبات على تحقيقه مؤخرا.

(95) د، ح، ز: خرز. ك: حرز. واستدعى المقام تصويبها هنا وفيما يأتي.

(96) في الخبر المعرب مخ. خ. ع. ر 2273 ك: ورقة 16: بنو واسين.

(97) مليانة: مدينة جزائرية تقع في سفح جبل زكار، اختطها بلكين بن زيري، وكانت مقراً لعناصر بربر صنهاجة وزناتة ثم عناصر عربية. أنظر: الإستبصار: 171 اللسان المعرب للسليماني: 85 مجموع النسب والحسب لبلهاشمي بن بكار: 371 قبائل المغرب، ج 1- 333 .

(98) البصرة: مدينة مغربية مندثرة، تقع بالقرب من القصر الكبير من الجهة الجنوبية. ومن المحتمل أن يكون مؤسسها هو إدريس الثاني في بداية القرن 3 هـ/9م، انظر: الإستبصار: 189 وصف إفريقيا للوزان، ج 240:1-241 ، الموسوعة، ج 4: 241-242 المغرب عبر التاريخ ج 125:1

- G. Yver, Ency.de L'islam, T1: 1120

(*) • 36 ب .

بني مالك وسفيان من الغرب، على قرب مرحلة من قصر كتامة[99]، خربها بلكين بن زيري ابن مناد الصنهاجي[100] ملك إفريقية لما غزا المغرب في نيف وستين من القرن الرابع[101].

[فتح فاس]

وفي سنة اثنين وستين [102] قصد يوسف فاسا فزحف إليه أميرها بكاربن إبراهيم المغراوي، فهزم، وقتل من جنده أربعة آلاف وفتحه، ثم انتفضوا عليه فدخل فاسا عنوة، وأسرف في قتل مغراوة حتى أنه قتل في الجامعين العظيمين ما يزيد على ثلاثة آلاف و (هدم) [103] الأسوار التي كان فصل بها ابنا زيري بينهما الفتوح وأخوه عجيسة بين العدوتين، هدمها وصيرها مدينة واحدة وحمل أهل فاس على تكثير المساجد.

[فتح تلمسان]

وفي ثلاث وسبعين [104] زحف إلى تلمسان، فلقيه أميرها العباس بن بختي المغراوي وبنو يفرن، فقتل العباس وأكثر الجند وفتحها واستعمل عليها يوسف بن يعمر اللمتوني.

[فتح وهران]

ثم تخطى إلى وهران فنفى عنها ملوك مغراوة من بني خزر، ثم دخل الجزائر في طاعة أهلها بني مزغنة، وجعلها حدًا بينه وبين (ملوك)[105] البلكانيين من صنهاجة للقرابة التي بينهم، فملك منها إلى السودان إلى البحر المحيط إلى جبل الذهب [106].

---

(99) قصر كتامة: يُسمى حاليا بالقصر الكبير تمييزاً له عن القصر الصغير القريب من سبتة. وسمي بقصر كتامة لوقوعه في وسط بلاد قبيلة كتامة. وهو يقع في سهل شاسع على ضفاف وادي اللوكوس، مما جعل منه منطقة خصبة تحظى باهتمام متزايد ومؤسس قصر كتامة هو عبد الكريم الكتامي وذلك في أواخر القرن 5 هـ/ أوائل القرن 11م. ومنذ القرن 10 هـ/16 م والقصر الكبير تزداد أهميته الإقتصادية بحكم موقعه ومنتجاته الفلاحية. أنظر الإستبصار: 189 . وصف افريقيا ج 1: 234-236 . تاريخ الضعيف ج 1: 139 هامش: 21 الحركة الفكرية، ج 2: 427-430 .

- Auguste Maulicras, le Maroc inconu, T2 PP: 538-542, 576-580.
- J.L. Miège, le Maroc et l'europe, T3,pp: 67-68
- G.yver, Ency. de l'islam, T4, PP: 758-759

(100) بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتوح، المتوفى سنة 373 هـ / 984 م. عمل قائدا للمعز لدين الله الفاطمي ثم واليا له على إفريقيا، وسماه يوسف بدلا من بلكين، وكناه أبو الفتوح ولقبه سيف الدولة وبتجربته وشجاعته استطاع أن يخضع المغرب الأقصى للفاطميين.أنظر أخباره في البيان المغرب، ج1: 228-229 . وفيات الأعيان، ج 1: 286 - 287 . الكامل في التاريخ، ج 8: 623-625 النقل . وج 9: 34 . 127 – 821، والحلل السندسية للسراج، ج 1: (القسم 4): 937-938 . 942-943 .

(101) نيف و460 هـ/ بعد سنة 1069 م وإلى هنا ينتهي كلام أبي رأس، الخبر المعرب : ورقة 6 أ بنفس اللفظ تقريبا.

(102) أي سنة 462 هـ التي توافق سنة 1069 م. ومن هنا يبدأ النق من الخبر المعرب، مخ، خ، ع، و، 2273 كـ ورقة: 11 أ.

(103) في جميع النسخ: وهذا. والتصحيح من الخبر المعرب، ورقة: 11

(104) أي سنة 473 هـ / 1080 م.

(105) كـ الملوك.

(106) إلى هنا ينتهي النقل - بنفس اللفظ- من الخبر المعرب مخ، خ، ع، ر، 2273 كـ ورقة: 11 ب.

[العبور إلى الأندلس ووقوع معركة الزلاقة]

ثم تخطى إلى الأندلس بجنوده - وكان عظيم الشأن، كبير السلطان - وعبر البحر، وقصد مع من معه الموضع المسمى بالزلاقة، فلما (وافاها)[107] المسلمون نزلوا تجاه العدو بها، واختار المعتمد بن عباد أن يكون * هو المصادم (لهم)[108] أولا وأن يكون يوسف بن تاشفين إذا انهزم المعتمد بن عباد بين أيديهم وتبعوه يميل عليهم بعساكره وتتألف عساكر الأندلس. فلما عزموا على ذلك وفعلوه، أخذ العدو، وخالطتهم عساكر المسلمين، واستمر القتل فيهم ، فلم يفلت منهم غير الأدفنش في دون الثلاثين من أصحابه، فلحق ببلده على أسوء حال، إلى غير ذلك من مزاياه. وآل الأمر إلى أن استولى على [بلاد المعتمد ابن عباد وأتى به مغلولا إلى أغمات، إلى أن مات بها - رحمه الله- وكذلك أخذ][109] بلاد المعتصم بن صمادح[110]، وأنزل عبد الله بن بلقين بن بادس[111] من غرناطة، وافتتح ألميرة [112] وقبض على ابن الأفطس[113] صاحب بطليوس[114]، فقتله وقتل أولاده، وتملك ملك المستعين بسرقسطة[115] وفعل بغيرهم ما قدره الله والبقاء والدوام لله.

[وفاة يوسف بن تاشفين]

ولم يزل على حاله وعز سلطانه، إلى أن مات يوم الإثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسمائة [116]. وعاش تسعين سنة ملك فيها مدة خمسين سنة رحمه الله تعالى.

---

(107) د، ح، ك: وفاها. والتصحيح من ز.

(108) دك بهم. والتصحيح من ز،ح،ك.

(109) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.

(110) هو : محمد بن معن بن محمد بن صمادح، أبو يحي التجيبي الأندلسي (429-484 / 1038-1091): أمير ألمرية والصمادحية وبجانة (Pechina) وكان يسمى بمعز الدولة، ثم بالمعتصم بالله الواثق بفضل الله. وكان شاعرا وله اهتمام بالأدب والتاريخ. انظر أخباره في وفيات الأعيان، ج 5: 39-45 الأنيس المطرب 155-156 ، 169 ، نفح الطيب ج 1:666-667 .

(111) هو: عبد الله بن بلقين (أو بلكين) بن باديس بن حبوس الصنهاجي، المتوفى بعد سنة 483 / بعد 1090. كان ملكا. على غرناطة إلى أن هاجمه يوسف بن تاشفين، واحتل بلاده فقبض عليه وصحبه معه إلى مراكش أثناء عودته. وبذلك ينتهي عهد ملوك صنهاجة بغرناطة في أيام ملوك الطوائف بالأندلس.

(112) يقصد: ألميرية. وهي مدينة بالأندلس، أسسها الناصر لدين الله عبد الرحمان بن محمد سنة 344 هـ / 955 م. وذكر الحميري على أنها أشهر مراسي الأندلس وأعمرها ومن أجل أ مصارها. أنظر الحميري، صفة جزيرة الأندلس: 183-184

(113) هو: محمد بن عبد الله بن مسلمة التجيبي، الأندلسي، المتوفى سنة 460 هـ / 1068 م. بالإضافة إلى مهامه السياسية كان له اهتمام كبير بالأدب والتاريخ. أنظر أخباره في البيان المغرب، ج 3: 235-239 ، 242 ، الوافي بالوفيات، ج 3: 323 ، الهدية، ج 72:2 ، الأعلام للزركلي، ج 228:6 ، الموسوعة، ج 1:42-43 معجم المؤلفين ج 246:10 .

(114) بطليوس: مدينة بالأندلس من إقليم ماردة. انظر: الحميري، صفة جزيرة الأندلس: 46 .

(115) سرقسطة: (ZARAGOZA) مدينة في شرق الأندلس. أنظر: صفة جزيرة الأندلس: 89-69.

(116) يوم الإثنين 3 محرم سنة 500 هـ / 4 شتنبر سنة 1106 م.

(*) * 37 أ.

[مناقبه]

وقال ابن الأثير في تاريخه الكبير[117] ما مثاله: سنة خمسمائة فيها توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ملك المغرب والأندلس، وكان حسن السيرة خيرا (عدلا)[118] يميل إلى أهل (العلم)[119] والدين، ويحكمهم في بلاده، وكان يحب الصفح والعفو عن الذنوب العظام[120]. انتهى.

[و][121] قد كان بايعه بالأندلس ثلاثة عشر ملكا، فكان يخطب له على ألف منبر وتسعمائة، وكان زاهدا يلبس الصوف ولا يأكل إلا خبز الشعير بلبن الإبل ولحومها.

وكتب على سكته: ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه.

قال الخفاجي: وهو أول من تسمى (بأمير)[122] المسلمين بالمغرب. ولم يخلف في بيته[123] مالاً سوى أربعة عشر ألفا من الورق وخمسة آلاف من الدنانير[124]. وقبره بمراكش من المزارات رحمه الله. وخاطبه علماء العراق ومصر بالتقوى والعدل، وقدم بعد غزوة الزلاقة حجة الإسلام الغزالي من العراق لزيارته بمراكش (فلما)[125] بلغ الإسكندرية سمع بموته فرجع نفعنا الله بهما آمين.

[تولية علي بن يوسف وأعماله]

ثم تولى بعده ابنه علي، وفي أيامه وقعت فتوحات وهزائم على العدو، وتملك الأندلس مع العدوة كأبيه، وخطب له أيضا على ألفي منبر وثلاثمائة، وفي أيامه ظهر محمد بن تومرت الملقب (بالمهدي)[126] صاحب دعوة الموحدين، وبويع له بقبائل المصامدة، ومن حينئذ دخل الدولة الفشل، وفي أيامه مات حافظ المذهب ابن رشد، وذلك سنة عشرين* وخمسمائة[127].

وفي سنة إثنين وعشرين[128] بنى سور مراكش، وتوفي -رحمه الله- عام سبعة وثلاثين وخمسمائة[129].

---

(117) يقصد كتابه: الكامل في التاريخ، وهو مطبوع متداول ومشهور.
(118) في الكامل في التاريخ ج: 10: 417: عادلا.
(119) ك: الخير.
(120) انظر: الكامل في التاريخ ج 10: 417 باختلاف يسير في اللفظ
(121) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك . ومن هنا يبدأ النقل من الخبر المعرب: ورقة: 11 ب.
(122) ك: بأمر.
(123) لعله يقصد: بيت المال. (خزينة الدولة).
(124) إلى هنا ينتهي النقل - باختلاف يسير في اللفظ - من الخبر المعرب ورقة: 11 ب.
(125) ز: ثم لما.
(126) د، ز، ح: المهدي، والتصحيح من ك.
(127) سنة 520 هـ / 1126 م.
(128) أي سنة 522 هـ / 1128 م. تختلف الروايات التاريخية في تحديد تاريخ بناء سور مراكش. والملاحظ أن رواية ابن أبي زرع تتفق مع رواية ابن خلدون، حيث تحدده بسنة 526 هـ / 1132 م. أما أستاذنا إبراهيم حركات فيرجح سنة 515 هـ / 1121 م. عن هذه المعطيات أنظر: الأنيس المطرب: 139 ، العبر ج 6:184 ، المغرب عبر التاريخ، ج 1: 222 .
(129) عام 537 هـ / 1142 م.
(*) 37ب

[تولية تاشفين بن علي وانهزامه أمام الموحدين]

ثم تولى بعده ابنه تاشفين بن علي، وكان أبوه قد استقدمه إلى مدافعة أصحاب المهدي، فلم ينجح أمره، لما قضاه الله من إدبار دولتهم، فولي الأمر بعد أبيه، وصابر ثوار تلك الدولة المقبلة إلى أن لجأ (منهزما)[130] إلى وهران في شعبان سنة سبع وثلاثين وخمسمائة [131]، ونازلته جيوش الموحدين، فركب فرسا عتيقا، وخرج ليلا، وشدّ الركض عليه ليثب الفرس النار التي أضرمها أصحاب عبد المؤمن بالباب وينجو، فترامى الفرس ولم يملك لجامه حتى تردى من جرف هناك إلى جهة البحر على حجارة، فتكسر الفرس، وهلك تاشفين في (الوقت) [132]، ومن الغد وجد ميتا، وصلب على جذع، واستنزل من بقي في الحصن من أعيان قبيلته على حكم عدوهم، فاستأصلهم القتل عن آخرهم، والبقاء لله.

[بيعة إبراهيم ثم إسحاق، وسقوط الدولة المرابطية]

وبويع بمراكش ابنه إبراهيم فلم يتم أمره. ثم بويع عمه إسحاق [133] وزحف للموحدين فهزم. وقيل: [و] [134] هو آخر دولة اللمتونيين.

[ذكر أمراء المرابطين بالتتابع]

وأولهم يحي بن عمر بن إبراهيم أمير الحق، ثم أخوه أبو بكر، ثم يوسف بن تاشفين ثم ابنه علي، ثم ابنه تاشفين، فهم خمسة، ومدة دولتهم تسعون سنة، وكان مبدؤها عام خمسين وأربعمائة [135]، كما أشار إلى ذلك الفاسي في أرجوزته بقوله: [الرجز].

وَمُلْكُهُمْ فِي نَتْ بِمَغْرِبٍ ظَهَرْ ... وَعُقِدَ الأَمْرُ لِيَحْيَى بْنِ عُمَرْ
وَهْوَ المُلَقَّبُ أَمِيرُ الحَقِّ ثُمَّ ... إِلَى أَبِي بَكْرٍ أَخِيهِ المُلْكُ ضَمّ
ثُمَّ إِلَى ابْنِ تَاشْفِينَ وَكَسَا ... مُلْكَهُمُ المَغْرِبَ وَالأَنْدَلُسَا
وَمَاتَ خَتْمُ خَامِسِ المِئِينَا ... وَلِعَلِيٍّ أَحَدُ البَنِينَا
عَهِدَ بِالأَمْرِ وَمَاتَ فِي لِزْ ... ولاِبْنِ تَاشْفِينَ المُلْكُ [قَدْ] عُزِي [136]
وَبَعْدَ عَامَيْنِ قَضَى إِذْ هَرَبَا ... وَاسْتَأْصَلُوا قَبِيلَةً وَصُلِبَا [137]

---

(130) د، ح: منهرنا. والتصحيح من ز، ك.

(131) شعبان سنة 537 هـ / 19 فبراير-19 مارس1143. ولعله هفوة، والصحيح هو: 27 رمضان سنة 539 هـ / الجمعة 23 مارس 1145 م. بهذا الصدد انظر: الأنيس المطرب: 166، الحلل الموشية 134 .

(132) ح: الوفت.

(133) هو: إسحاق بن علي بن يوسف (ت: 541 هـ / 1147م) آخر أمراء المرابطين. قتل أثناء حصار الموحدين لمراكش.

(134) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.

(135) عام 450 هـ / 1058 م.

(136) ما بين المعقوفتين ساقطة من زهر الشماريخ: ،242 وكذلك من الأقنوم: 231 .

(137) أنظر: زهر الشماريخ: 241 -242 والأقنوم في مبادئ العلوم: 231-232 .

والبقاء لله. وقال ابن الخطيب في رقم الحلل[138] في حق هذه الدولة: [الرجز]

وَأَطْلَعَتْ بِمَغْرِبٍ لَمْتُونَهْ ... (دَوْلَتُهُمْ عَزِيزَةٌ)[139] مَيْمُونَهْ
تَجْمَعُ (دِينًا)[140] وَعَفَافًا وَكَرَمْ ... لَمْ يَدْرِ قَدْرَ فَضْلِهَا حَتَّى انْصَرَمْ[141]
مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ حَلِيفُ الدِّينِ ... وَيُوسُفُ وَهْوَ ابْنُ تَاشُفِينَ[142]

* إلى أن قال : [الرجز]

حَتَّى إِذَا يُوسُفُ وَلَّى وَقَضَى ... قَامَ عَلِيٌّ نَجْلُهُ[143] النَّدْبُ الرِّضَى
وَكَانَ خَيْرًا حَمِيدَ السِّيرَهْ ... مُتَّصِفًا بِالشِّيَمِ الأَثِيرَهْ
وَجَاهَدَ العَدُوَّ مِنْ بَعْدِ أَبِيهْ ... بِنَفْسِهِ وَبِبَنِيهِ وَذَوِيهْ
ثُمَّ رَمَاهُ اللَّهُ بِالمَهْدِيِّ ... مُزَاحِمًا بِالمَنْكِبِ القَوِيِّ
وَلَمْ (يُقَصِّرْ)[144] فِي الدِّفَاعِ جُهْدَهْ ... كَمْ عَدَدٍ أَفْنَى وَكَمْ مِنْ عُدَّهْ
مُسْتَظْهِرًا بِعِزَّةٍ وَشِدَّهْ ... لَمْ تُغْنِ شَيْئًا فِي تَمَامِ المُدَّهْ
وَمَاتَ حَتْفَ أَنْفِهِ أَبُوالحَسَنْ ... وَكُلُّ قَوْلٍ مِنْهُ أَوْ فِعْلٍ حَسَنْ
ثُمَّ تَوَلَّى (الأَمْرَ)[145] تَاشُفِينْ ... وَعِنْدَهُ شَجَاعَةٌ وَدِينْ[146]
فَقَامَ بِالأَمْرِ وَقَاسَى الحَرْبَا ... طَعْنًا عَلَى طُولِ المَدَى وَضَرْبَا
وَآلَ أَمْرُهُ إِلَى الحِصَارِ ... مِنْ غَيْرِ أَعْوَانٍ وَلاَ أَنْصَارِ
مُتَّخِذًا وَهْرَانَ دَارَ مَنْعَهْ ... مُسْتَنِدًا (مِنْهَا)[147] لأَيِّ بُقْعَهْ
وَاقْتَحَمَ الهَوْلَ إِلَى مُنْجَاتِهْ ... وَقَدْ (أَبَى المِقْدَارُ)[148] مِنْ إِفْلاَتِهْ
فَخَرَّ مِنْ مَهْوًى بَعِيدٍ لَيْلاَ ... وَلَمْ يَنَلْ مِمَّا أَرَادَ نَيْلاَ
وَانْقَرَضَتْ مِنْ بَعْدِهِ لَمْتُونَهْ ... وَكُلُّ عِزٍّ فَالمَمَاتُ دُونَهْ[149]

ثم دولة الموحدين.

---

(138) اسمها: رقم الحلل في نظم الدول، وهي أرجوزة موضوعها تاريخ المشرق الإسلامي إلى عهد الدولة العباسية، وتاريخ الغرب الإسلامي المعاصر للمؤلف. نشرت الأرجوزة في المطبعة العمومية بتونس عام 1316 هـ / 1889 .
(139) د: دولة عزيرة، ح: دولتهم عزبرة. والتصحيح من ز. ومن هنا يبدأ البياض في ك باستثناء بعض الكلمات المتفرقة.
(140) في رقم الحلل: 50 : دنيا.
(141) بعد هذا البيت زاد في رقم الحلل: 50 بيتا واحدا لا داعي لإثباته.
(142) انظر: رقم الحلل: 50 .
(143) وردت كلمة (ذو) زائدة في جميع النسخ فحذفناها. والتصحيح من رقم الحلل 51 .
(144) د، ح: يقض. والتصحيح من ز، ورقم الحلل: 51 .
(145) د، ح: الأمير. والتصحيح من ز، ورقم الحلل: 51 .
(146) بعد هذا البيت، زاد في رقم الحلل: 51 ثلاثة أبيات لا داعي لإثباتها.
(147) في رقم الحلل: 51: فيها.
(148) ز: أبغى المقدور.
(149) انظر: رقم الحلل: 51 .
وإلى بداية الشطر الأول من هذا البيت (الأخير) ينتهي البياض في ك.
(*) • 38 أ.

4- دولة الموحدين

[أخبار المهدي بن تومرت]

وأولها محمد الملقب المهدي بن عبد الله بن عبد الرحمان بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان ابن جابر بن يحيى بن عطاء بن رباح بن ياسين بن العباس ابن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب (150) رضي الله عنه.

مولده سنة ست وثمانين وأربعمائة (151)، وقيامه بالدعوة سنة خمس عشر وخمسمائة(152)، وكانت له سياسة وعلم كبير، وله باع في علم التوحيد. وكان ينكر كتب الرأي والتقليد، لكن غلبت عليه نزغة خارجية، وأخباره في سفره للمشرق وسياحته كثيرة.

وكان حصوراً لا يأتي النساء، ولم تحفظ عنه فلتة في البدعة إلا موافقة الإمامية من الشيعة في القول بالإمام المعصوم كذا لابن خلدون (153). وقال ابن [الخطيب] (154) في شرح رقم الحلل: قالوا إنه كان يزعم أنه مأمور بنوع من الوحي والإلهام (155).

وهو أول من سن: (أصبح) (156) ولله الحمد، *وكذا الحزب الراتب ولقي (157) أبا حامد الغزالي وأخذ عنه، وذكر أن أبا حامد كان يتفرس في مآل أمره الملك، ثم صرف وجهه إلى المغرب داعيا حريصا على تغيير المنكرات (معينا) (158) للأمراء في وقته وأحضر بين يدي علي بن الأمير يوسف، وجرت بينه وبين الفقهاء محاورة ووسعه ابقاؤه لما في الغيب من إفساد دولته على يده وكثر (تابعوه) (159) وهزم الجيوش، وصار أمره في إقبال وأمر غيره في إدبار.

[ترتيب المهدي أهل دولته]

ورتب (قومه) (160) ترتيبا غريبا، فمنهم أهل الدار، وأهل الجماعة، وأهل خمسين، وأهل سبعين، والطلبة، والحفاظ وأهل الساقة، وأهل القبائل.

---

(150) هناك اختلاف الروايات في إيراد الأسماء المكونة لنسب المهدي. من أجل المقارنة أنظر مثلا: الأنيس المطرب: 172 ، الحلل الموشية ك 103 العبر ج 6: 225-226

(151) سنة 486 هـ / 1093 م.

(152) سنة 515 هـ / 1121 م.

(153) انظر ابن خلدون، العبر، ج 6: 229 .

(154) ما بين المعقوفتين بياض في د. ك. والتكملة من ز. ح.

(155) أنظر: رقم الحلل: 58. بنفس اللفظ.

(156) د. ك: الصبح. والتصحيح من ز. ح.

(157) من هنا يبدأ النقل من رقم الحلل: 57 .

(158) د. ح: معنيا . ز: معتقا. رقم الحلل 57 مفسدا. والتصحيح من ك .

(159) في جميع النسخ: تابعه. والتصحيح من رقم الحلل: 57

(160) د. ز. ح: قوما. والتصحيح من ك. ورقم الحلل: 57 .

(*) * 38 ب.

فأهل الدار للإمتهان والخدمة[161] وأهل الجماعة للتفاوض والمشورة، وأهل الساقة للمباهاة[162]، وأهل سبعين وخمسين والطلبة لحمل العلم والتلقي، وسائر القبائل لمدافعة العدو. وكان يعلمهم أوجه العبادات (وكانت)[163] أيامه أيام المسترشد بن القائم بن القادر العباسي[164].

ووقعت به وقعة البحيرة بأحواز مراكش مات بها معظم أصحابه، وكادت تأتي عليهم كلهم، ومع ذلك لم (تضع)[165] منه شيئا ولا وهنت صبره. وكان يقول لهم مثل هذا الأمر كالفجر يتقدمه الفجر الكاذب وبعده (يتبلج)[166] الصبح، ويستعلى الضوء ويأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التي ينالون من فيء عدوهم.

وفاة المهدي سنة 524

وتوفي - رحمه الله- يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة خلت من رمضان عام أربعة وعشرين وخمسمائة[167].

وفي حقه يقول ابن الخطيب: [الرجز]

وَ(نَجَحَ)[168] المَهْدِيُّ وَهْوَ الدَّاهِيَهْ ... فَأَصْبَحَتْ تِلْكَ المَبَانِي وَاهِيَهْ
لَمْ يَأْلُ فِيهَا إِنْ دَعَا لِنَفْسِهِ ... وَكَانَ فِي الحَزْمِ فَرِيدَ جِنْسِهِ
وَعِنْدَهُ سِيَاسَةٌ وَعِلْمْ ... وَجُرْأَةٌ وَكَرَمٌ وَحُلْمْ
وَوَافَقَتْ أَيَّامُهُ فِي النَّاسِ ... لِدَوْلَةِ المُسْتَرْشِدِ (العَبَّاسِ)[169]

إلى أن قال : [الرجز].

وَآلَ أَمْرُهُ إِلَى مَا عَلِمَا ... وَمَاتَ بَعْدَمَا أَطَالَ النِّقَمَا[170]

وكان من جملة مكاتبته للمتونة قوله: إلى الفئة الباغية، والشرذمة الطاغية لمتونة، أما بعد، فقد أمرناكم بما (تأمر)[171] به أنفسنا من تقوى الله ولزوم الطاعة الخ[172].

---

(161) أي خدمة رئيس الدولة.
(162) أي للمواكب والحفلات.
(163) في رقم الحلل: 57: وافقت.
(164) هو: المسترشد بالله (الفضل) بن المستظهر بالله (أحمد ابن المقتدر عبد الله . 485-529 هـ/ 1092-1135م): خليفة عباسي، بويع سنة 513 هـ / 1118 واستطاع أن يعيد بناء قوة الدولة لمدة من الوقت، لكن واقع الفتن كان أقوى، فكان مصيره القتل والتمثيل. انظر أخباره في تتمة المختصر في أخبار البشر لابن الوردي، ج 2: 62 ,60,51 ,41 فوات الوفيات، ج 3: 179-182 . البداية، ج 12: 207-208، 182-183 العبر ، ج 3: 501-510 ، 495 وج 5: 228 تاريخ الخميس، ج 2: 361-362 .
(165) ز: تضعضع.
(166) في رقم الحلل: 57 : ينبلج.
(167) يوم الأربعاء 13 رمضان 524 هـ / 20 غشت 1130 م. وإلى هنا ينتهي النقل من رقم الحلل: 58. باختلاف يسير في اللفظ.
(168) في رقم الحلل: 54: نجم. وبعد هذا الشطر من البيت يبدأ البياض في ك.
(169) في رقم الحلل: 54: العباسي.
(170) انظر: رقم الحلل: 54. وإلى هنا ينتهي البياض في ك.
(171) ر، ك: تأمر. والتصحيح من ز.ح.
(172) هذه الرسالة وردت في الحلل الموشية: 111.

ولما (ناظر) [173] العلماء بمراكش بإذن الأمير علي بن يوسف قال(مالك بن وهيب) [174] لعلي بن يوسف: * اجعله في بيت [من] [175] حديد، وإلا أنفقت عليه بيوت أموالك، أصحبه كبلا وإلا ضرب عليك طبلا، ولم يكن إلا ما أراد الله.

[تولية عبد المومن بن علي وأعماله]

ثم تولى بعده عبد المومن بن علي بن علوي بن يعلى بن مروان بن نصر بن علي بن عامر بن موسى بن عون الله القيسي نسبة إلى قيس غيلان [176]. [و] [177] في الخبر (المعرب) [178] أن أصله من بني عابد من قبيلة كيومة أحد بطون طرارة أهل جبل تاجرة [179] وأصله من بني عبس أحد قبائل قيس بن غيلان بن مضر [180] انتهى [و] [181] قيل: أنه من نسل سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

[و] [182] من العجب أن أباه (عليا) [183] كان في شأن طينه للنوافخ إذ جاءته امرأته تبكي قائلة له: إن ابني نزل عليه جند نحل. ففزع لذلك ثم انصرف عنه النحل ولم (يؤذه) [184] فقال لعارف: ما ترى؟ فقال له: أنت طيان، ومن أين يبلغ ابنك الملك؟

وكان يلقب بالخليفة أيام المهدي. وكان المهدي معجبا به، ومن قوله فيه: [البسيط]

تَجَمَّعَتْ فِيكَ أَشْيَاءٌ خُصِصْتَ بِهَا ... فَكُلُّنَا بِكَ مَسْرُورٌ وَمُغْتَبِطُ
السِّنُّ ضَاحِكَةٌ وَالكَفُّ مَانِحَةٌ ... وَالصَّدْرُ مُتَّسِعٌ وَالوَجْهُ مُنْبَسِطُ [185]

وكان يقول أيضا : عبد المؤمن صديق هذه (الدولة) [186].

ولم يزل أمره من بعد المهدي ينتشر حتى دخلت في دعوته الأقطار وأجاز جيشه إلى الأندلس في ذي الحجة من عام أربعين وخمسمائة [187] وقد مهد المغرب كله، ثم المشرق

---

(173) د،ك: نظر. والتصحيح من ز،ح .
(174) د، ح،ك: ملك بن وهب. والتصحيح من ز.
(175) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(176) تختلف روايات المصادر التاريخية في إيراد الأسماء المتضمنة في شجرة نسب عبد المؤمن.
(177) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(178) في جميع النسخ: المعروف. وهو تصحيف. فصححناه.
(179) تاجرة: قرية من قبيلة بني عابد بحوز ندرومة، تقع على ساحل البحر، ومازالت تعرف بهذا الإسم إلى الآن.
(180) انظر: الخبر المعرب: ورقة 13 ب.
(181) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك .
(182) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(183) د، ح، ك: علي. والتصحيح من ز.
(184) د: يؤذيه. ز، ك : يؤذيه والتصحيح من ح.
(185) البيتان يوجدان في الأنيس المطرب: 184 .
(186) ك: الدائرة. وكذلك في رقم الحلل: 58
(187) ذي الحجة 540 هـ/ 15 ماي 12يونيو 1146 م.
(*) • 39 أ.

• 39 أ.

إلى برقة، وأخرج النصارى من المهدية[188] وغيرها من السواحل، واستأصل آل حماد بالقلعة وقتل أميرهم الجوشن مع ثمانية عشر ألفا.

[وفاته]

وتوفي - رحمه الله- برباط سلا، يوم الثلاثاء الثامن (من جمادى الثانية)[189] عام ثمانية وخمسين وخمسمائة[190]، ونقل إلى تربة شيخه المهدي (بتنمل)[191] من الجبل فدفن بها، والبقاء لله.

[تولية أبي يعقوب يوسف وأعماله]

ثم تولى بعده ولده أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي، وفي عام ستة وستين[192] أجاز إلى الأندلس، فسكن الدهماء وعظم ملكه، ثم غزا بلاد الروم، وأعظم فيهم النكاية وشرع في بناء المسجد الأعظم ببلد اشبيلية فكمله ولم يبق منه إلا القليل، وتوفي في العشر الأواخر من ربيع الأخير سنة ثمانين وخمسمائة[193] بواد باجة لما رجع من مدينة شنترين بجراحات أصابه العدو بها.

[تولية يعقوب المنصور وأعماله]

ثم تولى بعده [ابنه] [194] يعقوب الملقب بالمنصور، وهو جوهرة عقد الموحدين، وأفضلهم تمسكا بأمور الدين *محق الملاهي وشمر للجهاد، وأقام رسوم الدين، وكان عالما متفننا بارعا يخشى الله ويتقيه، أظهر ما لم يظهره أحد قبله، وشدد [195] في إلزام الرعية بإقامة الصلوات الخمس، وقتل في بعض الأحيان على شرب الخمر، وكان يعاقب على ترك الصلاة، ويأمر بالنداء في الأسواق بالمبادرة إليها، فمن غفل عنها (و) [196] اشتغل بمعيشته عزره (تعزيراً) [197] بليغا.

(188) المهدية: مدينة بتونس، تنسب إلى المهدي الفاطمي أبو عبد الله، الذي أسسها سنة 303 هـ/ 915 م. تقع على ساحل البحر المتوسط، وتبعد عن مدينة تونس (العاصمة) بنحو 200 كلم إلى الجنوب. احتلت من طرف النورمان الصقليين (529هـ/ 1134) ولم يلبث عبد المؤمن بن علي الكومي أن استرجعها سنة 555 هـ/ 1160 في إطار سياسته الشاملة التي كانت تهدف إلى توحيد المغرب العربي الكبير واسترجاع مدنه المحتلة. انظر: ابن حوقل، صورة الأرض: 73-74 ، المقدسي، أحسن التقاسيم: 226 ، ابن الأثير الكامل في التاريخ، ج 8: 94-95 .

M. TALBI, Ency. de l'islam T5, P : 1237.

(189) د، ح،ك : من جمادى الثاني، ز: لجمادي الثانية، واقتضى السياق تصحيحها.

(190) يوم الثلاثاء 8 جمادى 2 عام 558 هـ 14ماي 1163 . وفي الأنيس المطرب: 202 أنه توفي يوم الثلاثاء عند الفجر 10 جمادى الآخرة سنة 558 هـ / 16ماي 1163 م.

(191) ك: بنتملل.

(192) أي عام 566 هـ / 1170 م.

(193) يحدد ابن أبي زرع وفاته بيوم السبت 18 ربيع الثاني سنة 580 هـ / 29 يوليوز 1184 م.

(194) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(195) من هنا يبدأ النقل من ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 7: 11 بنفس اللفظ.

(196) د، ز،ح: أو. والتصحيح من ك ومرآة الجنان ج 3: 482.

(197) د، ح: يعزيرا. والتصحيح من ز،ك.

(*) • 39 ب.

وكان قد عظم ملكه، واتسعت دائرة سلطانه حتى إنه لم يبق بجميع أقطار بلاد المغرب من البحر المحيط إلى برقة إلا من هو في طاعته، داخل في ولايته إلى غير ذلك من جزيرة الأندلس[198].

وهو الذي بنى رباط الفتح على هيئة الإسكندرية، وهو الذي مدن مراكش، وشيد مبانيها، وأكثر عمارتها، حتى سميت بغداد المغرب، وصارت أعظم مدن بر العدوة، لأن لمتونة لم يبنوا بها إلا القصبة والمسجد والسور كما تقدم. وكان محسنا محبا للعلماء، مقربا للأدباء، مصغيا إلى المدح مثيبا عليه[199].

ومفاخره عديدة، ومناقبه شهيرة من شعبان منها غزوة الأرك [200] وكانت ضحى يوم الأربعاء التاسع عشر من شعبان عام أحد وتسعين وخمسمائة [201]، فانجلت عن عدد من القتلى لا يحصى، وذكر المقلل أن عدد القتلى من الكفرة بلغ ثلاثين ألفا. ويحكى أن الذي حصل لبيت المال من دروع العدو ستون ألفا، وأما الدواب على اختلاف أنواعها فلم يحصر لها عدد، ولم يسمع بعد وقعة الزلاقة بمثل وقعة الأرك. وهرب العدو إلى قلعة (رباح) [202] وتحصنوا بها، فحاصرهم السلطان يعقوب حتى أخذها من أيديهم.

ومنها أيضا ما ذكره محمد بن أحمد بن أبي الفضل بن صعد التلمساني[203] في كتابه، النجم الثاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب[204] ونصه: السلطان يعقوب المنصور، قال في حقه صاحب مرآة الزمان[205]: كان هذا الملك من أعظم الملوك قدراً، لم يكن في ولاة المغرب أحسن سيرة منه، وكان جوادا سخيا يعطي الألف الذهبية، ويكرم العلماء، ويتفقد الضعفاء والأرامل والأيتام، ويوالي الغزو والجهاد، وكان أخذ نفسه بأحوال الصدر الأول من أمراء المسلمين، يخطب بنفسه، ويصلي بالناس الصلوات الخمس، ويقتصد في مأكله و(لباسه)[206]، وكان أكثر لباسه الصوف، ويجلس في الأماكن التي يصل إليه الضعفاء والنساء وذوو الحقوق. قال :[207] ومن جميل

---

(198) إلى هنا ينتهي النقل من وفيات الأعيان، ج 7: 12 بنفس اللفظ. كما أن جزءاً من هذا النص يوجد في مرآة الجنان لليافعي، ج 482:3 بنفس اللفظ كذلك.

(199) هذه الجملة توجد -بنفس اللفظ- في وفيات الأعيان، ج 12:7 ، ومرآة الجنان، ج 482:3 .

(200) الأرك: ALARCOS إسم منطقة من أعمال قلعة رباح، تقع غربي مدينة ثيوبلد ريال (REAL SOCIDAD) على بعد 11 كلم، تقوم مكانها اليوم قرية صغيرة تسمى سانطا مرية دي ألاركوس (SANTA MARIA DE LARCOS). انظر: الأنيس المطرب. 223 هامش: 143.

(201) يوم الأربعاء 19 شعبان 591 هـ / 29 يوليوز 1195 م، وفي الأنيس المطرب: 226 أنها كانت ضحوة يوم الأربعاء 9 شعبان 591 هـ / 19 يوليوز 1195 م.

(202) في جميع النسخ: رياح، وهو تصحيف فصححناها. وقلعة رباح: مدينة لها حصون أحدثت أيام بني أمية بالأندلس بين قرطبة وطليطلة. انظر: صفة جزيرة الأندلس: 163 .

(203) هو: محمد بن أحمد بن أبي الفضل ابن سعيد بن صعد، الأنصاري التلمساني، المتوفي بمصر (901 هـ /1496م) من أهل تلمسان وكان له اهتمام بالتراجم والتاريخ والفقه. أنظر: درة الحجال، ج 2: 144 ، المفاخر العلية، مخ، خ،ح، ر. 267:12068 ، شجرة النور: 268 ، الدليل، ج 1: 264، 274 ، الأعلام للزركلي، ج 5: 335 ، معجم أعلام الجزائر 144-145 ، الموسوعة، ج 2: 24-25 ، فهارس الخزانة الملكية، ج 1: 331 ، المصادر العربية، ج 1: 121 .

(204) النجم الثاقب، فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب: كتاب يضم عدداً من تراجم الأعلام الإسلامية شرقا وغربا، من بينهم تراجم مغربية. والكتاب لازال مخطوطا توجد نسخة منه بالخزانة الحسنية تحت رقم: 2491 وأخرى بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 1292 ك.

(205) اسمه كاملا: مرآة الزمان في تاريخ الأعيان .تأليف: أبي محمد يوسف سبط أبي الفرج عبد الرحمان بن الجوزي (ت: 654 هـ/ 1256). يوجد من هذا الكتاب الجزء الثامن مخطوطا بالخزانة الحسنية تحت رقم .2529 بصدد الكتاب ومؤلفه انظر: كشف الظنون ج 2: 1647-1648 .

(206) ك: ملبسه.

(207) لعله يقصد: صاحب مرآة الزمان الذي يستشهد بكلامه صاحب النجم الثاقب . والملاحظ أن المؤلف ينقل مباشرة من هذا الأخير.

غر مناقبه، وكريم آثاره، أنه كان له ابن لأخت لم يكن *بمراكش أحسن صورة منه، ابن ثمان عشرة سنة، فاتفق أن قدم مراكش رجل من التجار مع امرأته، وكانت من أحسن النساء صورة فرآها ابن أخت يعقوب المنصور، فأعجبته، فبعث إليها من أتاه بها، وجعلها في داره، فتقدم زوجها ليعقوب وقال: يا أمير المؤمنين، أنا رجل غريب، وقد أخذ ابن أختك زوجتي. فلما سمع كلامه لم يملك نفسه، وقام مسرعا، وقال للرجل: اتبعني، وأتى دار ابن أخته، فقال له: لم أخذتَ زوجة هذا الرجل؟ فأنكر ذلك، فقال الرجل: يا أمير المؤمنين لي كليبة قد ربّتها المرأة، فإن رأيت أن تحضر لي كل امرأة في هذه الدار، وأحضر الكليبة، فإنها تعرفها من بين ألف امرأة. فأمر السلطان من في الدار من النساء وقد أخرجن المرأة بينهن، وغيرت زيها، وألبس لها من الحلي والحلل ما غير صفتها، ثم أمر السلطان بإطلاق الكليبة، فدخلت الدار، وصارت تخلف النساء واحدة واحدة إلى موضع المرأة، فبصبصت ووقفت عندها، فلما رأى السلطان ذلك نادى بالمرأة فأتته، فاختبر أمرها فوجدها زوجة الرجل، فدفعها إليه بما عليها من الحلي والحلل، ثم قال لابن أخته: ما حملك على أخذ هذه المرأة من هذا الرجل الغريب، وقد قدم علينا من (بلدة)[208] بعيدة، وقد أغناك الله عنها بما عندك من الجواري المستحسنات؟ ثم أمر غلمانه بقتله، فخرجت أم الولد وهي بادية [تبكي][209] بين يدي السلطان وتقول له: يا أخي ويا ولدي لا تفجعني في ولدي، فإنه مالي غيره. فقال لها: والله لا تركت حق الله فيه، فإنه محارب. فقتل الولد بين يديها وأمه تنظر إليه - رحمه الله تعالى ورضي عنه[210] انتهى- إلى غير ذلك من مآثره ووقوفه من الحق.

سبب قولهم إن يعقوب المنصور زهد في الملك ومات بالشام

توفي رحمه الله في الثاني والعشرين من ربيع الأول عام خمسة وتسعين وخمسمائة [211]، ودفن بمجلس سكناه من مراكش وما زعمه المؤرخ الحافظ أبو عبد الله بن بطوطة، والقاضي أبو العباس بن خلكان وغيرهما من أن هذا الملك ترهب وانخلع من الملك ولبس المرَقعة، وقصد بلاد المشرق زاهدا متبتلا، وأنه توفي هناك [212]، لا يلتفت إليه، ولا يعول عليه، فقد قال الشريف الغرناطي [213] في شرح مقصورة حازم [214]: لا أصل له، وكذا أنكره ابن خلدون أيضا.

---

(208) د، ك: بلد. والتصحيح من ز، ح.
(209) مابين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.
(210) انظر: النجم الثاقب، مخ، ح، ح، ر. 2491 الجزء الثامن: 189-190 والنقل تم بنفس اللفظ. وانظر: مرآة الزمان، مخ، خ. ح.ر. 2529 ، الجزء الثامن 300-301 ، باختلاف يسير في اللفظ.
(211) ربيع الأول 595 هـ/ الجمعة 22 يناير 1199 م.
(212) انظر هذه الرواية في وفيات الأعيان، 7: 9-10 .
(213) هو: محمد بن أحمد بن محمد، أبو عبد الله، الشريف الغرناطي الحسني. المتوفى سنة 760 هـ / 1350 م. له اهتمام بالأدب والتاريخ. أنظر: كشف الظنون، ج 2: 1807 الدليل، ج 1:262 و ج 382:2 .
(214) شرح مقصورة حازم. ذُكرَ في كشف الظنون ج 1807:2 . الدليل، ج 262:1 .
(*) • 140أ.

وقال الشيخ أبو رأس [الناصري: رأيت][215] في تاريخ اليافعي[216] أنه قال: سمعت ممن لا أشك فيه أن جمعا من شيوخ المغاربة تذاكروا رسالة (القشيري)[217] وما فيها من مشارقة، و(ذكر)[218] * مناقبهم فرأوا أن (يعارضوها)[219] برسالة فيها شيوخ المغاربة ومناقبهم، وقد ذكروا أن في القشيرية من زهد في الملك من شيوخ المشارقة وهو: إبراهيم بن أدهم[220]، ولم يجدوا في مشايخهم من هو كذلك، فقالوا: لم يتم لنا هذا الأمر إلا بذكر ملك من المغرب زهد في الملك. فقالوا: جاء الشيخ الكبير أبو إبراهيم إلى يعقوب المنصور فسرّ به، وأعطاه جوهرا نفيسا، فالتفت أبو إبراهيم إلى شجرة هنالك، وإذا هي حاملة جوهرا تدهش العقول منه، فعلم السلطان ما أكرم الله به أولياءه حتى صارت ملوك الدنيا بين أيديهم كالخدم، وما لهم حقير كالعدم، فعند ذلك حقر يعقوب الملك وزهد فيه وساح، وصار من أكابر أولياء الله[221] انتهى.

قال ابن الخطيب في ذلك: [الرجز]

وَخَلَفَ الأَمْرُ لِعَبْدِ المُؤْمِنِ	فَانْقَادَتْ الدُّنْيَا لَهُ بِرَسَنِ
حَبَاهُ بَيْنَ القَوْمِ بِالإِمَارَةِ	إِذْ وُضِحَتْ (لَهُ فِيهِ)[222] الأَمَارَةِ
فَفَتِحَ الأَقْصَى لَهُ وَالأَدْنَى	وَاسْتَحْكَمَ الأُسُّ وَقَامَ المَبْنَى[223]
وَمَاتَ لَيْلاً بِالرِّبَاطِ مِنْ سَلاَ	ثُمَّ إِلَى جِبَالِهِمْ قَدْ نُقِلاَ
وَبُويِعَ ابْنُهُ المُسَمَّى يُوسُفَا	وَفَضْلُهُ كَالشَّمْسِ مَا بِهَا خَفَا
سَارَ مِنَ الحَزْمِ عَلَى آثَارِهِ	مُهْتَدِياً بِمُجْتَلَى أَنْوَارِهِ
وَمَهَّدَ المُلْكَ وَأَحْيَا الرَّسْمَا	وَحَسَمَ الدَّاءَ العُضَالَ حَسْمَا
وَأَعْمَلَ الجِهَادَ فِي الكُفَّارِ	يَبْغِي بِهِ الزُّلْفَى وَعُقْبَى الدَّارِ
فَرُزِقَ الشَّهَادَةَ المَعْلُومَةْ	كَانَتْ بِهَا أَعْمَالُهُ مَخْتُومَةْ

---

(215) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ن ح، والتكملة من ك.

(216) اليافعي هو: عبد الله بن أسعد بن علي، عفيف الدين المعروف باليافعي (698-768هـ/ 1298-1367 م): مؤرخ متصوف من شافعية اليمن. انظر: السبكي، طبقات الشافعية، ج 103:6، العسقلاني، الدرر الكامنة، ج 2: 354-355 ، الحنبلي، شذرات الذهب ج 6: 210-212 ، سركيس، معجم المطبوعات، ج 2: 1952، الحجوي، الفكر السامي، ج2: 346، خ.الزركلي، الأعلام ج 72:4، عنان، فهارس الخزانة الملكية، ج 1: 354-355 .أما كتابه في التاريخ المقصود في المتن هو: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان. والكتاب صنف أساسا في التعريف برجالات العالم الإسلامي خاصة المشرقيين منهم. والكتاب مطبوع متداول.

(217) ح: القثيري، وهو تصحيف. والقشيري هو: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري، القشيري، أبو القاسم (376-465 هـ/ 986-1072 م). عالم متصوف، شيخ خراسان في عصره. انظر: تاريخ بغداد، ج 83:11 وفيات الأعيان، ج 205:3-208 الطبقات الشافعية، ج 3: 243-248 مرآة الجنان، ج 3: 91-93 البداية، ج 107:12 . أما الرسالة التي تنسب إليه، فهي رسالة موضوعها التصوف، تكرر طبعها، منها طبعة دار الكتاب العربي ببيروت (دون تاريخ) بتحقيق محمد بن أحمد.

(218) تكرار في د.

(219) في جميع النسخ: يعارضها، واقتضى السياق تصحيحها.

(220) هو: إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي، أبو إسحاق المتوفي سنة 161 هـ / 778 م. زاهد مشهور. أنظر: حلية الأولياء، ج 7: 367 وما بعدها و ج 3:8 وما بعدها فوات الوفيات، ج 1: 13-14 البداية، ج 10: 135، الأعلام للزركلي، ج 31:1 .

(221) انظر: الخبر المعرب، مخ. خ.ع. ر. 2273 ك ورقة: 46 أ. والنقل تم بنفس اللفظ. وانظر: مرآة الجنان، ج 3: 483-484 . باختلاف في اللفظ.

(222) في رقم الحلل في نظم الدول: 54: فيه له.

(223) بعد هذا البيت يبدأ البياض في ك ويستمر إلى البيت الأخير.

(*) * 40 ب.

وَقَـامَ بِـالأَمْـرِ ابْـنُـه (يَـعْـقُـوبْ)[224] وَعَـــضُـــرُهُ الْمُـنْــتَــظَـــرُ المَرْقُـــوبْ
أَوْقَـــعَ بِـــالأَعْـــدَاءِ يَــــوْمَ الأَرْكِ وَلَـمْ يَـمِـلْ مِـنْ بَـعْـدِهَـا لِـتَـرْكِ
فَـــلَـــقِـــيَ الـــرُّومُ بِـــهِ شَـدَائِـــدَا وَعَـاثَ (فِـيـهِـمْ)[225] صَـــادِرًا وَوَارِدًا
وَكَـــانَ ذَا عِـــلْـــمٍ شَـــهِـــيرٍ وَعَـــمَـــلِ وَنَـــالَ مِـــنْ فِـعْـلِ الـتُّـقَـى كُـلَّ أَمَـلِ
وَشَـــيَّـــدَ الآثَـــــارَ وَالمَدَارِسَـــــا وَنَـــوَّهَ الـــقُـــصُـــورَ وَالمَجَـــالِـــسَـــا
وَمَـــاتَ عَـــنْ عِـــزٍّ رَفِـــيـــعٍ وَشَـــرَفْ وَقَـــامَ بِـــالأَمْـــرِ ابْـنُـهُ لِـمَـا (اتَّـصَـفْ)[226]
* مُـحَـمَّـدٌ وَهْـوَ الإِمَـامُ الـنَّـاصِـرِ (قَدْ)[227] كُلَّ عَنْ فَضْلٍ حَوَاهُ الحَاصِرِ[228]

[تولية محمد بن يعقوب الناصر]

وهو أبو عبد الله محمد بن يعقوب الناصر لدين الله المتولى بعد أبيه. بويع في حياة أبيه، ثم جددت له البيعة بعد وفاته يوم الجمعة الثاني والعشرين من ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة [229]، وهو اليوم الذي توفي فيه أبوه فاستقامت له الأمور.

[وقعة العقاب]

وتحرك إلى بلاد إفريقية فمهدها، ثم أقبل وقد أكلب العدو على الأندلس، فأجاز البحر بقصد الغزو، وقتل بعض [قواد][230] بلاد الأندلس مثل يوسف بن باديس لما أنكر عليهم من عدم التعريف بأمر الفرنج المتكالب عليهم، ففسدت نيتهم. وكان نزوله بالموضع المعروف بالعقاب، فجروا به الهزيمة، فأوقع العدو يومئذ بالمسلمين وقعة شنيعة. ذكر المؤرخون أن المسلمين كانوا ستين (ألف)[231] مقاتل لم ينج منهم [غير][232] عدد يسير لم يبلغ الألف.

وهذه (الوقيعة)[233] هي الطامة الكبرى على الأندلس والمغرب، ومنها لم تقم للمسلمين قائمة، ولحق (الناصر)[234] مفلولا بإشبيلية، فحمل السيف على طائفة ممن توجهت إليهم (المظنة) [235] وكانت هذه الوقعة سنة تسع وستمائة [236].

---

(224) د: يعقوبا. والتصحيح من ز، ح.
(225) في رقم الحلل 55: فيها.
(226) في رقم الحلل: 55: انصرف. وإلى هنا ينتهي البياض في ك.
(227) د، ح: مذ. والتصحيح من ز.
(228) انظر: ابن الخطيب رقم الحلل: 54-55 .
(229) يوم الجمعة 22 ربيع الأول سنة 595 هـ / 22 يناير سنة 1199 .
(230) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز، ح، وفي طرة ك: رؤساء.
(231) في جميع النسخ: ألفا. واقتضى السياق تصحيحها.
(232) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ح. والتكملة من ك وفي ز: إلا .
(233) ك: الوقعة.
(234) د، ك: المنصور. والتصحيح من ز، ح.
(235) ز، ح: الظنة.
(236) سنة 609 هـ / 1212 م.
(*) 41 • أ.

وتوفي برباط الفتح ليلة الثلاثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة[237] وفيه يقول ابن الخطيب: [الرجز]

حَــتَّــى إِذَا اسْــتَــقَــلَّ بِــالأُمُــورِ   وَبَــادَرَ الــلُّــجَّــةَ بِــالــعُــبُــورِ[238]
كَــانَــتْ عَــلَــيْــهِ وَقْــعَــةُ الــعُــقَــابِ   حَــكَّــمَ فِــيــهَــا السَّــيْــفَ فِــي الــرِّقَــابِ
وَعَــظُــمَــتْ مِــنْ أَجْــلِــهَــا المَعَــرَةْ[239]   وَلَــمْ (تَــكُــنْ)[240] مِــنْ بَــعْــدِهَــا مِــنْ كَــرَّةْ
ثُــمَّ أَتَــاهُ الحِيــنُ فِــي الأَثَــارِ   وَكَــانَ يَــسْــعَــى فِــي طِــلاَبِ الــثَّــأْرِ[241]

[تولية المستنصر يوسف بن الناصر]

ثم تولى بعده ابنه المستنصر[242] يوسف بن الناصر لدين الله محمد بن يعقوب، وكان قصير الهمة عن الجهاد وآثر الراحة و(لزم)[243] محله من مراكش، وكان مولعا باتخاذ الحيوان، دخل قطيعا من البقر فطعنته بقرة، توفي منها بمراكش في الثالث عشر من ذي الحجة عام عشرين وستمائة[244]، ولم يخلف إلا حملا من جارية له، وبه ضعفت الدولة: [الرجز].

وَمَــاتَ إِثْــرَهَــا وَقَــدْ كَــانَ اسْــتَــعَــدْ   وَلَــمْ يَــقُــمْ (بِــهَــا ابْــنُــهُ ثُــمَّ قَــعَــدْ)[245]
فَــأَلِــفَ الــرَّاحَــةَ والسُّــكُــونَــا   لِــمَــا أَرَادَ الــلَّــهُ أَنْ يَــكُــونَــا
* مِنْ اخْتِلاَلِ أَمْرِهِمْ وَ (هَوْنِهِ)[246]   وَسُــرْعَــةِ (الشُّــوفِ) إِلَــى عُــيُــونِــهِ
فَــجَــدَلَــتْــهُ يَــوْمَ لَــهْــوٍ بَــقَــرَةْ   أَخْــسِسْ بِــهَــا مِــنْ مَــيْــتَــةٍ مُــحْــتَــقَــرَةْ[248]

---

(237) الثلاثاء 10 شعبان سنة 610 هـ / 24 دجنبر 1213 .
(238) بعد هذا البيت زاد في رقم الحلل : 55 بيتا واحدا وهو: جروشيكا غمة الصدور   هذا بحكم القدر المقدور .
(239) المعرة : شدة الحرب.
(240) في رقم الحلل : 55: يكن.
(241) انظر: رقم الحلل : 55 .
(242) ويلقب أيضا بالمنتصر.
(243) د، ك: ألزم.
(244) 13 ذي الحجة عام 620 هـ / الأحد 7 يناير 1224 م. وفي الأنيس المطرب: 243: أنه توفي يوم السبت 12 ذي الحجة 620 هـ / 6 يناير 1224 م.
(245) في رقم الحلل: 55 من بعدها حتى اقتعد. وزاد في رقم الحلل: 55 بعد هذا البيت بيتا واحداً وهو:

ثُمَّ تَوَلَّى بَعْدَهُ المُسْتَنْصِرُ   وَهُوَ يُوسُفُ ابْنُهُ المُشْتَهِرُ

(246) د، ك: هو له . والتصحيح من ز، ح ورقم الحلل: 55 .
(247) في جميع النسخ: الشوب وهي لا تحمل أي دلالة فصححناها من رقم الحلل: 55 .
(248) هذه الأبيات الشعرية من أرجوزة رقم الحلل لابن الخطيب: 55
(*) * 41 ب.

[استبداد الأشياخ بأمراء الموحدين]

ثم تولى بعده عمه عبد الواحد بن أبي يعقوب، وتغلبت الأشياخ عليه في دولته حسبما فعله الأتراك بالمشرق بالخلفاء، ونازعه (الأمير)[249] عبد الله بن المنصور الملقب بالعادل، فخلع الأشياخ عبد الواحد وصرفوا البيعة للعادل، وقتلوا المخلوع في الثالث عشر من صفر سنة إحدى وعشرين وستمائة[250]، ثم خلعوا أيضا العادل، وقتلوه وبايعوا أبا العلاء المأمون، وهو إذ ذاك بالأندلس ثم بدا لهم في أمره فنبذوا بيعته وقدموا يحيى بن الناصر، وتحرك عند ذلك المأمون إدريس إليهم من إشبيلية وقد استركب طائفة ضخمة من فرسان الروم، وكانت بينه وبين يحي ابن الناصر حرب صعبة انهزم فيها يحي وفرّ إلى الجبل.

[استيلاء المأمون إدريس على مراكش]

واستولى المأمون إدريس على ملك مراكش يوم الأربعاء الثاني والعشرين من شوال سنة أربع وعشرين وستمائة[251] ، وحمل السيف على أشياخ الموحدين لما نبذوه من العهد، فأبادهم ومحا اسم المهدي من السكة، وأعاد شكل الدرهم إلى معتاده، ولعنه فوق المنبر لما فيه من النزغة الخارجية، ومات في منسلخ ذي الحجة سنة ست وعشرين وستمائة [252].

[تولية أبي محمد الرشيد ووفاته]

ثم تولى بعده ابنه أبو محمد الرشيد، ونازعه طريد أبيه يحيى بن الناصر إلى أن هلك يحي في الحرب، واستقام الرشيد وتوفي غريقا في بركة ماء في بعض القصور لتاسع جمادى الأخيرة سنة أربعين وستمائة [253].

[تولية أبي الحسن علي وانهزامه]

ثم تولى بعده أخوه أبو الحسن علي بن أبي العلاء إدريس ولقب بالسعيد ، وفي أيامه ظهر بنو مرين، وأهمه أمر المشرق فاستجمع إلى حربه، ونزل بظاهر تلمسان، فكان ما هو شهير

---

(249) د، ك: الأمر. والتصحيح من ز، ح.

(250) 13 صفر سنة 621 هـ/ الأربعاء 6 مارس 1224 م. وفي الأنيس المطرب: 245 أن وفاته كانت ليلة الأربعاء 5 رمضان 20/621 شتنبر 1224.

(251) يوم الأربعاء 22 شوال سنة 624 هـ / 6 أكتوبر 1227 م. وفي الأنيس المطرب : 251 أن الاستيلاء على مراكش كان يوم السبت 25 ربيع الأول سنة 627 هـ / 9 فبراير 1230 م.

(252) منسلخ ذي الحجة 626 هـ /19 نوفمبر 1229 م.
وفي الأنيس المطرب: 253 أنه مات يوم الأحد منسلخ شهر ذي الحجة عام 629 هـ/17 أكتوبر 1232 م. وكذلك في الحلل الموشية: 166 .

(253) 9 جمادى الأخيرة سنة 640 هـ / الخميس 4 دجنبر سنة 1242 .

بإيقاع بني زيان وأميرهم يغمرا سن بن زيان[254]، فقتل، واستولى القوم على محلته وذخائره وذلك بجبل بني ورنيد يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة إحدى وأربعين وستمائة [255].

[تولية عمر بن أبي إبراهيم وخصاله]

ثم تولى بعده عمر بن [أبي] [256] إبراهيم بن أبي يعقوب، وهو الملقب بالمرتضى. وكان فاضلا خيراً عفيفا، وكانت بينه وبين بني مرين وقائع.

[تغلب إدريس بن محمد على المرتضى]

ثم لحق بسلطان بني مرين من بني عم المرتضى إدريس بن محمد بن أبي حفص بن عبد * المؤمن الملقب بالواثق، الشهير بأبي دبوس، وانتدب له إلى اجتثاث أبي حفص، وعاهده على تسليم شطر ما يناله، فعقد عليه الجيش و(أصحبه)[257] آلة السلطان، وتحرك أواخر عام سبعة وأربعين وستمائة[258] فتغلب على الحضرة[259]، وبادر المرتضى الفرار منها، وقصد أزمور[260] مستجيراً بوليه عليها وصهره من بني عطوش، وكان ابن عطوش هذا قد أسره العدو، فأفتكه المرتضى وزوجه ابنته، وولاه أزمور، فقصده لثقته به، فخانه وسد الباب دونه، وتلاحق به خدام عدوه فقتل في ثاني صفر من عام خمسة وستين وستمائة[261]، وقيل قبض عليه وطير الخبر لأبي دبوس فقتله.

[انهزام إدريس بن محمد أمام المرينيين]

واستولى إدريس على الملك. وكان بطلا مقداما، فاستبد وخان عهد سلطان بني مرين، وساء ما بينه وبينه [262]، ونشأت بينهما الحرب وكانت بينهما وقعة عظيمة انهزم لها أبو دبوس، وهي عادة الله فيمن خان بعد الميثاق والعهد.

---

(254) هو: يغمراسن بن زيان بن ثابت العبد الوادي (603-681 / 1206-1283) أول أمير استقل بالإمارة على تلمسان بعد أن حارب الموحدين مدة من الزمن.

(255) يوم الثلاثاء منسلخ صفر سنة 641 هـ / 18 غشت 1243م. وهو التباس. والصحيح: الثلاثاء منسلخ صفر سنة 646 هـ / 23 يونيو سنة 1248 م.

(256) ما بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ. فاستدركناها للتصحيح من الحلل الموشية: 168

(257) د، ك: أصحابه. والتصحيح من ز، ح.

(258) أواخر عام 647 هـ / 1249 . هفوة. والصحيح ماورد في الأنيس المطرب: 259-260 وهو: يوم السبت وقت الضحى 22 محرم عام 665 هـ / 23 اكتوبر عام 1266 م.

(259) الحضرة: يقصد بها العاصمة (مراكش).

(260) أزمور: مدينة تقع على بعد حوالي 80 كلم من الدار البيضاء، و25 كلم من الجديدة. كانت إلى نهاية القرن 9 هـ / 15 م من أكبر الحواضر بدكالة وأنشطها. وفي عهد الحسن الأول العلوي حظيت بالإهتمام، حيث قام السلطان المذكور بزيارتها وأمر بترميم قلعتها التي تواجه الميناء. وكانت من المدن السباقة إلى مبايعة السلطان عبد الحفيظ (1324هـ / 1907).
أنظر: وصف إفريقيا، ج 1: 124-125 . الموسوعة، ج 4: 28-30 أحمد بوشارب، معلمة المغرب، ج 1: 349-350
- J. Goulven, La place de Mazagan, P: 11
- Budgett Meaking, the land of the Moors, PP: 231-232.
- R. Ricard, Ency. de l'islam, T1; PP. 832-833

(261) 2 صفر عام 665 هـ/ الثلاثاء 2 نوفمبر عام 1266 .

(262) يقصد: يعقوب بن عبد الحق المريني حكم من (656 إلى 685 هـ/ 1258-1286).

(*) 42 • أ.

مدة دولة الموحدين 152

وكانت دولة الموحدين من حين انقرضت دولة اللمتونيين وذلك عام أربعين وخمسمائة [263] إلى فاتح سنة ثمان وستين وستمائة[264]، وبها مات أبو دبوس بوادي غفر ثاني شهر المحرم[265]، ووقف السلطان معتبرا بمصرعه، واحتمل رأسه لمدينة فاس.

وفي الثالث عشر من صفر العام المذكور[266] استولى سلطان بني مرين على المغرب و (تصيرت)[267] إليه الدولة الموحدية، وانقرضت دولة آل عبد المؤمن من المغرب فسبحان من هذا فعله! وعدد خلائفهم بعد المهدي ثلاثة عشر، ومدة خلافتهم مائة واثنان وخمسون عاما، وذلك من يوم قيام المهدي، وكان في الخامس عشر بعد الخمسمائة[268] كما ذكر الفاسي في أرجوزته: [الرجز]

فِي عَامِ (يِدِ) [269] بَعْدَ خَمْسِمِائَةْ ... قِيَامُ مَهْدِيِّهِمْ بِالدَّعْوَه
وَمَاتَ فِي كَد فَعَبْدُ المُؤْمِنِ ... (لنح) [270] فَيُوسُفُ ابْنُهُ بَعدَ عَنِّي [271]

[بقية أخبار عبد المؤمن بن علي]

وتولى سنة ست وعشرين[272]، وكان ذلك لما خشيه أصحاب المهدي من افتراق الكلمة بموت المهدي، فكتموا موته ثلاث سنين يموهون فيها بمرضه، ويدخل أصحابه إليه كأنه اختصهم بعيادته، ثم يخرجون لإنفاذ ما أبرموه، ويتولى ذلك عبد المؤمن، حتى استحكم أمرهم، وتمكنت الدعوج من نفوس كافتهم، كشفوا القناع عن حالهم، وتمالأ من بقي من أصحابه العشرة على تقديم عبد المؤمن فأظهروا للناس موت المهدي، وعهده لصاحبه *وانقاد بقية أصحابه لذلك وروى لهم يحي بني يغمور أنه كان يقول في دعائه إثر صلواته: اللهم بارك في الصاحب الأفضل، فرضى الكافة وانقادوا له، وأجمعوا على بيعته مع ما يحكي من حيلته لتعليمه الطائر والأسد بعلامة يقول الطير عندها: النصر والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين. والأسد يبصبص له إلى غير ذلك.

---

(263) عام 540 هـ / 1145 م.
(264) فاتح سنة 668 هـ / 1269 م.
(265) أي 2 محرم 668 هـ / الأحد 3 شتنبر 1269 م.
(266) أي 13 صفر 668 هـ / السبت 12 أكتوبر 1270 م.
(267) د، ك: تصير. والتصحيح من ز،ح.
(268) 515 هـ / 1121 م.
(269) ز، ح: نه. وهو تصحيف.
(270) ز، ح: لنج. وهو تصحيف.
(271) أنظر: زهر الشماريخ، مخ، خ، ع، ر، 487 د: 242، والأقنوم في مبادئ العلوم، مخ، ع،، ع، ر، 15 ك: 232.
(272) أي 526 هـ / 1131 م.
(*) * 42 ب.

[أرجوزة الفاسي في ذكر أمراء الموحدين]

[الرجز]

وَلِلثَّمَانِينَ [قَضَى][273] ثُمَّ ابْنُهُ   يَعْقُوبُ المَنْصُورِ لَكِنْ حِينَهُ
لِلْخَمْسِ وَالتِّسْعِينَ ثُمَّ النَّاصِرُ   وَلَدُهُ وَعَامَ (حَي يُقْبَرْ)[274]
(فَيُوسُفُ المُسْتَنْصِرُ)[275] ابْنُهُ وَعَامْ   (طَيْءٍ)[276] وَسِتِّمِائَةِ ذَاقَ الحِمَامْ
وَبُويِعَ المَخْلُوعُ عَبْدُ الوَاحِدِ   وَمَاتَ فِي عِشْرِينَ ثُمَّ وَاحِدِ[277]
وَبَايَعُوا عَبْدَ الإِلَهِ العَادِلْ   وَمَوْتُهُ فِي كَدٍّ وَهْوَ الفَاضِلْ
وَ (كَاتَبُوا)[278] إِدْرِيسَ فِي القُدُومِ   ثُمَّ أَتَى لَهُمْ بِجَيْشِ الرُّومُ
وَذَاكَ حِينَ بَايَعُوا لِلثَّائِرِ   أَعْنِي بِهِ سَلِيلَ النَّاصِرِ[279]
ثُمَّ ابْنُهُ الرَّشِيدُ مَاتَ عَامَ[280] (مغ)   ثُمَّ عَلِيٌّ السَّعِيدُ وَهْوَ لَهُ أَخْ
ظَهَرَ فِي أَيَّامِهِ بَنُوا مَرِينْ   وَمَاتَ خَتْمَ صَفَرَ فِي الأَرْبَعِينْ[281]
وَعَادَ لِلْمَلِكِ (أَبُو العُلاَ)[282] وَعَامْ   كَطَ وَسِتِّمِائَةِ ذَاقَ الحِمَامْ[283]
فَالمُرْتَضَى بَعْدَ أَبُو حَفْصِ عُمَرْ   لِلْخَمْسِ وَالسِّتِّينَ مَاتَ فِي صَفَرْ
وَرَجَعَ المُلْكُ إِلَى (إِدْرِيسَا)[284]   (قَاتِلَه)[285] وَهْوَ أَبُو دَبُّوسَا
قُتِلَ فِي (الثَّامِنِ وَالسِّتِّينْ)[286]   إِذْ خَانَ (عَهْدَ المَلِكِ المَرِينْ)[287]

وبانقراض دولة الموحدين هذه أعقبتهم دولة بني مرين.

---

(273) ما بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ، وكُتِبَ مكانها حرف: و (الواو). والتكملة من زهر الشماريخ مخ. خ.ع. ر487 : 242 .
ومن الاقنوم في مبادئ العلوم: 232 .

(274) في جميع النسخ: حي يغفر. وهو تصحيف. والتصحيح من زهر الشماريخ: 242 .

(275) د، ز، ح: يوسف المنتصر. ك: يوسف المستنصر. والتصحيح من زهر الشماريخ: 242 .

(276) في جميع النسخ: دف. والتصحيح من زهر الشماريخ: 242 .

(277) كتبَ في طرة زهر الشماريخ: 242 ما يلي: من قوله: وبويع إلى قوله: ذاق الحمام. في البيت الخامس ليس من كلام الناظم وإنما

(278) هو إصلاح لمفيد الشارح أدخل في النظم .

(279) في جميع النسخ كتبوا. والأصح ما أثبتناه من زهر الشماريخ: 242 .
بعد هذا البيت تم تأخير بيت شعري سنحيل عليه بعد قليل.

(280) في زهر الشماريخ: 242: ضمح.

(281) هفوة. لا هذا التاريخ، ولا التاريخ الذي حدده المؤلف في صفحة 363 صحيحا. والصحيح كما أثبتناه في الهامش 255 من نفس الصفحة هو: الثلاثاء منسلخ صفر سنة 646 هـ / 23 يونيو سنة 1248 م.

(282) في جميع النسخ: أبو علي. والتصحيح من زهر الشماريخ: 242 .

(283) هذا البيت هو الذي تم تأخيره ومكانه يأتي بعد البيت الذي يبتدئ بـ وذاك حين.

(284) ك: إدريس.

(285) ز، ح: قتله.

(286) ز،ح: الثامن والستينا، وفي زهر الشماريخ: 243: الثمان والستين.

(287) ز، ح: عهد الملك المرينا، وفي زهر الشماريخ: 243 عبد الملك المريني. وانظر هذه الأبيات - كلها- في زهر الشماريخ: 242-243
وانظر بعضها في الأقنوم: 232 .

5- [دولة بني مرين]

[موطن بني مرين]

وأصل مواطنهم بلاد النخيل ما بيت غدامس والسوس الأقصى. وفي سنة تسع وستمائة[288] دخلوا المغرب، فنزلوا من فجيج [289] إلى سجلماسة إلى ملوية. وكانوا قد ثاروا قبل ذلك أيام عبد المومن وولوا عليهم المخضرم منهم فقتل، ثم سكنوا، إلى أن تحرك عبد الحق منهم لطلب الملك سنة عشر وستمائة [290] بعد موت الناصر بن يعقوب المنصور.

[تحقيق نسب عبد الحق بن محيو]

وهو أول ملوكهم، وهو عبد الحق بن محيو بن أبي بكر ابن حمامة بن ورزيز بن فقوس بن كرماط بن مرين.

واختلف في صحة نسبه إلى الإمام علي كرم الله وجهه من غير فاطمة عليهما السلام فمن قائل به ومن * قائلٍ (بنفيه) [291] عنه، ويقال أنه زناتي. قال ابن أبي زرع في قرطاسة: إن بني مرين من ذرية ما خوخ الزناتي فهم وبنو وطاس وبنو وارغ وبنو تاشفين وبنو إبراهيم بن عبد الجليل من نسل واحد [292].

وقال أيضا هم من نسل قيس (عيلان) [293] بن مضر [294] انتهى.

وكون ابن وطاس منهم هو مفاد ابن خلدون، وهم ومديونة أخوة. وقال ابن خلدون في بني مرين: هم قوم مرهوب جانبهم، شديد بأسهم، كثير جمعهم، مضاهون للعرب والفرس والروم واليونان [295].

---

(288) سنة 609 هـ / 1212 م.

(289) فجيج: أو فكيك عبارة عن مجموعة من القصور (القرى) تقع على بعد 375 كلم جنوب وجدة. تسكنها فرقة من برابرة صنهاجة وفرقة من عرب الهلالية بالإضافة إلى أسر إدريسية. أنظر: الحركة الفكية، ج 2: 511 .

- Said. Sayagh, la France et les Frontières Maroco-Algériennes PP: 15-16 .

(290) سنة 610 هـ / 1213 م.

(291) ك: بنفيه.

(292) أنظر: الأنيس المطرب: 278-279 . بتصرف.

(293) في جميع النسخ: غيلان. والتصحيح من الأنيس المطرب: 279 .

(294) أنظر: الأنيس المطرب: 297 . بتصرف.

(295) أنظر ابن خلدون، العبر، ج 6:103-104 باختلاف في اللفظ.

(*) 143 أ.

وقال ابن الخطيب فيهم: [الرجز]

وَأَوْرَثَ اللهُ بِلاَدَ (الغَرْبِ)[296] (لِلسَّادَةِ)[297] الغُرِّ الكِرَامِ النُّجُبِ
(أَهْلُ)[298] الخُيُولِ والرِّمَاحِ والهِمَمْ أَنْدَى[299] بَنِي الدُّنْيَا وَأَوْفَى بِالذِّمَمِ
وَأَدْرَبُ الخَلْقِ بِرَكْضِ الخَيْلِ وَخَوْضِ أَحْشَاءِ الفَلاَ[300] وَاللَّيْلِ[301]
قَامُوا وَقَدْ بَانَ اخْتِلاَلُ الطَّاعَةِ بِمَذْهَبِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ
وَاسْتَخْلَصُوا المَغْرِبَ بِالسُّيُوفِ فِي خَبَرٍ (مُسْتَظْرَفٍ)[302] مَعْرُوفِ
فشمل الأقصى به والأدنى أمرهمْ وقامَ منه المبنّى
أَوَّلُهُمُ فِي المُلْكِ عَبْدُ الحَقِّ أَكْرَمَ مَنْ نَالَ العُلاَ بِحَقِّ[303]

[مناقب عبد الحق بن محيو]

وكنية عبدالحق هذا: أبو محمد. وقد ظهر بالمغرب الأقصى أواخر الدولة المومنية، واستخلص ملك المغرب بسيفه عام عشرة وستمائة[304].

وكان جوادا عظيم الجود، أعرف الناس بسياسة الملك، وركض الخيل وضرب السيف والنبل، ومات عام أربعة عشر[305].

[تولية عثمان بن عبد الحق ومناقبه]

ثم تولى بعده أولاده الأربعة. أولهم: عثمان؛ وكان كثير التقى، شديد العزم والحزم، عالي الهمة، أقبلت له الأيام بالسعود (دوخ)[306] المغرب، وانقاد له كل باغ معاند، ولم يزل ذلك دأبه من تدويخ [بلاد][307] المغرب، حتى هلك باغتيال علج له كان رباه صغيرا، فشب وسول له الشيطان الفتك به، فطعنه بحربة في منحره. فمات لوقته سنة ثمان وثلاثين[308] رحمه الله.

---

(296) في رقم الحلل: 76 : المغرب.
(297) د، ك: السادات. والتصحيح من ن ح، ورقم الحلل: 76 .
(298) في رقم الحلل: 76: أولي.
(299) أندى: أكثر عطاءً وسخاءً .
(300) الفلا: من الفلاة، وهي الصحراء الواسعة المقفرة.
(301) ورد في رقم الحلل: 76، بيت زائد بعد ذلك وهو: بني مرين سادة القبائل في قطرنا بواضح الدلائل .
(302) في رقم الحلل: 76: مستطرف.
(303) أنظر: ابن الخطيب، رقم الحلل: 76 .
(304) 610 هـ / 1213 م.
(305) أي 614 هـ / 1217 م.
(306) د: دوح.
(307) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح ، والتكملة من ك.
(308) أي سنة 638 هـ / 1204 م.

قال ابن الخطيب: [الرجز].

فَحَازَهَا مِنْ بَعْدِ عَبْدِ الحَقِّ　　　عُثْمَانُ يَنْبُوعُ التُّقَى والصِّدْقِ

وكَانَ مَوْصُوفاً (بِعَزْمٍ) [309] وَدَهَى　　　وَهِمَّةٍ جَازَ بِهَا فَوْقَ السُّهَى [310]

وَاغْتَالَهُ العِلْجُ الشَّقِيُّ وَغَدَرْ　　　وَ (سَارَ) [311] لِلَّهِ سَرِيعاً وَابْتَدَرْ [312]

[تولية أبي معرف محمد ومناقبه]

ثم تولى بعده أبو معرف [محمد] [313]، وكان ذا همة، صادق الوعد، كثير الجود والعطاء، توفي شهيدا عشية يوم الخميس تاسع جمادي (الأخيرة) [314] سنة إثنين وأربعين وستمائة [315]: [الرجز].

وَقَامَ بِالأَمْرِ أَبُو مَعْرَفِ　　　والفَضْلُ مِنْهُ وَاضِحٌ غَيْرَ (خَفِ) [316]

مَاتَ شَهِيدَ (الرُّوحِ) [317] فِي الهِيَاجِ　　　وَكَانَ بَدْراً يَفْضَحُ الدَّيَاجِي

[تولية أبي بكر وأعماله]

ثم تولى بعده أخوه أبو بكر، قرنه النصر، وفتح البلاد، وسهلت له الصعاب والأطواد، وكثر جنده وتابعوه، ورسخت قدمه في الملك، تحيل أهل فاس في غدره، فعادت عليهم حيلتهم بالعكس ففتك بهم فتكا عظيما، وتعدى أمره إلى سلا، وشن الغارة على بني زيان، وضيق على المرتضى بمراكش، ثم توفي رحمه الله -بعد رجوعه من سجلماسة- بفاس مريضا أواسط رجب سنة ست وخمسين وستمائة [319]، ودفن داخل باب الجيزيين [320] من أبواب عدوة الأندلس بإزاء الشيخ أبي محمد الفشتالي بوصية منه: [الرجز]

قَامَ أَبُو بَكْرٍ أَخُوهُ بَعْدَهُ　　　وَأَنْجَزَ اللَّهُ سَرِيعاً وَعْدَهُ [321].

---

(309) في رقم الحلل: 76 : بحزم،

(310) بعد هذا البيت زاد في رقم الحلل: 76 ثلاثة أبيات لم يثبتها المؤلف -ربما- عن قصد. لهذا فلا داعي لإثباتها هنا.

(311) في رقم الحلل: 76 : طار.

(312) أنظر: رقم الحلل: 76 .

(313) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.

(314) ك: الآخرة.

(315) يوم الخميس 9 جمادي الثانية سنة 642 هـ / 12 نوفمبر 1244 .

(316) ز،ح: خفي. وكذلك في رقم الحلل: 76 . وزاد في رقم الحلل: 76 بعد ذلك بيتا واحدا وهو:

أي همام صادق الوعد وفي　　　يصول منه مرهف بمرهف

(317) في جميع النسخ: الروم. والتصحيح من رقم الحلل: 76 .

(318) الدياجي: الظلمات. وانظر البيتين في رقم الحلل: 76 .

(319) أواسط رجب سنة 656 هـ / الخميس 18 يوليوز 1258 م.

(320) باب الجيزيين: تسمى اليوم باب الحمراء، والجيزة الناحية والجهة المقابلة لك من الوادي. وما زالت تستعمل إلى الآن. أنظر: الأنيس المطرب: 296 الهامش: 173 .

(321) هذا البيت الشعري، لابن الخطيب، رقم الحلل : 76 .

[تولية أبي يوسف يعقوب وأعماله]

ثم تولى بعده أخوه التقي العادل الكريم الفاضل، سلطان الجهاد، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق. تمهد له الملك واستقر بالمغرب الأمر. واستصرخ إلى الأندلس، فأجاب الداعي[322]، وابتدر الجهاد في أوائل عام إثننين وسبعين وستمائة[323]، فصدر منه من الفعال ما هو معلوم، فكانت الوقيعة على الروم بظاهر إسجة[324] استأصلت من الروم ما يناهز تسعة آلاف، وظاهره أمير الأندلس أبو عبد الله بن نصر[325] فغزوا جميعا قرطبة ونواحيها، وأظهروا عز الإسلام حتى أنه لقيه ملك (قشتالة)[326] أدفونش[327]، واستنصر به على ابنه بظاهر حصن السخرة[328] وقبّل يده، فدعا بماء (وغسلها)[329] من قبلته بمحضره، ثم وقعت بينه وبين ابن نصر فتنة[330]. وهؤلاء الأربعة أبناء عبد الحق، وهم الذين اختطوا فاس الجديد[331] وجعلوه دار (ملكهم)[332] وأخرجوا عمال الموحدين من فاس القديم بعد حروب.

وكانت وفاته بالجزيرة الخضراء في صفر من عام خمسة وثمانين وستمائة[333]. وفي أيامه كانت وقعة إدريس أبي دبوس -المتقدم ذكره- فوفاته بعد يغمراسن بخمس سنين.

---

(322) يقصد: أجاب دعوة وطلب ابن الأحمر. لأن العديد من المدن والمراكز الهامة احتلها الإسبانيون كقرطبة،جيان، اشبيلية، وبلنسية. فأنفذ ابن الأحمر رسلا محملين برسائل يطلب فيها. المؤازرة والمساعدة. أنظر بصدد هذه المعطيات، الأنيس المطرب: 313 ، الإستقصا 38:3 .

(323) عام 672 هـ 1273 م هفوة. والأصح: أول يوم من شوال سنة 673 السبت 30 مارس سنة 1275 حسب الأنيس المطرب: 313 والاستقصا 7: 38 .

(324) إسجة أو إستجة (Ecija) مدينة بالأندلس يخترقها نهر يمتد من جبال شقورة إلى جيان مارا بقرطبة واشبيلية. أنظر : صفة جزيرة الأندلس: 14-15 الموسوعة - معلمة المدن- ملحق 2: 27 . وكانت وقعة استجة في 15 .من شهر ربيع الأول سنة 674 هـ 8 شتنبر سنة 1275 م. أنظر: الأنيس المطرب: 318

(325) هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن يوسف بن نصر (633-701 هـ / 1235-1302). كان يلقب بالفقيه لما اشتهر عنه من العلم والفقه. دام حكمه بالأندلس أكثر من 30 سنة. وكانت علاقته مع يعقوب بن عبد الحق يسودها عدم الإستقرار، وفي حدود سنة 684 هـ/1285 . تحسنت العلاقة، حيث شارك جند المغرب و لأندلس في صف واحد لمواجهة جند قشتالة، تمخض عنها إقرار الصلح بين سلطان المغرب وملك الإسبان.
أنظر اللمحة البدرية لابن الخطيب: 50-60 . يوسف الأول ابن الأحمر لمحمد كمال شبانة: 27-30 .

(326) د، ك: قشتانة. والتصحيح من ز، ح.

(327) أدفونش:يقصد به الفونسو العاشر، الذي كان ملكا على قشتالة. عُرف بمهادنته لجيرانه العرب المسلمين فلم يرض بذلك رعيته، فثار عليه في أول الأمر أخوه الانفانت فيليب مع جماعة من النبلاء سنة 669 هـ / 1270 ثم بعد ذلك ولده سانشو (سانجة) سنة 681 هـ/ 1282 افضى ذلك إلى هزيمة الفونسو العاشر ووفاته سنة 683 هـ / 1284 م.

(328) كذا في جميع النسخ. وفي المصادر ورد اسمها بالصاد، هكذا: صخرة عباد. وقد حدث ذلك في جواز يعقوب بن عبد الحق الثالث سنة 681 هـ / 1282 . أنظر: الأنيس المطرب: 338 ، العبر 7:,205 الاستقصا 55:3 .

(329) ك: فغسلها.

(330) كان سبب هذه الفتنة مدينة مالقة، لكن سرعان ما عاد جو الصفاء والتفاهم، حيث استغاث ابن نصر بولي عهد يعقوب ابن عبد لحق وهو يومئذ بالمغرب، فعبر إلى الأندلس وسعي في الصلح بين الملكين، تنازل ابن نصر على إثره عن مدينة مالقة ليعقوب المنصور المريني لتكون بمثابة قاعدة للجنود المغاربة. أنظر: الأنيس المطرب: 338-339 ، العبر، ج: 205-206 ، الاستقصا ج: 56:3-57 ، يوسف بن الأحمر: 29 .

(331) الذي اختط فاس الجديد وأمر ببنائها هو: يعقوب بن عبد الحق المريني في 3 شوال سنة 674 هـ / السبت 21 مارس سنة 1276 م. أنظر بصدد هذا المعطى: الأنيس المطرب:322-404 روضة النسرين لابن الأحمر: 19-20 .

(332) د، ح، ك: ملوكهم. والتصحيح من ز.

(333) صفر عام 685 هـ/29 مارس 26 أبريل1286 هفوة . بعض المصادر تجمع على أن وفاته كانت يوم الثلاثاء 22 محرم سنة 685هـ 19 مارس .1286 أنظر: الأنيس . وروضة النسرين: 18 الاستقصا 65:3 .

[تولية يوسف بن يعقوب وفتوحاته]

ثم تولى بعده ابنه يوسف، فتح أمره بالجواز إلى الأندلس، وبادر سلطانها بلقائه مستلطفا * به، وجدد معه الود[334]، ثم ذهب إلى تلمسان بعد أن (أثخن)[335] في الكفرة بجملته وصيرها دار ملكه وحصرها سبع سنين وعجزت حيلة أهلها بفراغ القوت ثم إن عبداً من الخصيان دخل على السلطان بين نسائه فضربه (بمدية)[336] ضربة خرقت معدته وولى هاربا نحو البلد، فقبض عليه. وعاش السلطان بقية يومه، ثم مات في ذي القعدة سنة ست وسبعمائة[337] وقبره هنالك، ثم نقل بعدما سكنت الهيعة إلى مقبرتهم بشالة فدفن بها. وبموته انقضت مدة الحصار على آل يغمراسن وقومهم.

[تولية عامر وعقده الصلح مع أمير تلمسان]

ثم تولى بعده عامر نجل أبيه، وكان أطعم سيفه وسقاه من عدوه، وأكثر القتل في العرب، وبادر إلى معاقدة موسى بن زيان [338] المحصور بتلمسان، فأتى تلمسان الفرج من حيث لم يحتسبوا، وكتبوا على سكتهم [339] : ما أقرب فرج الله. وذلك بسبب ما فشا عنده من أن أمر بني مرين كاد أن يفسد. فبعث إلى صاحبي تلمسان أبي زيان وأبي حمو [340] ابني عثمان بن يغمراسن [341] فعقد لهما عهدا على أن يرحل عنهم (يحمونه) [342] وأن يمدوه بالآلة، ويضموه إليهم إن خاب أمله، ولم يتم له أمر فأجابوه إلى ذلك.

ومات رحمه الله يوم الأحد الثامن من شهر صفر سنة ثمان وسبعمائة [343].

---

(334) إن يوسف بن يعقوب المنصور، جدد الصلح -في أول الأمر- مع ابن الأحمر، حيث تنازل له عن الأراضي التي كانت تحت نفوذ والده (يعقوب) بالأندلس باستثناء رندة والجزيرة وطريف، ثم بعد ذلك جدد الصلح- ولعل هذا هو القصد هنا في المتن - مع سانشو في ربيع الثاني من سنة 685 هـ/ 1286 م. أنظر: الأنيس المطرب: 376 الاستقصا ج 3: 66 .

(335) د، ك: أثخن.

(336) ن ح: بمدية.

(337) ذي القعدة سنة 706 هـ / 4 ماي - 2 يونيو 1307 م .

(338) لعله يقصد محمد بن عثمان بن أبي زيان، الذي خلف أباه على إمارة تلمسان (سنة 702 هـ / 1305) وهو الذي عقد الصلح مع عامر المريني شريطة فك الحصار المضروب على تلمسان.

(339) ورد في ك بعد ذلك: بعد، وهي كلمة زائدة.

(340) يقصد: موسى الأول بن عثمان بن يغمراسن بن زيان، أبو حمو (665-718 هـ / 1267-1318 م): أمير من بني عبد الواد الزيانيين، خلف أخاه في إمارة تلمسان سنة 707 هـ 1308 م فحصنها درءا من هجومات المرينيين.

(341) هو: عثمان بن يغمراسن بن زيان (639-703 هـ/ 1241-1304 م) من بني عبد الواد بالمغرب الأوسط. أصبح أميراً على تلمسان بعد وفاة أبيه (سنة 681 هـ / 1282م) وكانت له وقائع مع المرينيين (سنة 697 ,696 ,695 ,689 هـ) أفضت إلى محاصرته.

(342) في الاستقصا ج: 3: 91: بمجموعه .

(343) يوم الأحد 8 صفر سنة 708 هـ / 28 يوليوز 1309 م.

(*) 144 أ.

[تولية أبي الربيع سليمان]

ثم تولى بعده أخوه أبو الربيع سليمان بن أبي عامر عبد الله بن يوسف، وتصيرت إليه سبتة وما والاها مما كان الأندلسيون تغلبوا عليه. وتوفي بتازا في جمادى الأخيرة من عام عشرة وسبعمائة (344).

[تولية أبي سعيد عثمان وتغلبه على ابنه عمر]

ثم تولى بعده أبو سعيد عثمان بن يعقوب بن عبد الحق رحمه الله، فكانت أيامه (أعياداً)(345) ومواسم. قام عليه ولده عمر، وخرج إلى لقائه، والتقيا بأحواز تازا، وانهزم السلطان، فدخل تازا جريحا، وحاصره ابنه بها ثم (أقلع) (346) عنه عن مهادنة وأصابه مرض اختل به أمره واشتد وجعه، وخشي الناس على أنفسهم اختلال الأمر بموته، فتسايلوا إلى والده أبي سعيد بتازى، فنهض من تازى، واجتمع إليه كافة بني مرين، وعسكر على البلد الجديد، وأقام محاصرا له، وابتنى داراً لسكناه، وجعل لإبنه الأمير أبي الحسن ما كان لأخيه أبي علي من ولاية العهد وتفويض الأمر. ثم خرج عن عهد وسار إلى سجلماسة فبقي إلى أن هلك.

وتوفي السلطان عثمان في أواخر ذي القعدة من عام أحد وثلاثين وسبعمائة (347).

[تولية أبي الحسن علي وأعماله]

ثم تولى بعده ابنه أبو الحسن علي بن عثمان، فبادر إلى منازلة *أخيه المذكور، وبعث الجيوش إلى جبل الفتح، فنازله حتى فتحه، فحاز الأجر والفخر. وكان معدوداً من الأخيار وهو جوهرة عقد بني مرين، صاحب دين وعفاف، وجلالة وعز وقدرة وجزالة وعلم وحلم، مهد الملك، وبنى المباني الشريفة، والمدارس الظريفة الشاهدة له (بأنه) (348) الخليفة.

وكان -رحمه الله- معظم المجلس لا يلفى فيه إلا تدبير في أمور المسلمين، أو تدريس علم، أو تجهيز جيش لسد ثغر، أو إعطاء لمستحق، أو ذكر أو تلاوة قرآن أو نسخه، كتب ثلاثة (مصاحف)(349) ووقفها على المساجد الثلاثة: مسجد مكة، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس.

---

(344) جمادي الثانية عام 710 هـ / 26 أكتوبر - 23 نوفمبر 1311 .
(345) ز، ح: أعيادا والتصحيح من د، ك .
(346) د، ك: أقام. والتصحيح من ز،ح .
(347) أواخر ذي القعدة عام 731 هـ / أوائل شتنبر 1331 م.
(348) د، ز، ك: بابنه. والتصحيح من ح.
(349) ح: مصاحب.
(*) • 44 ب.

ورتب عليها أوقافا تجري أقلام الحسنات في إطلاقها، وحبّس أملاكا شامية تحدث فنعم الأملاك التي (صارت)[350] من مغرب الأرض إلى مشرقها، والله تعالى يمتع من وقف هذه الختمات. بما سطر له في أكرم المصاحف، وينفع الجالس من ولاة الأمور في تقريرها ويتقبل من الواقف. ولما نزل أبو تاشفين أمير بني زيان مدينة بجاية، وضايق ملوكها الحفصيين استجاروا به وصاهروه، (فكتبوا)[351] إليه في الإفراج عن بلادهم والإنصراف (عن)[352] مضايقتهم، فلحوا بما كان داعيا لأعمال الحركة الثقيلة ولادخار ما يحتاجونه، فنازلهم ثلاث سنين لم يغن عنهم من الحزم والمضايقة ما أعدوه، ولا نفعهم ما ادخروه حتى دخلها عنوة، وفي الجمان النفيس[353] أنه هو الذي بنى المنصورة[354] الشهيرة الغرة بساحة تلمسان، وكذا لابن الخطيب قال: [الرجز].

أَتَـى تِـلِـمْـسَـانَ بِـعَـزْمٍ لاَ يَـنِـي ... كَـالسَّـيْـفِ مَـاضٍ حَـدُّهُ لاَ يَـنْـثَـنِـي
فَـآثَـرَ السُّـكْـنَـى عَـلَـيْـهَـا وَبَـنَـى ... وَاتَّخَذَ القَصْرَ بِهَا وَ (اسْتَوْطَنَا)[355]
ثُـمَّ بَـنَـى المَنْـصُـورَةَ الشُّـهِـيرَةْ ... (الـغُـرَّةَ)[356] الجَامِـعَـةَ الـكَـبِـيرَةْ[357]

خلافا لما زعمه بعض المؤرخين من أن بانيها الملك العادل يعقوب بن عبد الحق[358].

ولما فرغ من أمر تلمسان واستضاف بلدها إلى بلده، شرع في الإجازة إلى بر الأندلس، وجهز للجهاد، فأوقع بعدو البحر، وأساطيل الروم الوقعة المشهورة يوم السبت سادس شوال من عام أربعين وسبعمائة[359] و(عبر)[360] إلى جبل الفتح ونازل [مدينة][361] طريف [ثالث شهر المحرم من العام بعده، وتمادى حصاره إياها، وأخذ بمخنقها فأعيت، واستدعى بها من المحصورين ملكهم، فخرج يقود العسكر اللجب مستمدا ملك الأشبونة وبرتقال وسواه وأسرع

(350) د، ك: صرت. والتصحيح من ن ح.
(351) في جميع النسخ: فكتب. واقتضى سياق المعنى تصحيحها.
(352) ن: من.
(353) اسمه كاملا: عقد الجمان النفيس، في ذكر الأعيان من أشراف غريس. لأبي زيد عبد الرحمان بن عبد الله بن أحمد التجاني. لم أقف على نص الكتاب بالعربية، وإنما وقفت على ترجمة له بالفرنسية في المجلة الإفريقية لسنة 1891 بقلم كين (L.GUIN) أنظر:
- L.Guin, le collier de Perles Précieuses, ou mention des principaux personnages d'origines nobles du R'ERIS. in revue Africaine, 4e trim. 1891. Alger pp: 241-280
والكتاب يحتوي على ترجمات للاعلام الأشراف الذين أتوا إلى بلاد غريس بالجزائر، والذي ماتوا بها في القرنين 10 و 11 الهجريين / 16 و 17 الميلاديين.
(354) المنصورة: مدينة أسسها يوسف بن يعقوب المريني قرب تلمسان (بين سنة 698 هـ / 1299 م و700 هـ / 1301م) وليست من تأسيس أبي الحسن علي المريني كما هنا في المتن. والسبب في تأسيسها هو ضرب الحصار على بني عبد الواد الذين جعلوا تلمسان عاصمة لهم. وقد دام الحصار سبع سنوات. وقبل أن يدير يوسف السور على المنصورة، بنى قصرا لسكناه، ومسجدا، ومارستانا، والحمامات والفنادق، وغير ذلك حيث صارت مدينة كاملة تحتوي عى جميع المرافق. وأبو الحسن علي، أحيا معالمها ورمم مبانيها عند دخوله إليها سنة 735 هـ / 1334 م.
أنظر: الاستقصا ج 3:80، 91، 124، 178. المغرب عبر التاريخ ج2: 132-133. قبائل المغرب، ج1:130. الموسوعة المغربية، ملحق 357:2.
(355) ز ح: استوطن.
(356) في رقم الحلل: 81: الفذة.
(357) أنظر: رقم الحلل: 81
(358) أنظر تعليقنا -السابق- في الهامش رقم: 354.
(359) يوم السبت 6 شوال عام 740 هـ / 5 أبريل 1340 م.
(360) د، ك: فر. والتصحيح من ز، ح.
(361) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز، ح.

السلطان أبو الحجاج بن نصر سلطان الأندلس اللحاق به ممداً إياه. وكان اللقاء بين الطائفتين][362] بظاهر (طريف)[363]، وساء التدبير و(اختل)[364] مصاف المسلمين، وأضاعوا الحزم وأسلم السلطان مضاربه، ومن * جملة ما بها (أزواج)[365] من بنات الملوك، ووقعت بهن المثلة بعد القتل، وكان (خطبا)[366] على الإسلام (قلما فُجع)[367] بمثله ضحوة يوم الإثنين السادس من جمادى الأخيرة من عام إحدى وأربعين وسبعمائة[368].

ثم لحق بسبتة، وأخذ في الاستعداد لطلب ثأره، فرحل إلى مراكش ورتب الأمور، وعظمت شوكته، وتحرك إلى بجاية في صفر عام ثمانية وأربعين وسبعمائة[369]، واستولى على مدينة بجاية، ثم على مدينة قسنطينة، وهابه كل أمير، وخرج صاحب تونس[370] فاراً منها وقتل، واهتزت الأرض إلى طاعته، ودخل العرب في بيعته، وحذر الملوك بمصر ما شاع من سطوته، وانفساح إيالته. وشهرة ذكره، ودخل تونس في محفل لم يسمع بمثله ثالث عشر جمادي الأخيرة عام ثمانية وأربعين وسبعمائة[371]. وبعد ذلك اختل أمره وهزم وفرّ إلى القيروان مستجيراً بها، وسمع خروج أبي عنان، وكان ادعى لنفسه، وتسبب في عدواة ملوك تلمسان ليكونوا حائلا بينه وبين أبيه.

ثم رجع لتونس وركب البحر، وأشرف على الهلاك، ثم قصد تلمسان، فهزمه أيضا صاحبها المنصور من بني (عبد الواد)[372] ولحق بمراكش والتقى مع ولده أبي عنان بوادي أم الربيع[373] وكانت الهزيمة عليه أيضا. وسكن أبو عنان مراكش إلى أن مات السلطان المذكور في الثالث والعشرين من ربيع الثاني من عام إثنين وخمسين وسبعمائة[374]. وأهبطت جنازته من الجبل فرحل بها ابنه إلى سلا، فدفنت بها، وخلص الأمر لأبي عنان.

وبالجملة فإن ملوك بني مرين كان أمرهم في اضطراب مما بلوا به من أمر بني (عبد الواد)[375] وقتال المشركين، حتى أنهم لم يقر لهم قرار، ولم يصف لهم كدر.

---

(362) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك، والتكملة من ز، ح.
(363) د: ظريف. والتصحيح من ز، ح، ك.
(364) ز: احتلت.
(365) ز، ح: أزواجه.
(366) د، ك: الخطب. والتصحيح من ز،ح.
(367) د، ك: قل ما يجتمع. ز: قلما فجمع. ح: قل ما فجمع وكل هذه الكلمات مصحفة. والصحيح ما أثبتناه في المتن، ليستقيم المعنى.
(368) يوم الإثنين 6 جمادي الثانية عام 741 هـ /27 نوفمبر 1340 م.
(369) صفر عام 748 هـ / 13 ماي - 10 يونيو 1347 م.
(370) يقصد: عمر بن أبي بكر الحفصي.
(371) 13 جمادى الثانية عام 748 هـ / الخميس 20 شتنبر 1347 م.
(372) د: عبد الوادي. والتصحيح من ز، ح، ك.
(373) أم الربيع: نهر ينبع من جبل ببني مكليد ويمر على قبائل زيان، إشقيرن، بني عامر، بني موسى وغيرها إلى أن يصب في المحيط الأطلسي قريبا من مدينة الجديدة. أنظر: كربخال: إفريقيا ج 1: 34-35 ، ابن عبد الله، الموسوعة، ج 4: 149 .
- CH. de Foucauld: Reconnaissanc au maroc, P: 259.
- WALTER HARRIS, Le maroc disparu. P: 57 .

(374) 23 ربيع الثاني عام 752 هـ / الأحد 19 يونيو 1351 م.
(375) د، ح: عبد الوادي. والتصحيح من ز،ك.
(*) • 145 أ.

وسيد دولتهم وواسطة عقدهم، أبو الحسن هذا، وهو الذي طمحت نفسه لاستخلاص الأقاليم، واحتمال العظائم، فاقتلع شوكة بني عبد الواد، وأباد أهل (الزاب) [376] وبني مناد، وأفل أحياء العرب بعزيمة لاشك فيها ولا ارتياب، حتى خيَّم بعساكره -كما تقدم- على إفريقية، فانقلبت له الأمنية، وفوق إليه الدهر سهام الإنتقاض، وخالفه القدر فيما كان يحاوله من الأغراض، فرجع القهقرا، ولم يعرج من خلفه من الورى.

وأما سواه من بني مرين فلم يحذ أحد حذوه، ولم يقارب أحد شكله، أتته بيعة ابن ثابت، ملك طرابلس مع ابن الحافي وهو بوهران، وبايعه ابن مكي صاحب *قابس [و] [377] ابن عباد صاحب قفصة، وكذا صاحب توزر، وبايعه يوم تونس خمسون ملكا في يوم مشهود وتقدم تاريخه. وهو الذي بنى البرج الأحمر العديم النظير بوهران، وجعل في وسطه دائرة كاد الجو يغص بها سنة ثمان وأربعين [378] وأمر أيضا ببناء برج المرسى بها رحمه الله.

[تولية أبي عنان وأعماله]

ثم تولى بعده أبو عنان. وفي سنة أربع وخمسين [379] غزا تلمسان، ففتك بها فتكة عظيمة.

وهو أول من اعتنى بتعظيم المولد النبوي في البلاد المغربية، فاقتدى به أبو حمو بتلمسان، وبنو حفص بتونس. وكان (يقرأ)[380] القرآن بالسبع، أديبا، كثير الاعتناء بشعر ابن خميس التلمساني[381] وتوفي بعد أخذه تلمسان، وقتل ملكها عثمان[382] وأخيه ثابت[383]فتحه قسنطينة وبجاية. ودخل أسطوله تونس. وتوفي في الرابع والعشرين من ذي الحجة عام تسعة وخمسين وسبعمائة[384]. وكانت وفاته لعلة لازمته، فضعف بها كثيرا، يقال أنه قتل نفسه.

---

(376) د: الراب. والتصحيح من ن ح، ك.
(377) ما بين المعقوفتين ساقطة من ح.
(378) أي سنة 748 هـ / 1347 م.
(379) أي سنة 754 هـ 1353 م. وفي الاستقصا ج 182:3 أن ذلك كان في ربيع الثاني سنة 753 هـ /17 ماي 14 يونيو 1352 .
(380) ك: يقرؤ.
(381) هو: محمد بن عمر بن محمد الحجري الرعيني أبو عبد الله التلمساني (650- 708 هـ / 1254- 1309 م): شاعر، وأديب التجأ إلى غرناطة وتوفي بها. أنظر ابن القاضي ازهار ارياض ج2: 301 – 329 ، 335 – 340 ، ابن عبدالله، الموسوعة ج: 1: 96 ، الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، ج 146:2-149 عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، ج6: 361-365 .
-M. Hdj-SADOK. Ency. de l'islam, T 3. PP: 857 -858
(382) اسمه: أبو سعيد عثمان بن عبد الرحمان الزياني.
(383) في الاستقصا ج3: 182 أبي ثابت.
(384) 27 ذي الحجة عام 759 هـ / الثلاثاء 27 نوفمبر 1358 .
(385) هو: أبو بكر السعيد بن أبي عنان، ويكنى -أيضا- بأبي يحيى، بويع - وأبوه مريض- بتدبير الوزير الحسن بن عمر الفودودي. ولما ثار أبو سالم بجبال غمارة وقعت ردة بين الناس فخلعوا، السعيد وشايعوا السلطان الثائر (760-1359 م). أنظر: ابن الأحمر، روضة النسرين: 30 .
(*) • 45 ب.

[نزاع خلفاء أبي عنان على الحكم وانقراض دولة بني مرين]

وتوقع بين ولديه اضطراب. فبويع منهما: أبو بكر السعيد[385] وقتل أخاه المنازع أبا زيان[386]. ثم تولى بعده عبد الحق[387] ونوزع.

واستمر الملك فيهم إلى عام خمسة وسبعين وثمانمائة[388]، [إذ] [389] قام محمد بن علي بن عمران الإدريسي الجوطي على آخر ملوكهم عبد الحق هذا وولي ملكه فمدة ملكهم مائة سنة وسبع وستين سنة[390] ثم خلع الجوطي لسنة من ملكه[139].

[أرجوزة الفاسي في ذكر أمراء بني مرين]

ثم صار الأمر بعدهم لبني وطاس، وفي ذلك يقول الفاسي رحمه الله: [الرجز].

مَـلَـكَ عَـبْـدُ الحَقِّ فِي السَّبْعِمِائَةْ	سَـنَـةً عَـشْـرَةَ وَ (خَـلَّـفَ) [392] فِئَةْ
مِنَ الـبَـنِـينِ جُـلُّـهُـمْ قَدْ مَـلَـكُوا	وَيَـلْـغُـوا مَـا أَمَّـلُـوا وَأَدْرَكُـوا
مُحَمَّدٌ (مِنْ)[393] بَعْدِ عُثْمَانَ أَبُو	بَـكْـرٍ أَبُـو يُـوسُـفَ بَـعْـدَ يَـعْـقُـبُ [394]
وَمَاتَ فِي الثَّمَانِ (فَوْقَ السَّابِعَةْ) [395]	وَعَـامِـرٌ بَـعْـدَ عَـنَـا مَـا عَـايَـنَـهْ
ثُمَّ سُلَـيْـمَـانَ كِلاَهُمَا حَفِيدْ [396]	وَمَـاتَ فِـي الـعَـشْـرِيَـلِي أَبُـو سَعِيدْ
فِـي لاذ مَـاتَ فَـابْـنُـهُ أَبُـو الحَسَنْ	نَـبِـذ فَـابْـنُـهُ أَبُـو عِـنَـانَ (طَـن) [397].
ثُمَّ (أَبُـو سَـعِـيـدٍ) [398] طَبِّقَ التَّاسِعَةْ	وَفَـاتُـهُ فِـي كَـجٍ مِـنْـهَـا، وَاقِـعَـةْ
فَـالإِبْـنُ عَـبْـدُ الحَقِّ اخِـراً نُـزِعْ	وَوَلِـيَ الجوطـي وَفِـي عـهِ خُـلِـعْ [399]

---

(386) اسمه: محمد بن أبي عنان، بويع سنة 759هـ/1358م بإيعاز من الحسن بن عمر الفودودي، لكن لم يلبث هذا الأخير أن تراجع عنه ليبايع السعيد. أنظر: ابن الأحمر، روضة النسرين: 29 .

(387) التباس، الذي تولى بعد أبي بكر السعيد هو: أبو سالم إبراهيم ابن أبي الحسن، بويع يوم الجمعة منتصف شعبان من عام 760 هـ/ 12 يوليوز 1359 م. وقتل يوم الخميس 21 ذي القعدة سنة 762 هـ / 22 شتنبر 1361 م.

(388) التباس، والصواب: استمر الملك فيهم إلى عام تسعة وستين وثمانمائة (869 هـ / 1464 م)، وهي السنة التي قتل بها عبد الحق المريني، وبه تنتهي دولة بني مرين.

(389) ما بين المعقوفتين تكملة اقتضاها السياق، فأثبتناها في المتن.

(390) التباس، إن مدة ملكهم 259 سنة تقريبا إذا اعتبرنا سنة 610 /1213 بداية ملكهم بالمغرب. ونهايته بنهاية حكم عبد الحق سنة 869 / 1464 .

(391) التباس، إن محمد بن علي بن عمران الإدريسي الجوطي لم يخلع إلا بعد مضي 7 سنوات من الحكم بمدينة فاس وذلك ابتداء من سنة 869 هـ/ 1464م إلى سنة 875 هـ/ .1470 والذي خلعه هو أبو الحجاج يوسف بن منصور بن زياد الوطاسي، فالتجأ إلى بني حفص بتونس، أنظر: الاستقصا: 117:4 .

(392) ك: حلف.

(393) د، ح، ك: بن، والتصحيح من ز.

(394) كذا في جميع النسخ، وورد في طرة زهرا الشماريخ، ح، ع، ر 487 د:243: أي بأثره، وهو توضيح لـ "بعد يعقب". ونحن نعتقد أنه وقع تصحيف في الإسم، والصحيح هو :أبو يعقوب، والدليل على ذلك استعمال صاحب الأرجوزة لكلمة "حفيد: بعد البيت التالي، وهو يقصد حفيد أبي يعقوب يوسف ثم قول المؤلف: "وهذه ملوكهم الثلاثة عشر". وهذا العدد لن يكتمل إلا بزيادة إسم واحد، وهو ما أشرنا إليه في هذا التعليق.

(395) كذا في جميع النسخ، وفي زهر الشماريخ: 244: وفق الثامنة، وكذلك في الاقنوم: 233 وهو يقصد أن عامرا مات في سنة 708 هـ/ 1309 م.

(396) يقصد أن عامرا وسليمان كلاهما حفيدين لأبي يعقوب يوسف.

(397) في زهر الشماريخ: 244 عن. وزاد في زهر الشماريخ: 244 والأقنوم: 233 بيتين وهما:

نـط أبـو سـالم عـه ثـم ابـنـه	محـمـد وخـلـعـه دفـولـه
وحـق مـوسـى ثـم ضـر أحـمـد	عـبـد الـعـزيـز حض وهـوولـد

(398) في زهر الشماريخ: 244: أبو سعيد عامر، وفي الاقنوم: 233: أبو عامر وكلاهما خطأ والقصد هو: أبو سعيد عثمان، الذي تولى الحكم بعد وفاة شقيقه المستنصر أبي عامر سنة 800هـ/1397 واستمر يدبر شؤونه إلى أن توفي حوالي 823هـ/1420 . ورغم طول مدة حكمه فلم يحقق شيئا ذا بال، وقد ساد الغموض أواخر عهده.

(399) أنظر: زهر الشماريخ: 243-244 والاقنوم في مبادئ العلوم: 233 .

وهذه ملوكهم الثلاثة عشر.
ثم دولة بني وطاس وقد تقدم أنهم من بني مرين.

6- [دولة بني وطاس]

[بيعة أبي عبد الله محمد الشيخ ووفاته]

*وأولهم: أبو عبد الله محمد الشيخ بن أبي زكري الوطاسي. بويع سنة خمس وسبعين وثمانمائة (400) كما قال: [الرجز]

مُـحَـمَّـدٌ أَوَّلُـهُـمْ نَـجْـلُ أَبِـي   زَكْرِي و(فِي غي)(401) قَضَى بِالمَغْرِبِ(402)

وكانت وفاته سنة عشر وتسعمائة (403).

[تولية محمد بن محمد الشيخ ووفاته]

ثم تولى بعده ولده محمد في التاريخ المذكور. ومات عام إثنين وثلاثين وتسعمائة (404) كما قيل: [الرجز]

وَبَـعْـدَهُ وَلَـدُهُ مُـحَـمَّـدُ   (وَعَامْ غلب) (405) قَدْ أَتَاهُ (الأَمَدُ) (406).

[تولية أبي حسون علي ثم خلعه]

ثم تولى بعده أبو حسون، وهو: علي بن محمد بن [أبي] (407) زكري الوطاسي.
بويع بفاس سنة إثنين وثلاثين وتسعمائة (408)، ثم قبض عليه ولد أخيه أحمد بن محمد وخلعه، وأشهد عليه بخلعه.

[بيعة أحمد وانقراض دولة بني وطاس]

وبويع أحمد يوم خلع عنه أبي حسون في آخر ذي القعدة من السنة المذكورة (409). وبه انقرضت [دولتهم] (410). وقيل: إن أبا حسون قتله (411) محمد الشيخ أحد ملوك السعدية سنة خمس وخمسين وتسعمائة (412).

---

(400) سنة 875 هـ / 1470 م.
(401) في جميع النسخ: وفزعي. والتصحيح من زهر الشماريخ: 244 ليستقيم المعنى.
(402) أنظر زهر الشماريخ: 244 .
(403) سنة 910 هـ / 1504 .
(404) عام 932 هـ 1525 م.
(405) في جميع النسخ: غلب عام. والتصحيح من زهر الشماريخ: 244 ليستقيم المعنى.
(406) في الاقنوم: 233: الأمر. وانظر هذا البيت في الأقنوم: .233 وزهر الشماريخ: 244 .
(407) ما بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ. فاضفنا التكملة للتصحيح.
(408) سنة 932 هـ / 1525 م.
(409) أي آخر ذي القعدة من سنة 932 هـ/ الأسبوع الأول من شتنبر سنة .1526 وفي الاستقصا ج 149:4: في آخر ذي الحجة متم سنة 932 هـ / أوائل أكتوبر 1526 م.
(410) ما بين المعقوفتين ساقطة من ن.
(411) من هنا يبدأ النقل من الخبر المعرب مخ، خ، ع، ر 2273 ك: ورقة 16 أ.
(412) سنة 955 هـ/ 1548 م. وفي الاستقصا ج 4: .161 أن قتله كان يوم السبت 24 شوال 961 هـ/ 22 شتنبر 1554 إثر معركة فاصلة استولى السعديون فيها على مدينة فاس.
(*) - 146.

فمدة ملكهم ثمانون سنة [413]. وكان أهل فاس يحبون أبا حسون حبا شديداً [414]. كذا في الخبر المعرب [الرجز]:

ثُـــمَّ أَبُـــو حَـــسُّـــونَ أَحْـــمَـــدُ أَخُـــوهُ   خَـلَـعَـهُ وَالمُلْكَ فِـي نَـهْ سَـلَـبُوهُ [415]

ولله الأمر من قبل ومن بعد.
وبعدهم دولة السعديين.

7- [دولة السعديين]

[نسب أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله]

وأولهم القائم بأمر الله أبو عبد الله محمد القائم بن محمد بن عبد الرحمان بن علي بن مخلوف بن زيدان بن أحمد بن محمد بن أبي القاسم بن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أبي محمد بن عرفة بن الحسن بن أبي بكر بن علي بن حسن بن أحمد بن إسماعيل ابن قاسم بن محمد النفس الزكية بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، هكذا ذكره صاحب المنتقى المقصور على مآثر خلافة السلطان أبي العباس المنصور[416] وذكر أنه حدثه بهذا عدة أشياخ، ورآه بخط بعض الأشراف من السعديين. قال: وأظن أن فيه بتراً بين قاسم ومحمد النفس الزكية، فإنه لا يعرف في أولاد النفس الزكية من اسمه قاسم وإنما القاسم بن محمد بن عبد الله الكامل، إلا أن هذا يقع من ذهول الناسخ أو جهله بحقيقة الأمر، والله أعلم[417] انتهى. وقيل في نسبهم غير هذا من أنهم عباسيون وغير ذلك والله أعلم.

[سبب بيعة محمد القائم بأمر الله]

والقائم بأمر الله نشأ على عفاف وصلاح، وحج البيت الحرام، وكان مجاب *الدعاد.

وكان قيامه سنة خمس عشرة وتسعمائة [418] بسبب تكالب العدو وإحاطته بأرض سوس. وبقي المسلمون في ضيق وقلة ناصر لذلك، لأن بني وطاس فشلت (رياح) [419] ملكهم في بلاد السوس، وإنما كان لهم الملك في حواضر المغرب مع ما كانوا فيه أيضا من قتال الكفار بثغر

---

(413) إن مدة ملكهم ست وثمانون سنة (86) إذا أخذنا بالإعتبار تاريخ مقتل أبي حسون هو 961 هـ/1554 م. وهو التاريخ المرجح عند المؤرخين.
(414) إلى هنا ينتهي النقل -بنفس اللفظ- من الخبر المعرب: ورقة: 16 أ.
(415) البيت لأبي زيد عبد الرحمان الفاسي. زهر الشماريخ: 244 ، الاقنوم 233 .
(416) أنظر: المنتقى المقصور لابن القاضي: 242-243 . بتصرف.
(417) هذا النص لم أقف عليه في المنتقى المقصور: 242-244 .
(418) سنة 915 هـ / 1509 م.
(419) ز: ريح.
(*) + 46 ب.

أصيلا (420) وحجر بادس وغيرهما. فطلب أهل سوس من الشيخ الصالح أبي عبد الله محمد [بن مبارك بأن يقوم بأمرهم، وشكوا إليه حالهم مع الكفار، فدلهم على أبي عبد الله محمد] (421) القائم فبايعوه سنة ست عشرة وتسعمائة (422) بقرية تدس قرب تارودانت، ففتح الله على يده وأجلى الكفرة من أرض (السوس) (423).

[بيعة أبي العباس أحمد الأعرج]

ثم ندب الناس إلى مبايعة أكبر ولده أبي العباس أحمد الأعرج، وذلك عام ثمانية عشر (424)، فبايعوه، وبقي بمكانه (بايغالى) (425) إلى أن توفي به عام ثلاثة وعشرين وتسعمائة (426).

[إجلاء النصارى من بعض السواحل المغربية]

وبقي الأمر لأبي العباس أحمد الأعرج، فصرف همته إلى تمهيد البلاد. واقتناء الأجناد، وشن الغارات على العدو الكافر، وكان النصارى قد عثوا في السواحل، وخيموا بشط البحر من كل جهة، فأجلاهم من تلك النواحي، وأخلوا ثغر أزمور ورباط أصيلا من غير قتال.

[تغلب محمد الشيخ على أخيه أبي العباس]

وكان أخوه الأصغر، وهو محمد الشيخ تحت طاعته يستشيره في الأمور، إلى أن دخل بينهما الوشاة، فأفسدوا ما بينهما حتى أفضى (بهما) (427) الأمر إلى المقاتلة (428)، فانعزل كل منهما

---

(420) أصيلا : مدينة تقع على الساحل الأطلسي بين طنجة والعرائش.
ويعتقد البعض أن تأسيسها يعود إلى العهد الفنيقي. والبعض الآخر يرجع تأسيسها إلى العهد الروماني. كانت لها أهمية خلال العصور الإسلامية، حيث اهتم الأدارسة ببناء مرافقها، وجعلوها مركزا لدولتهم، وبقيت تلعب دورا اقتصاديا بحكم موقعها في شمال المغرب ووقوعها على الساحل الأطلسي، مما جعلها محط أنظار البرتغاليين الذين احتلوها (سنة 876 هـ / 1471 م).
وفي سنة 997 هـ 1589 م عادت أصيلا للسيادة المغربية بعد اتفاق بين فيليب الثاني والمنصور السعدي. ثم أعيد احتلالها تحررها -من جديد- المولى إسماعيل، وأصلحها وأعاد تعميرها. أنظر: الاستبصار: 139-140 ، وصف إفريقيا، ج 1: 241-243 الموسوعة، ج 4: 72-74، المغرب عبر التاريخ، ج 1: 126 وج 3: 48-49، محمد بريان معلمة المغرب، ج2: 484-488 .
- August Moulieras, le Maroc inconnu, T2 . PP: 600-607
-Budgett Meaking, the land of the Moors, PP: 221-226
- R.Ricard, Ency. de l'islam, T1 PP: 727-728

(421) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح، والتكملة من ك.
(422) سنة 916 هـ 1510 م.
(423) ك: سوس.
(424) أي 918 هـ / 1512 م.
(425) في الاستقصا ج 4: 14 أفغال.
(426) عام 923 هـ / 1517 م.
(427) ز،ح: بهم.
(428) إن السبب الرئيسي للخلاف بين الأخوين يعود إلى مشكل ولاية العهد فقد كان أحمد الاعرج يحاول حرمان أخيه منها، وإعطاءها لابنه مخالفا بذلك وصية أبيهما. أما السبب الآخر وهو ثانوي يمكن تفسيره بازدياد نفوذ محمد الشيخ في الجنوب المغربي (سوس) حيث حقق انتصارات على البرتغال، وأصبح يتحكم في منطقة لها وزنها الاقتصادي والعسكري والاستراتيجي، لذا أصبح أحمد الأعرج يبحث عن مبررات لإبعاد أخيه محمد الشيخ عن السلطة. فاغتنم فرصة رفض هذا الأخير إعطائه خمس غنائم أكادير بصفته سلطان على المغرب، لإعلان الحرب عليه.

بطائفة من الجند، وتقاتلا مدة، فتغلب محمد على أخيه أبي العباس، ونزع من يده الملك، واستولى على جميع ما كان بيده من (الدخائر) [429] والعدد، وقبض عليه (فسجنه [430]، وكان ذلك سنة ست وأربعين وتسعمائة [431]، وبقي بالسجن إلى أن قتل أخاه محمد الشيخ الأتراك [432] بسوس في أواخر ذي الحجة من عام أربعة وستين وتسعمائة [433] فبلغ خبر مقتله لخليفته على مراكش القائد علي بن أبي بكر، فأسرع وذبح أبا العباس وأولاده ذكورا وإناثا مخافة أن يعود الملك له فينتقم منه. وكان بين قتله وقتل أخيه ثلاثة أيام. وقال في شرح درة السلوك [434]: كانت بيعة أبي عبد الله المهدي بمراكش سنة إحدى وخمسين وتسعمائة [435] فاستولى على البلاد التي كانت بيده وبيد أخيه المخلوع من إقليم (تادلا إلى وادي نون) [436] ورجع لفاس من غزو تلمسان [437]، وبقي بها إلى أن ورد عليه أبو حسون البادسي المريني الوطاسي من تلمسان بجند الأتراك وأخرجه منها فارا، وذلك ثالث صفر سنة إحدى وستين وتسعمائة [438] * ثم رجع إليها وقتل عدة من العلماء كالزقاق[439] وسيدي عبد الواحد بن أحمد الونشريسي [440] وتقدم تاريخ وفاته.

[تولية عبد الله وفرار إخوته إلى الجزائر]

ثم تولى بعده ولده مولاي عبد الله، وكان أخواه عبد الملك الغازي وأحمد المنصور بسجلماسة، وحين بلغتهما وفاة أبيهما واستيلاء أخيهما على الملك، فرا إلى تلمسان خوفا على أنفسهما منه، ولحقهما أخوهما عبد المومن، ثم فروا إلى الجزائر.

---

(429) ز،ح: الذخائر.
(430) ز: وسجنه.
(431) سنة 946 هـ / 1539 م.
(432) من أسباب إقدام الأتراك على اغتيال محمد الشيخ:
-1 رفض محمد الشيخ الإعتراف بالسلطان العثماني سليمان القانوني.
-2 قيامه بمهاجمة الأتراك في وجدة وتلمسان وغيرهما.
-3 تحالفه مع الإسبان والبرتغال، وهما أشد أعداء الأتراك أنئاك، وقصده من التحالف شن حملات عسكرية ضد الأتراك.
(433) أواخر ذي الحجة عام 964 هـ / أواخر أكتوبر 1557 .
(434) اسمه: الدر الحلوك المشرق بدرة السلوك فيمن حوى الملك من الملوك. وهو شرح لأرجوزة رجبزة، ذيل بها المؤلف أرجوزة رقم الحلل. وموضوع الأرجوزة والشرح الإلمام بدول المشرق والمغرب. والمهم في الأرجوزة ما يتعلق بالمغرب حيث يذكر المؤلف الدول المتعاقبة عليه إلى عصره. وقد فرغ المؤلف من الشرح يوم الجمعة 19 رجب 1000 هـ / 1 ماي 1592 م. والمؤلف هو أحمد بن القاضي (960-1025 / 1553-1616). والكتاب مازال مخطوطا. من نسخه بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 52 د. وأخرى تحت رقم 1428 د (ثاني المجموع).
(435) سنة 951 هـ 1544 م.
(436) د، ك: تاوله إلى واد نون. ح: تادلا إلى واد نون والتصحيح من ز. ووادي نون (أو وادي نول) يمر مجراه من شمال وادي درعة وجنوب وادي ماسة، حيث يصب في المحيط الأطلسي. أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1: 152 هامش: 83 .
(437) أنظر: ابن القاضي، الدر الحلوك، مخ، خ، ع، ر 1428 د: 16. بتصرف .
(438) 3 صفر سنة 961 / الإثنين 8 يناير سنة 1554 .
(439) هو: عبد الوهاب بن محمد الزقاق أبو محمد: فقيه مفتي ومفسر تولى القضاء بفاس. وقتل سنة 961-1554 بأمر من السلطان لاتهامه بالميل إلى أبي حسون الوطاسي. أنظر: ابن عسكر: دوحة الناشر: 55-56 ، المنجور، الفهرس: 15 ابن القاضي درة الحجال، ج 3: 150 القادري نشر المثاني ج 1: 125 ابن مخلوف شجرة النور: 283-284 حجي، الحركة الفكرية ج 2: 351 .
(440) هو: عبد الواحد بن أحمد، أبو محمد الونشريسي من أهل فاس، جمع بين الفتيا والقضاء والتدريس، قتل بفاس سنة 955 هـ / 1549 .
أنظر: دوحة الناشر: 52-54 الفهرس للمنجور: 50 درة الحجال ج 3: 139- 140 نشر المثاني ج 1: 45 الاستقصا ج 4: 22-23 شجرة النور: 282-283 إيليغ قديما وحديثا للسوسي: 13, الدليل ج 2: 311-312 الفكر السامي ج 2: 267 - 268 معجم أعلام الجزائر: 107-108 الحركة الفكرية، ج 2: 350, الأعلام للزركلي ج 4: 174 .
M. benchakroun, la vie intellectuelle marocaine; PP: 411-415, 468 .
(*) • 47.

[استنجاد عبد الملك بالسلطان العثماني]

ولم يزالوا بها إلى أن بلغهم خبر وفاة أخيهم واستيلاء ولده[441] (على) [422] الملك فسارعوا إلى القسطنطينية العظمى أيام السلطان مراد العثماني وطلبوا منه أن يمدهم بجيش إلى الغرب فلم يوافق على غرضهم، ولم يزل به عبد الملك وأمه (سحابة) [443] الرحمانية إلى أن أجابه وأتى بالجيش ودخل فاسا وأخرج منه ابن أخيه محمد، وفر إلى مراكش.

[بيعة أبي مروان عبد الملك وذكر وقعة وادي المخازن]

وبويع للمولى أبي مروان عبد الملك، وجعل أخاه أبا العباس أحمد خليفة عنه بفاس، وآل الأمر إلى ان استصرخ ابن أخيهما محمد بالنصارى. قال ابن القاضي: كان دخول أبي مروان إلى فاس (استيلاؤه) [444] عليها بعد هزيمة ابن أخيه أواخر ذي الحجة سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة [445] فبايعه أهلها وتم أمره إلى أن استصرخ ابن أخيه محمد بن عبد الله بطاغية النصارى في خبر يطول، فكانت وقعة وادي المخازن، وهي من الغزوات العظام والوقائع الشهيرة. وكانت هذه الغزوة يوم الإثنين منسلخ جمادي الأولى عام ستة وثمانين وتسعمائة [446] وبها توفي أبو مروان عبد الملك المذكور، وكذلك ابن أخيه المستنصر بالنصارى وجد غريقا، وكذلك أبو عبد الله محمد بن عسكر صاحب الدوحة، وحمل (أبو) [447] مروان إلى مراكش (فأقبر)[448] بها. وكانت مدة خلافته أربعة أعوام.

[تولية أحمد المنصور الذهبي وأعماله]

ثم تولى بعده أخوه أبو العباس المولى أحمد المنصور الذهبي. كانت (ولادته) [449] بفاس سنة ست و(خمسين) [450] وتسعمائة [451] وبويع (عقيب) [452] وقعة وادي المخازن يوم الإثنين

---

(441) يقصد : أبو عبدالله محمد المتوكل الذي لم يستأثر بالحكم إلا لمدة قصيرة (981 – 983 هـ / 1573 – 1575 م) وكان يُعرف بالمسلوخ، لأن المنصور أمر بسلخ جلده وحشوه تبنا بعد موته

(442) د، ز، ح : عبد، والتصحيح من ك.

(443) د، سجابة، والتصحيح من ز ، ح، ك.

(444) د، ك استيلاته، والتصحيح من ز،ح .

(445) أواخر ذي الحجة سنة 983 هـ / أواخر مارس 1576، وانظر هذا النص في الدر الحلوك مخ. خ. ع.ر. 1428 د: 18 بتصرف.

(446) يوم الإثنين منسلخ جمادي الأولى عام 986 هـ / 4 غشت 1578 م.

(447) د: أبي، والتصحيح من ز.ح، ك.

(448) د،ك: فقبر، والتصحيح من ز، ك.

(449) ز،ح: ولايته.

(450) د، ح: خمس، والتصحيح من ز، ك.

(451) سنة 956 هـ/ 1549 م.

(452) ز،ح: عقب.

منسلخ جمادى الأولى سنة التاريخ. ولما رجع من الغزوة المذكورة لفاس جددت له البيعة بها وبعث للآفاق خبر هذه الغزوة، ووفدت عليه الوفود من كل ناحية بالتهنية[453].

وهو جوهرة عقد هذه الدولة وأفضلهم واتساعهم ملكا، وكانت همته مصروفة لفتح السودان وغزوه، وكان منه ما هو معلوم من الفتح، وله مفاخر عديدة.

توفي رحمه الله بالطاعون يوم الإثنين سادس عشر ربيع النبوي*عام إثنى عشر وألف[454]. ودفن بفاس عصر يوم موته، ثم نقل إلى مراكش، فدفن بها في قبور الأشراف، وقبره شهير هناك.

[تولية زيدان ومحاربته لإخوته]

وتولى بعده بفاس ولده زيدان، بايعه أهل فاس بعد الفراغ من دفن أبيه في التاريخ المذكور.

وبايع أهل مراكش أبا فارس، وكانت بيعته بمراكش يوم الجمعة الموالي للتاريخ [455]، فوقعت بينهما حروب ومكائد وتوفي أبو فارس مخنوقا بسوس على يد ابن أخيه وهو عبد الله بن الشيخ وذلك في جمادي الأولى عام ثمان عشرة وألف [456]، فأسف الناس عليه، وذلك أنه لما هزمه أخوه زيدان فر إلى سوس، فأقام به عند صاحب أبيه عبد العزيز ابن سعيد، ثم بالغ زيدان في طلبه، ففر إلى أخيه الشيخ، فلم يزل مع ابنه عبد الله بن الشيخ إلى أن اتفق بعض الجيش على قتل عبد الله وتولية عمه أبي فارس فخنقه.

وأما زيدان فمنذ مات أبوه وهو في محاربة إخوته وأبنائهم، ومقاتلة القائمين عليه من (الثوار)[457]. ووقعت بينه وبين إخوته حروب ومعارك وكان ذلك سبب خلاء المغرب وخصوصا مراكش، إلى أن توفي رحمه الله في المحرم فاتح سنة سبع وثلاثين وألف[458]، ودفن بجنب قبر أبيه من قبور الشرفاء بمراكش، فمدة خلافته خمسة وعشرون عاما.

[تولية عبد الملك وانتصاره على أخويه]

ثم تولى بعده ولده عبد الملك. ولما تمت له البيعة ثار عليه (أخواه) [459] الوليد وأحمد، فوقعت بينه وبينهما حروب [ومكائد] [460] إلى أن هزمهما، واستولى على ما بأيديهما.

وكان سيء السيرة، مدمنا على شرب الخمر، إلى أن قتله العلوج وهو سكران بمراكش، يوم الأحد سادس شعبان سنة أربعين وألف[461]، ودفن بجنب قبر أبيه.

---

(453) عن هذه المعطيات أنظر: عبد العزيز الفشتالي، مناهل الصفا: 48-51 .
(454) يوم الإثنين 16 ربيع النبوي عام 1012 هـ / 23 شتنبر 1603 م.
(455) أي يوم الجمعة 20 ربيع النبوي عام 1012 هـ / 27 شتنبر 1603 م.
(456) جمادي الأولى عام 1018 هـ / 2 غشت - 31 غشت1609م.
(457) د، ح، ك: الثور. والتصحيح من ز.
(458) محرم فاتح سنة 1037 هـ /12 شتنبر 11 أكتوبر 1627 م.
(459) د، ح، ك: أخوه. والتصحيح من ز.
(460) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(461) يوم الأحد 6 شعبان سنة 1040 هـ / 9 مارس سنة 1631 .
(*) * 47 ب.

[تولية الوليد وخصاله]

ثم تولى بعده أخوه المولى الوليد بن زيدان سادس شعبان سنة أربعين وألف. وكان متظاهرا بالديانة كما في شرح زهرة الشماريخ [462] ليّن الجانب حتى رضيته الخاصة والعامة. وكان مولعا بالسماع، ولم يزل مقتصرا على ما كان لأبيه إلى أن قتله الأعلاج غدرا يوم الخميس الرابع عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف [463].

[تولية محمد الشيخ وانحصار سلطته بمراكش]

ثم تولى بعده أخوه المولى محمد -فتحا- الشيخ. بويع له بمراكش يوم الجمعة الخامس عشر من رمضان سنة خمس وأربعين وألف [464] وسار في الناس سيرة حميدة ولم يصف له مما كان بيد أبيه إلا مراكش. توفي رحمه الله عام أربع وستين وألف [465] ودفن قريبا من أبيه بقبور الأشراف.

[تولية العباس وانقراض الدولة السعدية]

ثم تولى *بعده ولده المولى العباس[466] سنة أربع وستين. وقام مقام أبيه في جميع ما كان بيده إلا أن الشبانات، وهم أخواله قويت شوكتهم في أيامه، وغلظ أمرهم عليه، فضايقوه وحاصروه بمراكش، ولما رأت أمه ذلك أمرته بأن يذهب إليهم ويأخذ بقلوبهم، ويزيل ما في نفوسهم عليه، لكونهم أخواله، فذهب إليهم، فلما تمكنوا (منه)[467] قتلوه غيلة، وأقبلوا لمراكش مسرعين، وبويع فيها لأميرهم عبد الكريم بن أبي بكر الشباني[468].

وكان قتله سنة تسع وستين وألف [469].وبموته انقرضت الدولة السعدية وانطوى بساطها. وكانت مدتها (نحواً)[470] من مائة وخمسين سنة، وعدد ملوكها على ما سلف (إثنا) [471] عشر ملكا، فالله تعالى يتجاوز عنا وعنهم. فلقد كانت أيامهم في جباه الكفر كالمكاوي [472] والمواسم[473] وأوقاتهم في وجوه الإسلام أعياد ومواسم. ثم تلتهم هذه الدولة الفخيمة العالية المقدار، وهي الثامنة التي سعدت بها البوادي والأمصار.

---

(462) رغم البحث لم أعثر عليه.
(463) يوم الخميس 14 رمضان سنة 1045 هـ / 23 يناير 1636 .
(464) يوم الجمعة 15 رمضان سنة 1045 هـ / 24 يناير 1636 م.
(465) عام 1064 هـ / 1653 م.
(466) اسمه أبو العباس أحمد بن محمد الشيخ، والعامة يقولون: مولاي العباس.
(467) د، ح، ك: به، والتصحيح من ز.
(468) هذا النص يتطابق أغلب ألفاظه مع نص الاستقصا ج 6:107-108
(469) سنة 1069 هـ / 1658 م.
(470) ز،ح: نحوا، والتصحيح من د،ك.
(471) د، ك: إثني، والتصحيح من ز،ح.
(472) المكاوي: جمع المكواة، وهي حديدة يكوى بها البدن.
(473) المياسم: ج الميْسَم، وهي المكواة.
(*) 48 أ.

[المقصد السادس: استكمال تكوين الدولة العلوية]

[تغلب المولى الرشيد على أخيه محمد]

وأولها محمد بن (الشريف)[1] المتقدم ذكره[2]، ويليه أخوه المولى الرشيد، وإليه أشار الناظم [3] بقوله:

وَسَارَ وَأُعْطِيَ الْعِزَّ بَارِئَ قَوْسِهِ رَشِيداً لَهُم (فما) يُرَى فِي النَّوَائِبِ

وقد أشار بهذا إلى ما قدمناه من مسير المولى محمد من سجلماسة إلى أخيه المولى الرشيد بقصد مقاتلته والقبض عليه، وبهذا المسير المقدر أعطي المولى محمد العز المؤيد بموته بسبب هذا المسير لبارئ قوسه المولى الرشيد، فلم ير بعد هذا العز في نائبة من النوائب، وهو الخطب والمشاق، فيكون على هذا بارئا (مفعولا) [5] ثانيا، ورشيدا بدلا منه.

ويحتمل أن يكون المراد بالمسير الموت أي سار إلى لقاء ربه وما أعد له من النعيم وبموته وانقضاء أجله أعطي بالبناء للمفعول، والعز نائب الفاعل، وبارئ قوسه مفعول ثان، ويكون الرشيد هو الخبير البصير بأمور الخلافة، فلا أحد أحق بها منه، لأن هذا مثل يُضرب لمن اتصف بخبرة كل شيء، والتبصر فيه، كما يقال أيضا: على الخبير سقطت[6]، والخيل أعلم بفرسانها[7]، وكل قوم أعلم بصناعتهم، وقتل أرضا عالمها، وقتلت أرض جاهلها[9]، وأعطي القوس باريها، ودخل الدار بانيها، إلى غير ذلك.

والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولا في شيء، بينهما مشابهة ليبين * أحدهما من الآخر ويصور. انتهى.

ويطلق أيضا على الحجة والحديث (كما) [10] في القاموس، وعلى الصفة فيقال: مثلك ومثل فلان، أي صفتك وصفته ومنه قوله تعالى: "**مثل الجنة التي وعد المتقون**" [11]. أي صفتها، ويستعار لكل ما فيه غرابة قال ابن السكيت [12]: المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ويوافق

---

(1) د، ح، ك: الشيخ. والتصحيح من ز.
(2) أنظر: صفحة 269-291 من المقصد الرابع.
(3) في جميع النسخ: ظم، وهو اختصار لكلمة: الناظم التي أثبتناها في المتن.
(4) ز، ح: فيما.
(5) في جميع النسخ مفعول، واقتضى السياق تصحيحها.
(6) هذا المثل يوجد في مجمع الأمثال للميداني، ج 2: 24 .
(7) هذا المثل يوجد في مجمع الأمثال، ج 1: 238 ، وزهر الأكم للحسن اليوسي، ج 2: 211 .
(8) هذا المثل يوجد في مجمع الأمثال 108:2 ومروج الذهب ج4: 365 .
(9) هذا المثل يوجد في مجمع الأمثال 108:2
(10) د، ك: لما. والتصحيح من ز، ح.
(11) سورة الرعد، الآية: 35 .
(12) هو: يعقوب بن إسحاق بن السكيت، أبو يوسف (186-244 / 802-858): أديب، لغوي، نحوي، عارف بالقرآن والشعر، عاش ببغداد وقتل بها.
أنظر: الفهرست: 107 ، نزهة الألباء: 138-140 إنباه الرواة، ج 1:220، معجم الأدباء، ج 20: 52-50 ، مرآة الجنان، ج 2:147-149 ، شذرات الذهب، ج 2: 106 ، هدية العارفين، ج 2:536 ، الاعلام للزركلي، ج 8: 195 .
(*) • 48 ب.

معناه، معنى ذلك اللفظ شبهوه بالمثال الذي يعلم على غيره وقال ابراهيم النظام [13]: يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: إيجاز اللفظ، واصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكتابة. فهو نهاية البلاغة. وقال المقنع [14]: إذا جعل الكلام مثلا كان أوضح للمنطق، وأوثق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث، انتهى.

وأشار بقوله: لهم، إلى تاريخ استخلاص الأمر له، وذلك عام خمسة وسبعين ألف [15]، وهو تاريخ وفاة المولى محمد أيضا. وبموته استولى على جيوشه.

[فتح تازا]

وتوجه لتازى، فاقتحمها بعد محاربة طويلة، وتمكن منها.

[فتح فاس]

ثم توجه لفاس فحاصرها إلى [أن] [16] اقتحمها عليهم قهرا، وفتك بأبطالها. وكانت فاس قبله تقاسمها (الثوار) [17]، فكان بعدوة الأندلس ومن انضاف إليها ابن صالح، وكان ابن الصغير كبير اللمطيين ومن انضاف إليهم، وكان أمر فاس الجديد في يد رجل يقال له الدريدي [18].

فاقتحم المولى الرشيد فاسا الجديد، وقتل الدريدي، وسكن روعة البلد، ثم [19] افتتح (فاسا) [20] القديمة فأفنى رؤساءها، و(حكم) [21] فيهم السيف، فتمهدت له البلاد، واجتمعت له الكلمة، وكان دخوله لفاس القديمة صبيحة يوم الإثنين الأولى من ذي الحجة سنة ست وسبعين وألف [22]، وبويع بها يومه ذلك، ولما تمت له البيعة أفاض المال على علمائها، وأغمرهم بجزيل العطايا، وبسط جناح الشفقة على أهلها، وأظهر إحياء السنة ونصر الشريعة، فحل من قلوبهم بالمكان الأرفع، وتمكنت محبته من قلوب الخاصة والعامة [23].

---

(13) لعله يقصد: إبراهيم بن سيار بن هانئ النظام المتوفي سنة 231 هـ / 845 م: من أئمة المعتزلة. وله اهتمام بالأدب والشعر. أنظر: الفهرست: 530 وتاريخ بغداد، ج 6: 97-98، الوافي بالوفيات ج 6: 14-19، لسان الميزان، ج 1: 67، معجم المؤلفين ج 1: 37.

(14) لعله يقصد: محمد بن عميرة بن أبي شمر، المقنع الكندي، المتوفى نحو 70 هـ / 690 م: شاعر من أهل حضرموت. وكانت له شهرة واسعة في العهد الأموي. أنظر: الأعلام للزركلي، ج 6: 319-320.

(15) عام 1075 هـ / 1664 م.

(16) مابين المعقوفتين ساقطة من ك.

(17) د، ح، ك: الثور، والتصحيح من ز

(18) هذا النص يتطابق أغلب ألفاظه مع الجيش العرمرم ج 1: 58.

(19) من هنا يبدأ التطابق مع الاستقصا، ج 7: 35.

(20) د، ز، ك: فاس، والتصحيح من ح.

(21) ز، ح: لحكم.

(22) يوم الإثنين الأولى من ذي الحجة سنة 1076 هـ / 7 يونيو 1666 م.

(23) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الاستقصا، ج 7: 35.

[القضاء على الدلائيين والشبانات]

وبعده، توجه للدلائيين فأطفأ جمرتهم وفرق كلمتهم، ثم توجه لمقاتلة (الشبانات) [24] بمراكش، فهربوا منها رعبا منه لما بلغهم من خبر فتكه بأهل (الدلاء) [25]، فدخل مراكش، وأفنى من وجده بها من (الشبانات) [26].

[تمهيد سوس الأقصى]

ثم توجه إلى سوس الأقصى، فمهد جوانبه، وسكن روعته.

وبالجملة تمهدت له بلاد المغرب من تلمسان إلى وادي نون من تخوم الصحراء، وإلى هذا يشير الناظم بقوله:

* فَمَهَّدَ سُوساً والصَّحَارِي [و] [27] بَرْبَراً وَشَرَّفَهَا مِنْ فَضْلِهِ بِالمَرَاتِبِ

إذ التمهيد الإصلاح والانقياد إلى الطاعة.

[التعريف بالسوس]

والسوس [28]: سوسان أدنى وأقصى؛ فالأدنى من (واد) [29] العبيد [30] إلى سجلماسة إلى درعة إلى مراكش إلى حاحة إلى دكالة إلى (واد) أم الربيع.

والسوس الأقصى هو بعد ذلك إلى الساقية الحمراء [32] من ناحية الصحراء إلى البحر من

---

(24) د. ك: الشبانة. والتصحيح من ن ح.

(25) د.ك: الدلائي. والتصحيح من ز.ح.

(26) د. ك: الشبانة. والتصحيح من ز. ح.

(27) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.ح.

(28) من هنا يبدأ النقل من الظهر المعرب لأبي رأس، مخ، خ، ع، ن 3'22 ك: ورقة 89 أ. بنفس اللفظ.

(29) ز: وادي.

(30) واد العبيد: من روافد أم الربيع، يخترق عدة قبائل أهمها آيت ما سة على الضفة اليسرى، وآيت عطا أمالو على الضفة اليمنى.
أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1:131 ، هامش: 260. كربخال إفريقيا، ج 1: 34 .
-CH. de Foucauld. Reconnaisance au Maroc PP: 259-260

(31) ك: وادي.

(32) الساقية الحمراء: هي إقليم الصحراء الشمالية، عاصمتها العيون، تمتد حتى خط العرض 26، مساحتها 82 ألف كلم2، كانت على امتداد حقب التاريخ منطقة تابعة للسلطة المركزية المغربية إلى القرن 13 هـ/ 19 م حيث ازدادت الحملات الأمبريالية الأوروبية على المغرب، فقد حاولت إسبانيا جهد مستطاعها وبكل الوسائل السيطرة عليها، لكن مصالح دول أوروبية أخرى حالت دون ذلك، وإلى عام 1902 كان الإسبان يعتبرون الساقية الحمراء أرضا مغربية. وفي يوم 27 نوفمبر 1916 أبرم اتفاق بين فرنسا وإسبانيا ينص على تخصيص مناطق في الجنوب لإسبانيا. ومنذ ذلك الحين وإسبانيا تشن الغارات، احتلت على إثرها طرفاية والساقية الحمراء بعد أن أبلى فيها الصحراويون بلاء حسنا. وفي 20 يوليوز 1946 أصدرت الحكومة الإسبانية مرسوما خلقت فيه ما سمته بالصحراء الاسبانية. وفي سنة 1975 قام المغرب بمسيرة سلمية إلى الصحراء عرفت بالمسيرة الخضراء استرجع على إثرها أراضيه الصحراوية المحتلة، لكن في نفس الوقت تكونت فرقة مرتزقة حملت اسم "البوليساريو" حملت العداء للمغرب، وطالبت وتطالب باستقلال الصحراء، يساعدها في أطروحتها الخيالية مسؤولو دولة الجزائر بصفة خاصة. فرفعت القضية إلى مجلس الأمن الدولي للبث فيها من جديد، وقبل الطرفان إجراء الاستفتاء بعد أن طالب به المغرب لتأكيد مغربية الصحراء. وفي يوم 1 يناير 1992 صادق مجلس الأمن الدولي على تقرير الأمين العام الأممي السيد خافيير دي كويار الذي من مقاييسه اعتبار الأشخاص المولودين لأب صحراوي مولود فوق التراب الصحراوي أشخاصا يحق لهم المشاركة في الاستفتاء. هذا، ولم يعلن إلى حد الآن عن يوم إجراء الاستفتاء الذي سيؤكد على مغربية الصحراء.
بصدد تاريخ المنطقة أنظر: محمد الغربي: الساقية الحمراء ووادي الذهب، الموسوعة المغربية - معلمة المدن- ملحق 2:219-220 .
-ATTILIO Gaudio, SAHARA Espagnole P: 93,94,95

(*) 49 *

ناحية ماسة[33]، وجبل كنضيس ومدينة (رودانة)[34] مع الجانب الذي يليها من جبال (درواش)[35]، وتلك الجبال هي بلاد محمد بن سعيد الذي اختصر نظم أبي مقرع[36] المشهور، وسماه بالمقنع.

قال ابن خلدون: والسوس وطن كبير في عرض البلاد (الجريدية) [37] وهوائها، وهو قبلة جبل درن ذو عمائر، ومزارع، وقرى، وأمصار، وجبال، وحصون، يخترقه نهر وادي السوس إلى البحر المحيط، ويتخذون فيه قصب السكر، وعند مصب هذا الوادي من الجبل في البسيط مدينة ترودانت، وبين مصبه في البحر ومصب وادي ماسة مرحلتان، وهناك رباط ماسة المعروف بتردد الأولياء، تزعم العامة أن خروج الفاطمي منه [38] انتهى.

وقال : وبين ساحل البحر إلى سوس أرض يعمرها حاحة، وعندهم الشجر المعروف بأركان يعصرون من ثمره زيتا طيب الرائحة يأتدمون به ويبعثون منه لدار الملك انتهى [39].

وفي تاريخ الشيخ أبي دينار أن السوس أدنى وأقصى، فالأدنى قاعدته مدينة تاجرا[40] لا شجر لهم أصلا، وعندهم الزرع والضرع ومن تاجرة إلى طرفلة[41]، مدينة السوس الأقصى مسيرة شهرين، وليس وراء طرفلة أنيس، ومن طرفلة إلى باغة ثلاثة أشهر، ولما سباهم عقبة بن نافع بيعت الجارية بألف دينار لحسنها.

وكان ورود عقبة المذكور على السوس بعد الخمسين من الهجرة[42] ومن نسله يوسف بن عبد الرحمان[43] أمير الأندلس[44]، ولما رجع عقبة بن نافع - رضي الله عنه- من أقصى المغرب وسوس سرح الناس ثقة بما فتح الله عليه، وكان كسيلة أسيراً عنده، فدس إلى قومه لما رأى من خفة المسلمين، فلقوا عقبة بالزاب ومعه المهاجرون، فاقتتلوا، وقتل عقبة والمهاجرون ومن معهما رضي الله عنهم، ودفنوا هنالك. وبنيت قرية عند تربتهم تسمى سيدي عقبى إلى الآن.

---

(33) ماسة: إسم نهر ينبع من الأطلسي الصغير ويصب في المحيط الأطلسي على مقربة من تيزنيت. وعلى مجراه الأسفل يقع رباط ماسة التي كان له دور ديني في العصر السعدي، ودور اقتصادي وسياسي منذ بداية الدولة العلوية.
أنظر: وصف افريقيا، ج 1:90-91 ، الحركة الفكرية، ج 574-576 .

- J; Erckmann, le Maroc moderne, P: 55.
- E. Doutté, Mission au maroc, P: 241 .
- R. Montagne, une tribu bérbère du Sud Marocain: Massat, in Hesperis, T4, 4è tri. 1924, PP: 357-403

(34) في الخبر المعرب، ورقة: 89 أ: ردانة.

(35) د. ز. ح: درواس. والتصحيح من ك. والخبر المعرب: ورقة 89 أ.

(36) ورد ذكر اسم المنظومة وصاحبها أبي مقرع في البستان لابن مريم، ص: 24 .

(37) د. ك: الجزيرية والتصحيح من طرة ز. ح، والعبر لابن خلدون، ج 6: 274 .

(38) أنظر ابن خلدون، العبر، ج 6:274 . بتصرف. والملاحظ أن الذي ينقل من العبر هو صاحب الخبر المعرب الذي ينقل منه المؤلف مباشرة (حرفيا).

(39) لم أجد هذا الكلام في العبر.

(40) تاجرا (أو تاجرة): بلدة صغيرة قريبة من تلمسان. أنظر: مراصد الاطلاع، ج 1: 248 .

(41) كذا في جميع النسخ، وكذلك في الخبر المعرب: ورقة: 91 ب ولعلها تصحيف لاسم طرقلة. وطرقلة: بالفتح ثم السكون، وقاف مفتوحة بعدها لام: مدينة بالمغرب من نواحي البربر، وهي قصبة السوس الأقصى.أنظر مراصد الإطلاع، ج 2 . 885 .

(42) بعد 50 هـ / بعد 670 م.

(43) هو يوسف بن عبد الرحمان بن حبيب بن أبي عبدة بن عقبة بن نافع الفهري القرشي (72-142 هـ / 691-759 م): أمير الأندلس ولي بقرطبة وظهر معارضون له في عدة مدن استطاع استئصالهم. واستمر في الخلافة إلى دخول عبد الرحمان الأموي.
أنظر: ابن الأثير، الكامل، ج 5: 498 – 499 ، ابن عذارى البيان المغرب، ج 2: 35- 37 ، 38، 49-50

(44) إلى هنا ينتهي النقل -بالإنتقاء- من الخبر المعرب ورقة 89 أ 91 ب.

وبني على ضريحه جامع جمعة، فهو من أعظم المزارات وعده ابن ناجي[45]، في معالم الإيمان في أخبار القيروان[46] من صغار الصحابة، وقد أخذ بثأرهم العرب فقتلوا البربر بمفس - بفتحتين- موضع بظاهر القيروان كيف شاءوا، ومنها ذل البربر وخمدت شوكتهم[47]. انتهى.

[شرح كلمة الصحاري]

والصحاري: بكسر الراء مثقل الياء، لأنك تدخل ألف الجمع بين الحاء والراء، وتكسر كما تكسر ما بعد ألف الجمع نحو مساجد ودراهم، فتنقلب الألف الأولى التي بعد الراء ياء للكسرة التي قبلها، وتنقلب ألف التأنيث ياء أيضا لكسرة ما قبلها فيجتمع ياءان فتدغم إحداهما في الأخرى، ويجوز التخفيف مع كسر الراء كما هنا وفتحها، تقول: صحاري وصحارى كالعذاري والعذارى، جمع صحراء وهي البرية الخالية من الأشجار والأمصار.

[التعريف بالبربر]

والبربر: أمة من الأمم، قيل أنهم من ولد مازغ بن كنعنان بن حام بن نوح. وأتوا من الشام أيام داود عليه السلام، ثم استقروا ببرقة وطرابلس ثم افترقوا في المغرب، وذلك أن يوشع لما قسم الأرض بين بني إسرائيل أعطى جبل القدس لكاليب، وقد احتمل فرقيش بن قيس بن صيفي جد الكنعانيين إلى إفريقيا، فمنهم البربر.

وكان إفريقش ملك مائة وستين سنة، قال ابن الكلبي: هو الذي غزا إفريقية، وبه سميت، وساق البربر إليها من أرض كنعان لما غلبهم يوشع عليه السلام، ويقال إنه الذي سمى البربر بهذا الاسم، لأنه لما سمع رطانتهم قال: ما أكثر بربرتهم.

والبربرة في لغة العرب هي اختلاط الأصوات غير (المفهمة) [48]، ومنه بربر الأسد إذا زأر بأصوات غير مفهومة [49] انتهى.

---

(45) هو: قاسم بن عيسى بن ناجي، أبو القاسم القيرواني المتوفى في حدود سنة 837 هـ / 1433 م: فقيه، وحافظ، ولي القضاء في عدة مدن.
أنظر: مقدمة معالم الإيمان، ثم الجزء الأول من نفس الكتاب ص: 26-27 (نبذة من ترجمته كتبها عن نفسه)، السخاوي، الضوء اللامع، ج 11: 137 ، ابن مريم، البستان: 149-150 سركيس، معجم المطبوعات، ج1: 261، الحجوي، الفكر السامي، ج 256:2 الزركلي، الاعلام، ج:5 : 179 ، كحالة معجم المؤلفين، ج 110:8 المنوني، المصادر العربية، ج 1: 77.

(46) اسمه معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان.
والكتاب في الأصل من تأليف ابن الدباغ عبد الرحمان المتوفى عام 696 هـ / 1297 م. ترجم فيه لصلحاء وعلماء القيروان إلى عصره. أما ابن ناجي فقد زاد فيه تراجم وأخبار مفيدة مذيلا بها أصل الكتاب. نشر بعناية، المطبعة العربية التونسية 1320 هـ / 1902 م.

(47) هذا النص يوجد في العبر المعرب: ورقة 5أ. باختلاف يسير في اللفظ.

(48) في العبر، ج 89:6: المفهومة.

(49) الجملتان وردا عند ابن خلدون، العبر، ج 89:6 ، باختلاف يسير في اللفظ.

(*) * 49 ب.

وكانوا يؤدون الجباية لهرقل ملك الروم، وكان الروم حملتهم على دين النصرانية، فكانوا عليه بالمغرب الأدنى كنفزاوة و(نفوسة) [50]، ومن الأوسط كبني واسين، ومن الأقصى كبني وطاط، وذلك لقربهم من الروم، عدا صنهاجة، ومسوفة، وتوركا، ولمتونة، فهم مجوس لبعد أرضهم من الروم، وعدا مديونة وصطبورة، كانوا على دين اليهودية.

[أول ملوك البربر في الإسلام]

وأول من ملك منهم في الإسلام تيولوثان، كان يركب في مائة ألف نجيب، وذلك أيام عبد الرحمان الداخل. توفي سنة اثنين وعشرين ومائتين [51].

[ذكر بعض ملوك بربر صنهاجة]

ومن ملوكهم بالأندلس ابن الأفطس من برابرة مكناسة، وهو أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفطس، ولقبه المظفر أصله من نجيب. وكان أديبا. فقيها ماهرا شاعرا. ألف كتابا في الأدب سماه: التذكرة. في خمسين مجلدا، وكان كثير المناظرة للعلماء بدست ملكه.

[و] [52] من ملوك صنهاجة أيضا، * البلكانية، وهم: بلكين بن زيري وبنوه المنصور [53]، وباديس [54] الذي دعا عليه الشيخ محرز بن خلف [55] فمات سنة ثمان وأربعمائة [56] وولي ابنه المعز [57] صغيرا، وقد بلغ من ضخامة الملك ما لم يبلغه غيره، وقد ماتت جدته سنة إحدى عشرة وأربعمائة [58] فعمل لها تابوتا من العود الهندي، مرصعا بالجوهر وصفائح الذهب، وعلق عليه عشرين سبحة من نفيس الجوهر، وذبح عليه مائة بقرة ونحو خمسين ناقة وألف شاة، وفرق

---

(50) د. ك: بقوسة، والتصحيح من ز.ح .

(51) سنة 222 هـ / 836 م.

(52) مابين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز ح.ك. ومن هنا يبدأ النقل من الخبر المعرب: ورقة 12 أ.

(53) هو: المنصور بن بلكين (يوسف) بن زيري بن مناد الصنهاجي، أبو الفتح، المتوفى سنة 386 هـ/ 996 م. كان أميرا على إفريقية منذ سنة 373 هـ / 983 م. وقد ورد عليه إذن من العزيز بالله الفاطمي بالتولية على إفريقية والمغرب. أنظر أخباره عند ابن الأثير، الكامل، ج 34, 69-67-54-53:9 ابن عذارى، البيان المغرب، ج 1: 239-247، السراج، الحلل السندسية، ج 1 (القسم الرابع) : 938.

(54) هو: باديس بن المنصور بن بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي أبو مناد (374-406 هـ / 984-1016 م): أمير إفريقية. ولي بعد وفاة أبيه سنة 386 هـ / 996 م. وقامت في عهده عدة فتن، استطاع بشجاعته وسياسته أن يقضي عليها. وكان يلقب بنصير الدولة. أنظر أخباره عند ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج 1: 265-266 ، ابن الأثير، الكامل، ج 9: 127-128، 152-155، 253-259 ، ابن عذارى، البيان المغرب، ج 1: 247-249 ، 266-267 ، ابن خلدون، ج 6: 157-158 السراج، الحلل السندسية ج 1: (القسم 4) : 938-939
-H.R. IDRIS, Ency de l'Islam, T 1. P: 884.

(55) هو: محرز بن خلف بن رزين البكري (340-413 هـ / 951-1022 م) من الزهاد المشهورين بتونس، استقر في مدينة تونس حيث عمل مدرسا للحديث والفقه، ومربيا للقرآن. أنظر: الحلل السندسية، ج 1 (القسم 4): 874-878 شجرة النور: 202-203 الأعلام للزركلي، ج 5:284 .

(56) سنة 408 هـ / 1017 م.

(57) أنظر أخباره عند السراج، الحلل السندسية، ج 1: (القسم 4): 946-947 ,939-941 .

(58) سنة 411 هـ / 1020 م

(*) ه 50.

على النساء عشرة آلاف دينار، وبلغت خسارة عرسه ثلاثة عشر ألف ألف دينار، وله من المماليك عشرون ألفا. وفي الشيخ قويسم على الشفا أن المقتدر العباسي له (إحدى) [59] عشر ألف خصي سوى الروم والصقالبة. وفيه أيضا أن المعتصم بن الرشيد اشترى من الأتراك سنة عشرين ومائتين[60] من سمرقند [61] وفرغانة [62]، ما يزيد على عشرة ألف مملوك [63].

[ذكر بعض علماء بربر صناهجة]

[و][64] من علماء صنهاجة السيد أحمد بن العريف الصوفي. كان معاصرا للقاضي عياض، وأبو عيسى، وأبو عبد الله ابن مغراو، وأيوب بن سعيد السارية شيخ أبي يعزى، الثلاثة من صنهاجة أزمور، ومنهم ابن تومرت[65] شيخ السنوسي[66]، وإبراهيم بن عبد الله قاضي دمشق، والقرافي صاحب الفروق[67] وابن النحوي[68] صاحب المنفرجة[69]، وهو من قلعة بني حماد وعبد الله الزكي دفين (أصبهان)[70] بأقصى المشرق. وقال (السيوري)[71]: هو أحفظ من لقيت، قيل له: لقيت[72] أبا بكر بن عبد الرحمان وأبا عمران الفاسي؟ قال: هو أحفظ منهما. وقد نقل عنه الشيخ خليل[73] في توضيحه[74] في باب الشركة.

---

(59) في جميع النسخ: أحد، والتصحيح من الخبر المغرب ورقة: 12 أ.

(60) سنة 220 هـ / 835 م.

(61) سمرقند: بلد معروف مشهور، يقع ما وراء النهر (بالقرب من العراق). أنظر: مراصد الاطلاع، ج 2: 736 .

(62) فرغانة: مدينة، وكورة واسعة، متاخمة لبلاد تركستان. أنظر: مراصد الاطلاع، ج 3: 1029 .

(63) إلى هنا ينتهي النقل -بنفس اللفظ- من الخبر المعرب ورقة 12 أ.

(64) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(65) هو: محمد بن قاسم بن تومرت التلمساني. كان له اهتمام بالنحو، والحساب، والهندسة وغيرها من العلوم. عاش في القرن 9 هـ / 15 م. أنظر: ابن مريم التلمساني، البستان: 237 .

(66) السنوسي: محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب السنوسي أبو عبد الله (832-895 / 1428-1490): فقيه ومحدث. من علماء تلمسان المشهورين. أنظر: دوحة الناشر: 121-122 الفهرس لأحمد المنجور: 28-29 ، 74 . البستان لابن مريم: 237-248 ، هدية العارفين ج 2: 216 الفكر السامي، ج 2:262-263 ، الاعلام للزركلي، ج 7:154، معجم أعلام الجزائر للنويهض: 189-190 .

(67) الفروق: كتاب ألفه أحمد بن إدريس بن عبد الرحمان الصنهاجي المعروف بالقرافي، في الفقه. طبع بالقاهرة عن دار إحياء الكتب العربية سنة 1344/1926 .

(68) هو: يوسف بن محمد بن يوسف التوزري الأصل، التلمساني أبو الفضل، المعروف بابن النحوي (433-513 / 1041-1119: فقيه وشاعر. سكن بسجلماسة وتوفي بقلعة بني حماد. أنظر: ابن مريم، البستان: 299-304 ، أحمد بابا، نيل الابتهاج: 349-351 . خليفة، كشف الظنون، ج 2: 1346-1347 . الزركلي، الأعلام، ج 8:247 .

(69) المنفرجة: قصيدة نظمها مؤلفها حين أخذ بعض المتغلبين ماله، وهي تقع في نحو 35 بيتا. وقد اعتنى بشرحها جماعة من المهتمين والمعجبين بها. أنظر: كشف الظنون، ج2: 1346-1347 .

(70) ك: أصبيهان.

(71) في جميع النسخ: السيوري، وهو تصحيف. والسيوري هو : أبو القاسم عبد الخالق بن عبد الوارث التميمي المعروف بالسيوري، من علماء إفريقية (تونس). كان يهتم بالقراءات والحديث، وعلوم اللسان وأصول الفقه. زاول إمامة القرويين، وتوفي سنة 460 هـ / 1067 م. أنظر: الفكر السامي، ج 2:212 .

(72) زاد في ك بعد ذلك: السيد.

(73) هو خليل بن إسحاق بن موسى، ضياء الدين المتوفي سنة 776 هـ / 1374 م: فقيه مالكي، تولى الإفتاء بالقاهرة وقد اشتهر بكتابه: المختصر.
أنظر: الدرر الكامنة، ج 2: 175 . البستان: 96-100 ، الديباج المذهب: 115-116 . نيل الابتهاج: 112-115 ، معجم المطبوعات، ج 1:835-836 الزركلي الاعلام، ج 2:315 .

(74) التوضيح: كتاب شرح به خليل، مختصر ابن الحاجب. وهو في الفقه. لعله مازال مخطوطا.

تتمة

لايكاد[75] قطر من أقطار المغرب يخلو من بطن صنهاجة، حتى زعم كثير من الناس أنهم (ثلثا)[76] البربر تنتهي بطونهم إلى سبعين بطنا. ونُقل عن ابن خلدون أن بلادهم مسيرة ستة أشهر[77] انتهى. وقالها غيره. وقال أيضا: لصنهاجة ولاية لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، كما أن لمغراوة ولاية لعثمان رضي الله عنه، إلا أنا لا نعرف سبب هذه الولاية ولا أصلها[78] انتهى.

قال الشيخ أبو رأس: ومعلوم أن عثمان رضي الله عنه (أموي)[79]، ولعل الولاية إسلام وازمار بن صقلاب على يده لما أخذه جيش (عبد الله)[80] بن صرح في بطائح إفريقية و(حصر)[81] حتى كانت بينهما حروب قتل فيها محمد بن الخير المغراوي ملك وهران، مع بضع عشرة منهم وقتل فيها زيري بن مناد الصنهاجي لما أتى مغراوة بجعفر بن علي أمير (المسيلة)[82] والزاب* ومن شدة (عصبة)[83]كل منهما أن صنهاجة (حزوا)[84] رأس محمد بن الخير، وبعثوه إلى بني عبيد الفاطميين بمصر. ومغراوة[85] لما (حزوا)[86] رأس زيري بعثوه إلى الحاكم الأموي المستنصر[87] بقرطبة[88] إنتهى.

[التعريف بمغراوة]

ومغراوة من زناتة. قال الشيخ علي بن أبي زرع: يفرن ومغراو أخوان شقيقان ابنا يملين ابن مسوف بن زاكين بن ورشيخ بن جنا بن زنات[89] انتهى.

فتكون نسبة زناتة إلى هذا الجد المذكور، والصواب أن هذه النسبة التي هي إلى زنات إنما هي من صيغة (جانا) [90] الذي هو اسم أبي الجيل كله كما لابن خلدون [91]، وهو: جانا بن يحي

---

(75) من هنا يبدأ الإقتباس من العبر لابن خلدون ج 152:6 .

(76) د. ك ثلثي. والتصحيح من ز.ح.

(77) إلى هنا ينتهي الاقتباس من العبر ج 152:6 .

(78) أنظر: العبر، ج 6: 152-153 بنفس اللفظ، كما يوجد هذا النص في الخبر المعرب، مخ. خ.ع.ر. 2273 ك، ورقة 6 ب بنفس اللفظ.

(79) ز.ح: أقوى. وهو تصحيف.

(80) ز: عبيد الله.

(81) في الخبر المعرب، مخ. خ.ع.ر. 2273 ك ورقة 6 ب: مصر.

(82) في جميع النسخ: المسلية، وهو تصحيف، والتصحيح من الخبر المعرب: ورقة 6 ب.

(83) في الخبر المعرب: ورقة: 6 ب: عصبية.

(84) في الخبر المعرب: ورقة 6 ب: جزوا.

(85) ورد في جميع النسخ بعد ذلك: و. فحذفناه ليستقيم المعنى.

(86) في الخبر المعرب: ورقة 6 ب: جزوا.

(87) هو: الحكم بن عبد الرحمان الناصر بن محمد بن عبد الله (302-366 / 914-976): خليفة أموي بالأندلس، جرت بينه وبين الإسبان حروب استطاع أن يفرض سلطته عليهم، لشجاعته وسعة اطلاعه، وشخصيته القوية المؤثرة. أنظر أخباره عند: الحميدي، جذوة المقتبس: 13-16 ابن الأثير، الكامل، ج 677:8 . ابن عذارى، البيان، ج 233:2-253 . المقري، نفح الطيب، ج 1: 382-396 .

(88) أنظر: الخبر المعرب: ورقة 6 ب، باختلاف يسير في اللفظ.

(89) لم أقف على هذا النص عند ابن أبي زرع في الأنيس المطرب.

(90) د. ك: جلنا. والتصحيح من ز.ح.

(91) أنظر: العبر، ج 7:7.

(*) • 50 ب.

ابن صولات بن ورماك بن ضري بن زحيك بن مادغيس بن برير. وهم [92] إذا أرادوا الجنس في التعميم ألحقوا بالإسم المفرد تاء، فقالوا : جانات، وإذا أرادوا التعميم زادوا مع التاء نونا فصار جاناتن، ونطقهم بهذه الجيم ليس من مخرج الجيم عند العرب بل ينطقون بها بين الجيم و(الشين)[93] وأميل إلى السين، ويقرب للسمع منها لفظ الصغير فأبدلوها زايا محضة لاتصال مخرج الزاي بالسين فصارت زانات لفظا مفردا، ثم ألحقوا بها هاء النسبة، وحذفوا الألف التي بعد الزاي تخفيفا لكثرة دورانه على الألسنة [94] انتهى.

فنسبة الزناتي حقيقة إنما هي لمغراوة وبني يفرن.

[ذكر بعض علماء مغراوة]

ومن[95] علماء مغراوة أحمد بن محمد بن عبد الله[96] قال السخاوي في الضوء اللامع في أخبار القرن التاسع[97]: لم يكن له نظير في المالكية، وله مناظرات مع البساطي[98] ومعارضات مع ابن خلدون[99].

ومنهم: السيد أحمد بن زاغو [100] الصوفي له اليد الطولي في كل فن حتى الهندسة، وله فتاوي في الدرر المازونية[101] والمعيار[102].

ومنهم: الشيخ محمد بن أبي جمعة، والشيخ شقرون تلميذ ابن غازي له تآليف منها: الجيش الكمين في الرد على من كفر عوام المسلمين.

ومنهم الشيخ واضح بن عثمان، والشيخ الأكحل الخلوفي [103] شاعر النبي صلى الله عليه وسلم [104]. وغيرهم (مما) [105] لا يحصى.

(92) من هنا يبدأ النقل من العبر، 7:7 .
(93) ز.ح: السين. وهو تصحيف.
(94) إلى هنا ينتهي النقل من العبر ج7:7 بنفس اللفظ.
(95) من هنا يبدأ النقل من الخبر المعرب: ورقة 6 أ.
(96) هو: أحمد بن محمد بن عبد الله المغراوي، شهاب الدين المتوفي سنة 820 هـ / 1417 م. فقيه، أصولي، ونحوي. أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2: 108 .
(97) اسمه: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. ترجم فيه السخاوي (ت: 902 هـ/ 1497 م) لعلماء وصلحاء القرن 9 هـ / 15 م. طبع بعناية مكتبة القدسي بالقاهرة سنة 1353-1355 هـ/ 1935-1937 .
(98) هو: محمد بن أحمد بن عثمان بن نعيم، المعروف بالبساطي (760-842 هـ / 1359-1439 م): ينسب إلى بساط وهي من قرى الغربية بالأعمال البحرية من أعمال مصر. كان مشاركا في علوم كثيرة منها: الفقه، النحو، اللغة، المنطق، الجبر، الهندسة، الطب والحساب. أنظر: الضوء اللامع: ج 7: 5-8 ، شذرات الذهب ج 7 : 245 – 246 ، درة الحجال، ج2 : 287 – 288 ، شجرة النور: 241-242 ، هدية العارفين، ج 192:2 ، معجم المؤلفين ج 13: 295-296 .
(99) أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج 1: 138-139 ، بتصرف.
(100) هو: أحمد بن محمد بن عبد الرحمان المعروف بابن زاغو المغراوي التلمساني، المتوفى سنة 845 هـ / 1442 م: فقيه، ألف في التفسير والفتاوي. أنظر: الفكر السامي، ج 257:2 .
(101) اسمه: الدرر المكنونة في نوازل مازونة، وهو كتاب حافل بفتاوي علماء الجزائر وتونس والمغرب. توجد من الكتاب نسخة مخطوطة بمكتبة الجزائر الوطنية تحت رقم 1335. ومؤلفه هو: يحي بن أبي عمران المازوني ت: 883 هـ/ 1478م. أنظر: عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2: 268.
(102) اسمه: المعيار المعرب، والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب. ألفه أحمد بن يحي الونشريسي (ت: 914 هـ 1508 م. ونشر بالمطبعة الحجرية بفاس سنة 1315 هـ/ 1898 م. ثم شرعت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية في إعادة نشره في طبعة عصرية.
(103) هو: أحمد بن أبي القاسم محمد بن عبد الرحمان بن الخلوف الحميري (829-899 هـ / 1425-1494 م): ولد بقسنطينة، واستقر بالمغرب. كان عارفا بالأدب والشعر، وله ديوان. أنظر: الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج 2: 64-66 .
(104) إلى ينتهي النقل من الخبر المعرب: ورقة 6 أ. بتصرف.
(105) ز: ممن .

[التحقيق في الفرق بين البربر وزناتة]

والفرق بين البربر وزناتة مع أن الكل عجم. أن زناتة نسبة لجنا، وهو جد زناتة كما سبق. والبربر اسم أبيهم (مازغ) [106]. وزناتة أحسن سمتا منهم[107] لأن غالب البربر سكن الجبال الشواهق، وغالب زناتة سكن الوطي والقواعد.

وما ذكرناه من أن صنهاجة بربر، هو المتداول المذكور عند المؤرخين. وقال بعضهم: إن إفريقش لما رجع من إفريقية ترك بها من العرب صنهاجة وكتامة، فهم فيها (إلى)[108] الآن وليسوا* من البربر قاله الطبري والجرجاني، والمسعودي، وابن الكلبي، والبيهقي[109] وجميع النسابين. انتهى.

وقال ابن خلدون: ولا خلاف بين نسابة العرب أن شعوب البربر (الذي)[110] قدمنا ذكرهم كلهم من البربر إلا صنهاجة وكتامة فإن بين نسابة العرب خلافا، والمشهور أنهم من اليمنية، وأن إفريقش لما غزا إفريقية أنزلهم بها. وأما نسابة البربر فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة. يزعمون أنهم من حمير، ومثل هوارة يزعمون أنهم من كندة من السكاسك، ومثل زناتة تزعم نسابتهم أنهم من العمالقة (فروا أمام) [111] بني إسرائيل، وربما يزعمون فيهم أنهم من بقايا التبابعة، ومثل غمارة أيضا. وزواوة، ومكلاتة، يزعم في هؤلاء كلهم نسابتهم أنهم من حمير. وهذه كلها مزاعم، والحق الذي تشهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب إلا نسابة العرب في صنهاجة وكتامة. وعندي أنهم من إخوانهم والله أعلم [112].

[النمو والتقدم في ظل السياسة الرشيدية]

وقوله: وشرفها من فضله بالمراتب. الشرف: العلو والمجد والفضل: ضد النقص. والمراتب: جمع رتبة، وهي المنزلة والمكانة.

أي وصير هذه الأمم من كماله عالية المجد بما أولاها من المنازل والمكانة والتقدم في الأمور بعد انحطاطها باختلاف الكلمة، فوقع منها موقع القطر زمن المحل [113]، واحتاجت إليه احتياج العذراء [للفحل] [114].

---

(106) ك: مازيغ.

(107) ورد في جميع النسخ بعد ذلك: و. فحذفناه ليستقيم سياق المعنى.

(108) ز.ح: من .

(109) لعله يقصد: أحمد بن الحسين بن علي، أبو بكر البيهقي (384-458 / 994-1066): محدث مشهور، له مؤلفات كثيرة خاصة في الحديث. أنظر: المنتظم، ج 8: 242، معجم البلدان، ج 2: 346-347، الطبقات الشافعية للسبكي، ج 3: 3-7 ، مرآة الجنان، ج 3: 81-82 البداية، ج 12: 94 ، شذرات الذهب، ج 3: 304-305 .

(110) ز: التي.

(111) د.ح: فرلوا أمام، ك: فرلوا أيام.

(112) أنظر: ابن خلدون، العبر، ج 6، 97 بنفس اللفظ.

(113) المحل: الجفاف.

(114) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ك. والتكملة من ز.ح .

(*) • 51أ.

وأحيا به الله رسوم الدين في سائر الأقطار المغربية، وتدارك به ما ضعف من العصابة المستضعفة بين ذوي (العصوبية)[115].

وكان -رحمه الله- محبا في جانب العلماء، مؤثرا لأغراضهم، مولعا بمجالستهم، محسنا إليهم حيث ما كانوا.

وكان جوادا سخيا رحل الناس إليه من المشرق فما دونه، وقصده بعض طلبة الجزائر، فامتدحه ببيتين وهما: [الخفيف]

فَاضَ بَحْرُ الفُرَاتِ فِي كُلِّ قُطْرٍ ... مِنْ نَدَى رَاحَتَيْكَ عَذْباً فُرَاتَا

غَرِقَ (النَّاسُ)[116] فِيهِ وَالتَمَسَ الفَقْـ ... ـرُ خَلاَصاً فَلَمْ يَجِدْهُ فَمَاتَا[117]

فوصله بألفين وخمسين دينارا، والثناء عليه بالسخاء لا يلحق لكثرة الحكاية عنه بذلك وشهرتها.

وكانت أيامه، أيام سكون، وأمن، ورخاء عظيم.

[بناء قنطرة وادي سبو وتجديد قنطرة الرصيف]

ومن مآثره الدالة على ضخامة ملكه، واعتنائه بأمور المسلمين، قنطرة وادي سبو العجيبة البناء، وكان الشروع في بنائها يوم السبت رابع عشر ذي القعدة سنة تسع وسبعين وألف[118]، * من مال كان أقرضه للتجار من فاس وغيرها للتجارة، فردوه (في)[119] هذه السنة، فأخذ في بنائها به، وكان بناء أساسها في خامس عشر جمادى الثانية عام (ثمانين)[120] وألف[121] وفي شوال من هذه السنة[122] -أيضا- جددت قنطرة الرصيف.

[وفاة المولى الرشيد]

ولازال على السيرة الحميدة مع الرعايا إلى أن توفي -رحمه الله- بمراكش، ودفن بها. ثم نقله أخوه المولى إسماعيل إلى فاس، ودفن بروضة الولي الصالح سيدي علي بن حرزهم الأموي[123] خارج باب الفتوح، وذلك بوصية منه رحمه الله.

---

(115) ز: العصبية.

(116) د، ك: الباس، والتصحيح من ز، ح.

(117) البيتان يوجدان في: النزهة: 304، الروضة: 40 الجيش ج 1: 62 الاستقصا، ج 7: 44.

(118) يوم السبت 14 ذي القعدة سنة 1079 هـ / 15 أبريل سنة 1669 م.

(119) د، ح، ك: أي، والتصحيح من ز.

(120) د، ز، ك: الثمانين، والتصحيح من ك.

(121) 15 جمادي عام 1080 هـ / الأحد 10 نوفمبر 1669 م.

(122) أي شوال من عام 1080 هـ / 22 فبراير – 22 مارس 1670 م.

(123) هو: علي بن إسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم، المتوفي سنة 559 هـ / 1163 م: فقيه، محدث، وحافظ، من الزهاد. أنظر: شجرة النور: 162-163، الفكر السامي، ج 2: 224-225. A. FAURE. Ency. de l'islam, T 3 .PP : 823 - 824 .

(*) 50 ب.

وأول من نقل في الإسلام من قبر إلى قبر مولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وذلك أنه لما قتل من ضربة ابن ملجم (الخارجي)[124] قبحه الله، دفن بالسحر وراء المسجد الذي يؤمه الناس اليوم بالكوفة، ونقل بعد ذلك للمدينة، كذا في شرح الجمان النفيس[125].

وكان انتقال المولى الرشيد لفاس ودفنه بها يوم الإثنين سابع عشر صفر سنة ثلاث وثمانين وألف[126].

[سبب وفاة المولى الرشيد]

وإلى سبب وفاته أشار الناظم بقوله:

إِلَى أَنْ رَأَى غُصْنَ الرِّيَاضِ قَوَامَهُ ... فَغَارَ وَشَجَّ رَأْسَهُ (بِالمَخَالِبِ)[127]

الغصن: فرع الشجرة معلوم. والرياض: جمع روضة، وهي الموضع المعجب بالزهور. فإضافة الغصن للرياض من إضافة الحال للمحل. والقوام بالفتح الاعتدال، فقوام الرجل قامته، وحسن طوله. وقوله: فغار: من الغيرة بالفتح وهي (بمعنى)[128] الحسد، تقول: غار الصبي من أخيه، بمعنى حسده من محبة آبائه له، أو رضاعه لبن أمه، وغار الرجل على أهله غيراً وغيرة. والشجة: الجراحة في الوجه أوالرأس، خاصا إذا شق جلده، مأخوذ من شجت السفينة البحر إذا شقته. والرأس: معلوم. والمخالب: جمع مخلب بكسر الميم، وهو للطائر [و][129] السبع، كالظفر للإنسان، لأن (الطائر)[130] يخلب بمخلابه الجلد، أي يقطعه ويمزقه، وأطلق المخالب على صلابة الغصن مجازاً، وذلك أنه كان راكبا على فرس جموح فأجراه، فلم يملك عنانه إلى أن قصد به شجرة نارنج، فهشم غصن منها رأسه، فكانت فيه منيته. وفي ذلك قال بعضهم: [الطويل].

وَمَا شَجَّ ذَاكَ الغُصْنُ رَأْسَ إِمَامِنَا ... لِسُوءِ (لَهُ خدن)[131] المَحَبَّةِ جَاحِدُ
وَلَكِنَّهُ قَدْ غَارَ مِنْ لِينِ قَدِّهِ ... وَإِنَّ مِنَ الأَشْجَارِ (مَنْ)[132] هُوَ حَاسِدُ[133]

---

(124) ك: الجارجي.
(125) اسمه إيضاح الغميس وأنوار البرجيس بشرح عقد الجمان النفيس تأليف: محمد بن أحمد بن عبد القادر المعروف بأبي رأس المعسكري (ت: 1239 هـ/ 1824 م). لم أقف عليه وإنما ذكره ابن سودة، في الدليل ج 1:114 .
(126) يوم الاثنين 17 صفر سنة 1083 هـ/14 يونيو 1672 م.
(127) د: بالمناقب. والتصحيح من ك، ومن طرة ز، ح.
(128) ك: في معنى.
(129) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(130) ك الطالب.
(131) في نزهة الحادي: 304: ولا تدر.
(132) في الجيش، ج 1: 62: ما.
(133) البيتان يوجدان في النزهة: 304، الروضة: 41 ، الجيش ج 1:62 ، الاستقصا، ج 7:43 .

*وهو ما تضمنه بيت الناظم ولم يؤرخ لوفاته، وقد أشرت له إتماما للفائدة بقولي: [الطويل]

فَشْبٌ تَقِيّاً وَالمَنَايَا سَرِيعَةٌ بَقَبْضِ الخَيَارِ يَالَهَا مِنْ مَصَائِبِ

إذ كانت وفاته -رحمه الله- عاشر ذي الحجة عام إثنين وثمانين وألف [134]، وهو جملة (فشب)[135]. وكانت ولادته عام أربعين وألف [136]. ولما احتضر سمعه بعض الأشراف من أقاربه يقول: سبحانك يا من لا يزال ملكه، عبدك الرشيد زال ملكه!

[تواضع المولى الرشيد ومحبته للعلم والعلماء]

ومن تواضعه ومحبته في العلم وأهله، ما حكاه صاحب الجيش من أنه بعث إلى بعض علماء عصره ليقرأ معه بعض الكتب، فامتنع ذلك العالم وقال كما قال الإمام رضي الله عنه: العلم يؤتى ولا يأتي. قال: فكان المولى الرشيد -رحمه الله- يتردد لمنزل ذلك العالم للقراءة عليه [137]، وهي منقبة أيضا لهذا العالم رضي الله عنه، وقد ذكر صاحب نشر المثاني أنه كان يحضر مجلس الشيخ أبي علي اليوسي بالقرويين [138] انتهى.

وبهذه الحالة تعرف درجته في العلم، وأنه من العلماء رحمه الله.

---

(134) 10 ذي الحجة عام 1082 هـ / يوم الخميس 7 أبريل 1672 م.

(135) ز: بشب.

(136) عام 1040 هـ/ 1630 .

(137) أنظر: أكنسوس، الجيش، ج 1: 62 بتصرف.

(138) أنظر: القادري، نشر المثاني، ج 3: 26 بتصرف، والنص ابتداء من كلمة: "ماحكاه" يتطابق لفظه مع الاستقصا ج 7: 44 .

(*) • 52 أ.

[المقصد السابع: توطيد السلطة وتوحيد البلاد]

[تولية المولى إسماعيل وبيعته بفاس]

ثم قال رحمه الله:

بِمَـوْلاَيَ إِسْمَـاعِيـلَ إِذْ ذَاكَ شَنَّفَتْ   مَـسَـامِعَـهَـا بِـالعِزِّ مِنْ كُلِّ جَانِبِ

أشار بهذا إلى أن المتولى بعده هو أخوه أمير المؤمنين المظفر بالله (أبي)[1] النصر المولى إسماعيل بن (المولى)[2] الشريف سنة وفاته المومأ إليها بقولنا: فشب، وهي سنة اثنين وثمانين وألف[3] وإليها الإشارة بقوله: إذ ذاك. أي تاريخ وفاته، شنفت الخلافة آذانها، بالعز الذي هو ضد الذل في كل جانب وناحية من جوانب المغرب من ناحية المشرق والسودان والروم بتولية المولى إسماعيل، أي زينت آذانها بما يحسنها من تعليق قرط ونحوه بأعلاها، إذ الشَّنَفُ القرط الأعلى أو مِعْلاَقٌ في (قُوفِ)[4] الأذن كما [في][5] القاموس[6].

وكانت مبايعته بعد وفاة أخيه بستة أيام، وذلك يوم الأربعاء سادس عشر ذي الحجة متم السنة المذكورة[7] موافقا للثالث من أبريل بمحروسة فاس، لأنه كان الخليفة منه عليها، وحضر بيعته أعيان المغرب وصلحاؤه بحيث لم ينازع في أنه أحق بها أحد ممن يشار إليه وفي روضة التعريف[8] : حضرها رؤوس القبائل وأعيان المدن الإسلامية من أهل الحل والعقد، شرفاء وعلماء وصلحاء، كالشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي، والشيخ أبي علي اليوسي، وأبي عبد الله محمد بن علي (الفيلالي)[9]، وأبي العباس أحمد *ابن سعيد المزجلدي[10] وأبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأبي زيد عبد الرحمان الفاسي، والقاضي الأعدل أبي عبد الله محمد بن الحسن المجاصي المكناسي[11] والقاضي الأعدل أبي مدين السوسي المكناسي[12] وغيرهم.

---

(1) ز: أبو

(2) ك: مولاي.

(3) سنة 1082 هـ / 1672 م.

(4) في جميع النسخ: فوق . والتصحيح من القاموس ج 165:3 .

(5) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(6) أنظر القاموس المحيط، ج 165:3

(7) أي يوم الأربعاء 16 ذي الحجة متم 1082 هـ /13 أبريل 1672 .

(8) اسمه الكامل روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف. كما يسمى أيضا: الظل الوريف في مفاخر مولانا إسماعيل بن الشريف. تأليف: محمد الصغير الإفراني، نشر الكتاب في المطبعة الملكية بالرباط سنة، 1962/1382 بتحقيق عبد الوهاب بن منصور.

(9) د، ح، ك: الفلالي، والتصحيح من ز.

(10) هو: أحمد بن سعيد المزجلدي، أبو العباس، المتوفي سنة 1094 هـ/ 1683: قاضي فاس ومكناس، من فقهاء المالكية. أنظر : نشر المثاني، ج 306:2 . اليواقيت الثمينة: 35 سلوة الأنفاس ج206:3 فهرس الفهارس ج 420:1 اتحاف أعلام الناس ج 324:1-325 ، الدليل ج 339:2-450 الموسوعة ج 100:3 الاعلام للزركلي ج 131:1 المصادر العربية ج 205:1 .

(11) هو: محمد بن الحسن المجاصي الغياثي المكناسي المتوفي سنة 1103-1692: فقيه، ناظم وله مشاركة في بعض العلوم. أنظر: نشر المثاني ج 55:3، إتحاف أعلام الناس ج 47:4 -55 الدليل ج 1: 88 ، 161 ، 171 ، و ج 415:2 ، المصادر العربية ج 1: 3، 20 ، معجم المؤلفين، ج 9: 211 .

(12) هو: محمد الحسين بن إبراهيم المنبهي المكناسي المتوفي سنة 1120 هـ/ 1709 م: من علماء مكناس وقضاتها المشهورين. وأنظر النص في: روضة التعريف: 47-48 بتصرف ، كما يوجد في الاستقصا ج 45:7 باختلاف يسير في اللفظ.

(13) وقعة القاعة: إسم وقعة تقابل فيها محمد الحاج الدلائي مع المولى محمد بن الشريف العلوي وذلك سنة 1056 هـ / 1646م. احتل الدلائي أثناءها سجلماسة، ثم اصطلحا على أن تكون الصحراء إلى جبل بني عياش للمولى محمد وما دون ذلك إلى الغرب للدلائيين.

(*) • 52 ب.

وكان سنه يوم البيعة ستا وعشرين سنة لأن ولادته كانت، في وقعة القاعة[13] و(هي)[14] مؤرخة بسنة ست وخمسين وألف[15] كما في الروضة[16].

ولما تمت له البيعة نهض بأعباء الخلافة، وأحسن السيرة، وضبط الأمور، وتمهدت له البلاد. ودان له قريبها وبعيدها، وبعث البعوث للأقطار، فقدم عليه وفود أهل المغرب من البوادي والأمصار ببيعاتهم وهداياهم.

[دخول المولى إسماعيل إلى مراكش ثم رجوعه إلى فاس]

ثم توجه لمراكش، فتلقاه أهلها بالحرب فهزمهم ودخلها عنوة سابع صفر من عام ثلاثة وثمانين وألف[17]، وأمر بنقل أخيه المولى الرشيد كما تقدم. ثم رجع بنية الحركة إلى الصحراء، فشق عليه العصا أهل فاس، وقتلوا قائد محلته زيدان (بن عبد المالك العامري التونسي)[18] غدرا عند مغرب ليلة الجمعة ثاني جمادى الأولى[19] فوقعت الحرب بينهم وبين السلطان بسبب ذلك.

[محاربة الثائر أحمد بن محرز]

ووقائعه مع (الثوار)[20] عديدة وحروبه شهيرة، فمن الثوار القائمين عليه ابن أخيه مولاي أحمد بن محرز، وبسبب هذه الحرب (بعث)[21] إليه أهل فاس، فورد عليهم كتابه بنزوله قرب دبدو[22] على نهر ملوية فنادوا بنصره في الأسواق وغيرها عند زوال يوم الخميس الموفى عشرين من جمادى الثانية وفي مغرب يوم الأحد بعده، توجه منهم عشرة من الفرسان للقائه بتازا، وبعد صلاة الجمعة خامس رجب توجه السلطان نحو تازا قاصدا ولد أخيه مولاي أحمد الثائر عليه. فلما سمع بتوجهه إليه رجع إلى الصحراء. وبقي السلطان هنالك شهرا. وبعد ذلك بلغه دخول الثائر المذكور مراكش، فاستعد لحربه، وتوجه لقتاله على طريق تادلا، فكان اللقاء بينهما على (واد)[23] العبيد في أبي عقبة، فانهزم المولى أحمد وقتل قائد محلته (حيدة الطويري)[24] ورجع لمراكش، فتبعه عمه مولاي

---

(14) د، ح: هو: والتصحيح من ز.ك.
(15) 1056 هـ / 1646 م.
(16) أنظر: روضة التعريف: 32 .
(17) 7 صفر عام 1083 هـ / السبت 4 يونيو 1672 .
(18) في الجيش ج 1:64: ابن عبيد العامري. وكذلك في الاستقصا ج 47:7 .
(19) أي ليلة الجمعة 2 جمادي الأولى عام 1083 هـ / 26 غشت 1672 م.
(20) د، ح، ك: الثور. والتصحيح من ز.
(21) في جميع النسخ: بعثوا. واقتضى السياق تصحيحها.
(22) دبدو: إحدى الجماعات بإقليم وجدة لعبت أدوارا تاريخية نظرا لموقعها الإستراتيجي. وربطتها علاقات مختلفة مع فاس ومليلية والجزائر. أنظر: الموسوعة، معلمة المدن (ملحق 2): 195 .
-Ch. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc, PP: 248-250 .
- Budgett Meaking, the land of the Moors.
(23) د، ز، ك: وادي . والتصحيح من ح.
(24) ك: جيدة الصويري.

إسماعيل ونزل عليه بها عام ستة وثمانين[25]، وأقام على حصارها ومحاربة من بها إلى ربيع الثاني من عام سبعة وثمانين[26]، فوقع قتال عظيم مات فيه من الفريقين عدد لا يُحصى واستمر الحصار إلى ربيع الثاني من عام ثمانية وثمانين[27] ففر مولاي أحمد عنها وكان يقاتل على الأسوار فدخلها*السلطان عنوة واستباحها، وقتل من أعيانها سبعة و(سمل)[28] ثلاثين. ثم إن المولى أحمد بن محرز توجه بعد فراره لجبال السوس، ثم نهض لتارودانت، فاستولى عليها وعلى كثير من أعمالها إلى الساقية الحمراء، وأذعنت له تلك القبائل، وبعث لأمير الجزائر يحرضه على الخروج من تلمسان والعبث في أطراف تازا ونواحيها. إلى ما يتصل بإيالته من البلدان فجمع لذلك الجموع ووجهها، فبلغ المولى إسماعيل خروجهم فنهض (إليهم)[29] وتوجه لقتالهم ونزل بناحية مسون، فلما بلغهم نهوضه إليهم انقلبوا على أعقابهم راجعين (خائفين)[30] من سطوته. وقال الزياني: رجعوا حين بلغهم خروج النصارى بشرشال، فتوجه لهم أهل الجزائر وقتلوا منهم عددا كثيرا وأخرجوهم منه، واستشهد من المسلمين نحو سبعمائة[31]، ثم صرف السلطان عنان قصده إلى محاربة ولد أخيه المذكور بالسوس، فسلك إليه على طريق ملوية، ولما بلغ المولى أحمد بن محرز نهوض عمه إليه خرج من تارودانت ونزل بجبل درن و(شد)[32] ثناياه (يحسب)[33] أن ذلك ينجيه فما شعر وهو مقابل تلك الثنايا حتى أتته جواسيسه وعيونه بمجيئه على جبل أرقيت معرضا (عن)[34] تلك الثنايا، وأعرض عن تلك الثنية التي هو بها وانحدر لحضرة السوس، وأرعدت عليه طبوله من ورائه فولى المولى أحمد فارا إلى تارودانت وترك أثقاله، فاحتوى عليها عمه السلطان ثم تبعه ونزل عليه بها وحاصره مدة [مديدة][35] وفي ذلك الحصار مات القائد يحي أعراص مقتولا، كذا قيل. وقال الزياني: ورجع قاصدا مراكش ومنها للسوس، فتلاقى مع ابن أخيه ووقع القتال خمسة وعشرين يوما مات فيها من الفريقين عدد لا يحصى، ودخل أحمد بن محرز تارودانت، فانحصر بها، ثم وقع بينهما قتال آخر مات فيه خلق كثير وجرح أحمد بن محرز، واستمر الحال على ذلك إلى رمضان العام القابل، فوقع الصلح بينهما ورجع السلطان لمكناسة فدخلها في ذي القعدة الحرام[36] انتهى.

---

(25) أي عام 1086 هـ / 1675 م.
(26) أي ربيع الثاني عام 1087 هـ / 13 يونيو -1يوليوز 1676 م.
(27) أي ربيع الثاني 1088 هـ / 3 يونيو - 1 يوليوز 1677 م.
(28) في الجيش ج 1:65: كحل وكذلك في الاستقصا ج 7:30 .
(29) د، ح: إليه والتصحيح من ز.ك.
(30) د، ك: خائبين والتصحيح من ر.ك.
(31) هذا النص يوجد عند الزياني في البستان الظريف مخ، خ، ع، ر، 1577 د: 35 . بتصرف.
(32) سد. والتصحيح من ز، ح، ك.
(33) د، ح: يحسب، والتصحيح من ز.ك
(34) ز: على
(35) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز.ح.
(36) هذا النص يوجد عند الزياني في البستان الظريف: 35، بنفس اللفظ.
(*) • 53 أ.

[و][37] في سنة خمس وتسعين[38] بلغه دخول أخيه المولى الحران تارودانت بقصد إعانة ولد أخيهما المولى أحمد بن محرز، فتوجه لمحاربتهما، فالتقى الجمعان بوادي تنقرت وعند اللقاء انهزم مولاي أحمد وفر لتارودانت وتحصن بها فتبعه* السلطان إلى أن نزل عليه بها، فحاصره ثلاثة أعوام وتسعة أشهر، ثم اتفق في أثناء الحصار أن خرج المولى أحمد في بعض الأيام لزيارة بعض الأولياء كما قال الزياني[39] وقال غيره متوجها نحو المرسى مع بعض عبيده، فلقيته جماعة من زرارة[40] أصحاب السلطان لم يعرفوه وظنوه بعض قواده[41] فأخذوه وقتلوه يوم الإثنين التاسع من ذي القعدة الحرام عام (ستة)[42] وتسعين وألف[43].

ولما بلغ خبره السلطان توجه حتى وقف عليه، فأمر بتجهيزه ودفنه مع الغرناطي. وقد كان مات يومئذ. قيل: إن دفنه كان بضريح سيدي أحمد وموسى[44]، وبعد أيام خرج أهل تارودانت ليلا إلى قبره فنبشوه واستخرجوه حتى عرفوه إذ كان التبس عليهم قبره بقبر الغرناطي، فأخرجوهما معا وحملوا المولى أحمد في تابوته، وتركوا الغرناطي على (شفير)[45] قبره.

[محاربة الثائر الحران]

ولما توفي المولى أحمد أراد عقلاء تارودانت أن يمدوا للسلطان يد الطاعة، ويدخلوا في سلك الجماعة فاستعصى [عليهم] [46] الذعارات وبايعوا مولاي الحران بن الشريف، فبقي محصورا بالمدينة والحرب مستمرة [مات] [47] فيها نحو الستمائة، وفي صبيحة يوم الأحد السابع من جمادى الأولى عام ثمانية وتسعين [48] دخل السلطان البلد عنوة بالسيف فاستباحها وتحصن المولى الحران بالقصبة إلى أن منَّ عليه أخوه السلطان بالأمان

(37) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(38) أي سنة 1095 هـ / 1683 م.
(39) أنظر البستان الظريف: 36 .
(40) زرارة: من قبائل عرب بني معقل، استوطنوا بلاد السوس ودخلوا ضمن جيش المولى إسماعيل .
أنظر: الاستقصا ج 7: 50 . الموسوعة، معلمة المدن (ملحق2): 212، تاريخ الضعيف ج 1: 174 هامش : 17 .
(41) أي ظنوه من قواد أحمد بن محرز.
(42) د، ز،ح: تسعة. وهو تصحيف. والتصحيح من ك.
(43) يوم الاثنين 9 ذي القعدة عام 1096 هـ / شتنبر 1688 م.
(44) هو: أحمد أو موسى بن عيسى (853-971 / 1450-1564) ولد في بو مروان بمنطقة أوسملال بسوس الأقصى، فقيه أديب من أشهر الزهاد بالجنوب المغربي. وضريحه من المزارات بإيليغ .أنظر: مصطفى ناعيمي، معلمة المغرب ج 1: 160-165
- Jules Erck-mann, le Maroc moderne, P: 56 .
- E; Doutté, Mission au Maroc, p: 241.
- D. justinard, note sur l'histoire du sous, in, hespéris T 5 année 1925 3è tri, P: 265;

(45) ك: شفيرة.
(46) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ح. والتكملة من ك.
(47) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، والتكملة من ز، ح، ك.
(48) أي يوم الأحد 7 جمادي الأولى عام 1098 هـ / 21 مارس 1687 م.
(*) * 53 ب.

وأتحفه بالأموال، فتوجه بذلك إلى المشرق ، ولما حجّ ووقف بعرفة جاءته منيته، فمات رحمه الله. فهو أيضا من أحد (الثوار) [49]. وكان قبل ذلك خرج عليه وفر إلى سجلماسة خوفا منه، فقبض عليه (بتفلالت) [50] وورد مقبوضا لفاس ثم منها لمكناسة، فسرحه السلطان لما قام به من الحلم، ولم يعامله بمقتضى الخروج عليه. ولازال الحلم معه في قضايا مثل هذه، وأعطاه خيلا ومدشرا بالصحراء يعيش به. فسار بالقرب وعاد إلى الخروج عليه مع أخويه كما سبق [51]. وقيل: كان سبب توجه السلطان إليهم ما قيل من أن ولد أخيه المذكور كتب لآيت عطه [52] وطلب منهم الإعانة على عمه فنهض إليهم، وتسنم جبالهم معقلا بعد معقل إلى أن وصل قنة صاغرو من جبل درن متمنع آيت عطه، فأوقع بهم وقعة عظيمة ومزقهم كل ممزق وأخذ أموالهم وأشرف على تلك الصحاري. وفرّ إخوته ومن معهم إلى الصحراء ورجع من هناك * على جبل القلاوي بكاف معقودة، وفي وقعة جبل صغرومَات قائد العسكر موسى بن يوسف وأربعمائة من أهل فاس دون غيرهم، وذلك في الحادي والعشرين من ذي الحجة متم سنة تسع وثمانين [53] وفي رجوعه من غزوة آيت عطه أمر بقتل الكاتب الأعظم الوزير أبي زيد عبد الرحمان المقزاري الفلالي مجرورا من تادلا إلى فاس ففعل به ذلك وقتل نحو الثلاثمائة من المحلة، ورجع لمكناسة فأقام بها.

[القضاء على الثائر الخضر غيلان]

ومن الثائرين عليه أيضا الخضر غيلان، وورد رسوله في ثاني رجب عام ثلاثة وثمانين [54] لفاس مخبراً بقدومه من الجزائر في البحر، ودخوله تطوان مع جماعة من أولاد النقسيس، كانوا بها أيضا، فتوجه إليه السلطان، فظفر به وقتله يوم الأحد الموفى عشرين من جمادى الأولى من عام أربعة وثمانين [55].

ويروى أن بعض المنجمين قال لأهل فاس وهم في الحصار أيام شقهم العصا كما تقدم: إني رأيتُ الحصار لا ينقضي (عنكم) [56] حتى يدخل الخضر غيلان ويكون ها هنا، وأشار إلى موضع بقرب حمام العقال. فكان من قدر الله أنه لما قتل وجز رأسه حمل إلى

---

(49) د، ح، ك: الثور. والتصحيح من ز.
(50) ز،ح: تافلالت
(51) يقصد بأخويه هنا، أحمد بن محرز وهاشم، لكنه لم يشر إلى هذا الأخير فيما سبق.
(52) آيت عطه: من قبائل البربر الصنهاجيين الصحراويين يستقرون بالأطلس الصغير جنوب المغرب، ثم في أماكن ومناطق متفرقة بالمغرب. أنظر: تا. يخ الضعيف ج 1.:164 هامش : 38 .

•J. Erckmann, le Maroc Moderne P: 64

(53) أي 21 ذي الحجة متم سنة 1089 هـ / الجمعة 3 فبراير 1679 م.
(54) أي م رجب عام 1083 هـ / الاثنين 24 أكتوبر 1672 م.
(55) أي يوم الأحد 20 جمادى الأولى عام 1084 هـ / 4 شتنبر 1673 م.
(56) ك: عليكم.
(*) • 154أ.

فاس فرمى به إليهم، فسقط في الموضع الذي أشار إليه المنجم. فلما رأى ذلك أهل فاس رغبوا في الصلح وأذعنوا (للإنقياد)(57).

[القضاء على الثائر أبي العباس أحمد الدلائي]

ومن الثوار عليه، أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الحاج الدلائي، اجتمع عليه البربر، وعبثوا بمن جاورهم من قبائل الأعراب من تادلا إلى سايس، فوجه السلطان عسكراً لأهل تادلا إعانة لهم، فهزمهم البربر، واستولى على تادلا، فوجه لهم عسكراً آخر مع القائد يخلف يشتمل على ثلاثة الاف من الخيل فقتل يخلف ونهب عسكره، ثم أعقبه بعسكر آخر، فوقع له مثل الأول والثاني، ومات فيه الفقيه السيد العربي بن عبد العزيز الفلالي، وشن البربر الغارات بعد ذلك على من جاورهم من القبائل، ثم وقعت معركة رابعة بأحواز مكناسة الزيتون بين جيش فاس والبربر مات فيها من كبراء الجيش عدد كثير، وانحاز الباقون إلى مكناسة، وكثر الخوف بأطرافها، واشتد الحال بذلك على أهل الزاوية الدلائية الذين هم بفاس العتيق، وكثر البحث عليهم والتضييق [بهم] (58).

ولما ليم الدلائي المذكور في قيامه على السلطان، ومنازعته إياه في الملك، قال: لم أنازعه في فصيل إبله ولافسيل إفلة، وإنما أنازعه ملك أبي وجدي. والفسيل فرع النخلة، والمراد بإفله: بلاده * المعلومة بوادي إفلي من أرض سجلماسة.

ولما رأى السلطان [أن] (59) الأمر على طول المدة لا يزيد إلا شدة تهيأ لمحاربتهم بنفسه، وخرج إليهم من مراكش في العدد والعدة، فقطع وادي العبيد، وفي ذلك يقول الأديب الشاعر المجيد أبو عثمان سعيد التلمساني من قصيدة يخاطب بها الدلائي على لسان السلطان جوابا عما كان بعثه الدلائي في راوية وقافيته ولم استحضره الآن: [الطويل].

تَـأَهَّـبْ لِـيَـوْمِ الحَرْبِ فَـالحَرْبُ عِيـدٌ ... لَـنَـا وَعَـلَـيْـكُـمْ مِـحْـنَـةٌ وَوَعِـيـدُ(60)
أَتَـجْـهَـلُ قَـبْـلَ الـيَـوْمَ قَـدْ عَـلِـمْـتَـهُ ... وَأَنْـتُـمْ لَـنَـا تَـحْـتَ السُّـيُـوفِ عَـبِـيـدُ
فَـبَـحْـرُكَ يَـا ابـنَ الـبَـرْبَـرِيَّـةِ غَـائِـضٌ ... وَبَـحْـرِي بِـمَـوْجِ الصَّـافِـنَـاتِ يَـجُـودُ

ولما التقى الجمعان، كانت بينهما حروب هائلة مات فيها من الفريقين عدد لا يحصى بل قيل: إنه مات من محلة السلطان من أهل فاس خاصة أربعمائة رجل، ومات

---

(57) د، ح، ك: الإنقهاد. والتصحيح من ز.
(58) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز.ح .
(59) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز.
(60) هذا البيت يوجد عند العربي المشرفي، الحسام المشرفي، مخ، خ، ع، ر 2276 ك (أول المجموع): 330 ضمن الأبيات الثمانية التي أثبتها من نفس القصيدة.
(*) • 54 ب

من البربر سبعمائة على ما للزياني[61] وقيل غير ذلك. وفي نشر المثاني ثلاثة آلاف [62] وللرياطي[63] (ستة)[64] آلاف وثلاثمائة والله أعلم.

ثم جزّت رؤوس موتى البربر، ووجه بها لفاس ومكناسة الزيتون، فزينت فاس، وأخرجت بها المدافع، وفر رئيس البربر أبو العباس الدلائي لبعض الجبال الوعرة، قيل أنها جبال آيت [يسري][65] وبقي بها نحو عام أو أكثر إلى أن مات بها، فورد الخبر لفاس بوفاته في الحادي والعشرين من المحرم فاتح عام أحد وتسعين وألف[66] قيل أنه مات بالطاعون، وقيل: مات مسموما سمه ابن بركة كبير آيت يمور وابن راحة كبير [آيت][67] المقداد من هسكورة بإشارة من السلطان، وإعطائه ما لا على ذلك، والله أعلم بحقيقة الأمر.

ويموته فرح أهل (الدلائيين)[68] بفاس لما لحقهم بسببه من الضيق، وبه انقرضت أيام أهل (الدلاء)[69]، ولم يبق منهم رئيس، والبقاء لله.

[الإعراض عن الثائرين: حمادي ومحرز]

ومن (الثوار)[70] أيضا عليه بالصحراء، المولى حمادي أخ السلطان، وأخوه الثائر بها -أيضا- المولى محرز، فأعرض عنهم، ولم يلتفت إليهم لقلة جدواهم.

[محاربة الثائر المولى محمد وقتله]

ومن الثوار أيضا الخارجين عليه ولده الفقيه العلامة المولى محمد، خليفته على السوس، وكان قد وفد عليه مع أعيان فاس وعلمائها مهنئين له بالفتح الذي منحه الله بتارودانت فخلفه بها، ورحل بعد ذلك إلى الشرق، فوصل إلى بلاد اشلف *والقويعة، ووقعت بينه وبين الأتراك مقتلة عظيمة مات فيها القائد منصور بن الرامي، وبقي هناك نحو تسعة (أشهر) [71] إلى أن أكل الزرع، ونهب الأموال وذلك سنة اثنتي عشرة ومائة وألف [72].

---

(61) أنظر: الزياني، البستان: 30 .
(62) لم أجد ذكر لعدد القتلى في هذه الحروب في نشر المثاني. ج 2:288-289 .
(63) هو محمد بن عبد السلام بن أحمد المعروف بالضعيف، ولد سنة 1165 هـ /1751 بمدينة الرباط ونشأ بها واستمر على قيد الحياة إلى سنة 1238-1822 ولا يعرف تاريخ ومكان وفاته. كان له اهتمام بالتاريخ والشعر والموسيقى والرحلات. أنظر: مؤرخوا الشرفاء: 146-148 الدليل ج 1:137 الموسوعة ج 2:108 فهارس الخزانة الملكية 1:89-90 الحياة الأدبية: 357-359 المصادر العربية. ج 2: 14- 15 مقدمة تاريخ الضعيف لمحمد البوزيدي.
(64) تكرار في د.
(65) د، ح، ك: سري ،والتصحيح من ز.
(66) 21 محرم عام 1091 هـ / الخميس 22 فبراير 1680 م.
(67) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز،ح. والتكملة من ك.
(68) د، ك: الدين. والتصحيح من ز، ح.
(69) د، ك: الدلائي. والتصحيح من ز، ح.
(70) د، ح، ك: الثور. والتصحيح من ز.
(71) ك : عشر.
(72) سنة 1112 هـ / 1700 م.
(*) • 55 أ.

ولما طالت إقامته بها تشوفت نفوس القبائل السوسية لمبايعة ولده المذكور، وتشوف هو للخلافة، فبعث كتابا لشيخه العلامة الدراكة أبي عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي [73] يستشيره في ذلك، فأجابه برسالة ختمها بقصيدة منها قوله: [الكامل].

مَـهْـلاً فَـإِنَّ لِـكُـلِّ شَـيْءٍ غَـايَـةً   وَالـدَّهْـرُ يَـعْـكِـسُ حِـيـلَـةَ المُحْـتَـالِ

(وَالـبَدْرُ) [74] لَـيْـسَ يَـلُـوحُ سَـاطِـعٍ نُورِهِ   والشَّمْسُ (بَـادِيَـةٌ) [75] السَّـنَـا فِـي الحَالِ

فَـإِذَا تَـوَارَتْ بِـالحِجَـابِ (فَـعِـنْـدَ ذَا)   يَـبْـدُو (بُـدُوَّ تَـعَـزُّزٍ وَكَـمَـالِ) [77]

وكان المولى محمد ينكر على أبيه أموراً ظن أنها تبيح له القيام عليه. فقام، وبويع له بالخلافة بمدينة تارودانت في السنة المذكورة، وقام بدعوة أهل سوس. فلما بلغ ذلك لأبيه، وجه له أخاه الخليفة بمكناسة الزيتون المولى الحفيد في جيوش عديدة، فلما التقى الجمعان بتمراغت انهزم المولى الحفيد، واحتوى أخوه المولى محمد على محلته، ومضاربه وخيله ورجله، واستفاد من ذلك أموالا عظيمة، قوّى بها ساعده، واشتدت شوكته ورجع المولى الحفيد إلى رباط آسفي مهزوما مفلولاً، فتمنع به وذلك في ربيع الثاني سنة أربع عشرة ومائة وألف[78] ثم عاد إلى مكناسة. فولاه أبوه فاسا وبقي هنالك أميراً إلى أن قتل نفسه في أيام العيد، وقيل في موته غير ذلك والله أعلم.

ثم رجع المولى محمد لتارودانت، فعظم بها أمره، ووجه أخاه المولى أبا النصر بجيش كثيف إلى بلاد درعة، فلقيه أخوه الخليفة بها المولى عبد الملك بالحرب فكانت الهزيمة عليه، وقتل أخاه المولى عبد الرحمان، واستولى أبو النصر على تلك البلاد ونواحيها، ودخل أهلها في طاعة المولى محمد ووصل المولى عبد الملك لضريح مولانا إدريس بزرهون مهزوما، لتغلب أخيه عليه، واستيلائه على ما كان بيده، فوجه السلطان ولده المولى الشريف (ليؤمن)[79] أخاه ويأتي به، فقبضه عنده *بتارودانت، وتركه معه إلى أن دخلت عليهما كما يأتي، فرجع إلى أبيه، وولاه بدرعة، وبقي بها إلى أن توفي فيها بعد موت أبيه بشهرين.

---

(73) هو: محمد بن أحمد بن محمد المسناوي، الدلائي، أبو عبد الله (1072-1136 / 1661-1724) نشأ وتعلم بفاس، فأصبح خطيبا وإما ما بالمدرسة البوعنانية ثم بضريح المولى إدريس الأزهر، ثم مفتيا وشيخ الجماعة بفاس. كان متمكنا من قواعد اللغة والفقه والحديث والتفسير، والجدل. أنظر : نشر المثاني، ج 3:،265 سلوة الأنفاس، ج 3:،44-47 الإعلام للمراكشي، ج 6:،26-33 شجرة النور: 333-334، هدية العارفين ج 2 : 317، النبوغ المغربي، ج 1 : 286 – 287 ، الدليل ج 1 : 80 ، 88 ، 110 ، 189 ، 204 ، 218 ، وج 2 :426، الزاوية الدلائية: 243-247، الحياة الأدبية: 196-204 ، التيارات السياسية:101 المصادر العربية، ج 1:167-168-204 .

(74) في الجيش 1: 86: فالبدر، وكذلك في الاستقصا ج 92:7 ، والاتحاف ج 63:4 .

(75) في الجيش ج 86:1: باهرة، وكذلك في نشر المثاني ج 169:3 والإتحاف ج 63:4 وفي الاستقصا ج 92:7: فاهرة.

(76) في نشر المثاني، ج 169:3: فإنما.

(77) في الجيش ج 86:1: بد وتعزز وجمال وكذلك في الاستقصا ج 92:7 والإتحاف ج 63:4 وفي نشر المثاني ج 169:3: وأمدد لعزز وأحمال، وهذه الأبيات توجد في نشر المثاني، ج 3:،168-169 الجيش، ج 86:1 ، الاستقصا ج 92:7 والإتحاف 63:4 .

(78) ربيع الثاني سنة 1114 هـ / 25 غشت - 22 شتنبر 1702 م.

(79) د، ك: ليأمن، والتصحيح من ز،ح.

(*) * 55 ب.

ثم تحركت همة المولى محمد لأخذ مراكش، فتوجه إليها وحاصرها إلى أن دخلها عنوة، فاستولى عليها وعلى كثير من أعمالها إلى بلاد حاحة ودرعة، وتمكن في البلاد أي تمكين، وقبض على كثير من (عمال)[80] أبيه، مثل القائد (مالك ويوسفرة)[81]، والزيتوني، وابن خريوش، والقائد مبارك الحفصي وغيرهم. وقبض على عامة الجيش، ثم ظهر له أن سرح كثيراً منهم، ووجه بالرؤساء للاعتقال بسجن تارودانت، وبقي بها مقيما هو وصاحب حروبه أخوه المولى أبو النصر وجيوشهما، وذلك كله في السنة المذكورة[82] ولما وصل الخبر للمولى إسماعيل بدخول ولده مراكش، واستيلائه عليها، ضاقت عليه الأرض بما رحبت، فكان لا ينام ولا يلتذ بطعام. ثم عقد لولده المولى زيدان على جيش عظيم من الأحرار والوصفان. ووجهه لمحاربة أخيه بمراكش، فكانت بينهما حروب صعبة بموضع يعرف بالرملة آل الأمر فيها إلى دخول المولى زيدان مراكش، وفرار المولى محمد وأخيه عنها إلى تارودانت قهرا، وذلك في سادس عشر ذي الحجة من عام خمسة عشر [ومائة][83] وألف[84] وكان من جملة عسكر المولى زيدان خمسمائة من أهل فاس. ففروا عنه وذهبوا إلى أخيه المولى محمد، كذا في بعض التقاييد. وقيل: كان مع المولى محمد من أول الأمر أربعمائة، فلما (وقعت)[85] الهزيمة، قاتلوا فقتلوا إلى أن بقيت منهم بقية وغشيهم الليل، ففروا لإخوانهم الذين هم مع المولى زيدان مستترين بظلام الليل، فكان إخوانهم يخفونهم، ويذكرون أنهم من جرحاهم، والله أعلم.

ولما دخلها، كتب لأبيه بذلك فسر، ثم جد في طلبها والحصار عليهما بتارودانت، فكانا يقاتلانه مدة إلى أن كانت عليهما الهزيمة العظيمة بتاوْ، موضع هناك، فقبض المولى زيدان على القائد مالك، والفقيه المرابط السيد إبراهيم المراكشي، ووجه بهما إلى أبيه فشق القائد مالك بالمنشار، وقطع الآخر مع ولده السيد أحمد (من)[86] خلاف، ثم استمر القتال، واشتد النزال، وعظمت الأهوال، وكثر مدد المولى زيدان من أبيه بجيوش المغرب.

* فدخلت تخوم السوس، واستولت على الرئيس والمرؤوس. ونزلت على حصن تارودانت، وحاصرته من جميع الجهات نحو سبعة أشهر، إلى أن دخلته المحلة بدسيسة من مجاط أنصار المولى محمد، وقيل: دخلها عنوة، فقتل الرجال والنساء والصبيان وقبض على المولى محمد، وأخيه أبي النصر، ووجههما لأبيه بمكناسة الزيتون أواخر المحرم، وقيل: سادس عشر صفر سنة ثمان عشرة ومائة وألف[87].

---

(80) د، ك ، ح : عمل والتصحيح من ز.

(81) ك: ملك وأبو شفرة.

(82) أي سنة 1114 هـ / 1702 م.

(83) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك والتكملة من ز،ح .

(84) 13 ذي الحجة 1115 هـ / الأحد 21 أبريل 1704 م.

(85) د، ح: وقفت. والتصحيح من ز ك.

(86) في جميع النسخ: بن. واقتضى السياق تصحيحها، ليستقيم المعنى.

(87) أواخر المحرم أو 16 صفر 1118 هـ/ 14 أبريل أو الأحد 30 ماي 1706 م.

(*) 56 أ.

وقبل وصولهما خرج المولى إسماعيل، فتلقاهما بوادي بهت[88] فأمر بقطع المولى محمد من خلاف، فقطع ثالث ربيع الأول بعد أن استفتى الفقهاء فيه، فأفتاه بعض من كان يبغضه، قيل: إنه أبو علي بن رحال بذلك، وتلا قوله تعالى: **"إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله"** [89] الآية.

وبعد عشرة أيام من قطعه مات. وقيل: إنه نشره بعد قطعه، وقد أشار إلى هذا القاضي أبو عبد الله سيدي العربي بردلة [90] بقوله:[الرجز].

وَيَوْمَ وَيِ مِنْ صَفَرِ سَنَةَ حَيْ[91] ... رَوْدَانَةُ بَقِيَ بِهَا العُشْرَ حَيْ
وَدُخِلَتْ بِالسَّيْفِ يَوْمَ الجُمُعَةْ ... وَلَمْ يُفِدْ صَاحِبُهَا مَا جَمَعَهْ
وَيَوْمَ رَابِعِ رَبِيعِ الأَوَّلِ ... جِيءَ بِنَجْلِ المَلِكِ المُفَضَّلِ
أَعْنِي بِهِ (مُحَمَّداً)[92] مُكَبَّلاَ ... عَنْ بَغْلَةٍ بِوَادِي بَهْتَ أُنْزِلاَ
وَقُطِعَتْ يَدَاهُ مِنْ خِلاَفِ ... وَرِجْلاَهُ بِسَبَبِ الخِلاَفِ
وَقَدْ قَضَى نَحْبَهُ سَادِسَ عَشَرَ ... قَضَى مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يَنْتَشِرَ
مِنْ رَأْسِهِ لِفَرْجِهِ شَطْرَيْنِ ... بِقَدْرِ مَّا تَجُودُ الشَّطْرَيْنِ
فَالأَمْرُ لِلَّهِ العَلِيِّ وَحْدَهُ ... سُبْحَانَ مَنْ يُذِلُّ وَيُحْيِي جُنْدَهُ

ولما مات رحمه الله، صلى عليه القاضي المذكور، فنقم عليه بعض الطلبة ذلك، ووشى به للسلطان وأوغر صدره عليه فكتب [93] السلطان إلى عبد الله بردلة يعاتبه ويقول: إن ذلك منك أفتيات. فأجابه بأن صلاته عليه نظيرة صلاة الحسن البصري [94] على الحجاج بن يوسف، فلما ليم على ذلك قال: أستحييتُ من الله تعالى أن أستعظم ذنب الحجاج في جنب كرم الله الغفور الرحيم، على أنني ما صليت عليه بغير إذن بل خرج الإذن* من الدار المولوية، وبلغ ذلك مبلغ الشهرة، وذلك على لسان من ينسب الأمر إلى الجانب المولوي، والواجب القيام -بذلك ولو بغير إذن إجلالاً وتعظيماً لجانب مولانا نصره الله، ولما: قال صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه في قضية الحديبية:

---

(88) وادي بهت: يقع على نصف الطريق بين الرباط وفاس.أنظر: الموسوعة معلمة المدن (ملحق2): 369 .
(89) سورة المائدة. الآية: 33 .
(90) هو: محمد العربي بن أحمد بن بردلة، أبو حامد المتوفي سنة 1133 هـ/1720م: كان قاضيا بمدينة فاس. وله بعض المؤلفات في الفقه، وتأليف في النوازل. أنظر: نشر المثاني، ج 3 :247 ، سلوة الأنفاس، ج 3:138-139 ، شجرة النور: ,332-333 الفكر السامي، ج 2:285 ، الدليل، ج 2:441 ، معجم المؤلفين، ج 6:276 ، التيارات السياسية قبل الحماية: 99 ، المصادر العربية ج 1:204، 211-212 .
(91) أي 16 صفر سنة 1118 هـ/ 30 ماي 1706 م.
(92) د، ح، ك: محمد . والتصحيح من ز.
(93) من هنا: يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الجيش ج 1:85 ، والاستقصا ج 7:91 .
(94) هو: الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد (21-110 هـ/ 642-728 م): تابعي من أبرز علماء عصره.
أنظر: حلية الأولياء، ج 2: 131-161 ، مرآة الجنان، ج 1:229-232 البداية، ج 12:53-54، تاريخ آداب العرب للرافعي ج1:397-398، الأعلام للزركلي، ج 2:226-227 .
(*) • 56 ب.

"امح لفظة رسول الله، قال علي رضي الله عنه: والله لا أمحوه أبداً"[95] فتعارض وجوب امتثال أمر الرسول بالمحو [و] [96] وجوب الإجلال لمقامه الأرفع، فرجح رضي الله عنه وجوب الإجلال ثم[97] الصحيح أن الحدود كفارات ففي الصحيح عن عبادة بن الصامت[98] رضي الله عنه: ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب به في الدنيا فهو كفارة له"[99] انتهى باختصار[100]. وقد نقله عنه الشريف العلمي[101] في نوازله[102]، فانظره إن شئت.

ودفن بمكناسة الزيتون قرب سيدي مكرز. وقيل: بضريح الولي الصالح سيدي عمر الحصيني، وهو الصحيح،خلافا لما في نشر المثاني[103] لشهرته (عند)[104] الخاص والعام من أهل مكناسة.

[نص ظهير يفيد ندم المولى إسماعيل على قتل ولده محمد]

وبعد موته ندم السلطان حين سكن غضبه على ما فعله بولده المولى محمد. قال بعضهم: وقد وقفت على ظهير له بيد بعض الحراطين[105] بمكناسة يدل على ندمه، ونص المراد منه بعد الحمدلة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع في سماء المعالي شمسه وبدره، بيد حامله المتمسك بالله ثم به الأمين المسن، الحسن بن محمد بوستة المتطبب والحجام، حرفة يتعرف منه بحول الله وقوته وشامل يمنه وبركته، إننا وقرناه واحترمناه وأمناه، لثقتنا به وديانته، وله علينا جميل في احترامه لولدنا مولاي محمد رحمه الله، حين أمرناه بقطع يده فتنصل من ذلك، وأبى إباية شهدت له بديانته، واحترامه للأشراف من آل النبي صلى الله عليه وسلم. فلأجل ذلك جعلنا داره حرما لمن يجيء إليها، انتهى بتاريخ ستة أيام من ربيع الثاني عام ثمانية عشر ومائة وألف[106]. وكان ندمه رحمة ولطفا من الله بالطلبة الذين كانوا يخالطون ولده، فلم ينكب واحداً منهم ولم يعاتبهم على معرفته.

---

(95) هذا الحديث يوجد في فتح الباري ج 303:5 عن البراء بن عازب باختلاف يسير في اللفظ.
(96) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ح، ك. والتكملة من ز.
(97) زاد في ك بعد ذلك: إن.
(98) هو: عبادة بن الصامت بن قيس الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد (38 ق هـ- 34 / 586-654 م): صحابي عرف بالورع والتقوى، وهو أول من ولي قضاء فلسطين. أنظر: تهذيب ج 5: 111-112 ، الأعلام للزركلي، ج 258:3 . الحياة العلمية في الشام لخليل داود الزرو: 27 .
(99) الحديث يوجد في صحيح مسلم بشرح النووي، ج ج 11: 222-223 . وسنن الترمذي، ج 2: 447 . باختلاف يسير في اللفظ.
(100) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الجيش ج 86:1 والاستقصا ج 92:7 .
(101) هو: علي بن عيسى بن علي لحسني الشفشاوني: فقيه توفي سنة 1127 هـ/ 1715 م. أنظر: المنوني المصادر العربية ج 204:1 .
(102) تكرر نشر هذه النوازل في جزأين بالمطبعة الحجرية بفاس إلى عام 1332 هـ / 1914 م ثم شرع في نشره بمطبعة عصرية.
(103) أنظر نشر المثاني ج 168:3 .
(104) د، ز، ح: بين والأصح، ما أثبتناه من ك.
(105) الحراطين: جمع الحرطاني، والحرطاني معناه في عرف أهل المغرب: العتيق، وأصله الحر الثاني. ووضعية الحراطين تختلف عن وضعية العبيد. وكانوا يتألفون في الغالب من بقايا سكان الصحراء القدماء . أنظر : الاستقصا ج 58:7، تاريخ الضعيف، ج 187:1 هامش: 164 .

-G S. COLIN. Ency. de l'islam, T3. PP: 237-238.

(106) 6 ربيع الثاني 1118 هـ/ الأحد 18 يوليوز 1706 م.

[اهتمام المولى محمد بالعلم والعلماء]

وكان المولى محمد رحمه الله، ماهراً في العلوم كالنحو والبيان والمنطق والكلام والأصول، وله مشاركة في علوم أخرى، وتذكر له تآليف.

وكان حريصا على مجالسة العلماء ومخالطتهم، يبالغ في تعظيمهم * وإكرامهم. وكان ينفعل للشعر ويؤثر فيه، فقصده الناس بالقصائد والرسائل كثيرا، ومن نظمه يخاطب أخاه المولى زيدان: [الرمل]

أَبْلِغِ الزَّيْدَانَ عَنِّي آيَةً — (فَسُيُوفُ)[107] العَدْلِ (تَشْفِي)[108] ذَا (العِلَلْ)[109].
كَمْ لَنَا يَا ابْنَ العُلاَ مِنْ وَقْعَةٍ — كَانَ مِنَّا الفَضْلُ فِيهَا لَوْ عَدَلْ
حَصْحَصَ الحَقُّ وَلاَحَتْ شَمْسُهُ — وَزَمَانُ الغَيِّ وَلَّى وَانْخَذَلْ
وَ(زَمَانُ)[110] النَّصْرِ (قَدْ آنَ)[111] وَلَمْ — يَبْقَ إِلاَّ الجِدُّ قَوْلاً وَعَمَلْ[112].

ومنه قصيدة يخاطب بها شيخه أبا عبد الله المسناوي، ويتشوف إلى فاس وهي: [الطويل]

أَلاَ لَيْتَ شِعْرِي هَلْ (أُسَرِّحُ)[113] نَاظِرِي — وَ(لِلأُنْسِ)[114] إِقْبَالٌ (بِوَادِي)[115] الجَوَاهِرِ
أُمَتِّعُ طَرْفِي فِي رِيَاضٍ (أَرِيضَةٍ)[116] — وَأَقْطِفُ أَزْهَاراً بِهَا كَالزَّوَاهِرِ
بِحَيْثُ نَرَى (أُسْداً بِعَيْنَيْ صَرِيمَةٍ)[117] — وَقَدْ فَتَكَتْ فِيهَا (ظِبَاءُ المَعَاصِرِ)[118].
وَحَيْثُ نَرَى غُلْبَ الحَدَائِقِ سَلْسَلَتْ — حَدِيثاً صَحِيحاً عَنْ نَسِيمِ الأَزَاهِرِ
وَقَدْ نَسَجَتْ كَفُّ (النُّعَيْمِ)[119] عَشِيَّةً — دُرُوعَ مِيَاهٍ بَيْنَ تِلْكَ النَّوَاعِرِ
(فَأَصْبَحَتِ)[120] الأَطْيَارُ فَوْقَ غُصُونِهَا — فِصَاحاً تَقُصُّ فَوْقَ خُضْرِ المَنَابِرِ
سَقَى اللَّهُ أَدْوَاحاً بِفَاسَ عَهِدْتُهَا — تُغَازِلُ أَنْوَاءَ الغُيُوثِ المَوَاطِرِ
وَلاَ بَرِحَتْ عَيْنٌ تَرَاهَا قَرِيرَةً — وَإِنْ (قَذَفَتْ)[121] بِالقَلْبِ جمرة (جَائِرٍ)[122]
لَكَ اللَّهُ مِنْ إِلْفٍ بِدَرْعَةَ جِسْمُهُ — وَقَلْبٌ بِفَاسَ فِي قَدَامَةِ طَائِرِ

---

(107) في إتحاف أعلام الناس لابن زيدان ج 79:4: بسيوف.
(108) ز، ح : تشف.
(109) في إتحاف أعلان الناس ج 79:4: الفلل.
(110) د، ك: أوان. والتصحيح من ز. ح. وفي إتحاف أعلان الناس ج 4: 79: لواء.
(111) في إتحاف أعلان الناس ج 79:4: خفاق.
(112) هذه الأبيات توجد في إتحاف أعلام الناس، ج 79:4 .
(113) في إتحاف أعلام الناس ج 4: 78: أنزه.
(114) في الإتحاف ج 78:4: للنفس .
(115) د، ح: بواد. والتصحيح من ز.ك.
(116) د: أريطة، والتصحيح من ز، ح. ك وفي الإتحاف، ج 78:4: أنيقة.
(117) في الإتحاف، ج 78:4: أسد العرين صريعة.
(118) د، ك: ضباء المعاصر. والتصحيح من ز، ح. وفي الإتحاف، ج 78:4 : ظباء المقاصر.
(119) د، ز، ك البهيم، والتصحيح من ح. وفي الإتحاف، ج 78:4:النسيم.
(120) في الإتحاف. ج 78:4 وأصبحت.
(121) ك: قدمت.
(122) في الإتحاف، ج 78:4: حائر.
(*) • 157أ.

تُرَاوِحُهُ (الأشْوَاقُ)[123] فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ... (بِمَا[124]) بَيْنَ مَزُورٍ هَوَاهُ وَزَائِرِ
وَلَوْ أنَّهُ يُعْطَى عَلَى قَدْرِ قَدْرِهِ ... لَكَانَ لَهُ مَا بَيْنَ (بِصْرَى)[125] وَيَاسِرِ
فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي رِسَالَةَ (سَائِق) ... إِلَى عَالِمِ الأَعْلَامِ صَدْرِ الأَكَابِرِ
إِلَى العَالِمِ النِّحْرِيرِ والحُجَّةِ (التَّقِيِّ)[127] ... رَوَى فَضْلَهَا غُرُّ السُّرَاةِ الجَمَاهِرِ
إِلَى شَيْخِنَا الأَسْمَى السَّمِيِّ مُحَمَّدٍ ... (إِلَى المَاجِدِ الأَرْضَى الكَرِيمِ العَنَاصِرِ)[128]
وَ (أَوْدَعَهَا)[129] الوِدَّ الصَّمِيمَ وَإِنْ نَأَتْ ... بِيَ الدَّارُ عَنْ بَحْرٍ مِنَ العِلْمِ زَاخِرِ
(وَلِلَّهِ مَايَشْكُو)[130] الفُؤَادُ مِنَ النَّوَى ... وَلِلَّهِ مَا تَطْوِي بُطُونُ الدَّفَاتِرِ
* إِذَا مَا ذَكَرْتُ العَهْدَ وَاشْتَقْتُ لِلِّقَا ... جَعَلْتُ فُؤَادِي بَيْنَ أَضْلُعِ صَابِرِ
فَيَا دَوْحَةَ العِلْمِ (الَّتِي)[131] عَمَّ عُرْفُهَا ... جَمِيعَ البَرَايَا بَينَ بَادٍ وَحَاضِرِ
وَيَا سَيِّدا (حَمَّلْتُهُ)[132] كُل وارِدٍ ... سَلَامِي وَقَدْ حَمَّلْتُهُ كُلَّ صَادِرِ
وَ يا كوكبا قد (لاح)[133] في أفق الهدى ... فَأَلْقَى سَنَاهُ فِي عُيُونِ المَآثِرِ
أَلَسْتَ الذِي إِنْ عَزَّ فِي (العِلْمِ)[134] مُشْكِلٌ ... تَلَقَّاهُ فَهْمٌ مِنْكَ فِي زِيِّ بَاتِرِ
أَلَسْتَ الذِي تَرْتَاحُ كُلُّ عَوِيصَةٍ ... إِلَى ذِهْنِهِ (مَا)[135] بَيْنَ نَاهٍ وَآمِرِ
(حَنَانَكَ)[136] هاضَ القَلْبَ سَهْمُ ابنِ مُقْلَةٍ ... فَأَدْمَى، فَهَلْ تَرْوِي حَدِيثَ ابنَ جَابِرِ[137]
عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا (شَاقَ شَيِّقٌ)[138] ... بَرِيقٌ وَمَا لَاحَ (الضِّيَاءُ)[139] لِنَاظِرِ[140].

[وفاة المولى زيدان]

ثم مات المولى زيدان في رجب من عام تسعة عشر ومائة وألف[141] بتارودانت، وحمل (في تابوت)[142] وأتي به لمكناسة، ودفن ليلا بضريح سيدي (مكرز)[143] والبقاء لله.

---

(123) ك: الأسواق.
(124) في الإتحاف، ج 78:4: فما.
(125) في الإتحاف، ج 78:4: بسر
(126) ز، ح: شائق. وكذلك في الإتحاف ج 78:4 .
(127) ك: التقا. وفي الإتحاف ج 78:4 : التي
(128) في الإتحاف ج 78:4: أحملها هوج الرياح العواطر. وزاد بعد ذلك بيتا في الإتحاف ج 78:4
أحملها من النسيم تحية ... إلى الماجد الأرضي الكريم العناصر
(129) في الإتحاف، ج 78:4: أقطعها.
(130) د، ز،ح: ولله ما يشكي. والتصحيح من ك. وفي الإتحاف، ج 78:4: فلله ما يشكو.
(131) ك: الذي.
(132) د: حملته. والتصحيح من ز، ح، ك.
(133) ك: فاق. وفي الإتحاف، ج 78:4 : حل.
(134) ك: الأفق.
(135) في الإتحاف، ج 79:4: من.
(136) في الإتحاف، ج 79:4: حنانيك.
(137) ابن جابر هو: محمد بن جابر بن محمد بن قاسم بن محمد القيسي، الواد آشي الأصل، التونسي (673-749 هـ/ 1274-1348 م: محدث، فقيه، نحوي، لغوي، مقرئ، مالكي المذهب. أنظر: الدرر الكامنة، ج 4: 33-34 ، الديباج المذهب: 311-313 ، معجم المؤلفين، ج 146:9 .
(138) في الإتحاف، ج 79:4:هاج شيقا.
(139) في الإتحاف، ج 79:4: الصباح.
(140) هذه القصيدة توجد مثبتة في الإتحاف، ج4 : 78 - 79 .
(141) رجب من عام 1119 هـ/ 28 شتنبر 27 أكتوبر 1707 م.
(142) ما بين المعقوفتين أتلفت في د بفعل اللصق، والتكملة من ز، ح، ك.
(143) د، ح،ك: مكراز. والتصحيح من ز.
(*) * 57 ب.

[تمهيد المولى إسماعيل لناحية أنكَاد والسوس والشرق]

فهذا ما كان من محاربته مع (الثوار)[144]. وأما القبائل، فقد توجه[145] لناحية أنكاد، لما بلغه من عتوهم، والعبث (بطرقه)[146]، فقتل منهم ونهب.

ثم توجه سنة تسع وثمانين[147]، لتدويخ السوس وتمهيده، فبلغ (طاطة)[148] وأقه [149]، وتسنت، وشنقيط، فقدمت عليه وفود أهل القبلة، والساحل مغافره[150]، وديلم، وبربوش، ومطاع، وجرار، ووداي ، وأدوا طاعتهم.

ثم توجه لحركة (الشرق)[151]، فترك تلمسان عن يساره، وأصحر، فقدمت عليه وفود الأعراب من ذوي منيع، ودخيسة، وحميان والمهاية، والعمور، وأولاد جرير، وسفونة، وبني عامر، والحشم، وتوجه بهم إلى أن نزل القويعة على رأس (واد)[152] شلف، والذين قادوه وكانوا معه في محلته، هم بنو عامر، فخرجت محلة الترك من الجزائر بقضهم و(قضيضهم)[153] ومدافعهم ونزلوا على واد شلف في مقابلته، ولما كان وقت العشاء الأخيرة أرعدت مدافعهم وأبرقت، فدهشت الأعراب، وفر بنو عامر من انتصاف الليل من محلة السلطان، ولما أصبح وسمع الأعراب بفرارهم. انهزموا دون قتال، ولم يبق مع السلطان إلا عسكره، فكان [ذلك][154] سبب تأخيره عنهم، ورجوعه دون قتال. وكاتبه الترك أن يتخلى عن بلادهم، ويقف عند حد سلفه، ومن كان قبله من الملوك السعديين، وبعثوا له كتاب أخيه مولاي محمد بن الشريف الذي وجهه لهم مع رسلهم، وكتاب أخيه مولاي *الرشيد، الذي فيه الحد بينهم وبينه، فوقع الصلح على ذلك الحد الذي هو وادي تافنا، ورجع لوجدة فأمر ببنائها[155].

---

(144) في جميع النسخ: الثور. والأصح ما أثبتناه في المتن.
(145) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع الجيش ج 69:1 .
(146) د، ك: بطروقه. والتصحيح من ز. ح.
(147) أي سنة 1089 هـ 1678 م.
(148) ز، طاطة. ك: طاطا.
(149) أقة: إحدى دوائر عمالة طاطا، جنوب جبل باني، تتألف من مجموعة من القرى تقوم على المجرى الأسفل من واد يحمل نفس الإسم. استفادت عبر مراحل التاريخ من موقعها على طريق القوافل التجارية الرابطة بين تمبكتو ومراكش.
أنظر: الموسوعة، ج 95:4. الموسوعة، معلمة المدن (ملحق 2): 45 . الحركة الفكرية، ج 614:2-616 ، معلمة المغرب ج 578:2-579 .
-CH. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc. PP: 150-152
(150) المغافرة: من قبائل عرب معقل، استقروا بالواحات الصحراوية وكانوا ضمن جيش المولى إسماعيل. أنظر: الموسوعة معلمة الصحراء (ملحق 1): 200 .
(151) في الجيش، ج 70:1: العرب.
(152) ز: وادي.
(153) د، قضيتهم. والتصحيح من ز، ح.ك.
(154) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز،ح. والتكملة من ك.
(155) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفاظ مع الجيش ج 70:1 .
(*) • 158أ.

[تمهيد بني يزناسن وبسيط أنكاد]

وفي سنة إحدى وتسعين[156] خرج بالعساكر لبني يزناسن حين تمادوا على العصيان، فدخل جبلهم، وهتك حرمتهم، ونسف نعمتهم، وخرب قراهم وحرقها، وقتل رجالهم، وسبى أولادهم، فطلبوا الأمان، فأمنهم على أن يدفعوا الخيل والسلاح، فدفعوا ذلك، وقاموا بدعوته.

ثم نزل ببسيط أنجاد ومعه قبائل الأحلاف وسفونة، فأخذ خيلهم وسلاحهم وكلف أشياخهم أن يجمعوا ما بقي منها في حلتهم، ففعلوا. ثم فعل بالمهاية وحميان كذلك، ورجع، فبنى في رجوعه قلعاً (كَمَا)[157] يأتي.

[تمهيد جبل فازازا]

وفي ذي الحجة عام أربعة وتسعين وألف[158] خرج بالعساكر لجبل فازاز[159] لقتال من به من البربر وهم آيت إدراسن، فلما سمعوا بخروجه انهزموا وخرجوا لملوية، فتتبع آثارهم إلى أن (دخلوا)[160] جبل العياشي، فاختط ببلدهم قلعتين. فضيّقوا بهم، ولما قلت عليهم الأقوات بعد رجوعه عنهم، قدم عليه وفدهم لمكناسة (تانبين)[161]، فأمنهم على دفع الخيل والسلاح، و(الاشتغال)[162] بالحرث والنتاج، فدفعوها، ودفع لهم عشرين ألفا من الغنم كلفهم بحفظها ورعايتها، وأسقط عنهم الوظائف، فصلحت أحوالهم، وفي كل عام كان يزيدهم الغنم، إلى أن كان عندهم ستون ألفا، يدفعون كل عام صوفها وسمنها.

[التمهيد الثاني لجبل فازاز]

وفي عام أربعة ومائة[163]، خرج بالعساكر والمدافع وآلة الحصار لفتح جبل فازاز، والاستيلاء على من به من البربر، فرتب عليهم العساكر من كل جهة، وتقدمت إليهم الرجال من كل ناحية، وكان هو في عسكر عبيده نازلا بأدخسان[164]، ووجه قائده علي

---

(156) أي سنة 1091 هـ / 1680 م.

(157) ك: لما.

(158) ذي الحجة 1094 هـ / 21 نوفمبر - 19 دجنبر 1683 م.

(159) فازاز: من قبائل زناتة، استقروا بمنطقة تادلا وما حولها إلى مكناس وملوية ووادي العبيد. وقد استغني عن هذا الإسم حاليا، ليحل محله اسم القبائل المستقرة بهذه المناطق. أنظر: المغرب للصديق بن العربي: 91-92 ، 207 .

(160) ز. دخل.

(161) د. ك: تانبين. والتصحيح من ز. ح.

(162) ما بين المعقوفتين أتلفت في د بفعل اللصق. والتكملة من ز. ح. ك.

(163) أي 1104 هـ / 1692 م.

(164) أدخسان: جبل في الأطلس المتوسط قرب مدينة خنيفرة، بنى فيه يوسف ابن تشافين قلعة ثم جددها المولى إسماعيل سنة 1099 هـ /1687 م .أنظر: المغرب للصديق بن العربي: 50 الموسوعة، معلمة المدن (ملحق 2): 19 الموسوعة ج 4:8 معلمة المغرب، ج 1:252 - 253 .

وبركة مع آيت يمور، وآيت إدراسن، فنزلوا تنتاغلين ووجه الباشا مساهل في خمسة وعشرين ألفا من الرجالة تطلع من تادلا على واد (العبيد)[165]، فنزلوا خلف آيت (سري)[166]، ووجه (علي بن يشي)[167] مع زمور وبني حكم، فنزلوا بعين (تاوغا)[168] وأمره يبعث لأهل تودغه، وفركله، وغريس، والصباح، يقدموا بمحلتهم، ووجه له السلطان المدافع والمهارس، ومن يقوم بأمرها ووجه أسارى النصارى من العرائش يجرون المدافع على طريق اعليل على قصر بني مطير على (أضرز)[169]، إلى أن بلغوا علي بن يشي بعين (ثوغا)[170] وضرب لهم السلطان موعداً [إذا كان وقت العشاء من الليلة الفلانية يشتغل أصحاب * المدافع][171] بإخراج المدافع والمهارس طول ليلتهم إدهاشا وإرهابا، فإذا أصبح، تتقدم لهم العساكر من كل جهة، ويكون القتال في يوم واحد، فلما سمع البربر بالليل رعد المدافع والمهارس، دهشوا وحملوا حللهم للفرار، ولما أصبح قصدهم السلطان من ناحيته، وتقدمت لهم العساكر من كل وجه، ووقع القتال، فانهزموا وتفرقوا في الشعاب والأودية، وكل من قصد منهم ثنية وجد العساكر مقبلة منها، وحل بهم البلاء، وتمكّن منهم الشقاء، فسقط في أيديهم، وأخذت أموالهم، وسبيت نساؤهم وأولادهم، واستمر فيهم القتل والنهب ثلاثة أيام، مازالت العساكر تلتقطهم فيها من الشعاب والأودية، وأمر السلطان قواده[172] (بجمع)[173] رؤوس القتلى مع الخيل والسلاح ، والإتيان بهم لأدخسان ففعلوا، وكان عدد الرؤوس إثني عشر ألفا، وعدد المكاحيل ثلاثين ألفا.

وبالاستيلاء عليهم كمل له فتح المغرب، ولم يبق به من ينبض له عرق، أو ينطق ببنت شفة، وكتب من آيت يمور ألف فارس، وأنزلهم مع قائدهم علي وبركة بقلعة ثغالين وأنزل حلتهم على رأس آيت آمالوا ولم يُبق الخيل والسلاح إلا لهم وللعبيد والاوداية وأهل الريف.

[استباحة جروان]

ولما فرغ من هذه الحركة وجه مع علي بن يشي عشرة آلاف من الخيل، وأمره بالغارة على جروان، والإتيان بمثل عدد الرؤوس المذكورين منهم، وكانوا بوادي زيز[174]

(165) د. كـ العباد. والتصحيح من ح وطرة ز.
(166) في الجيش 77:1: يسري .
(167) في الجيش 77:1: علي ويشي.
(168) في الجيش 77:1: شوعاء.
(169) ز.: أضرر. في الجيش 77:1: أضزر
(170) كـ أضرر، و في الجيش 77:1: شوعاء
(171) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(172) زاد في الجيش ج 77:1 بعد ذلك: مساهل وعلي ويشي وبركات.
(173) كـ فجمع.
(174) وادي زيز: ينبع من الأطلس الكبير (جبل العياشي) حيث قبائل آيت حديدو، ويتجه صوب الجنوب فيمر على عدة قرى التي تسمى بالقصور ويتصل بوادي كير، وهو من الأنهار الصحراوية التي تفيض مياهها في الرمال .أنظر: وصف إفريقيا ج 287:1-288 قبائل المغرب، ج 70:1

- CH. de Foucauld, Reconnaissance au Maroc P: 347
- W. HARRIS, le Tafilelt,PP: 73-74

(*) • 58 ب.

يعبثون بأطراف سجلماسة، فرجع على طريقه بالمحلة كأنه يريد غريسا، وحال بينهم وبين جبل العياشي وصبحهم، فنهب حللهم ومواشيهم، وقتل منهم عدداً كثيراً، ونادى في تلك القبائل كلها: من أتى برأس جرواني، فله مائة مثقال. فكان كل من انحاز عليه أحد منهم قتله وأتى برأسه، واستمر البحث عليهم إلى أن اكتفى علي ويشي. ولما اجتمعت الرؤوس لديه، أعطى لكل من أتى برأس عشرة مثاقيل، وأتى السلطان بالعدد الذي كلفه به، فشكر صنيعه، وولاه على الأعراب والبربر، ولله در الفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الله الجزولي في مدح المولى إسماعيل، وكأنه ينظر لهذا الفتك العظيم قبل وقوعه: [الكامل]

مَوْلاَيَ إِسْمَاعِيلَ يَا (غَيْثَ) [175] الوَرَى ... يَا مَنْ جَمِيعُ الكَائِنَاتِ فِدىً لَهُ
مَا أَنْتَ إِلاَّ سَيْفُ حَقٍّ مُنْتَضَى ... اللَّهُ مِنْ دُونِ (الخَلاَئِفِ) [176] سَلَّهُ
* مَنْ لاَ يَرَى لك طَاعَةً فَاللَّهُ قَدْ ... أَعْمَاهُ عَنْ طُرُقِ الهُدَى وَأَضَلَّه [177]

[توجه المولى إسماعيل إلى المغرب الأوسط]

[و] [178] في توجهه للمغرب الأوسط سنة إثنتي عشرة ومائة وألف [179] المتقدم ذكره أول الكلام على ولده مولاي محمد [180] كان نزوله تحت مازونة فكانت وقعة جديويه، اسم واد هناك بينه وبين الترك، وزحف لوهران، وكانت حينئذ بيد الإصبنيول، ثم ارتحل عنها قائلا: إن هذه أفعى تحت صخرة تضر غيرها ولا يضرها غيرها. بعد أن تأملها وعاين أحكامها ومنعتها من أعلى جبلها المسمى هيدور، مع تعصب الأعراب المظاهرين للنصارى وانحيازهم إليها، ومنهم قبيلة مخيس نسبة لمخيس بن عمّا أخ سويد، وكانت مساكنهم غرب وهران، وقد تلاشوا، واندثروا واندرسوا، لا لهم قبيل ينجح، ولا كلب ينبح، ولا حلة تذكر، ولا عاقلة تحمل، ولا إغاثة لصريخ. وبشرق وهران أيضا قبيلة العبيد الغرابة، يقال أنها من بقية جيش المولى إسماعيل.

---

(175) في الاستقصا، ج 103:7: شمس.
(176) في الاستقصا، ج 103:7: البرية. وفي الروضة: 50: الخليقة.
(177) هذه الأبيات توجد في روضة التعريف: 50 ، والاستقصا، ج 103:7 .
(178) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. والتكملة من ز، ح، ك.
(179) سنة 1112 هـ / 1700 م.
(180) أنظر هذا المقصدالسابع من ج 1 : 285 .
(*) • 59 أ.

وفي نزوله على وهران قال الشيخ أبو رأس في سينيته: [الرجز]

وَبَعْدَ أَلْفٍ ومِائَةٍ فِي نَقْطِ يب ... جَهَّزَ إِسْمَاعِيلُ لَهَا (أَقَاصِي)[181] سوسْ
وَأَهْلُ (تَامَسْنَا)[182] مَعَ أَهْلِ مَلْوِيَّه ... وَوَجْدة وَمَعْقِل وَبَنِي (زَنَسْ)[183]
فَحَطَّ كَلْكَلَهُ حَوْلَهَا مُعْتَزِماً ... عَلَى النِّزَالِ فَلَمْ (يَجِدْ)[184] مَحَلَّ (سُوسْ)[185]
قَامَ (بِهيدرِهَا يَوما)[186] يَحْتَالُ لَهَا ... قَدْ اسْتَعَانَ بِمَا حَوْلَهَا مِنْ مَخَسِ
أَعْيَتْهُ حِيلَتُهَا حَزْماً وَمِنْعَتُهَا ... عُقَابَ جَوٍّ قَدِ ارْتَقَى عَنْ الحَرَسِ
فَقَالَ هَذِهِ أَفْعَى تَحْتَ صَخْرَتِهَا ... تَضُرُّ لاَ الضُّرُّ يَأْتِي لَهَا مِنْ إِنْسِ[187]

جنود مولاي إسماعيل

وأما جنوده فمنهم الوداية. وسببهم أنه لما دخل مراكش واستقر بها بعد جلاء ولد أخيه المولى أحمد بن محرز عنها كما سبق في تاريخه[188]، خرج يوما للصيد بالبحيرة، فوجد رجلا يرعى غنماً له، وبيده شفرة يقطع بها السدر ويضعه لغنمه تأكل منه، فوقف وقال لبعض خدمته: نادوا أبا الشفرة. فأوتي به، ووقف بين يديه، فسأله، فانتسب له إلى الأوداية، وأخبره أنهم أتوا من ناحية القبلة لجدب أصابهم، وأنهم دخلوا السوس، وتفرقوا كل فريق قصد قبيلة، وأن فريقه نزل على الشبانات فقال له: أنتم أخوالي، وقد سمعتم (خبري)[189]، ولم تأتوا إلي، وأنت الآن صاحبي، فإذا روّحت غنمك فأقدم علي لمراكش، ووكل به * من يوصله إليه إذا قدم. ولما أتاه كساه وأركبه وكلفه بجمع إخوانه من قبائل الحوز، ووجّه خيلا لذلك، فجمع من وجد منهم، فبعثهم السلطان بحلتهم إلى مكناسة، ثم دخل نجع آخر، فكتبهم في الديوان، وبالغ في إكرامهم والإحسان إليهم، وعيّن لهم بجوار (قصبته)[190] بمكناسة المحل المعروف بالرياض، وأمرهم ببناء الدور فيه، ثم قدم عليهم نجع آخر، فكتبهم مع إخوانهم، ولما (نقل)[191] زرارة والشبانات (قوم)[192] كروم الحاج من

---

(181) ز، ح: لقاصي.
(182) في الخبر المعرب لأبي رأس مخ، خ، ع، ر، 2273 ك، ورقة 91 ب: تامسنة.
(183) في الخبر المعرب: ورقة 91 ب: يزنس.
(184) ك: يجد. وكذلك في الخبر المعرب: ورقة 91 ب.
(185) في الخبر المعرب: ورقة 91 ب: بس.
(186) في الخبر المعرب: ورقة 91 ب: بهيدور. والملاحظ أن كلمة: يوما: لم ترد في الخبر المعرب.
(187) ورد في طرة د ما يلي: في الأبيات خلل في الوزن. وهذه الأبيات توجد في الخبر المعرب ورقة: 91 ب. *
(188) أنظر هذا المقصد السابع من الجزء الأول ص280 .
(189) د، ح، ك: خيري. والتصحيح من ز، والجيش ج 1: 65. وفي الاستقصا، ج 7: 52 : بخيري.
(190) ز، ح: قصبة.
(191) في جميع النسخ: أنقل. والتصحيح من الجيش، ج 1: 66 والاستقصا، ج 7: 52 .
(192) في الجيش، ج 1: 66: قدم.
(*) * 59 ب.

الحوز إلى وجدة. وأخرج الشبانات الذين كانوا بفاس الجديد مع الدريدي، وبعثهم لوجدة مع إخوانهم وذلك عام تسعين[193] أعطى فاس الجديد للاوداية. فوجه نصفهم إليه. وترك نصفهم بالرياض، وكان القائد على من بالرياض [عليا] [194] أبا الشفرة وعلى من بفاس ولده محمد، وكانا يتناوبان، ثم استقر بعد ذلك علي بفاس، ومحمد بن عطية بالرياض.

ولما كثرت الفتن، وتوالت الشرور، وعلم السلطان أن ما عنده من الجيش لا يكفيه لتمهيد البلاد، وقطع مادة الفساد، استشار الفقيه النوازلي القاضي العلامة المدرس الكاتب أبا عبد الله محمد بن العياشي، [195] إذ كان من جملة كتابه، ملازما لخدمته، وقال له: من أيّ قبيلة نتخذ جنداً؟

فقال له: إن المنصور السعدي كان وجه جيشا لفتح بلاد السودان، فسبى عبيداً، واتخذهم جيشا، ودفعهم لولده مولاي محمد المدعو بأبي الشيخ الثاني، فأنزلهم في جنات أهل فاس بوادي زواغة، وبقوا هنالك إلى أن قام على والده، ودعا لنفسه، فتقبض عليه والده، ونهب العبيد وفرق جمعهم في القبائل، والآن اجمعهم، فإنهم مملوكون لبيت المال، واتخذهم جيشا للخدمة. فقال له السلطان: أنت النائب عني في هذا الجمع، فقال له: (ليعين)[196] سيدنا وكيلا يقوم في طلب حق بيت المال. وأنا أقضي بينهم وبينه. فقلده القضاء والفصل في ذلك، وتسمى بقاضي القضاة، وعين السلطان وكيلا هو الباشا عليلش، فشرع في جمع العبيد، فكان ابتداء أمرهم أن ينادي في الأسواق في الحواضر والبوادي: من يريد خدمة السلطان من العبيد، فليأت إلينا؟ فكان الرجل عبدا أو حراً يأتي فيُعطى الكسوة، والفرس والسلاح والمرتب، فجمع من ذلك نحو الخمسة آلاف، فقاموا بالخدمة أحسن *قيام. وهذا الجمع الأول وهم الذين يدعون إلى الآن بعبيد الزنقة.

ثم أخذ عليلش يقبض العبيد والأحرار ويضمهم إلى الجيش، فساء فعله في ذلك حسبما هو معلوم، وهذا الجمع الثاني وهم المعرفون إلى الآن بعبيد سيدي البخاري، وسبب نسبتهم لسيدي البخاري أن المولى إسماعيل رحمه الله، لما جمعهم وظفر بمراده بعصبيتهم حمد الله تعالى، وجمع أعيانهم، وأحضر نسخة من صحيح البخاري، وقال لهم: أنا وأنتم عبيد لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه المجموع في هذا الكتاب، فكل ما أمر به نفعله، وكل ما نهى عنه نتركه وعليه نقاتل. فعاهدوه على ذلك، وأمر بالاحتفاظ بتلك النسخة، وأمرهم أن يحملوها حال ركوبهم ويقدموها أمام حروبهم كتابوت بني إسرائيل، وما زال الأمر على ذلك إلى هذا العهد[197].

(193) أي 1090 هـ / 1679 .

(194) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(195) هو: محمد بن العياشي، أبو عبد الله المتوفى سنة 1139 هـ/ 1726: كاتب، فقيه، وله اهتمام بالتاريخ. أنظر: إتحاف أعلام الناس، ج 4: 100 الدليل. ج 1:104، الأعلام، للزركلي. ج 321:6 المصادر العربية، ج 1:179-180 .

(196) ز: يعين.

(197) هذه الفقرة التي تبتدئ من كلمة. أن المولى إسماعيل. توجد في الاستقصا، ج 58:7 بنفس اللفظ مع زيادة كلمات قليلة في الاستقصا.

(*) • 160أ.

ثم استمر على فعله ذلك، فكان الرجل إذا طلب الوصول إلى الشرع يحكم بينهما، يذهب به عليلش إلى قاضي القضاة، فيفصل بينهما، حتى جمع منهم نحو سبعين ألفا ألحقها بمشرع الرملة [198] وألحق بباب السلطان نحو العشرة آلاف من الذكور، ومن الإناث ضعفها، فدفع منهم لخدمة السلاح عدداً كثيراً، واكتفى بهم عن غيرهم. واستعمل منهم الولاة، فتعدوا على الناس كل التعدي إلى أن كان من أمرهم ما كان من التعدي على أولاد السلطان بعد موته، فولوا منهم، وعزلوا، وسجنوا، وقتلوا، وهذا ملخص ما ذكره صاحب (الجيش) [199] في كيفية جمعهم. وقال الزياني: واعتنى هذا السلطان بجمع العبيد وجعلهم عسكراً. والسبب في ذلك حسبما وقفت عليه في كناش الكاتب السيد أحمد الحميدي رحمه الله، قال: لما بلغ السلطان مولاي إسماعيل مراكش كان يكتب العسكر من قبائل الحوز [200]، وتعلق بخدمته عمر عليلش المراكشي، قال: كان والده كاتبا مع السلطان أحمد المنصور ومع أولاده، فأتاه يوما بدفتر فيه أسماء العبيد الذين كانوا في جند المنصور، فسأله هل بقي أحد منهم؟ فقال: كثير منهم ومن أولادهم، وهم بمراكش وحوزها [و] [201] بقبائل الدير، ولو كلفني سيدي بجمعهم [جمعتهم. فأمره بجمعهم وكتب له إلى قواد القبائل أن يعينوه على جمعهم، ولا يحولون بينهم وبينه واشتغل بجمع] [202] من بمراكش إلى أن كتبهم، ثم خرج لقبائل الحوز، ثم لقبائل الدير، فجمعهم وكتبهم. ولم يترك منهم عبداً ومن غيرهم، ولما استوفاهم في الدفتر، كان عددهم ثلاثة آلاف، فأخبر * السلطان بعددهم، وأن منهم المتزوج والأعزب، فأمره بشراء الإماء من أعشار أهل مراكش، ويعطي لكل من لا أمة له منهم أمة، ويأتي بهم لمكناسة الزيتون، ففعل ما أمره به السلطان و(كلف) [203] قبائل الحوز (بحملهم)[204]، فحملوا من قبيلة إلى قبيلة إلى أن -بلغوا مكناسة، فأعطاهم السلطان السلاح والكدية، وعيّن لهم قوادهم، وأعطاهم ما يبنون به نوائلهم، ووجههم لمشرع الرملة يبنون به، ثم كلف كاتبه محمد بن العياشي [المكناسي] [205] أن يخرج لقبائل أهل (الغرب)[206] وبني حسن [207] لجمع العبيد الذين هم عندهم فخرج لذلك، وأتى بالعبيد فأمر

---

(198) مشرع الرملة: موضع قرب سيدي سليمان. أنظر: الموسوعة المغربية معلمة المدن (ملحق 2): 33-46 .

(199) د، ك: النشر. والتصحيح من ز،ح. وأنظر ما قصده المؤلف في الجيش ج 1: 65-66 . 75 .

(200) الحوز: هي المناطق المحيطة بمراكش (إقليم مراكش) وهي أراضي منبسطة يغلب عليها الجفاف. ويسكنها قبائل الرحامنة وقبائل أخرى تم نقلها إليها. أنظر:
-Paul Pascon, Le Hauz de Marrakech.
- G. Deverdun, Ency. de l'islam, T3; PP: 309-310 .

(201) ما بين المعقوفتين ساقطة من ز،ح.

(202) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، و التكملة من ز،ح، ك.

(203) د، ك: كل. والتصحيح من ز، ح.

(204) في جميع النسخ: يحملهم. واقتضى السياق تصحيحها.

(205) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.

(206) ك: المغرب.

(207) بنوحسان أو بنوحسن: قبيلة من قبائل الريف، تقع بين مدينة تطوان ومدينة شفشاون وتعرف اليوم بسوق أربعاء بني حسان. أنظر: المغرب لابن العربي: 83 -84 الموسوعة ج 265:4، الحركة الفكرية، ج 2:461-462 .
-Eugène Aubin, Le Maroc d'aujourd'hui; PP: 101-102.

(*) • 60 ب.

السلطان عامله علي بن عبد الله الريفي أن يكسوهم ويعطيهم السلاح من تطوان وأن يشتري الإماء من تلك الناحية ويعطي كل من لا أمة له أمة، ويعين لهم قوادهم ويوجههم للمحلة بمشرع الرملة ففعل. ثم أمر السلطان قواد المدن أن يشتروا له العبيد والإماء ففعلوا، ثم أمر قائد أهل تامسنا، وقائد دكالة [208]، أن (يجمعا)[209] من بإيالتها من عبيد المخزن، وأن يشتري الإماء والعبيد المملوكين لغيره ففعلا، واشتريا العبد بعشرة مثاقيل، والأمة بعشرة أيضا، واجتمع له من فاس ومكناس بالشراء ثلاثة آلاف، كساهم وسلحهم، وعيَّن لهم قوادهم ووجههم للمحلة بمشرع الرملة، ثم أتاه الشاوية[210] ودكالة بأربعة آلاف، بعد أن دفعوا لهم الكسوة والسلاح والخيل من عندهم، ولما وصلوا لمكناسة أنزلهم [السلطان][211] بوجه عروس[212] بجواره، ولما توجه لتدويخ السوس وتمهيده -كما تقدم[213] جمع في تلك الحركة ألفين من حراطين تلك البلاد بأولادهم ولما رجع بهم، كساهم وأعطاهم السلاح. ووجههم للمحلة بمشرع الرملة. وهذا عدد من وجه من العبيد لمشرع الرملة وتناسلوا به إلى أن بلغ عددهم مائة وخمسين ألفا [214] انتهى.

وفي بعض التقاييد: لما فرغ محمد بن قاسم عليلش من جمع حراطين المغرب، ولم يبق إلا حراطين فاس أراد أن يدخلهم في الديوان، فأنكرَ بعض علماء فاس ورؤسائها ذلك فأمر السلطان بإحضار العلماء وكبراء فاس، فحضر من الفقهاء الشيخ أبو علي اليوسي، والشيخ أبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس[215]، والشيخ أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي الدلائي، والشيخ أبو عبد الله محمد بن (الشاذلي)[216] الدلائي، [217] والعلامة أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان بن زكري [218] *وأبو عبد الله محمد بن المشاط، وأبو عبد الله محمد بن العافية وغيرهم ، وحضر كبراء فاس فكانت بينهم وبين السلطان محاورة

---

(208) دكالة: تدخل - حاليا- في نطاق إقليم الدار البيضاء، وكانت في القديم تمتد بين أم الربيع ووادي تنسفت والمحيط الأطلسي. وكانت تضم خليط قبائل صنهاجة والمصامدة، أما الآن فمعظمهم من العرب، الذين التحقوا بالمنطقة منذ عهد الموحدين وما بعدهم. أنظر: الموسوعة المغربية، معلمة المدن (ملحق 2): 198 .

(209) ك: يجمعوا.

(210) الشاوية: تتكون من مجموعة من القبائل، تتكلم اللغة العربية، وكانت ضمن الأراضي المخزنية بتامسنا. أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1:397 هامش: 72 .

CH. de Foucauld, Reconnaissance au maroc P: 263

(211) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(212) وجه عروس: منطقة بأحواز مدينة مكناس.

(213) أنظر: هذا المقصد السابع من الجزء الأول ص 292 .

(214) أنظر: البستان الظريف: 31-32 . والملاحظ أن المؤلف تصرف في نقله للنص، وأورد معلومات لا توجد في الأصل.

(215) هو: عبد السلام بن أحمد بن علي بن أحمد جسوس الفاسي المتوفى سنة 1121 هـ/ 1709 م: فقيه، لغوي، محدث، مفسر ومشارك في علوم أخرى.انظر: نشر المثاني، ج 3:207 اليواقيت الثمينة: 203-205 الدليل 1. 201 معجم المؤلفين، ج 5:222-223 .

(216) د، ك: الشاذني. والتصحيح من ز، ح.

(217) هو: محمد بن أحمد بن محمد الشاذلي الدلائي الفاسي المتوفى سنة 1137هـ/1725: أديب وله اهتمام بفنون أخرى. أنظر: نشر المثاني ج 3:281 النبوغ المغربي ج 3:,38 الموسوعة المغربية ج 2:18 المصادر العربية، ج 1:198 .

(218) هو: محمد بن عبد الرحمان بن زكري، أبو عبد الله المتوفى سنة 1144 هـ/ 1731 م. فقيه، محدث، صوفي من أهل فاس. أنظر: نشر المثاني، ج 3:338-339 سلوة الأنفاس، ج 1:158-161 شجرة النور: 335 ، الدليل، ج 1: 84، 118، 189، الموسوعة، ج 1:113-114 الأعلام للزركلي ج 6:197 ، معجم المؤلفين ج 10:140 ، المصادر العربية، ج 1: 180 -207 .

(*) • 61 أ.

أغضبته، وقام من بينهم فأخذ الشيخ جسوس بطرف برنوصه، وقال له: اجلس تسمع ما قال جدّك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستشاط السلطان غضباً وخرج، فوجد من كان يبغض الشيخ جسوس [الفرصة][219] فأوغر صدر السلطان عليه ولما خرج أمر بالقبض عليه، فقبض وامتحن بما يكون له عند الله جزاؤه، وسبب ذلك كله ما فعله عليلش في جمع الحراطين (مما)[220] لا يفعله إلا الشيطان، فإنه تسلط على كثير من الأحرار ظلما و(أدخلهم)[221] في [ربقة] [222] الرق رغما، وأخذ الأموال ، ووقعت بسببه أهوال والأمر لله الكبير المتعال، ومن أراد أن يعلم ما للعلماء في ذلك فليطالع نوازل الشريف العلمي فإنه نقل في الجامع منها فتاوي. والله الموفق انتهى.

[مبلغ ملك المولى إسماعيل]

وقد رأيت مبلغ ملكه من أقصى بلاد السوس إلى تخوم السودان، وبلغ منها ما وراء النيل، وانتشرت دولته في أراضي السودان، وبلغ في ذلك ما لم يبلغه أبو العباس أحمد الذهبي السعدي، ولا أحد قبله، ومن المشرق إلى قرب بلاد باسكرة من بلاد الجريد، ونواحي تلمسان. وتزينت به الخلافة أي تزيين، والله أعلم حيث يجعل رسالاته.

[مقدمة عن فتوحات المولى إسماعيل]

ثم قال الناظم رحمه الله:

فَمَــهَّدَ فَتْـحـاً فِـي المَرَاسِـي وَقَـدْ بَـدَا إِمَامُ الهُدَى (فِيهَا) [223] كَثِيرًا المَوَاهِبِ

تمهيد الأمور تسويتها وإصلاحها كما تقدم[224] والفتح: النصر، وبابه قطع. والمراسي: جمع مرسى بفتح الميم، سميت بذلك لترسية السفن بها، تقول: (رست) [225] السفينة إذا وقفت، وبابه عدا وسما.

وأشار بهذا إلى ما وقع في أيامه من الفتوحات في المراسي التي هي الثغور، وهي معدودة بعد هذا. وقد ظهر ظهوراً فاشيا فيها، أي في الفتوحات، إمام الهدى، والإمام

---

(219) ما بين المعقوفتين ساقطة من د،ح، ك. والتكملة من ز.
(220) ز: من .
(221) د: داخلهم. والتصحيح من ز، ح، ك.
(222) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ز، ح. والتكملة من ك.
(223) د،ز، ح: فيه. والتصحيح من ك.
(224) أنظر صفحة: 398 من المقصد السادس.
(225) د: رسمت. والتصحيح من ز، ح، ك .

المقتدى به، ورئيس القوم، والخليفة وقائد الجند. والهدى: الرشاد، والدلالة يذكر ويؤنث، يقال: هداه الله للدين يهديه هديا، أي أرشده. كثير المواهب: أي العطايا على سبيل (الهبة)[226].

والمعنى أن هذا الإمام (المقتدى [227]) به، الكثير العطايا، قد ظهر ظهوراً زائداً فاشيا بفتحه هذه المراسي، وإجلائه جنس الروم منها.

[فتح المهدية]

ثم أشار إلى أول ثغر فتح بقوله

*فَمَهْدِيَّةٌ أَضْحَتْ بِمَنٍّ كَأَنَّهَا   عَرُوسَةُ حُسْنٍ فِي ظِلَالِ الذَّوَائِبِ

المهدية هي ثغر الحلق قرب سلا عند مصب وادي سبو في البحر الأخضر. سميت بذلك نسبة لمن اختطها وهو المهدي الشيعي[228] على يد بعض عماله، كما لليفرني[229] والظاهر أنه مصالة بن حبوس المكناسي[230] صاحب تاهرت من المغرب الأوسط، إذ هو الذي وجهه المهدي الشيعي[231] أول ملوك العبيديين إلى المغرب الأقصى سنة خمس وثلاثمائة[232] فملكه وصار المغرب الأقصى في ملك العبيديين، واندرجت دولة الأدارسة في دولتهم، فيكون بناؤها على هذا في أوائل القرن الرابع.

---

(226) د، ك: الهيبة. والتصحيح من ز،ح.

(227) د، ك: المهتدى - والأصح ما أثبتناه من ز، ح.

(228) خطأ. المهدية (أو حلق الوادي، حلق سبو، حلق المعمورة). ينسب تأسيسها إلى الموحدين وليس إلى المهدي الشيعي كما هنا في المتن. إلا أن المؤرخين يختلفون حول مؤسسها بين عبد المؤمن بن علي ويعقوب المنصور. وكانت تسمى منذ تأسيسها بالمعمورة نسبة إلى اسم الغابة القريبة منها. وهي تقع على بعد 9 كلم إلى جنوب مدينة القنيطرة، وعلى بعد 32 كلم شمال غرب سلا. احتلها البرتغال(921 هـ/ 1515 م) . ثم بعد ذلك دخلت تحت النفوذ الإسباني (1022 هـ/1613 م). وحاول المجاهدون بقيادة العياشي استرجاعها، فاستعصت عليهم، إلى أن استرجعها المولى إسماعيل بمساهمة المجاهدين (القوات الشعبية) في سنة 1092 هـ / 1613)، وحسب استاذنا إبراهيم حركات، فإن المعمورة حملت إسم المهدية منذ هذا الفتح بأمر من المولى إسماعيل. أما المهدية التي أسسها المهدي الشيعي وكان ذلك سنة 303 هـ / 916. فتقع بتونس، شرق القيروان، وقد أشرنا إليها في الهامش 188 في صفحة: 351 من المقصد الخامس. بصدد المهدية المغربية أنظر: وصف افريقيا، ج 1:166-168 المغرب لابن العربي: 188-189 معلمة المدن (ملحق 2): 349-350-359. الحركة العياشية للشاذلي: 30-33 المغرب عبر التاريخ، ج 1:341 و ج 3:46-47 .

-Budgett Meaking, the land of the Moors, PP: 227-230.

- E. Doutté, Mission au Maroc, PP: 407-408 .

-E. Levi-Provençal, Ency. de L'islam, T5, P. 1236.

- R. Montagne, note sur la kasbah de Mehdiya, in Hesperis, année 1921, Tome 1, 2ème trim. Pp: 93-97

(229) لم أجد هذا الكلام عند الافراني لا في النزهة ولا في الروضة.

(230) هو: مصالة بن حبوس المكناسي، المتوفي سنة 312 هـ / 924 م: كان من أبرز قواد عبيد الله المهدي الفاطمي، فولاه على مدينة تاهرت والمغرب الأوسط عامة، وقاد حملة على مدن بالمغرب الأقصى (305هـ /917 م)فاحتل مدينة فاس وسجلماسة.

(231) هو: عبيد الله بن محمد الحبيب، الفاطمي العلوي (259-322هـ / 873-934 م) مؤسس الدولة الفاطمية العلوية بالمغرب، بويع بالقيروان سنة 909/297 وسكن رقادة، ولما بنى مدينة المهدية (303-915) اتخذها عاصمة لملكه. من مميزات شخصيته أنه كان يسير شؤون دولته بنفسه، لم يستعمل وزيرا ولا حاجبا. أنظر التفاصيل في: البيان المغرب، ج 1: 128 ، 152 - 153 ، 158 - 171 . وفيات الأعيان، ج 3:117-119 الكامل في التاريخ، ج 8: 24 - 31 ، 36 - 39 ، 48 ، 50 ، 51 - 53 ، 84 - 85 ، 89 - 90 ، 113 ، 114 ، 179 ، 284 ، البداية، ج 11:179-180 العبر، ج 4:31-40 شذرات الذهب ج 2:294-295 تاريخ الخميس، ج 2:385-386 .

(232) سنة 305 هـ / 917 م.

(*) * 61 ب.

وقوله: أضحت: أي صارت في ضحى النهار، وهي حين تشرق الشمس بعناية الله ويمنه، وفيه رمز التاريخ إثنين وتسعين وألف[233]، وهو جملة بمن. وبذلك الفتح وتطهيرها من رجس الكفر، صارت كأنها عروسة، والعروس: نعت يوصف به الذكر والأنثى ما دام في أعراسهما، يقال: رجل عروس وامرأة عروس، ونساء عرائس، ورجال عرائس، والعرس بالكسر: امرأة الرجل، وزيادة التاء للوزن. والحسن والجمال معلوم. والظلال: جمع ظل، وهو ما أظلك من سحاب وغيره، وتقدم معناه أيضا [234]. والذوائب: جمع ذؤابة بالضم مهموز، وهي الضفيرة من الشعر إذا كانت مرسلة، فإن كانت ملوية فهي عقيصة، ولا يخفى حال العروس وهيئتها، ولا سيما إن كانت حسناء كهذه المشبه بها هذه المدينة.

وهذا كان باستيلاء النصارى على كثير من ثغور المغرب، عند ضعفه وعجز ملوكه عن المدافعة، لما كان بينهم من التنافس في الملك والمنازعة حسبما هو مشهور، وفي غير ما ديوان مذكور، ولما أراد الله إظهار دينه، وإعزازه من حينه، وتطهير هذا القطر من دنس الكفر، هيأ للخلافة به هؤلاء السادات الشرفاء، فقام منهم هذا الإمام الجليل في إحياء رسوم الدين على ساق، وادخر من ذلك ما ينفعه عند الملك الخلاق، فمهد البلاد وقطع الفساد، وتشوفت همته العالية ورتبته السامية نحو البلاد التي تملكها العدو منذ أزمان، ورام استخلاصها من أيديهم بالسيف والسنان، فجهز جيشا *لاستنقاذ ثغر الحلق هذا، أسند النظر فيه لكبير عماله القائد (عمرو بن حد)[235] الريفي إذ كان من أهل السابقة والنصيحة في الخدمة، فنزل عليه وحاصره، وبعدما اجتمعت عليه جيوش المسلمين، وتكاثرت عساكر الموحدين من المتطوعة والجند، زحف بالمسلمين إلى القبيبات[236] والفندق الذي كانت به دخائر الروم، وحالوا بينهم وبين المدد من ناحية المرسى، ومنعوهم من البير التي كانوا يشربون منها حتى أوهنهم العطش، وأشرف المسلمون على الفتح، فكتبوا للسلطان يعلمونه بذلك، وبأن أخذ البلد متوقف على حضوره، فأسرع النهوض إليهم فوجد النصارى معتصمين بالأسوار، ولما عاينوا من شدة التضييق ما لم يكن لهم به عهد قبل ذلك، أيقنوا (بحضور)[237] السلطان، فاستسلموا للأسر وألقوا إليه القياد[238] بعد أن خرج القسيسون يطلبون الأمان على بقايا النصارى لئلا تستأصلهم سيوف المسلمين، فأمنهم السلطان، وفتحوا باب الحصن وخرجوا منها أسارى، وكان ذلك

---

(233) 1092 هـ / 1681 م.

(234) التباس. لم يعرف (المؤلف) به فيما قبل.

(235) د، ك: عمر بن حدو. والتصحيح من ز، ح. وبنفس اللفظ الذي أثبتناه هنا في المتن سيورد المؤلف ذكره فيما بعد.

(236) القبيبات:من المناطق القريبة من مدينة الرباط. أنظر: الموسوعة، معلمة المدن (ملحق 2): 234.

(237) في جميع النسخ: بحضور. واقتضى السياق تصحيحها.

(238) أي انقادوا لهم وخضعوا لسيطرته.

(*) • 62 أ

يوم الأربعاء الحادي عشر من ربيع الثاني[239] كما سبق[240]. ثم أمر السلطان بجمع الأسلاب، فجمعت، وأخرج الخمس، وقسمت الغنائم على الوجه الشرعي على يد أمناء عينهم السلطان لذلك، وحاز الأنفاض، والبارود، والأسارى بعد التقويم، وأخذ كل واحد من المسلمين حقه من المغنم، ثم رجع لحضرة ملكه بالأجر والغنيمة.

وكانت مدة سكنى (البرتقال)[241] بها من لدن أخذوها سنة إثنتين وعشرين وألف[242] إلى أن فتحها المولى إسماعيل هذه السنة المذكورة إحدى وسبعين سنة، ولازالت دار إسلام، كذا في بعض المقيدات.

وفي نشر المثاني: ثم نزل -يعني السلطان- على المعمورة وهي المسماة بالمهدية، فأخذت عنوة عند صلاة الجمعة ثالث عشر ربيع الثاني [243] انتهى.

وفي البستان: وفي عام إثنين وتسعين وألف، (ورد) [244] الخبر أن أحمد بن محرز الذي بالسوس استولى على بلاد آيت زينب وقويت شوكته، فأمر -يعني السلطان- بتفريق الراتب و(تقديم) [245] الحركة من فاس، ثم بلغه إشراف العساكر التي بالمهدية على الفتح، وتوقفوا على حضوره، فتوجه إليهم حتى حضر الفتح، * وخرج رئيس النصارى فأمنه، وأخرج أصحابه، وكانوا ثلاثمائة وستة، والغنيمة أحرزها المجاهدون أهل الريف، والفحص [246] الذين كانوا مرابطين عليها مع القائد عمرو (بن حد) [247] الريفي البطيوي، ورجع السلطان لمكناسة، وتوجه المجاهدون مع أميرهم عمرو بن حدّ فأصابه الوباء، فمات بالطريق، فتولى رياسة المجاهدين أخوه أحمد بن حد [248] انتهى.

[فتح طنجـــة]

ثم أشار الناظم رحمه الله إلى الفتح الثاني من فتوحاته بقوله:

وَطَـنْـجَـةُ قَـدْ وَلَّـتْ بِـمُـنْـجٍ لِـعِـزِّهَـا   فَـأَهْـدَتْ غُـزَاةَ الْـفَـتْـحِ مَـا فِـي الْمَرَاكِبِ

(239) أي يوم الأربعاء 11 ربيع الثاني 1092 هـ / 30 أبريل 1681 م.
(240) التباس. لم يشر المؤلف إلى هذا التاريخ بالتدقيق فيما سبق، وإنما أشار إلى سنة 1092 هـ / 1681 م السابقة الذكر في صفحة 452 من هذا المقصد السابع.
(241) ز. البرتغال.
(242) سنة 1022 هـ / 1613 م. وأنظر النص في نشر المثاني ج 3:288. وفيه اختلاف يسير في اللفظ.
(243) أي الجمعة 13 ربيع الثاني سنة 1092 هـ / 2 ماي 1681 م.
(244) د، ك: أورد. والتصحيح من ز،ح.
(245) في البستان الظريف: 34: تقويم.
(246) الفحص: قبيلة تقع على مشارف منطقة الغرب شمالا تتألف من عدة دشور وعلى رأس كل دشر مقدم هو الواسطة بين مجموعة من الدشور والباشا، وتعتبر أهم مزود لطنجة بالمواد الضرورية .أنظر: المغرب عبر التاريخ ج3:463 .
(247) ك: بن حدو. وبهذا اللفظ أيضا سترد في نفس النسخة بعد قليل. إلا أننا سوف لن ننبه على ذلك. وفي البستان الظريف: 34: وحد. وهو تصحيف.
(248) النص يوجد في البستان الظريف للزياني، مخ. خ. ع. ر. 1577 د: 34 . بنفس اللفظ.
(*) * 62 ب.

طنجة: بفتح الطاء المهملة المشالة، وكسرها وسكون النون وقد تفتح بعدها جيم، وهي مدينة عظيمة، لا سيما في وقتنا هذا، فقد كثرت عمارتها، واتسعت بناءاتها، وتمكنت حضارتها، وقصدها أجناس الروم للسكنى فعظمت بهم وطار صيتها، وهي بشاطئ البحر الرومي، فتحت في الإسلام ثم أخذها جنس البرتقال من يد المسلمين سنة سبعين وثمانمائة [249] بعد قتال عظيم، زحف إليها من سبتة في ألوف من العساكر، ولما رأى المسلمون أن لا معين لهم ولا مغيث سلموها إليه، واستمرت بأيدي البرتقال إلى أن (بذلوها)[250] للإنكليز على سبيل المهادات سنة أربع وسبعين وألف[251]، ولازالت بأيديهم إلى تاريخ فتحها هذا. وهي عريقة في التمدن شهيرة وكفى بذلك أن النبي صلى الله على وسلم قال في أخباره بالغيب كما في شفاء القاضي عياض: "يَبْلُغُ هَذَا الدِّينُ طَنْجَةَ (التِي)[252] لا عِمَارَةَ وَرَاءَهَا"[253]. فتحها عقبة بن نافع الفهري بعد الخمسين من الهجرة [254]. ويقال لها: طنجة البيضاء. كان لملك من ملوكها ثلاثون (ألف عسكري)[255]. بينها وبين القيروان ألف ميل. مرت عليها دول البربر والأشراف والعرب، إلى أن استولى عليها البرتقال في التاريخ المتقدم وهو عام تولية: الملك فيه لبني وطاس بالمغرب وفاس.

وقال الشيخ أبو رأس: كان إسلام المسلمين لها للإصبانيين لا للبرتقال[256] والله أعلم. واستمرت بيد النصارى مدة ملك بني وطاس والملوك السعدية وملوك الطوائف، إلى أن أخذها المولى إسماعيل[257] هذا رحمه الله، وذلك في أول ربيع الأول. وقيل في ربيع الثاني من عام خمسة وتسعين[258]، وهو عدد نقط بمنج في البيت * وكان دخول قصبتها

---

(249) سنة 870 هـ/ 1465 م. وفي الاستقصا، ج 98:4 ، 110 ، أن ذلك كان سنة 869 هـ / 1464 م.وكلا التاريخين المحددين خاطئين. كما أن الموضع الذي انطلقت منه البرتغال لم يكن مدينة سبتة كما سيرد في المتن وفي الاستقصا. وهذا ما سنوضحه في التعليق الآتي:
في سياسته الاستعمارية حاول البرتغال احتلال طنجة في سنوات: 841 هـ/1437 و 861هـ/1458 ، 869هـ/1464 إلا أنها محاولات باءت بفشل ذريع نظرا للمقاومة الداخلية. الأمر الذي حدا بالبرتغال إلى القيام باحتلال أصيلا، واتخاذها قاعدة إعداد عسكرية، تمهيدا لاحتلال طنجة. لهذا نجد الملك ألفونسو الخامس يغتنم فرصة الانقسامات الداخلية بالمغرب حيث كان النزاع قائما بين محمد الشيخ الوطاسي والشريف الإدريسي الجوطي محمد بن علي عقب اغتيال عبد الحق المريني، آخر سلاطين بني مرين، فبعث بأسطول يتكون من 474 سفينة عليها 30 ألف مقاتل، تمكن على إثره من احتلال أصيلة يوم السبت 7 ربيع الأول 876 هـ 24 غشت 1471 م . ومن هذه المدينة انطلقت. الجيوش البرتغالية لاحتلال طنجة، فدخلوها بعد ثلاثة أيام من احتلالهم مدينة أصيلا. وقد نجح البرتغال أيما نجاح في هذه الإستراتيجية: لأن احتلالهم لها كان دون عناء أو مقاومة تذكر. واستمر الأحتلال البرتغالي لها زهاء قرنين من 876هـ/1471 إلى 1072هـ/1661 مع انقطاع دام من 989هـ/1581 إلى 1053 هـ/1643 وهي المدة التي ضمت فيها المدينة مع باقي الممتلكات البرتغالية إلى إسبانيا في أعقاب هزيمة البرتغال في وادي المخازن. انظر: الاستقصا ج 4: 98 ، 110، المغرب عبر التاريخ ج 62:2 ، المغرب في عهد الدولة السعدية لعبد الكريم كريم:8 مجلة دار النيابة السنة (2) 1985 العدد 5 ص : 28-29 .
Henri Terrasse, Histoire du Maroc; T 2 PP: 116-117.

(250) ن،ح: بذلها.

(251) سنة 1074 هـ/ 1663 م . ونفس التاريخ حدده كذلك صاحب الاستقصا، ج 98.:4 إلا أنه يبدو أن ذلك كان سنة 1072 هـ / 1661 م بمقتضى الزواج الإنجليزي البرتغالي. والتسليم الفعلي كان في السنة الموالية (1073هـ/1662). وقد سلمت المدينة كجزء من مهر الأميرة CATHERINE de Braganza التي أصبحت زوجة شارل الثاني الإنجليزي. أنظر: مجلة دار النيابة. السنة (2) 1985 العدد 5 ص: 28 .

(252) د، ح،ك: الذي. والتصحيح من ن.

(253) هذا الحديث يوجد في الشفا بتعريف حقوق المصطفى ج 654:1 باختلاف في اللفظ.

(254) بعد 50 هـ / بعد 670 م.

(255) في جميع النسخ: ألفا عسكرا. واقتضى السياق تصحيحها.

(256) بل للبرتقال كما أشرنا إلى ذلك في التعليق رقم: 249 من هذا المقصد السابع.

(257) أنظر: الخبر المعرب، ورقة: 89-90 والنقل تم بشيء من التصرف.

(258) أي ربيع الثاني عام 1095 هـ/ 18 مارس - 15 أبريل 1684 م.

(*) 1163.

قبل في أواسط ربيع الأول[259] على يد قائد القصر عمرو بن حد (البطوئي)[260]. واصطلح البطوئي مع النصارى أوائل جمادى الأولى منه[261]، هكذا في نشر المثاني[262]، وهو مخالف لما ذكر من موت عمرو بن حد[263] ومناقض له.

وقوله: فأهدت: أي تركت الغزاة ما في المراكب من النصارى لاشتغالهم بما في المدينة لكون النصارى هربوا عند مضايقة المسلمين لهم، وركبوا في مراكبهم وتركوا المدينة خاوية على عروشها، وأخذ المسلمون في بناء سورها أول جمادى الأولى من عام خمسة وتسعين[264]. وفي البستان: وفي عام خمسة وتسعين ورد على السلطان خبر فتح طنجة، دخلها المسلمون لما ضاق بالكفار الأمر وطال بهم الحصار، فهدموها وتركوها، وركبوا سفنهم، واشتغل قائد المجاهدين علي بن عبد الله يبني ما تهدم من سورها ومساجدها، وحرّث بقربها مركب قرصاني كان فيه مال وبضائع جاء مددا لأهل سبتة فحارب المسلمون أهله واحتووا على ما فيه، وكلف السلطان غمارة[265] بجر مدافعه النحاسية لمكناسة، ووجه الرماة لجرهم من فاس، فأتوا بهم لأربعين يوما[266] انتهى.

والمعنى أن طنجة رجعت لعز الإسلام السابق لها - كما تقدم بيانه- بعد ذلها بالكفر بمنح لها من ذلك الذل. ولا شك أن المولى إسماعيل هو المنجي لها من ذلك. ولا يخفى ما في ذلك من بديع التّورية. وترك المجاهدون ما في المراكب الذين هم غزاة -جمع غاز- لاكتفائهم بما بداخلها من الدخائر.

[فتح العرائش]

ثم أشار إلى الفتح الثالث له رحمه الله، وهو فتح ثغر العرائش، بقوله:

وَمَرْسَى العَرَائِشِ فِي التَّبَاهِي وَقَدْ بَدَا   بِسُورٍ لَهَا شَقٌّ عَظِيمُ الجَوَانِبِ

والمراد أن ثغر العرائش منذ استولى عليه الإصبنيول بتمليك الشيخ ابن المنصور السعدي له[267] وإخلائه من المسلمين، وهو على التباهي والتفاخر وعدم الإكتراث بأمور

---

(259) أي أواسط ربيع الأول سنة 1095 هـ/ أوائل مارس 1684 م.

(260) في نشر المثاني، ج 2: 295: البطيوي، وبهذا اللفظ أيضا كان يكتبها المؤلف فيما قبل عند سرده لأحداث فتح المهدية.

(261) أي أوائل جمادى، سنة 1095 هـ/ أواسط أبريل سنة 1684 م.

(262) أنظر نشر المثاني ج 2:.295 وفي لفظه اختلاف.

(263) سبق للمؤلف أن ذكر أن وفاة عمرو بن حد كانت سنة 1092 هـ/ 1681 بسبب الوباء، فخلفه على رياسة المجاهدين أخوه أحمد بن حد. قال هذا نقلا عن البستان الظريف. أنظر صفحة 455 من هذا المقصد السابع.

(264) أي أول جمادى الأولى عام 1095 هـ / 16 أبريل 1684 م.

(265) غمارة: من قبائل مصمودة بشمال المغرب. كانت تمتد من جبل العلم شمالاً إلى واد ورغة جنوبا ثم إلى المحيط الأطلسي غربا حيث كانت تحدّ من أصيلة إلى آنفا (تامسنا) في الجنوب الغربي. وقد تقلصت هذه الحدود حاليا إلى الجنوب الشرقي من مدينة تطوان. وتزعم العامة أنهم عرب غمروا في الجبال فسموا غمارة. أنظر: الاستبصار: 190-193 قبائل المغرب ج1:325-326 تاريخ الضعيف، ج 1:173 هامش: 78 .

- Moulieras. Le Maroc inconnu, T2. PP: 251-355
- R. Montagne. Les bèrbères et le Makhzen, PP: 208-211

(266) أنظر: البستان الظريف: 35 . وفي لفظه اختلاف يسير.

(267) تنازل محمد الشيخ المأمون بن المنصور السعدي عن مدينة العرائش للإسبان بتاريخ 4 رمضان 1019 هـ / 20 نونبر 1610 م، مقابل الحصول على المساعدات العسكرية، للقضاء على إخوته المنافسين له على الحكم. فاغتنمت إسبانيا وضعية المغرب، الذي كان يشهد تمزقا سياسيا ناتجا عن تناحر وصراع أبناء المنصور السعدي على السلطة واستولت عليها. أنظر الهامش: 332 في صفحة: 268 من القصد الثالث.

المسلمين لمنعتهم بتحصينها و(طمأنينتهم)[268] بذلك حتى ظهر لهم من المسلمين ما لم يكونوا يحتسبونه بانشقاق سورها حقيقة شقا عظيما، بحيث لا يجبر ولا يلتئم من كل الجهات والنواحي، وذلك أن المسلمين حفروا [المينات تحت خندق سورها][269] الكائن [من جهة المرسى][270] وشحنوها بالبارود، فأسقطت *بعض سور المدينة فاقتحم منه المسلمون ووثبوا على الأسوار، فوقعت ملحمة عظيمة، وفر الكفار بالبساتين وأقاموا بها يوما وليلة، ثم دخلهم الخوف فخرجوا منها صاغرين. وكان عدد النصارى بها قبل الاستيلاء عليهم ثلاثة آلاف ومائتين، فأسر المسلمون منهم ألفين ومات منهم نحو إثني عشر مائة وقيل: الأسارى ألف وسبعمائة، فمنّ السلطان المولى إسماعيل على أميرهم بالعتق فقط، ثم جيء بالباقي أسارى، وفرح المسلمون بذلك. وبفتحها نهى السلطان عن لبس السباط[271] الأسود، ومنعه في سائر أقطار المغرب، وأمر بلبس الأصفر مكانه لما قيل من أن الناس اتخذوا لبس السباط الأسود حين استولى العدو على العرائش أسفا عليها، وكان ذلك في رابع رمضان عام تسعة عشر وألف[272]، مكنها منهم محمد الشيخ بن المنصور المتقدم، والأمر لله. ولما فتحت هذا الفتح وجدبها من البارود ما لا يحصى كثرة، ومن (الأنفاض)[273] نحو مائة وثمانين منها إثنان وعشرون نحاسا والباقي حديدا، منها. نفض يسمى حينئذ بالغصاب في طوله خمسة وثلاثون قدما بالحساب، وزن كورته خمسة وثلاثون رطلا بحيث حلق عليه بقرب خزانته أربعة رجال، كذا سمع من المشاهدين لذلك، بعد السؤال. انتهى ممن قيده.

ثم أوتي بالأسارى لحضرة السلطان. قال بعض من قيد في ذلك: فسرّح منهم مائة فدى بها ألف أسير من المسلمين. وقال صاحب نشر المثاني: لم يسرح إلاّ كبيرهم، ووجهه لبلده ليبلغ الخبر، وأما الأموال والأقوات والسلاح، فقد نهبها المجاهدون، وتعذر جمعها وتخميسها، فعفا السلطان عنهم، ووكل أمرهم إلى الله، ولم يحصل له سوى المدافع والأسارى، فاكتتفى بذلك مع أجر الفتح[274]. ووقع بين علماء الوقت نزاع في حكم غنيمة العرائش، حتى ألف فيها قاضي الجماعة أبو مدين المكناسي تأليفا سماه بالسهم الرائش، في حكم غنيمة العرائش[275]. ولما كمل فتحها كلف أهل الريف بعمارتها. وأمر قائده أن

---

(268) د، ح، ك: طمأنينيتهم، والتصحيح من ز.
(269) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك. والتكملة من ز،ح.
(270) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ك، والتكملة من ز،ح.
(271) السباط: كلمة عامية مغربية، لازالت مستعملة إلى الآن، وتعني الحذاء.
(272) 4 رمضان 1019 هـ / 20 نونبر 1610 .
(273) د: الأنفاض، والتصحيح من ز، ح، ك.
(274) أنظر: نشر المثاني، ج 50:3 بتصرف.
(275) السهم الرائش في حكم غنيمة العرائش: اسم فتوى لأبي مدين السوسي المكناسي، محمد بن الحسين (ت1120هـ/1709) وموضوعها يتعق - على الخصوص- بمنح التأمين لأساري مدينة العرائش بعد تحريرها سنة 1101 هـ / 1689 م. وقد ورد نصها -كاملا- أواخر فهرس أبي القاسم العميري الذي يوجد بالخزانة الحسنية تحت رقم 905: ورقة 93 ب.أنظر: المصادر العربية ج 206:1
(*) • 63 ب.

يبني مسجدين ومدرسة وحماما، ودارا له بقلعتها، ففعل. وكان فتح العرائش مما ازداد به المسلمون وأميرهم سروراً و(نضرة)[276]، وحل بالإصبنيول وغيرهم من النصارى ندامة وحسرة، فدخل (الرعب)[277] * جميعهم. وكان مدة إقامة النصارى بها إثنين وثمانين سنة لأن إعطاء محمد الشيخ إياها لهم كان سنة تسع عشرة وألف[278]، ومدة حصار المسلمين عليها نحو الثلاثة أشهر ونصف. وقد رمز الناظم -رحمه الله- لفتحها بشق من قوله: شق عظيم الجوانب، وهو عام مائة وألف[279]، ولا أدري على من اعتمد عليه في ذلك، والذي وقفنا عليه في فتحها هو عام أحد ومائة وألف[280] والله أعلم بالإصابة منها. وحيث رأيت ذلك جعلت بيتا مرادفا لبيت الناظم على ما ذكره المؤرخون ليعلم كل من القولين وهو: [الطويل]

وَمَرْسَى العَرَائِشَ شَاقَ قَلْبِي لِفَتْحِهَا   فَكَانَ بِشَقُّ سُورِهَا المتعاطِبِ

وقد ورد على السلطان مراسل بالتهاني بهذا الفتح، ومدائح يستحقها من ذلك بعث الإمام الخرشي [281] - رحمه الله ورضي عنه- كتابا يهنيه بذلك الفتح مع شرح صغرى السنوسي له وقصائد لغيره، منها ما أنشده الخطيب البليغ، أديب فاس ومفتيها، أبو محمد عبد الواحد البوعناني الشريف [282]، فقال وما أحسن ما قال: [الوافر]

ألا (فَابْشِرْ) [283] فَهَذَا الفَتْحُ نُورٌ   قَدْ انْتَظَمَتْ (بِعَزْمِكُمْ) [284] الأُمُورُ [285]
وَطَيْرُ السَّعْدِ نَادَى حَيْثُ غَنَّى   قَدْ انْشَرَحَتْ (لِفَتْحِكُمْ)[286] الصُّدُورُ
وَضَوْءُ النَّصْرِ سَاعَدَهُ التَّهَانِي   وَنُورُ الفَخْرِ نَحْوَكُمْ يَدُورُ
وَقَدْ وافَتْكُمْ الخَيْرَاتُ طُرّاً   وَطَابَ العَيْشُ وَاتَّصَلَ السُّرُورُ
حَمَيْتُمْ بَيْضَةَ الإِسْلاَمِ لَمَّا   (بِعَيْنِ)[287] الحَقِّ قَدْ حَرَسَ الثُّغُورُ
وَجَاهَدْتُمْ وَقَاتَلْتُمْ فَأَنْتُمْ   لِدِينِ اللهِ أَقْمَارٌ (تَنِيرُ)[288]

---

(276) د، ح، ك: نظرة، والتصحيح من ز.
(277) ك: الرغب.
(278) سنة 1019 هـ/ 1610 م.
(279) عام 1100 هـ/ 1688 م.
(280) عام 1101 هـ/ 1689 م. وفي نشر المثاني ج 3: 49 أن فتحها كان سنة 1102 هـ/ 1690 م
(281) هو: محمد بن عبد الله الخرشي (أو الخراشي)، أبو عبد الله (1010- 1102 هـ/ 1601-1690م): فقيه مالكي المذهب. استقر بالقاهرة وتوفي بها واشتهر بالفضل والورع. أنظر: نشر المثاني، ج 3: 18 تاريخ الضعيف ج 1: 180، 181 شجرة النور: 317، الفكر السامي، ج ج 2: 284، الاعلام للزركلي، ج 6: 240-241.
(282) هو: عبد الواحد بن محمد بن محمد بن محمد بن سليمان بن علي بن منصور الشريف البوعناني، أبو محمد، المتوفى سنة 1106 هـ/ 1694 م: فقيه، خطيب، وأديب، ولي الفتوى والقضاء بفاس، ورحل إلى الجزائر. أنظر: اليواقيت الثمينة: 231-232 الدليل ج 1: 88 معجم المؤلفين ج 6: 213.
(283) في النزهة: 307: أبشر. وكذلك في الروضة: 59، الاستقصا ج 7: 74.
(284) ز، ح: بحزكم. وكذلك في النزهة: 307 الاستقصا ج 7: 74.
(285) الشطر الثاني من هذا البيت ورد في الروضة باللفظ التالي: بعين الحق قد حرس الثغور.
(286) في النزهة: 307: بفتحكم. وكذلك في الروضة: 59، الاستقصا ج 7: 74.
(287) في النزهة: 307: بثغر. وكذلك في الروضة: 59.
(288) في النزهة: 307: بدور. وكذلك في الروضة: 59.
(*) • 64 أ.

(وَأَطْعَمْتُمْ)[289] صَوَارِمَكُمْ (لُحُوما)[290]   لَدَى (الهَيْجَاءِ)[291] صَاحِبُهَا كَفُورُ
(فَأَنْتَ)[292] البَدْرُ يَوْمَ السِّلْمِ حُسْناً   وَفِي يَوْمِ الوَغَى الأَسَدُ الهَصُورُ
وَفِي ثَغْرِ العَرَائِش قَدْ تَبَدَّى   لِقَدْرِكُمْ عَلَى الشِّعْرَى الظُّهُورُ
لَقَدْ كَانَ المُلُوكُ (فَسَاوَمُوهَا)[293]   وَرَامُوهَا (وَبَانَ لَهَا النُّفُورُ)[294]
فَلَمَّا جِئْتَهَا (نَادَتْ)[295] وَقَالَتْ   إِلَيْكَ (بِحَقٍّ)[296] مَوْلاَنَا (المَصِيرُ)[297]
مَلَكْتَ قِيَادَ (أَهْلِيهَا)[298] بِذُلٍّ   فَمَا أَغْنَى الحِصَارُ وَلاَ العُبُورُ
* قَهَرْتُمْ بِأَبْطَالٍ (عِظَامٍ)[299]   عَلَى الهَيْجَاءِ كُلُّهُمْ جَسُور
فَكَمْ رَأْسٍ مِنَ الكُفَّارِ أَمْسَى   قَطِيعَ الرَّأْس (مَجْرُوراً)[300]
وَكَمْ نَحَرَ قِلاَدَتَهُ رِمَاحٌ   وَسِنُّ الرُّمْحِ مَرْكَزُهُ النُّحُورُ
وَكَمْ (أَسْرَى)[301] وَكَمْ قَتْلَى[302] بِأَرْض   وَكَمْ جَرْحَى دِمَاؤُهُمْ تَفُورُ
تَمُرُّ بِهَا الطُّيُورُ (فَتَنْتَقِيهَا)[303]   وَبَاتَ الذِّئْبُ وَهْوَ لَهَا شَكُورُ[304]
وَأَضْحَى النَّاسُ كُلُّهُمْ نَشَاوَى   عَلَى طَرَبٍ وَمَا شُرِبَتْ خُمُورُ
فَبُشْرَاكُمْ (بِهَذَا)[305] الفَتْحِ نُورٌ   وَبُشْرَاكُمْ (بِمَا)[306] مَنَّ الغَفُورُ
بِهِ زَادَتْ مَآثِرُكُمْ عُلُوّاً   وَقَدْ عَظُمَتْ (بِهِ لَكُمُ)[307] الأُجُورُ
أَلاَيَا مَعْشَرَ الكُفَّارِ هَذَا   (يُبَدِّدُكُمْ)[308] وَلَيْسَ لَهُ فُتُورُ
أَلاَيَا أَهْلَ سَبْتَةَ قَدْ أَتَاكُم   بِسَيْفِ اللَّهِ سُلْطَانٌ وَقُورُ
إِذَا مَا جَاءَ سَبْتَةَ فِي عَشِيٍّ   تُنَادِيهِ إِذَا كَانَ البُكُورُ
وَوَهْرَانُ تُنَادِي كُلَّ يَوْمٍ   مَتَى يَأْتِي الإِمَامُ (مَتَى)[309] يَزُورُ
مَتَى يَأْتِي وَيَفْتَحُهَا (سَرِيعاً)[310]   وَيَلْحَقُ أَهْلَهَا مِنْهُ (ثُبُورُ)[311]

---

(289) في الاستقصا ج 7:75 : وأطلعتم.
(290) في الاستقصا ج 7:75: نجوما.
(291) في الاستقصا ج 7:75 هيجاء.
(292) في النزهة: 307: فقفت.
(293) في النزهة: 307: يساومونها.
(294) في النزهة: 307: ومنها بدا نفور . وفي الروضة : 60: فبان لها نفور . وفي الاستقصا: وبان لها نفور .
(295) في الروضة: 60: انقادت. وكذلك في الاستقصا ج 7: 75 .
(296) ك: يحق. وكذلك في النزهة: 307 ، والروضة: 60 .
(297) في النزهة: 307: السرور.
(298) ك: أهليها. ز. ح: عزتها. وكذلك في الروضة: 60، والاستقصا ج 7:75 وفي النزهة: ساكنها.
(299) في الاستقصا ج 7:75: ضخام.
(300) ز: مجرورا. وفي الروضة: 60: محزوزا.
(301) في النزهة: 307: أسر.
(302) في النزهة: 307: قتل.
(303) د، ح، ك: فتنتقيها، والتصحيح من ز. والروضة: 60 والاستقصا ج 7:75 .
(304) هذا البيت لا يوجد في النزهة: 307 .
(305) في النزهة: 307: فهذا. وكذلك في الروضة: 60 .
(306) في النزهة: 307: به.
(307) في النزهة: 308: بذكركم.
(308) في الروضة: 60: مبددكم.
(309) في النزهة: 308: حتى.
(310) في النزهة: 308: قريبا.
(311) في النزهة: 308: الثبور. وفي الروضة: 60: التبور.
(*) = 64 ب.

(فَيَهْزِمُهُمْ وَيَقْتُلُهُمْ)[312] وَيَسْبِي ... وَسَيْفُ الحَقِّ فِي يَدِهِ يَنُورُ
أَيَا مَوْلاَيَ قُمْ وَانْهَضْ وَ (بَادِنْ)[313] ... لأَنْدَلُس فَأَنتَ (لَهَا الأَمِيرُ)[314]
وَجَاهِدْهُمْ وَ (حَارِبْهُمْ)[315] وَفَرِّقْ ... جُمُوعَهُمْ فَرَبُّكُمُ النَّصِيرُ
وَلاَ يُمْنَعُ بِفَضْلِ اللَّهِ مِنْهَا ... كَمَا قَدْ (قِيلَ)[316] بَرٌّ أَوْ بُحُورُ
لِسَانُ الحَالِ يَنْشُدُ كُلَّ يَوْمٍ ... وَمَعْنَى الحَالِ تَفْهَمُهُ الصُّدُور
بِقُرْطُبَةَ تَنَالُ المَجْدَ طُرًّا ... وَيَأْتِي العِزُّ وَالمُلْكُ الكَبِيرُ
وَذَلِكُمْ بِعَوْنِ اللَّهِ سَهْلٌ ... وَمِنْ بَرَكَاتِكُمْ أَمْرٌ يَسِيرُ
أَيَا مَوْلاَيَ إِسْمَاعِيلَ هَذَا ... عُبَيْدُكُمُ الضَّعِيفُ المُسْتَجِيرُ
يُنَادِيكُمْ يُنَادِيكُمْ وَيَدْعُو ... دُعَاءً لاَ (تُهَنِّيهِ)[317] الدُّهُورُ
فَيَا رَبَّ البَرِيَّةِ يَا إِلاهِي ... وَيَا رَحْمَانُ يَا نِعْمَ المُجِيرُ
* (أَثِبْ)[318] هَذَا الأَمِيرَ بِكُلِّ خَيْرٍ ... وَلاَ تَجْعَلْ تِجَارَتَهُ تَبُورُ
وَأَبْقِ المُلْكَ فِيهِ وَفِي بَنِيهِ ... وَلَوْ كَرِهَتْ زُيُودٌ أَوْ عُمُورُ
وَنَحْنُ رَعِيَّةٌ (نَرْجُو)[319] هَنَاءً ... وَبِالسُّلْطَانِ تَنْتَظِمُ الأُمُورُ
عَلَيْكُمْ مِنْ عُبَيْدِكُمْ سَلاَمٌ ... مَدَى الدُّنْيَا (يُضَمِّخُهُ)[320] العَبِيرُ
يَعُمُّ جَنَابَكُمْ مَا قَالَ صَبٌّ ... أَلاَ (فَابْشِرْ)[321] فَهَذَا الفَتْحُ نُورُ[322]

وقال في ذلك الفقيه العلامة الورع الشهير أبو محمد عبد السلام ابن حمدون جسوس رحمه الله آمين: [الكامل]

رَفَعَتْ مَنَازِلُ سَبْتَةَ (أَقْوَالَهَا)[323] ... تَشْكُو إِلَيْكُمْ بِالَّذِي قَدْ هَالَهَا
مَعَ بَادِسَ وَ (بَرِيجَةَ)[324] فَتَعَطَّفُوا ... وَتَنَبَّهُوا كَيْ تَسْمَعُوا تِسْآلَهَا

---

(312) في النزهة: 308 : فيهزمكم ويقنصكم.
(313) في الروضة: 60: شمر. وكذلك في الاستقصا ج 7: 75 .
(314) في النزهة: 308: بها الأمير. وفي الروضة : 60 : لها أمير.
(315) د، ك: جاربهم. والتصحيح من ز، ح. والنزهة: 308 ، الروضة: 61 ، الاستقصا ج 7:75 .
(316) في النزهة: 308: قال.
(317) ز: تعبيه. وكذلك في الروضة: 61 ، الاستقصا ج 7: 76 ، وفي النزهة: 308: توهنه ،
(318) في النزهة: 308: أبث.
(319) د، ح، ك: ترجو. والتصحيح من ز. والنزهة: 38 ، الروضة: 61 ، الاستقصا ج 7:76 .
(320) في النزهة: 308 يضمنه.
(321) في النزهة: 308 أبشر. كذلك في الروضة: 61، الاستقصا ج 7: 76 .
(322) هذه القصيدة توجد في النزهة: 307. – 308 ، الروضة : 59 – 61 ، الاستقصا ج 7 : 74-76 .
(323) في تاريخ الضعيف، ج 1: 179: أصواتها.
(324) د، ح، ك: نريجة. والتصحيح من ز. وبريجة: هي الجديدة أو المهدومة أو مازغان (Mazagan) تقع بين أزمور وتيط احتلها البرتغال سنة 907هـ/1502 فبنى بها منشآت عمرانية، وتحصينات عسكرية اعتبرت مركزا حقيقيا لمدينة الجديدة. وفي سنة 1182 هـ/ 1769م عمل محمد بن عبد الله جديا من أجل تحريرها، مغتنما بذلك ضعف السلطة المركزية للدولة البرتغالية، فحاصرها برا وبحرا بجيش كثيف مكون من مختلف الفئات الشعبية المجاهدة، فعمد البرتغاليون في هذه الأثناء إلى تحطيم المباني والأجهزة الدفاعية بالقنابل. وزرع المتفجرات. ثم أخلوا المدينة في ذي القعدة /11822 فبراير 1769. وأول سلطان مغربي زارها بعد الجلاء البرتغالي عنها هو الحسن الأول في سنة 1292هـ/1875 حيث أمر ببناء سور منيع يحميها من جهة البحر، وقد بلغ سكانها في هذا التاريخ حوالي 2500 نسمة. أنظر: تاريخ الضعيف، ج 1: 304، 305-321 الاستقصا ج 4:110 ، وج 8:35-37 الموسوعة، معلمة المدن، ملحق 2:96-97 ، المغرب عبر التاريخ، 3:96-97 .

-J. Goulrven, la place du Mazagan.
- J. Goulven , l'établissement des premiers européans a Mazagan P 29
- Budgett Meaking, the land of the Moors, PP: 185-189
-Eugène Aubin, Le Maroc d'aujourd'hui, PP : 76-79

(*) ● 65 أ.

يَا ابْنَ النَّبِيِّ الهَاشِمِيِّ مُحَمَّدٍ ... قُلْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ أَنَا لَهَا
فَلَقَدْ (قَضَيْتُمْ) [325] لِلْعَرَائِشِ حَاجَةً ... مَعَ طَنْجَةَ فَاقْضُوا (الَّذِي) [326] آمَالَهَا
عَارٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونَ أَسِيرَةً ... بِجِوَارِكُمْ (تَغْزَا) [327] لَهَا
إِنْ لَمْ تَكُونُوا آخِذِينَ بِثَأْرِهَا ... مَنْ ذَا يَفُكُّ مِنَ الوِثَاقِ حِبَالَهَا
لاَ تَسْمَعَنَّ مِنْ جَاهِلٍ وَمُثَبِّطٍ ... وَمُصَعِّبٍ مِنْ جَهْلِهِ أَحْوَالَهَا
إِنَّ (الَّذِينَ) [328] تَقَدَّمُوا قَدْ جَاهَدُوا ... بِنُفُوسِهِمْ وَبِمَالِهِمْ أَمْثَالَهَا
فَتَمَلَّكُوا أَمْلاَكَهَا وَدِيَارَهَا ... وَ(تَقَاسَمُوا) [329] أَمْوَالَهَا وَرِجَالَهَا
فَابْعَثْ لَهَا أَهْلَ الشَّجَاعَةِ عَاجِلاً ... حَتَّى تَرَاهُمْ (نَازِلِينَ) [330] جِبَالَهَا
وَأَمِدَّهُمْ (بِمَؤُونَةٍ ومَعُونَةٍ) [331] ... (كَيْمَا) [332] تُقَطِّعُ بِالعَدَا أَوْصَالَهَا
وَارْفَعْ لِهَذَا الغَرْبِ رَأْساً إِنَّهُ ... فِي الضَّعْفِ مَا دَامَ العِدَا (إِنْزَالَهَا) [333]
أَبْقَاكَ رَبِّي (لِلْخِلاَفَةِ) [334] عُدَّةً ... تَقْفُو الشَّرِيعَةَ مُؤْثِراً (أَفْعَالَهَا) [335]
وَاقْبَلْ هَدِيَّةَ مَنْ أَتَى بِنَصِيحَةٍ ... يَبْغِي الثَّوَابَ وَلاَ تَقُلْ مَنْ قَالَهَا [336]

وقال أيضا في ذلك [الفقيه] [337]، الشريف الأديب، أبو محمد عبد السلام ابن الطيب القادري رحمه الله: [الطويل]

* عَلاَ عَرْشُ دِينَ اللَّهِ كُلَّ العَرَائِشِ ... وَهُدَّ بِنَصْرِ اللَّهِ (حِصْنُ) [338] العَرَائِشِ [339]
وَكُلُّ عَرِيشٍ مِنْهُ (تُلَّتْ) [340] عُرُوشُهُ ... وَرُجَّتْ بِهِ رَجّاً صَوَاعِقُ (نَابِشٍ) [341]
وَأَسْلَمَ لِلإِسْلاَمِ مِنْ بَعْدِ كُفْرِهِ ... بِوَقْعِ سُيُوفٍ لاَ بِرَشْوَةِ رَائِشِ
(أَتَاهُمْ) [342] مِنَ الإِيمَانِ جَيْشٌ مُؤَيَّدٌ ... فَنَا جَزَّهُمْ مَا بَيْنَ رَامٍ وَرَائِشِ

(325) في تاريخ الضعيف، ج 1: 179: قاضيتم.
(326) في تاريخ الضعيف ج 1: 179: لذي، وكذلك في الاستقصا ج 7: 76 .
(327) في تاريخ الضعيف، ج 1:179: تبدو .
(328) في تاريخ الضعيف، ج 1:179: الذي.
(329) في الاستقصا ج 76:7: تقسموا.
(330) د: نزلين، والتصحيح من ز،ح، ك.
(331) في تاريخ الضعيف، ج 1:179: بمعونة ربقوة.
(332) في الاستقصا، ج 76:7: كيفما.
(333) في تاريخ الضعيف، ج 1:179: نزالها.
(334) في تاريخ الضعيف، ج 1:179: للخليفة.
(335) ح: أبعالها.
(336) هذه القطعة الشعرية مثبتة في تاريخ الضعيف ج 1:179 ، الاستقصا ج 76:7 .
(337) ما بين المعقوفتين ساقطة من د.
(338) في الاستقصا ج 77:7: قصر.
(339) هذا البيت يوجد في الاستقصا ج 77:7 .
(340) في نشر المثاني ج 50:3 ثلث.
(341) في تاريخ الضعيف، ج 1:177: نائش.
(342) في تاريخ الضعيف، ج 1:177: أتاه.
(*) • 65 ب.

وَثَارَ عَلَيْهِمْ كُلُّ (شَهْمٍ) [343] غَشَمْشَمٍ [344] ... وَكُلُّ كَمِي [345] مُسْرِعِ الضَّرْبِ بَاطِشِ [346]

عَلَوْهُمُ (بِأَسْيَافٍ) [347] أَسَالَتْ رؤُوسَهُم ... فَصَارُوا سَرِيعاً بَيْنَ (طَاوٍ) [348] وَطَائِشِ

وَ(حَاشَدَ هُمْ حَشْدُ) [349] البزاة (بغاتها) [350] ... وقد أثخنوهم (فيها) [351] إِثْخَانَ فَاتِشِ

فَمَا لَبِثُوا أَنْ (طَلَبُوا) [352] الأَمْنَ فِي الوَغَى ... وَذَلُّوا لِدِينِ اللَّهِ ذِلَّةَ دَاهِشِ

وَهَانَ عَلَيْهِمْ كُلُّ هَوْلٍ وَهَائِلٍ ... وَرِبْقَةُ [353] أَسْرٍ بَعْدَ طُولِ (تَهَاوُشِ) [354].

تَرَى كُلَّهُمْ فِي الأَرْضِ بَادِي ذِلَّةٍ ... كَسِيفاً كَئِيباً بَالُهُ غَيْرَ نَاعِشِ

يُسَاقُ بِأَيْدِي الجَيْشِ سَوْقَ مَهَانَةٍ ... يَهُزُّ (كساه) [355] الخَوْفُ هَزَّةَ رَاعِشِ

يَعَضُّ يداً وَ (يَنْتِفُ) [356] الرَّأسَ وَاللِّحَى ... لأنْ لم يَمُتْ مِنْ قَبْلُ مَوْتَ الهَوَارِشِ

كَأَنَّهُمْ الغِرْبَانُ قُصَّ جَنَاحُهَا ... وبُلَّتْ (بِوَبْلٍ) [357] مِنْ سَوَاكِبِ (جَاهِشِ) [358]

هَنِيئاً بِعِزِّ المومنينَ وَجَمْعِهِمْ ... وَإِذْلاَلِ أَهْلِ الكُفْرِ أَهْلِ الفَوَاحِشِ [359]

بِهَذَا (لِيَهْنَ) [360] عَيْشُ كُلِّ (مُوفَّقٍ) [361] ... بِهَذَا لِيَفْرَحْ دَائِماً كُلُّ (عَائِشٍ) [362]

لَنَا النَّصْرُ وَالبُشْرَى لَنَا بِإِمَامِنَا ... هِزَبْرُ الوَغَى غَيْظُ (العِدا وَالمَنَاقِشِ) [363]

(أَبِي) [364] النَّصْرِ إِسْمَاعِيلَ نَاصِرُ دِينِنَا ... وَحَامِي الحِمَى بِالمُرْهَفَاتِ البَوَاطِشِ

زَعِيمُ (سَلاَطِينِ الثَّرَى) [365] وَهُمَامُهُمْ ... وَسَيِّدُ (أَقْيَالٍ) [366] الوَرَى دُونَ (حَائِشٍ) [367]

مَلِيكٌ لَهُ يُمْنٌ (بِهِ صَارَ كُلُّنَا) [368] ... يَرُوحُ وَيَغْدُو فِي (أَجَلِّ) [369] مَعَائِشِ

مُبَارَكٌ مَيْمُونُ النَّقِيبَةِ فِي الثَّرَى ... لَهُ الفَتْحُ فِي أَوْسَاطِهَا وَالهَوَامِشِ

أَبَادَ حُصُونَ الكُفْرِ بِالسَّيْفِ وَالقَنَا [370] ... وَمَا أَذْعَنَتْ مِن قَبْلِهِ (لِمُبَاشِشِ) [371].

---

(343) د، ك: سهم، والتصحيح من ز،ح.
(344) غشمشم: جريء، شجاع.
(345) كمي: المتستر بالدرع أو غيره لحماية الجسد من الطعنات أثناء الحرب.
(346) باطش: من فعل بطش، وتعني الأخذ بالعنف والقسوة.
(347) د، ك: بأسيف، والتصحيح من ز،ح.
(348) في نشر المثاني، ج 51:3 سار.
(349) ز: حاشوهم حوش، ح: حاشدهم حوش. وفي نشر المثاني، ج 51:3: باشرهم حوش. وفي تاريخ الضعيف، ج 177:1:حاشوهم حشو.
(350) في تاريخ الضعيف، ج 1: 177: بقاتها. ولعلهُ تصحيف لم ينتبه إليه محققه.
(351) في تاريخ الضعيف، ج 177:1 :فيه.
(352) ز،ح: طالبوا، وكذلك في تاريخ الضعيف، ج 177:1 .
(353) ربقة: من ربق، وتعني أوقع. وربقة أسر: أي الإيقاع في الأسر.
(354) في نشر المثاني، 51:3 تهارش. وتهارش: الاختلاط والاصطدام أثناء الحرب. وزاد بعد ذلك في نشر المثاني، ج 51:3 بيتين.
(355) ز،ح، خساة. وفي نشر المثاني، ج 51:3: حشاه. وفي تاريخ الضعيف ج1: 177 : خساه.
(356) في تاريخ الضعيف، ج 1: 177: ينتقف. ولعله تصحيف لم ينتبه إليه محققه.
(357) في تاريخ الضعيف، ج 1: 178: بويل.
(358) في نشر المثاني، ج 51:3: حافش. وفي تاريخ الضعيف ج 178:1: حانش،
(359) زاد بعد ذلك في نشر المثاني، ج 52:3 بيتا واحدا.
(360) في نشر المثاني، ج 52:3 : ليهنا.
(361) في تاريخ الضعيف، ج 1: 178: موقف. ولعله تصحيف.
(362) ح: عابش.
(363) في نشر المثاني، ج 52:3: العدو المنافش. وكذلك في تاريخ الضعيف ج 178:1 .
(364) في نشر المثاني، ج 52:3: أبو.
(365) في نشر المثاني، ج 3: 52: أساطين الشرى.
(366) د، ك: إقبال. والتصحيح من ز،ح، ونشر المثاني، ج 52:3 ، وتاريخ الضعيف، ج 1: 178 .
(367) في نشر المثاني ج 52:3: خامش. وفي تاريخ الضعيف ج 178:1: حادش.
(368) د: وكلنا . ك: باصا وكلنا. والتصحيح والتكملة من ز، ح، ونشر المثاني، ج 3: 52 وتاريخ الضعيف، ج 178:1 .
(369) في تاريخ الضعيف، ج 1: 178 : أحلى.
(370) القنا: الرمح.
(371) في نشر المثاني، ج 3: 52 : لبشائش

فَسَلْ (عَامِرِي)[372] مَعْمُورَةً عَنْ فُتُوحِهِ ... وَسَلْ طَنْجَةَ مِنْ قَبْلِ هَذَا العَرَائِش
لَقَدْ كَانَ دِينًا فَتْحُهَا فَانْقَضَى بِهِ ... كَذَلِكَ مَا فِي الأَرْضِ مِنْ كُلِّ هَامِش
* بِهِ سَعِدَتْ أَهْلُ (المَعَارِفِ)[373] كُلِّهَا ... (فَأَشْرَفَ)[374] مَنْ (جَرَاه)[375] لهفة عَاطِش
نَعَمْ إِنَّهُ مِنْ نَبْعَةٍ نَبَوِيَّةٍ ... وَفَرْعٍ زَكِيٍّ طَيِّبِ النَّشْرِ عَارِش
(لِذَاكَ)[376] مُلُوكُ الأَرْضِ طُرًّا تَهَابُهُ ... فَكُلُّهُمْ مَا بَيْنَ (مذهى)[377] وَدَاهِش[378]
لَهُ سَطْوَةٌ فِي أَرْضِنَا هَاشِمِيَّةٌ ... يَذُوبُ لَهَا قَلْبُ الحَسُودِ المُخَادِش
ليهنكَ يَا (ذُخْرَ)[379] المُلُوكِ و (فَخْرِهَا)[380] ... مِنَ اللهِ تَأْيِيدٌ عَلَى كُلِّ (حَائِش)[381]
فَلاَ (تَخْشَ)[382] حَيًّا مَا حَيِيْتَ فَإِنَّهُ ... لَكَ النَّصْرُ عند الملتقى وَ(التَّهَاوُش)[383]
عَلَيْكُم مِنَ الرَّحْمَانِ عين كلاءة ... تُصَاحِبُكُمْ عِنْدَ اشْتِدَادِ المَدَاهِش[384]
وَدَامَ لِكُلِّ المُسْلِمِينَ ظِلاَلُكُمْ ... وَدُمْنَا بِهِ فِي طَيِّبَات (المَعَائِش)[385]

[فتح أصيلا]

ثم قال الناظم -رحمه الله- مشيرا للفتح الرابع وهو فتح أصيلا بقوله:

وَمَرْسَى أُصِيلاً مِنْ هَوَى فَرْطِ حُبِّهَا ... تَجُرُّ ذُيُولَ التِّيهِ مِثْلَ الكَوَاعِبِ
فَلِلَّهِ يَا لِلَّهِ مَلِكٌ لِنَاصِرٍ ... تَجَلَّى عَلَى التَّأْيِيدِ فَوْقَ الحَوَاجِبِ

الهوى: مقصور ميل النفس للشهوات، والحب معلوم. والذيل : ما يلي الأرض من القميص، والتيه: الضلال عن الطريق، تقول: تاه الإنسان في المفازة يتيه تيها إذا ضل عن الطريق، ومنه يستعار لمن أفرط في عدم الوصال لزيادة العشق، والتيه: بالكسر الكبير، والكواعب: جمع كاعب، وهي ما نهد ثديها.

---

(372) في تاريخ الضعيف، ج 1: 178: عامراً.
(373) في نشر المثاني، ج 3:52: المغارب.
(374) في نشر المثاني، ج 3:52: فبالشرق.
(375) في تاريخ الضعيف، ج 1: 178: صداه.
(376) في تاريخ الضعيف، ج 1: 178: بذاك.
(377) د: مرمى، والتصحيح من ز، ح، ك، ونشر المثاني، ج 3: 52 ، و تاريخ الضعيف ج 1: 178 .
(378) زاد بعد ذلك في نشر المثاني، ج 3:52 بيتا واحدا، وكذلك في تاريخ الضعيف، ج 1: 178 .
(379) في نشر المثاني، ج 3:53 : فخر.
(380) في نشر المثاني، ج 3:53: ذخرها.
(381) ز،ح، ك: جانش، وكذلك في تاريخ الضعيف ج 1:178 . وزاد بعد ذلك في ك بيتا واحدا، وكذلك في نشر المثاني، ج 3:53 ، وتاريخ الضعيف، ج 1:.178 وهو: لك الفتح ممدوح فجاهد عدونا ... وحشهم وما أوفى لهم كل حائش
والملاحظ أن الكلمتين (لهم كل) كتبت في تاريخ الضعيف في كلمة واحدة هكذا: لكل.
(382) د، ح، ك: تخشى، والتصحيح من ز.
(383) في نشر المثاني، ج 3:53: التهاوش.
(384) هذا البيت لا يوجد في نشر المثاني ج 3:53 .
(385) في تاريخ الضعيف، ج 1: 178: المداهش.
(*) هذه القصيدة توجد في نشر المثاني، ج 3:50-53 ، وتاريخ الضعيف ج 1:177-178 .
66 - أ.

والمعنى أن فتح أصيلا وهي كورة بقرب العرائش كان في سنة إثنين ومائة وألف[386]، وإليه رمز بقوله: من (هوى)[387] إذ هذه الحروف هي جملة العدد المذكور، وشبهها بجارية تتيه على عاشقها لما تعلمه من فرط حبه لها كما هي عادة الكواعب. وقال بعض من قيد ذلك: ثم بعد فتح العرائش انتقل المجاهدون لحصار أصيلا فنزلوا عليها، وحاربوا أهلها سنة كاملة إلى أن لحقهم الجهد، فطلبوا الأمان لأنفسهم فأمنهم المسلمون على حكم السلطان. وبالليل ركبوا سفنهم وذهبوا لبلادهم.

والذي يظهر أنهم الإصبنيول، لأن طاغيتهم هو الذي مدّ محمد الشيخ كما سبق[388]، على أن تكون سواحل برّ العدوة بمدنها وقراها للطاغية وما عدا ذلك للسلطان محمد، فعبر بمن معه، من المدد البحر، ورسى*المراكب على أصيلا[389]، هذه التي هي شرق العرائش، ثم نزل بتهدرات، فتعين أن يكون الإصبنيول بقي بها من ذلك العهد إلى هذا التاريخ دخلها المسلمون، وعمرها أهل الريف، وبنى قائدهم بها مسجدين وحماما وداراً.

ثم إنه[390] أكد التعجب بقوله: فلله يا لله! من استعظامه لهذا الملك الفخيم الناصر لدين الله مولاي إسماعيل. والتجلي: الظهور. والتأييد: القوة والشدة، والحواجب: جمع حاجب وهو العظم فوق العين.

ومعنى البيت: التعجب من هذا الفتح العظيم، والملك الذي لم يكن لأحد تقدمه الذي هو ظاهر على القوة والشدة أي بالقوة والشدة (التي)[391] هي التأييد فوق الحواجب أي فوق الرؤوس، فهو كالتاج بالنسبة لما سواه، وهو كذلك.

[أعمال المولى إسماعيل]

ومما يدل على ضخامة ملكه -رحمه الله- وانفراده بما لم يكن لغيره، ويشهد له بذلك محاولته أن يجعل مسارح مكناسة الزيتون ومزارعها داخل السور منها، فبنى من ذلك ما هو معلوم ومشهور، وبنى فيها المنازل والقصور، وخلد بها مآثر لا يفنيها تطاول الأزمنة والدهور، وذلك أنه - رحمه الله- لما أقلع عن حصار فاس وعاد إلى مكناسة الزيتون، وذلك

---

(386) سنة 1102 هـ/ 1690 م.

(387) د، ك: هوا.

(388) انظر هذا المقصد السابع من الجزء الأول ص 305 .

(389) التباس. إن أصيلا احتلت من طرف الإسبان سنة 989 هـ 1581 أي قبل أن يسلم محمد الشيخ المأمون العرائش إلى الإسبان (1019 هـ/ 1610 م). وتخلى عنها الخضر غيلان سنة 1079 هـ/ 1668 بعد أن كانت خاضعة له خلال ثورته بالشمال الغربي. ثم عادت للإسبان إلى أن استرجعها المولى إسماعيل. انظر: الاستقصا ج 7: 38 ، المغرب عبر التاريخ ج 3: 48-49 .

(390) أي الناظم.

(391) في جميع النسخ: الذي، واقتضى السياق تصحيحها.

(*) + 66 ب.

سنة أربع وثمانين وألف[392]، هدّم[393] ما يلي القصبة من الدور وأمر أربابها بحمل أنقاضها، وبنى لهم سوراً على الجانب الغربي، وأمرهم ببناء دورهم به، وهدم الجانب الشرقي كله من المدينة وزاده في القصبة القديمة، ولم يبق أمامه إلا الفضاء فجعله قصبة. وبنى سور المدينة وأفردها عن القصبة وأطلق أيدي الصناع بالبناء، وجلبهم من حواضر المغرب، فلم يبلغ بذلك مراده، ففرض العملة على قبائل المغرب مناوية، كل قبيلة توجه عددا معلوما من الرجال والبهائم في كل شهر، ورتب على أهل الحواضر الصناع في كل شهر من البنائين وغيرهم من جميع أهل الصنائع، وأسس المسجد الأعظم بداخل القصبة بجوار قصر النصر الذي كان أسسه أيام أخيه المولى الرشيد، ثم أسس الدار الكبرى العظيمة التي بجوار ضريح الولي الأكبر سيدي عبد الرحمان المجذوب[394]، ولما فرغ من قتال أبي العباس الدلائي كما تقدم[395] ورجع إلى مكناسة أقام بها يقف على بنائه فكان كلما[396] أكمل قصرا أسس غيره * ولما ضاق مسجد القصبة بالناس أسس الجامع الأخضر، وجعل له بابا للمدينة يدخل منه أهلها، وجعل لهذه القصبة أبوابا عادية في غاية السعة والارتفاع مقبوة، وفوق كل باب منها برج عظيم من المدافع النحاسية العظيمة الأجرام و(المهارس)[397] الحربية العظيمة الأشكال ما يقضى منه العجب، وجعل بهذه القلعة بركة عظيمة (تسبح)[398] فيها الزوارق للفرجة، وجعل بها هريا[399] - مخزن الزرع- فيه عشرون بلاطا مقبوة، وجعل بجواره سواني للماء في غاية العمق مقبوا عليها بأقواس هائلة، وفوقها صقالة (مربعة)[400] عليها مدافع ترمي لكل ناحية، وجعل بهذه القلعة - أيضا- اصطبلا لربط خيله ويغاله طوله نحو الفَرسَخ[401] مسقف الدائرة بالبرشلة على (سواري)[402] وأقواس هائلة، كل فرس مربوط في قوس، وبين الفرس والفرس عشرون شبراً يقال أنه كان بهذا الأصطبل إثنا عشر ألف فرس مع كل فرس سائس ونصراني[403] ويشق هذا الاصطبل ساقية ماء مقبوة الظاهر، وأمام كل فرس محل منها مفتوح كالمعدة لشربه، وفي هذا الاصطبل هري مقبو، تحت الأرض وعلوه فوقها نحو القامتين مقبو، وله (منافذ)[404]

---

(392) سنة 1084 هـ / 1673 م.

(393) من هنا يبدأ التطابق لكثير من الألفاظ مع الجيش، ج 1:64 ، والاستقصا، ج 7: 49 .

(394) هو عبد الرحمان المجذوب بن عياد بن يعقوب بن سلامة الصنهاجي الدكالي، أبو زيد، المتوفي سنة 976هـ/1568 كان صوفيا زهد في الدنيا وساح في البلاد يعمل على الوعظ والارشاد إلى أن وافته المنية. انظر ابن زيدان، الاتحاف، ج 5:276-278 تاريخ الضعيف ج 1: 106 هامش: 65 .
وإلى هنا ينتهي التطابق لكثير من الألفاظ مع الجيش ج 1:65 ، والاستقصا ج 7:49 .

(395) انظر هذا المقصد السابع من الجزء الأول ص 284 – 285.

(396) من هنا يبدأ النقل من الزياني، البستان الظريف، مخ، خ، ع، ر، 1577 د:30 ، باختلاف يسير في اللفظ، كما يتطابق هذا النقل في كثير من ألفاظه مع الجيش، ج 1: 67 ، الاستقصا، ج 7:54 .

(397) ز: المهاريس، وفي البستان الظريف: 30: المهارز.

(398) في البستان الظريف: 31: تسير.

(399) الهري: مكان يخزن فيه الحبوب أو البضائع التجارية عموما.

(400) في البستان الظريف: 31: مستديرة. وكذلك في الجيش، ج 1:67 .

(401) الفرسخ: مقياس يبلغ نحو ثمانية كيلو متر.

(402) في الاستقصا ج 7:54: أساطين.

(403) وزاد بعد ذلك في البستان الظريف: 31: من الأسارى.

(404) في البستان الظريف: 31: مضاوي.

(*) 167 ◆.

يفرغ منها الشعير لعلف الخيل (يحمل)(405) شعير المغرب كله من شرقي الاصطبل إلى غربيه، وفي وسط الإصطبل (قبة)(406) معدة (لنزول)(407) سروج الخيل على أشكال مختلفة وفيه هري عظيم مربع مقبو على أساطين عظيمة وأقواس هائلة. يقال أنه كان به سلاح ومهمات الخيل. وضوءه من (شبابيك)(408) في نواحيه الأربعة كل شباك يزيد وزنه على قنطار من الحديد، وفوق هذا الهري من أعلاه قصر يقال له: المنصور، لا يقصر ارتفاعه عن مائة ذراع: خمسون في الأسفل وخمسون في الأعلى، فيه عشرون قبة كل قبة فيها (شرجم)(409) عليه شباك من حديد يشرف منه أهل القبة على بسائط مكناسة من الجبل إلى الجبل، وكل قبة بالبرشلة والقرمود، منها أربع (قبب)(410) متقابلات سعة كل واحدة منها (سبعون)(411) شبراً تربيعية. وعلى لسان حال هذا القصر تلكم أدباء(412) العصر فقال وأجاد: [الوافر]

أَنَــا قَــصْــرُ الـعِــتَــاقِ مِــنَ الجِيَــادِ ... بَــنَــانِــي الــلَّــهُ فِــي نَــحْــرِ (الأَعَــادِ)(413)
* عَلَــى يَــدِ عَـبْـدِهِ المَنْـصُـورِ حَـقّـاً ... وَصُلْتُ عَلَـى القُصُـورِ بِكُلِّ (نَـادِ)(414)
وَكَـيْــفَ لاَ أَصُــولُ عَـلَــى المَبَــانِــي ... وَاِسْــمَــاعِــيــلُ قَــدْ أَسْــمَــى (عِـمَـادِ)(415)
وَشَـيَّــدَنِــي بِــتَــوْفِــيــقٍ وَيُــمْــنٍ ... وَعَــمَّـــرَنِـــي بِـــآلاَتِ (الجِـهَـــادِ)(416)
وَدَوَّعَ (بِــــي)(417) الصَّلِيبَ وَعَـابِدِيـهِ ... فَــنَــالَ الــعِــزَّ مِــنْ رَبِّ الــعِــبَــادِ
أَدَامَ الــلَّـــهُ مُــلْــكَــهُ فِــي هَــنَــاءٍ ... وَ(أَعْقَـابِـهِ)(418) إِلَـى يَـوْمِ (التَّـنَـادِ)(419)

ويتخلل هذه القصور التي في القلعة (مماشي)(420) مستطيلة متسعة وأبواب عظيمة فاصلة بين كل ناحية والأخرى، ورحاب عظيمة مربعة لعمارة (المشور)(421) في كل جانب لا يحيط بها الوصف، وذلك شيء لم (يُبن)(422) مثله في دولة عربية ولا عجمية، قال

---

(405) في البستان الظريف: 31 : يسع.
(406) في البستان الظريف: 31: قبب.
(407) في البستان الظريف: 31: لوضع.
(408) في جميع النسخ: سبابك، والتصحيح من البستان الظريف: 31 .
(409) ز: سرجم. وفي البستان الظريف: 31: صرجم. وفي الاستقصا ج 55:7 : طاق. وكل هذه الكلمات هي كلمات عامية مغربية مازالت مستعملة إلى الآن، وتطلب على النافذة.
(410) د، ح، ك: قباب. والتصحيح من ز، والبستان الظريف: 31 .
(411) في جميع النسخ: أربعون. والتصحيح من البستان: 31 الجيش، ج 68:1 الاستقصا ج 55:7 .
(412) ذكر الإفراني في روضة التعريف: 62 أن هذا الأديب هو: أبو حفص عمر المراق.
(413) د، ح، ك: الأعادي، وكذلك في الروضة 62: والتصحيح من ز.
(414) في الروضة: 62: نادي.
(415) في الروضة: 62: عمادي.
(416) د: العماد. والتصحيح من ز، ح، ك، والروضة: 62 .
(417) في الروضة: 62: في .
(418) في الروضة: 62: أعقبه .
(419) في الروضة: 62: التنادي. وهذه الأبيات توجد في الروضة: 62 إنها لا توجد في البستان الظريف: 31 الذي ينقل منه المؤلف، ولا في الجيش ج 68:1 ولا في الاستقصا ج 55:7 .
(420) في الاستقصا ج 55:7: شوارع.
(421) د، ح، ك: المشهور. والتصحيح من ز، والبستان الظريف: 31 و الجيش. ج 68:1 والاستقصا ج 55:7 . والمشور كلمة مغربية تعني ساحة القصر.
(422) د، ح، ك: يبق. والتصحيح من ز، والبستان: 31 .
(*) 67 ب .

[أبو] [423]القاسم الزياني: ولقد شاهدنا آثار الأقدمين بالمشرق والمغرب والترك والروم. فما رأينا مثل ذلك في دولهم وآثارهم، بل لو اجتمعت آثار ملوك الإسلام وقوبلت بما بناه المولى إسماعيل في قلعة مكناسة دار ملكه لرجح بها [424] انتهى. ولله در القائل: [الكامل].

هِـمَـمُ المُلُـوكِ إِذَا أَرَادُوا ذِكْـرَهَـا ... مِـنْ بَـعْـدِهِـمْ فَـبِـأَلْـسُنِ الـبُـنْـيَـانِ
إِنَّ الـبِـنَـاءَ إِذَا تَـعَـاظَـمَ قَـدْرُهُ ... أَضْـحَـى يَـدُلُّ عَلَـى عَظِـيمِ الشَّـانِ[425]

ثم قال الزياني: ولازال ذلك البناء مع طول الدهر قائما كالجبال لم تؤثر فيه الزلازل ولا عواصف الرياح، ولا كثرة الأمطار والثلوج التي تخرب المباني، ومن يوم مات السلطان والملوك من أولاده وحفدته يخربون تلك القصور ويبنون بأنقاضها من خشب، وزليج، ورخام، وأجور وقرمود، ومعدن، إلى وقتنا هذا، وبنيت من أنقاضها مساجد، ومدارس، ورباطات بكل بلد، وما أكملوا نصفها نحو المائة سنة، وأما البناء فلا زال كالجبال الشوامخ، وكل من شاهد ذلك من سفراء الروم والترك يتعجب من عظمته، ويقول: ليس هذا من عمل بني آدم، ولا يقوم به مال[426] عصر! وهنا يحسن -أيضا- (إنشاء)[427] قول ابن جابر الغساني[428] من أهل مكناسة: [الكامل].

(لاَتَنْكَرَن)[429] الحُسْـنَ مِنْ مَكْنَاسَـةٍ ... فَـالحُسْنُ لَـمْ (يَبْرَحْ)[430] بِـهَا مَعْرُوفَا
وَلَـئِـنْ مَـحَـتْ أَيْـدِي الـزَّمَـانِ رُسُـومَـهَـا ... فَـلَـرُبَّـمَـا أَبْـقَـتْ هُـنَـاكَ حُـرُوفَـا[431]

* هذا وفي سنة تسع وتسعين[432] أمر ببناء مدينة الرياض متصلة بقلعة مكناسة، فبُنيت، وكانت زنة مكناسة وبهجتها، إذ كل من له وظيف في الخدمة السلطانية بنى داره فيها، وتنافس العمال والقواد في بناء القصور والدور بها، فقد كان بدار علي ويشي الزموري أربع وعشرون حلقة يجمعها باب واحد، وكانت دار عبد الله الروسي وأولاده كذلك بل أعظم منها كأنها حومة، وكذلك بنى بها غيرهما من القواد والكتاب مثل ذلك، وبنى كل عامل مسجدا بحومته ويوسطها المسجد الأعظم الإسماعيلي، ومدرسته، وحمامه، وأسواقه الموقوفة عليه. وكانت تنفق فيها البضائع التي لا تنفق في غيرها.

---

(423) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، والتكملة من ز،ح، ك.
(424) انظر: البستان الظريف: 31 باختلاف يسير في اللفظ.
(425) البيتان لا يوجدان في البستان الظريف: 31 ولا في الجيش 68:1 ولا في الاستقصا ج 56:7 .
(426) إلى هنا ينتهي النقل من البستان الظريف: 31 ، باختلاف يسير في اللفظ، كما ينتهي التطابق لكثير من الألفاظ مع الجيش 68:1 والاستقصا ج 56:7 .
(427) ز: إنشاد.
(428) هو: محمد بن يحي بن جابر الغساني المتوفي سنة 827 هـ/ 1424 م: فقيه أديب وله مشاركة في بعض العلوم .أنظر: درة الحجال ج 2:278-279- إتحاف أعلام الناس، ج 3:590-594 شجرة النور: 251-252 الدليل، ج 2:415 الموسوعة ج 1:57 تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ، ج 6:623-625 الأعلام للزركلي ج 7:139 فهارس الخزانة الملكية، ج 1:341 ، معجم المؤلفين، ج 9:146 المصادر العربية ج 1:124 .
(429) د، ح، ك: لأشكرن، والتصحيح من ز، والروض الهتون: 10 .
(430) د، ك: يزل، والتصحيح من ز، ح، والروض الهتون: 10 .
(431) البيتان يوجدان في الروض الهتون: 10 .
(432) أي سنة 1099 هـ/ 1687 م.
(*) 68أ .

وفي هذه المدينة يقول الفقيه الأديب أبو حفص عمر الحراق [433] لما بنيت واستقر بها كتاب الحضرة من قصيدة: [الوافر].

أُكُتَّابُ الإمَـامِ لَـقَـدْ (سَـعِـدْتُـمْ)[434] بِـآثَـارٍ لِـسَـيِّـدِنَـا سَـدِيـدَةْ
دَنَـوْتُـمْ مِـنْ قُـصُـورِ أَبِـي المَعَـالِـي وَقَـدْ كَـانَـتْ مَـنَـازِلُـكُـمْ بَـعِـيـدَةْ
وَمَـا دَارٌ تَـقْـرُبُ مِـنْـهُ إلاَّ مُـبَـارَكَـةٌ بِـلاَ رَيْـبٍ سَـعِـيـدَةْ

وقد أجازه السلطان على هذه القصيدة بأربعمائة مثقال نفذها له عند عامله الباشا علي بن عبد الله الريفي والي طنجة وأعمالها فقبضها منه رحم الله الجميع.

ثم في سنة إحدى ومائة وألف [435] بنى السلطان قاع وردة بداخل مكناسة.

وفي سنة أربع ومائة [436] أمر ببناء قنطرة ابن يش خارج المدينة.

وفي السنة التي بعدها بنى باب الجديد.

وفي سنة سبع[437] أكمل بناء باب البراذعيين أحد أبوابها.

وفي سنة عشر ومائة[438] بنى جامع الأنوار وجامع الزيتونة.

وأنشد الوزير أبو عبد الله محمد بن إدريس[439] عندما شاهد تلك المباني الهائلة والقصور الحفيلة الموصوفة: [الكامل].

قُلْ لِلَّذِيـنَ اسْتَعْظَمُوا مِنْ جَهْلِهِمْ إِيـوانَ كِسْرَى[440] أَوْ بِـنَـا الأَهْـرَامِ
لَـمْ يَـبْـقَ مَـلِـكٌ قَـدْ تَـقَـدَّمَ مَـا بَـنَـى مَـوْلاَيَ إِسْمَاعِيلُ فِـي الإِسْلاَمِ[441].

تاريخ بناء ضريح مولانا إدريس الأكبر رضي الله عنه

وفي سنة تسع ومائة[442]، أمر ببناء ضريح الإمام مولانا إدريس الأكبر بزرهون، فشيد القبة، وبنى الجامع، والمنار، والمدرسة، والحوانيت والحمام، والفندق * والديار للأضياف والزوار، والمساجد، والمكاتب لتعليم الصبيان، وديار الوضوء، والسقايات،

---

(433) هو أبو حفص عمر الحراق، ولد ونشأ بشفشاون، وبرع في الأدب والشعر، وولاه المولى إسماعيل منصب الوزارة. انظر: ابن زيدان، الإتحاف، ج 5: 485-489 ، ابن إبراهيم، الإعلام، ج 9:294-298 ، ابن سودة، الدليل ، ج 2:389 .

(434) د، ك: سمعتم، والتصحيح من ز،ح .

(435) سنة 1101 هـ/ 1689 م.

(436) أي سنة 1104 هـ / 1692 م.

(437) أي سنة 1107 هـ 1695 م.

(438) أي سنة 1110 هـ/ 1698 م.

(439) هو: محمد بن إدريس بن محمد العمراوي الأزموري الفاسي أبو عبد الله، المتوفى سنة 1264هـ/1847م : عمل في ديوان الإنشاء، ثم وزيرا للمولى عبد الرحمان بن هشام، كان أديبا ضليعا وشاعرا مشهورا. انظر: الإعلام للمراكشي، ج 6:263-288 فواصل الجمان لمحمد غريط: 40-60 إتحاف أعلام الناس، ج 4:189-239 ذكريات مشاهير رجال المغرب الجزء الأول رقم الترجمة 3 ، الأعلام للزركلي ج 6:27-28 الحياة الأدبية: 409-420 ، التيارات السياسية: 237 - 244 ، المصادر العربية، ج 2: 17 ، 28 ، 57 ، مجلة البحث العلمي العدد الأول السنة 1964 (مقال للناصر الفاسي) ص: 158-159 .
-G. Deverdun. Ency. de l'islam. T3. P: 829

(440) إيوان كسرى: منشآت وبناءات يضرب بها المثل في العظمة والعلو بالمدائن (مدائن كسرى). انظر: معجم البلدان ج 1:294 .

(441) البيتان لا يوجدان في ديوان محمد بن إدريس العمراوي .

(442) أي سنة 1109 هـ / 1697 .

(*) • 68 ب.

وبنى القبة التي على المولى راشد القرشي. وأدار السور على الجميع، وبنى قنطرة الوادي وقنطرة أخرى بناحية قصر فرعون، وكان تمام القبة والجامع وما أضيف إليهما سنة عشر ومائة وألف[443]، وكان ذلك على يد خديمه الباشا محمد بن الأشقر وبعض كتابه، فرغب الناس في سكنى زرهون، كذا وجد مقيدا.

وفي البستان: كان ابتداء بناء الضريح المذكور سنة إثنين وثلاثين ومائة وألف[444]، وإكماله سنة أربع وثلاثين[445] وذلك بعد أن اشترى السلطان الأصول المجاورة له فزادها فيه[446] انتهى .

وفي سنة إحدى وثلاثين[447] أمر بتجديد مسجد الشرفاء بفاس مدفن الإمام مولانا إدريس بن إدريس الأكبر وتشييد قبة الضريح الشريف، فبنيت القبة، وجعل عرضها كطولها ستون ذراعا في كل وجه و(كمل)[448] سقفها في آخر ذي الحجة من السنة المذكورة[449] ثم وسع المسجد الخارج عنها، وأدخلت فيه حوانيت ودور، ثم بنيت صومعته والسقاية وباب الحفاء مكان المطهرة القديمة، وبنيت مطهرة أخرى مع دويرية متصلة بها لنزول من يستجير بالضريح الكريم، وجعلت خصة بصحن المسجد، أجرى الماء لها من الوادي، وكان عدد ما صُير على ذلك من بيت المال خاصة ستة آلاف مثقال وما زاد على ذلك من مال وطعام وحمل بهائم فمن عند الناس عن رضى (منهم)[450] وطيب نفس بل رغبة منهم في ذلك والله أعلم.

تاريخ ظهور قبر مولانا إدريس باني فاس

وقد كان قبر مولانا إدريس هذا غير ظاهر ولا معروف المحل على التعيين وسبب (اختفائه)[451] عدم اعتناء ولاة البربر كبني العافية المكناسيين، ومغراوة، وبني يفرن، وذلك أنهم لما ضايقوا الأدارسة وأجلوهم عما قرب من فاس، وشردوا شيعتهم وأتباعهم بالإذاية والإهانة حتى لم يبق أحد منهم بقرب فاس، أهملوا القبر الشريف ولم يجيروا من استجار به، وكانوا إذا ظهروا على أحد قام ببعض احترامه بالغوا في إذايته، واستمروا على ذلك إلى أن خفي القبر، ولم يبق من يعرف أين هو من المسجد، ثم لما طهّر الله البلاد منهم بلمتونة المرابطين،

---

(443) سنة 1110 هـ / 1698 م.
(444) سنة 1132 هـ/ 1719 م.
(445) أي سنة 1134 هـ / 1721 م.
(446) انظر: البستان الظريف: 44 بتصرف.
(447) أي سنة 1131 هـ / 1718 م.
(448) ح: كل.
(449) أي في ذي الحجة من سنة 1131 هـ/ أواسط نوفمبر من سنة 1719 م.
(450) كررت في د.
(451) د، ك: اختلافه. والتصحيح من ز، ح.

وأراد إظهار قبر هذه البضعة النبوية الذي صاحبها أمان لهذه المدينة التي هي حسنة من حسناته جعل *السبب لإظهاره ما هو منقوش (بالمرمرة)[452] الموالية له في الحائط، ونص المراد منها: لما قضى الإمام إدريس -باني فاس- نحبه، ودفن بمسجد الشرفاء، ولم يكن قبره معينا وأراد الله إظهاره رحمة ولطفا خص به هذه الأمة، اتفق أن اختبر أساس حائط (القبة)[453] من الجانب الأيسر، لما عسى أن يصلح فيه، فعثر على القبر الكريم الأطهر، ووجد اللحد قدْ أبلت الليالي رسمه فلم يبق منه إلا القليل، والعظم المرحوم باقٍ بحاله لم يكن للأرض عليه سبيل، فحضر إذْ ذاك سليله الأكرم السيد الشريف أبو الحسن علي بن عمران والوزير الحافظ لودهم، القائم بإظهار عزهم الراغب في إحياء سنة جدهم الماجد المجاهد أبو زكرياء يحي بن زيان، وحضر معهما إمام الفتيا، الفقيه ذو الرتبة العليا، أبو محمد عبد الله العبدوسي، واستشاره فيما ينبغي أن يقام فيه بحق ذلك الضريح الكريم، فأشار أن يعلم بتسنيم، وأن يجتنب وضع النعال عليه لواجب التكريم، ووقع الاتفاق على كتب هذه الأسطر في الحائط المذكور (موازيا)[454] للضريح المبرور، وأن يكون علامة عليه وبرهانا، وليعود الخبر عيانا، وكان هذا فضلا من الله وإحسانا، وطولا على أهل هذا العصر وامتنانا، وكان العثور على القبر المذكور وقت كتبه في شهر رجب المبارك عام أحد وأربعين وثمانمائة[455] انتهى باختصار وتغيير يسير في العبارة لأمر أوجبه الحال مع استيفاء المعنى.

وبعد الفراغ [456] من بناء المسجد بحث في قبلته الفقيه الموقت سيدي العربي بن أحمد الفاسي. واستدل بما هو مذكور في تأليف له. ولما بلغ خبر بحثه للسلطان أمر بتجديده ثانيا إن صح ما قاله سيدي العربي المذكور، فاجتمع لذلك أئمة الوقت واتفقوا على أن البحث لا يوجب هدمه وبناءه ثانيا وإن كان البحث صحيحا، ويمكن التفصي عنه بانحراف المصلي، وقد جرى العمل بالقرويين بالتنبيه على ذلك، فيقول المؤذن بأعلا صوته بعد الفراغ من الإقامة: حرفوا بتحريف الإمام يرحمكم الله. واتفق رأيهم على ذلك لمصلحة، وكتبوا للسلطان بعدم الهدم [457]. والمسألة مشهورة في كتب الفقه فلا نطيل بما قيل فيها. ثم أمر السلطان بإقامة الجمعة في المسجد المذكور، وإمامها وخطيبها: الشيخ أبو عبد الله المسناوي، * واستمرت إقامتها فيه إلى الآن، وكانت تقام أولا بمسجد الأشياخ من عدوة فاس الأندلس، وبمسجد الأشراف، وبناء مسجد الأشياخ قبل بناء مسجد الشرفاء

---

(452) ن ح: بالمروة، والمرمرة: مفرد المرمر، وهو نوع من الرخام الجيد.
(453) في نشر المثاني، ج 3:243: القبلة.
(454) في نشر المثاني: ج 3: 244: مواريا.
(455) عام 841 هـ/ 1437 م. وهذا النص يوجد في نشر المثاني، ج 3:243-244 باختلاف يسير في اللفظ.
(456) من هنا يبدأ تطابق كثير من الألفاظ مع نشر المثاني ج 3:241 .
(457) إلى هنا ينتهي تطابق كثير من الألفا مع نشر المثاني ج 3:242 .
(*) • 169.
(*) • 69 ب.

[بعام، فهو العتيق، ثم نقلت من مسجد الأشياخ إلى مسجد الأندلس، ومن مسجد الشرفاء][458] إلى مسجد القرويين فأعطى كل من المنقول إليه حكم المنقول عنه، فصار على هذا مسجد الأندلس هو العتيق. وإذا لم يعتبر النقل فالعتيق هو مسجد مولانا إدريس لأن إقامة الجمعة به قبل إقامتها في كل من الأندلس والقرويين انتهى ممن قيده.

[رجوع المؤلف لأعمال المولى إسماعيل]

وقد طال الكلام بذكر أشياء لها تعلق بالمقام، والمقصود بالذات ذكر أبنية هذا الإمام الدالة على عظيم ملكه، وعليه فنقول: لما نقل السلطان زرارة والشبانات من الحوز، وأنزلهم بوجدة -كما تقدم- [459] وولى عليهم العياشي الزراري، وأمره بالتضييق على بني يزناسن، لما كانوا عليه من الفساد والميل لجانب الترك، وأمره أن يبني ثلاث قلع بأطراف بلادهم، واحدة بناحية الساحل وهي قصبة سلوان، والأخرى بالعيون، والأخرى على ملوية، وينزل بكل واحدة خمسمائة فارس من إخوانه، ففعل، وبقي هو بوجدة في ألف فارس، فكانوا يمنعونهم من النزول للسهل والحرث فيه.

وبرجوع السلطان من حركة بني يزناسن الكائنة سنة إحدى وتسعين وألف [460] بنى قلعة تاوريرت [461] بزا [462]، وقلعة (بكرسيف) [463]، وقلعة بوادي مسون، وقلعة بتازا بجوار قلعتها القديمة، وأنزل بكل من القلع الثلاث الخارجة (عن) [464] تازا مائة من فرسان عبيده بأولادهم، وأنزل بتازا ألفين إثنين وخمسمائة فارس (بأولادهم) [465] من عبيده أيضا، وولى على الجميع منصور بن الرامي، وعين لكل قلعة قبيلة تدفع بها زكاتها وأعشارها لمونة العبيد وعلف الخيل. ثم لما بلغ الكور من بلاد الحياينة [466] بنى قلعة، ثم بنى قلعة أخرى بالمهدومة وأخرى بالجديدة كلتاهما بين فاس ومكناس [467] وأنزل بكل واحدة مائة

---

(458) ما بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ المعتمدة. والتكملة من نسخة م، ونشر المثاني، ج 241:3 ليستقيم المعنى.

(459) يقصد: هذا المقصد السابع من الجزء الأول ص 296-297 .

(460) سنة 1091 هـ / 1680 م.

(461) في الاستقصا ج 62:7 أن الذي بنى قلعة تاوريرت هو يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، وأن المولى إسماعيل جددها بالبناء وأنزل فيها مائة فارس من عبيده بعيالهم وأولادهم.

(462) زا: أصبحت تشكل إحدى الجماعات بدائرة تاوريرت بإقليم وجدة. أنظر: الموسوعة. معلمة المدن (ملحق 2): 61 .

(463) ك: أكرسيف.

(464) ن: من .

(465) د: بأولاده. والتصحيح من ن، ح، ك.

(466) الحياينة: قبيلة عربية استقرت منذ العصر السعدي في شمال شرق فاس بين نهر سبو وورغة بإقليم تاونات. وتتكون من فروع ثلاث: أولاد عمران، أولاد رياب، وأولاد عليان. وقد اشتهرت القبيلة بمساهمتها في الإضطرابات، وأعمال العنف والسلب والنهب وسفك الدماء إلى التاريخ المعاصر، حتى أن المهدي بن محمد أبي عيسى، أنشأ قصيدة سماها: بهجة الأرض في مدح مدينة فاس وأفاضلها وهجو بنو الحياينة الذين نهبوا وسفكوا الدماء بها. كما أن للمؤلف (محمد بن محمد بن مصطفى المشرفي) ألف كتابا على شكل نصيحة يدعو فيه المولى الحسن الأول التدخل في المنطقة بالقوة لردع أهلها عن غيهم وفساد أخلاقهم، ووضع حد لأعمال القتل والسلب... إلخ. وسمى كتابه هذا: منهاج البشري وسعادة الدنيا والأخرى، أنظر: الموسوعة -معلمة المدن- ملحق 187:2، فاس وباديتها لمحمد مزين ج 1: 92، 113 . تاريخ الضعيف، ج 121:1 هامش 155 .

-De la martinière, itinéraire de Fès à oujda P: 10

من الفرسان من عبيده، كما أنزل بقصبة الخميس من فاس خمسمائة من شراقة، الجميع بأولادهم، وكل ذلك (لحراسة) [468] الطرق وحفظها. وكان بكل قلعة فندق لمبيت القوافل.

وفي سنة ثلاث وتسعين[469] أمر بإخراج أهل الذمة [470] من مكناس وبنى لهم ملاحا خارجها ببريمة.

وفي سنة أربع وتسعين وألف[471] في حركته لجبل فازاز بنى قلعة بعين اللوح وأخرى* بأزرو[472]، وأنزل بالأولى خمسمائة فارس، وبالثانية ألف فارس.

وفي حركته لملوية التي جعل طريقه فيها على صفرو بنى قلعة بأعليل وأخرى على وادي ڤيڤو من أسفله، وأخرى على وادي سكورة، وأخرى على وادي تشوكت، وأخرى بدار الطمع، وأخرى بتاميسوت، وأخرى بقصر بني مطير، وأخرى بوطاط[473]، وأخرى (بالقصابي)[474]. وأنزل بكل قلعة أربعمائة من فرسان عبيده بأولادهم.

وفي حركته لجبل فازاز[475] التي طلع إليه فيها من الناحية الغربية بنى قصبة أدخسان، وجعلها بمحل القديمة التي بناها يوسف بن تاشفين، وخربت، وأنزل بها ألف فارس بالأفراد وخمسمائة فارس من عبيد دكالة الذين كانوا بوجه عروس، كما أنزل بالزاوية الدلائية مثل العدد المذكور من عبيد الشاوية الذين كانوا بوجه عروس أيضا، والكل بأولادهم.

وفي سنة إحدى عشرة ومائة [476] أمر ولده الخليفة بتادلا المولى أحمد الذهبي بالزيادة في قصبتها، فبنى قصبة جديدة، وبنى بها قصره ومسجدا من أعظم المساجد، وبنى السلطان أيضا قلعة بتَزِيمي من أرض سجلماسة، أنزل بها ولده المأمون الكبير لما

---

(467) لعله التباس، فالمهدومة أو الجديدة تقع على ساحل المحيط الأطلسي جنوب غرب المغرب، وبالتحديد بين مدينة أزمور وتيط، وليس بين فاس ومكناس كما هنا في المتن إذا كان المؤلف يقصد التحديد الجغرافي، ومن حيث التحديد السياسي، فإن الناصري (الإستقصا ج 63:7) أشار إلى أن الجديدة هي من أعمال مكناسة. ونشير إلى أن المهدومة اتسع عمرانها، والمولى محمد بن عبد الله هو الذي سماها بالجديدة حسب الضعيف في تاريخه (ج 305:1) وانظر تعريفها في الهامش رقم 324 من هذا المقصد السابع.

(468) د،ك: لحراصة. والتصحيح من ز،ح.

(469) أي سنة 1093 هـ/ 1682 م.

(470) ذكر الضعيف في تاريخه (ج 169:1) أنهم يهود، وأسكن المولى إسماعيل مكانهم أهل تافيلالت الذين استقدمهم من سكناهم بفاس .

(471) سنة 1094 هـ / 1682 م.

(472) أزرو: مدينة بالأطلس المتوسط الشمالي الغربي، تحتل موقعا جغرافيا استراتيجيا سهل الاتصال، شكلت عبر التاريخ ممر عبور على طول الطريق التقليدي الرابط بين فاس ومراكش من جهة ومكناس وتافيلالت من جهة أخرى. ومن أسباب بناء المولى إسماعيل قلعة بها: الحد من حركة عصيان القبائل المجاورة لها، والحد من حركة هجرة القبائل البربرية - الشبه ترحالية- من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي، مثل قبائل زمور، كروان، وبني مطير. وعند قدوم المولى الحسن الأول للمدينة بنى بها مسجدا وقصرا لإسكان الوافدين من الجنوب، ويعرف حاليا بدرب أيت غريس. ونظرا لموقعها فإن السلطات الفرنسية عند احتلالها سنة 1332هـ/1913 م، جعلت منها قاعدة للسيطرة على جبال الأطلس المتوسط والتحكم في الطريق الرئيسية الرابطة بين مكناس وتافيلالت. أنظر: الموسوعة، ج 26:4 معلمة المغرب، ج 1:340-343 .

(473) يقصد: أوطاط الحاج. والمنطقة عبارة عن قصر من القصور (القرى) الجبلية المنتشرة بالأطلس المتوسط على ارتفاع 732 م، فوق هضبة تشرف على وادي ملوية، تبعد عن مدينة كرسيف بنحو 134 كلم. أنظر: ابن العربي، المغرب: 64، ابن عبد الله، الموسوعة، معلمة المدن- ملحق 64:2 .

CH.de Foucauld, Reconnaissance au Maroc. PP: 242-243

(474) ز: بالأقصابي.

(475) لعله يقصد: الحركة الأولى لجبل فازاز التي كانت بتاريخ شهر ذي الحجة من عام 1094 هـ / 21 نوفمبر - 19 دجنبر 1682 م. وقدتنا ولها المؤلف بشيء من التفصيل في صفحة 439 من هذا المقصد السابع.

(476) أي سنة 1111 هـ / 1699 م.

(*) • 70 أ.

ولّاه على تلك الناحية، وأنزل معه خمسمائة فارس إلى غير ذلك من القلع التي بناها وجملتها على ما ذكره كاتب الدولتين الرشيدية والإسماعيلية سليمان بن عبد القادر الزرهوني(477) في كناشه، ست وسبعون قلعة مفرقة بآفاق المغرب.

وأما ما بناه بسجلماسه من الدور والقصور لأولاده الذين كانوا بها فشيء كثير.

وببنائه لتلك القلع وعمارتها، وتشميره لقتال الطوائف الباغية ومحاربتها، انتظم له ملك المغرب، ولم يبق فيه من يعصي أمره، وسرت مهابته في القلوب حتى كانت المرأة والذمي يخرجان من وجدة إلى وادي نون لا يجدان من يسألهما من أين أو إلى أين! ولم يبق بأرض المغرب سارق ولا قاطع، ومن ظهر عليه شيء وهرب، يوخذ من [كل](478) قبيلة مرّ بها و(من)(479) كل قرية بات بها، وكلما بات مجهول الحال بحلة أو قرية يثقف بها، إلى أن تتبين براءته، وإن تركه الذين بات عندهم، أخذوا به، وهذا أمر لم يكن بالمغرب قبله ولا بعده: [الخفيف]

(ذي)(480) المَعَالِي فَلْيَعلُوَنَ من تَعَالَى … هَـكَـذَا هَـكَـذَا وَإِلاَّ فَـلاَلاَ(481)

*فتعجب الناظم موافق مصيب.

ما غرس من البساتين

وأما بساتينه التي غرسها، فمنها البستان الذي يجاور الإصطبل (482) طوله فرسخ وعرضه ميلان، وفيه من شجر الزيتون وأنواع الفواكه كل غريب.

ومنها جنان حمرية، فقد غرس فيه من الزيتون مائة ألف شجرة، وأوقفه على الحرمين الشريفين، ولما مات [رحمه الله](483)، وتوالت الفتن بالمغرب بسبب ما كان بين أولاده من (المنازعة)(484) في الملك صار الناس يقطعون أشجاره يحتطبون منه، فذهب منه كثير، ولما بويع حفيده [السلطان](485) (الأنجم)(486) سيدي محمد بن عبد الله، أحياه وأجرى الماء له، وأمر بإحصاء ما بقي من عدده، فوجد به ستين ألفا، وكان -رحمه الله- يوجه

(477) هو: سليمان بن عبد القادر الزرهوني، أبو الربيع: كاتب، أديب، وفقيه، توفي بتارودانت. وقد اختلف صاحب النشر وصاحب الجيش في سنة وفاته، فالأول جعلها سنة 1098 هـ / 1686 م، والثاني سنة 1138 هـ /1725 م. انظر: نشر المثاني ج 2:137-338 ، الجيش العرمرم، ج 1:75 .

(478) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(479) ك: في.

(480) في الجيش العرمرم، ج 1: 63 في.

(481) هذا البيت يوجد في الجيش العرمرم، ج 1:63 .

(482) انظر وصف المؤلف لهذا الإصطبل في هذا المقصد السابع من الجزء الأول ص 314-315 .

(483) ما بين المعقوفتين ساقطة من د، ن، ح. والتكملة من ك.

(484) ك: المناركة.

(485) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.

(486) ن: الأفخم.

(*) • 70 ب.

ثمن غلته - كل سنة- للحرمين الشريفين، وكذلك ولده مولاي سليمان [رحمه الله][487] كان يفعل بعده إلى أن اختل نظام دولته في آخر عمره وقام عليه البربر، وحاصروا مكناسة، فاحتطبه الناس أيضاً، ولما بويع ولد أخيه مولاي عبد الرحمان بن [مولاي][488] هشام بعد موته، أحياه واعتنى بأمره، ولازال معتنيا به إلى أن مات، وأعقبه ولده سيدي محمد، ثم ولده مولاي الحسن (فاقتفيا)[489] أثر والدهما المولى عبد الرحمان. ولازال إلى هذا العهد ملحوظا.

[بقية أعمال المولى إسماعيل]

وبالجملة فمآثر مولاي إسماعيل مما لا (تكيفها)[490] العبارة، ولا تحيط (بها)[491] الإشارة، وخصوصا ما بناه بقلعة مكناسة، فإنه خارج عن الحدّ والقياس، لأنه جعل مباني العالم كله في بطن هذه القلعة. وأتقن صنع ذلك كله ووضعه، فهي كما قيل في مثل: جرى[492] كل الصيد في جوف الفرى. واستحسنها لدار ملكه، وفي مدحها أنشد بعض الأدباء: [الطويل]

أَمَكْنَاسَةُ إِنِّي لِرُؤْيَاكِ آمِلٌ ... وَإِنْ عَاقَنِي شُغْلٌ مِنَ الدَّهْرِ شَاغِلُ
فَأَنْتِ (الَّتِي)[493] حُزْتِ المَفَاخِرَ كُلَّهَا ... وَمِنْكِ (تَنَشَّتْ)[494] فِي البِلَادِ الفَضَائِلُ
إِذَا افْتَخَرَتْ مَرَّاكُشُ بِبَدِيعِهَا ... فَفِي القُبَّةِ الخَضْرَا تَضِيقُ الأَقَاوِلُ
وَإِنْ ذُكِرَتْ (مِصْرُ)[495] بِجَامِعِ أَزْهَرٍ ... فَفِي (الجَامِعِ)[496] الخَضْرَا بُدُورٌ كَوَامِلُ
لَكِ الفَخْرُ يَا مَكْنَاسَةُ قَدْ حَوَيْتِهِ ... كَأَنَّكِ بَحْرٌ وَالبِلَادُ جَدَاوِلُ[497]

وقد أنشد أيضا بعض الكتاب: [الوافر]

لَقَدْ بَنَتِ المُلُوكُ بِنَاءَ مَجْدٍ ... بِهِ ذُكِرَتْ عَلَى مَرِّ الدُّهُورِ
* وَأَبْنِيَةُ الإِمَامِ أَبِي الفِدَاءِ ... سَلِيلِ المُصْطَفَى اللَّيْثِ الهَصُورِ
أَتَمُّ ضَخَامَةً وَأَجَلُّ قَدْراً ... وَأَجْمَلُ مَنْظَراً وَبَهِيُّ قُصُورِ
وَفِي كُلِّ البِلَادِ لَهُ حُصُونٌ ... لِتَأْمِينِ المُسَافِرِ فِي المُرُورِ.
وَلَوْ قِيسَتْ مَبَانِيهِ بِمَا قَدْ ... بَنَاهُ مَنْ تَقَدَّمَ فِي عُصُورِ

(487) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(488) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(489) ب: فاقتفا. ك: فاقتفى. والتصحيح من ز.
(490) في جميع النسخ: تكيفه. واقتضى السياق تصحيحها.
(491) في جميع النسخ: به. واقتضى السياق تصحيحها.
(492) زاد بعد ذلك في ز: و.
(493) د، ح، ك : الذي. والتصحيح من ز. والروضة: 51 .
(494) في الروضة: 51: تفشت.
(495) د: مصرى. والتصحيح من ز.ح. ك. والروضة: 51 .
(496) في الروضة: 51: جامع.
(497) هذه الأبيات توجد في الروضة للإفراني: 51 .
(*) • 71أ.

لَـكَــانَ لَــهَـــا اغْــتِـزَازٌ وَافْــتِـخَــارٌ ... بِـبَـهْـجَـةِ حُـسْـنِـهَـا وَ (بِـنَـا الأَمِـيرِ) [498]

فَـدُونَـكَ فَـاسْـتَـمِـعْ قَـوْلِي (نَـصِيحَـا) [499] ... فَــإِنَّ مَــقَــالَــتِـي لَــيْــسَــتْ بِــزُورِ

وَفِــي مَــكْــنَــاسَــةَ الــغَـرا دَلِـيـلٌ ... كَـمِـثْـلِ الشَّـمْـسِ فِـي صِيفَـةِ الظُّـهُورِ

فَــرَحْــمَـــةُ رَبِّـــنَـــا عَــدَدُ الــرِّمَـــالِ ... عَـلَــى مُـلْـكٍ تَـسَـامَـى عَـلَـى الـنَّـظِيرِ

وقد استعان على ذلك - رحمه الله- بمن كان في قبضته من أسارى الكفار، وبمن كان في سجنه من الطغاة أهل الجرائم الكبار، فقد قيل أنه كان في سجنه من الأسارى أكثر من خمسة وعشرين ألفا، فكانوا كلهم يخدمون في بناء قصوره، منهم: الرخامون، والنقاشون، والحجارون، والحدادون، والبناؤون، والنجارون، ومنهم غير ذلك. ولم تسمح نفسه بفداء أسير بمال قط، ومن أهل الجرائم كالسارق، والقاطع، والقاتل، نحو الثلاثين ألفا، وكانوا كلهم يخدمون مع الأسارى، ويبيتون بالسجون والدهالين، ومن مات منهم يدفن في البناء.

وكان -رحمه الله- (تعجبه) [500] مكناسة ويهواها، ولا يطيب له المقام بأرض سواها، لأن خيرها كثير، و(ماءها) [501] عذب نمير [502]، وهواها صحيح، وحوزها فسيح. وفي وصفها العجيب ومربعها الخصيب يقول لسان الدين بن الخطيب: [الكامل]

(فَـالحُسْنُ) [503] مِنْ مَكْنَاسَةَ الزَّيْتُونِ ... قَـدْ صَـحَّ عَـذْرُ الـنَّـاظِرِ (المَفْـتُونِ) [504]

فَـضْـلُ الـهَـوَاءِ وَصِـحَّـةِ المَاءِ الَّـذِي ... يَـجْـرِي بِـهَـا وَ (سَلاَمَـةَ المَـخْزُونِ) [505]

سَـحَّـتْ عَـلَـيْـهَـا كُـلُّ عَـيْـنٍ ثَـرَّةٍ [506] ... لِـلْـمُـزْنِ هَـامِـيَـةِ الـغَـمَـامِ هَـتُـونِ

فَــاحْـمَـرَّ خَـدُّ الـوَرْدِ بَـيْـنَ أَبَـاطِـحِ ... وَافْـتَـرَّ ثَـغْـرُ الـزَّهْـرِ (فَـوْقَ) [507] غُصُونِ

وَلَـقَـدْ كَـفَـاهَـا شَـاهِـداً مَـهْـمَـا ادَّعَتْ ... قَــصَـــبُ الـسَّــبَـــاقِ مِــنْ زَرْهُـــونِ

جَـبَـلٌ تَـضَـاحَـكَـتِ الـبُـرُوقُ بِـجَـوِّهِ ... فَـبَـكَـتْ عِـذَابُ (مِـيَـاهِـهِ) [508] بِعُيُونِ

* وَكَـأَنَّـمَـا هُـوَ بَـرْبَـرِيٌّ (نَـافِذٌ) [509] ... فِـي لَـوْحَـةِ "والـتِّـينِ وَالـزَّيْـتُـونِ" [510]

حُـيِّـيَـتْ مِنْ بَـلَـدٍ خَـصِـيبٍ (أَرْضُـهُ) [511] ... مَــثْــوَى أَمَـــانٍ أَوْ مُــنَـــاخِ أَمُــونِ [512]

---

(498) كـ: بني الأمور.
(499) د، كـ: مصيحا. ز، ح: مصيحا، واقتضت الضرورة تصحيحها من م.
(500) د، كـ: يعجبه. والتصحيح من ز،ح.
(501) ز: ماؤها.
(502) نمير: زكي طيب.
(503) في الروض الهتون: 69: بالحسن. وكذلك في ديوان لسان الدين ابن الخطيب، ج 519:2 .
(504) كـ: المحزون
(505) د. سلافة المحزون. كـ: سلافة المحزون. والتصحيح من ز، ح، والروض الهتون: 69 ، وديوان بن الخطيب، ج 519:2 .
(506) ثرة: غزيرة.
(507) في ديوان ابن الخطيب،ج 2: 519: بين.
(508) في ديوان ابن الخطيب،ج 2: 519: عيونه. وكذلك في الروض الهتون 69 .
(509) في ديوان ابن الخطيب،ج 2: 519: وافد. وكذلك في الروض الهتون: 69 .
(510) تورية بسورة التين الآية: 1:. وفيه إشارة إلى ما يكثر في زرهون من أشجار الزيتون.
(511) د، كـ: أرقه. والتصحيح من ز،ح، وديوان ابن الخطيب ج 519:2 والروض الهتون: 69 .
(512) هذه الأبيات توجد في ديوان ابن الخطيب ج 519:2 والروض الهتون: 69 .
(*) * 71 ب.

وقال ابن عبدون [513] من أهلها: [الكامل]

إنْ تَفْتَخِرْ فَاسَ بِمَا فِي طَيِّهَا ... وَبِأَنَّهَا فِي زَيِّهَا (حَسْنَاءُ)[514]

يَكْفِيكَ مِنْ مَكْنَاسَةَ أَرْجَاؤُهَا ... والأَطْيَبَانِ هَوَاؤُهَا وَالمَاءُ[515]

والإنصاف أن ماء فاس أكثر وأعذب ، وهواء مكناسة إلى الصحة أقرب، وأن أرجاءها كما قيل فسيحة، إلا أنها بمجاورة البربر قبيحة.

[حصار سبتة المحتلة]

وبعد الفتوحات المذكورة[516]، أمر السلطان عامله الباشا علي بن عبد الله الريفي، والقائد أحمد بن حدّ بالنهوض لحصار سبتة وذلك سنة ست ومائة وألف[517] فتوجها بالجيوش إليها وحاصروها، وأردفهم السلطان بعسكر من عبيده، وأمر قبائل الجبال أن يعينوا حصة من كل قبيلة بالرباط عليها، وأمر أهل فاس أن يوجهوا حصتهم، فكان عدد المرابطين عليها خمسة وعشرون ألفا، والقتال لا ينقطع صباحاً ومساءاً، حتى أتاه أن القواد الذين على حصارها لم ينصحوا في فتحها لئلا يتوجهوا إلى حصار البريجة ويبعدوا عن أولادهم وبلادهم لما سئموه من السفر ومشقة الحركة إلى أن مات القائد علي بن عبد الله الريفي سنة خمس وعشرين ومائة[518]، وولى ولده القائد أحمد، فبقي محاصراً لها، وفي كل عام تتبدل الغزاة إلى أن مات السلطان.

[مباغتة النصارى للمسلمين أثناء حصار سبتة]

وفي سنة ثلاث وثلاثين[519] من مدة الحصار، خرج النصارى من سبتة بجيوش كثيرة وأوقعوا بالمسلمين وقعة كبيرة مات فيها خلق كثير، واستولوا على ما كان بيد المسلمين، وكان بها حادث عظيم، وقال بعضهم: خرج النصارى على حين غفلة من المسلمين فاستولوا على محطتهم، وعلى دار القائد علي بن عبد الله، ونهبوا، وقتلوا، وسبوا، وحازوا شبارات المسلمين وعساتهم، وقصبة أفرڤ، ورجعوا لسبتة.

---

(513) في جميع النسخ: ابن عبدوس. واقتضت الضرورة تصحيحها من الروض الهتون: 69 ، والاستقصا ج 7: 48 .

(514) د. ك: عذراء. والتصحيح من طرة ز، وطرة ح، والروض الهتون: 69 ، والاستقصا ج 7: 48 .

(515) البيتان يوجدان في الروض الهتون: 69 والاستقصا ج 7: 48-49 .

(516) يقصد الفتوحات التي ذكرها في هذا المقصد السابع من الجزء الأول ص 300-313 .

(517) سنة 1106 هـ / 1694 م.

(518) أي سنة 1125 هـ / 1713 م.

(519) أي سنة 1133 هـ/ 1720 م.

وفي بعض التقاييد كادوا للمسلمين بخديعة، وذلك أنهم حفروا كمينا وشحنوه بالبارود، ولما اقتحم المسلمون عليهم المدينة أخرجوه [فرفع][520] نحو الألف من عبيد البخاري بخيلهم إلى السماء، ثم بعد* ذلك وجه السلطان بالمدد من جميع الأقطار فاستخلصوا منهم ما كانوا قد استولوا (عليه)[521] وردوهم على أعقابهم، وبقي من قتلاهم بأيدي المسلمين نحو ثلاثة آلاف، كذا في نشر المثاني[522].

[حصار حصن بادس]

وفي شعبان من سنة ثلاث عشرة ومائة [وألف][523] أمر السلطان عامله الباشا علي بن عبد الله الريفي أن يترك على حصار سبتة من يثق به من أهل الرأي والحزم ويذهب لحصن بادس[524] لمحاربة من به من الكفار، فترك ابن عمه القائد أحمد بن حدّ، وتوجه هو بوجوه أهل الريف وغيرهم، فقاتلهم، وفي النصف من رمضان[525] أخذ البرج الذي كان في المرغونة ووجد فيه جمعا من الروم، فبعث بهم إلى السلطان، ورجع لسبتة ببعض أصحابه، وترك على بادس خليفته البرنوسي في جمع عظيم من أهل الريف وطائفة من الوصفان.

وهذا ما تيسر ذكره من جهاد هذا الإمام، وما صيره بعد الكفر من الثغور دار إسلام، مع ما شيده من البناءات شاهداً على ضخامة ملكه بعد الممات.

[مدة خلافة المولى إسماعيل]

وكانت مدة خلافته سبعا وخمسين سنة استقلالا، وسبع سنين خليفة عن أخيه الرشيد. وإلى مدة ملكه وسلطنته أشار الناظم بميز من قوله:

تَطَاوَلَ فِي مَيْزٍ وَعَدْلِ حُكُومَةٍ ... فَطَالَ وَلَكِنْ فِي تَنْمِيقِ المَنَاصِبِ

المطاولة: الإمتداد والارتفاع والتفضيل، والتمييز: قوة في الدماغ يستنبط بها المعاني، والعدل: القسط في الأمور وهو ضد الجور والظلم، والحكم: القضاء وأصله المنع

---

(520) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(521) ك: عليهم.
(522) انظر: نشر المثاني، ج 252:3 .
(523) ما بين المعقوفتين ساقطة من د. ز. ح. والتكملة من ك وشعبان من سنة 1113 يوافق 1 يناير 29 يناير 1702 م.
(524) يقصد: جزيرة بادس (Penon de vallez)، وهي جزيرة صغيرة قريبة من مدينة بادس التاريخية، أمام شاطئ المغرب الشمالي، وقد أصبحت اليوم شبه جزيرة لاتصال إحدى جهاتها بالشاطئ. احتلها الإسبان سنة 914 هـ/1508م ثم استعادها المغرب سنة 929 هـ/ 1522م. انظر: قبائل المغرب ج 85:1 تاريخ الضعيف، ج 188:1 هامش: 171 .
(525) أي 15 رمضان سنة 1113 هـ / الإثنين 13 فبراير 1702 م.
(*) * 72 أ.

يقال: حكمت عليه بكذا إذا منعته من خلافه فلم يقدر على الخروج من ذلك حكومة، والطول: معلوم، والتنميق: التحسين، تقول: نمق الكتاب تنميقا إذا حسنه وزينه بالكتابة، والمناصب: المراتب العالية في الأمور المخزنية.

والمعنى: أن هذا السلطان العظيم القدر والشأن ترافع على من عداه من الملوك، فطالهم أي فاقهم في طول الفضل بحسن التمييز و(التثبت)[526] والعدل في قضايا الحكومة بين الرعية، وأكد ذلك الطول بقوله: ولكن، لأنها ترد للتأكيد بعد (اتصافه)[527] بالعدل في تنميقه المناصب أي تحسينها ترتيبا. ولا زال إلى الآن يُرْجَعُ إلى ترتيباته ومناصبه التي أسسها للجند، والعمال والقود، وكل الأمور المخزنية رحمه الله.

وقيل: إن المراد بطال: أي طال مكثه *في الخلافة وامتد بتطاوله في المكارم والتفاضل إلى أن كانت مدة خلافته ما سبق.

وكان بعض جهلة الأعراب يعتقدون أنه لا يموت، وكذلك بعض أولاده كان يستبطئ موته على ما قيل، ويقولون فيه أنه الحيّ الدائم.

وبهذه المدة، تعلم ما زعمه المؤرخون، وضربوا به المثل، قالوا: هو ميدان الخلفاء، وهو عندهم عشرون سنة إلى أربع وعشرون سنة، وهو دوران المشتري فكأنها عندهم كناية عن أتم مدة الخلافة، فمن بلغت مدة خلافته عشرين سنة إلى إثنين وعشرين سنة معاوية رضي الله عنه، وعبد الملك وهشام، والمنصور، والمأمون، والمعتمد. ولم يستكمل الأربع والعشرين غير الرشيد والمقتدر، هكذا عند أهل الأخبار، وهي قاعدة أغلبية، كما أن سادس الخلفاء مخلوع كذلك، ومن ذلك ما يحكى عن محمد بن عباد المهلبي[528] قال: كنا وقوفاً عند باب الفضل بن الربيع[529]، وهو عليل في آخر أيام الرشيد، إذ أقبل الرشيد عائداً له فقال له عبد الملك ابن هلال: الحمد لله يا أمير المؤمنين إذ خصك بطول البقاء، وأجازك ميدان الخلفاء. فتغير وجه الرشيد، ودخل وخرج عقب ذلك القاسم ابن الربيع، يشتم عبد الملك بن هلال ويقول له: ما حملك على أن تذكر لأمير المؤمنين ما مضى من خلافته، والله ليعيش أربعين سنة فما عاش بعدها إلا أقل من سنة. انتهى.

---

(526) د، ح، ك: التثبيت، والتصحيح من ز.

(527) د، ح، ك: انضافه، والتصحيح من ز.

(528) هو: محمد بن عباد بن حبيب المهلبي، المتوفى سنة 216 هـ / 831 م. تولى الإمارة على البصرة أيام المأمون العباسي، واشتهرت سيرته الحميدة بين الكتاب وعوام الناس. أنظر: ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج 217:2 ، خ. الزركلي، الأعلام، ج 181:6 .

(529) هو: الفضل بن الربيع بن يونس، كان وزيرا للرشيد العباسي ثم للأمين. توفي سنة 208 هـ /910 م. انظر: المرزباني، معجم الشعراء: 182-183 ، اليافعي، مرآة الجنان ج 2: 42-43 ابن كثير، البداية، ج 263:10 .

(*) • 72 ب.

وكانت خلافة الناصر لدين الله أبي العباس أحمد بن المستضيء العباسي[530] ستا وأربعين سنة، ولم يكن أحد من بني العباس أطول مدة منه. وكانت مدة خلافة القادر بالله بن المقتدر[531] إحدى وأربعين سنة.

ولم يبلغ أحد من ملوك الإسلام في طول مدة الخلافة ما بلغه مولاي إسماعيل هذا. وأما المستنصر العبيدي[532] فإنه ولي وهو ابن سبع سنين فكان صدر دولته تحت الاستبداد، ولو (رعينا)[533] ذلك لكان مدة خلافة المولى إسماعيل أربعا وستين سنة بحسب خلافته على أخيه المولى الرشيد، والبقاء لله.

[وفاة المولى إسماعيل]

ثم قال الناظم رحمه الله:

إلَـى أنْ تَـمَـطّـى لِـلْـمَـنُـونِ بِـذَاتِـهِ قَـبُـولاً وتَـسْـلِـيـمـاً لِـفَـرْضٍ وَوَاجِـبِ

*والمراد: أنه بقي على ذلك العدل، وتنميق المناصب، وحسن السيرة، والاهتمام بأمور الدين، وتنفيذ الجيوش للجهاد، إلى أن تمطى: أي امتد، تقول: تمطى النهار وغيره بمعنى امتد كما في القاموس[534]، للمنون: أي المنية في حال كونه قابلا لذلك راضيا به، مسلما لما فرضه وأوجبه على (كل)[535] عين عين، وأشار بقوله: قبولا، إلى تاريخ وفاته وذلك يوم السبت ثامن عشري رجب الفرد عام تسعة وثلاثين ومائة وألف[536] وذلك نقط قبولا دون الألف لأنه معلوم، وتولى غسله الفقيه أبو العباس أحمد بن أبي القاسم العميري، وصلى عليه الفقيه العلامة أبو علي الحسن ابن رحال المعداني[537]، ودفن بضريح الشيخ المجذوب -رضي الله عنه- من حضرة مكناسة.

(530) هو: أبو العباس أحمد الناصر لدين الله (553-662 / 1158-1225): خليفة عباسي، بويع بعد وفاة أبيه سنة 575 هـ / 1179م، وطالت مدة خلافته. واتسمت سياسته الداخلية والخارجية بالتقلب والتغيير. وتذكر بعض المصادر بأنه كان هو السبب في احتلال التتر للعراق بعد أن كاتبهم بذلك خوفا من خوارزم شاه.أنظر: تتمة المختصر لابن الوردي، ج 2: 136 -218 فوات الوفيات، ج 1:66-68، البداية، ج 12: 305 ، 307 ، 313 – 317 ، 319 ، 320 – 326 ، 332 ، وج 13:106-107 ، العبر، ج 3.528-535 النجوم الزاهرة، ج 6:261-262 ، تاريخ الخميس، 2:378-379 .

(531) هو :أبو العباس أحمد القادر بالله، بويع بالخلافة سنة 381 هـ/991 م وفي عهده ظهرت الدولة العقيلية بالموصل، ودولة الأكراد في ديا بكر (شمال العراق).وتوفي القادر بالله سنة 422 هـ / 1030 م. أنظر: تاريخ بغداد، ج 4:37-38 ، الكامل في التاريخ، ج 9: 80 ، 82 ، 93 ، 414 – 416 ، الوافي بالوفيات، ج 6: 239 - 241 ، فوات الوفيات ج 1:58-59 ، العبر، ج 3: 435-437،447-448، تاريخ الخميس ج 2:355-356 .

(532) هو: أبو تميم معد بن الظاهر لإعزاز دين الله، الملقب بالمستنصر بالله. تولى (سنة 427 هـ/1035) إمارة الدولة العبيدية الفاطمية، وكان لأمه دورا في عزل وتولية الوزراء. وتوفي سنة 487 هـ / 1094 م. أنظر أخباره في : وفيات الأعيان ج 5:229-231 الكامل في التاريخ ج 10:237-238 النجوم الزاهرة، ج 5: 1- 24، شذرات الذهب، ج 3: 382-383 .

(533) كـ: عينا.

(534) انظر القاموس المحيط ج 4:393 .

(535) في جميع النسخ: كان، واقتضى السياق تصحيحها.

(536) يوم السبت 28 رجب عام 1139 هـ/29 مارس1726م. وفي الجيش، 1:93: يوم السبت 27 من رجب عام 1139 هـ / 28 مارس 1726 م. ويلاحظ تطابق التاريخ الذي أثبته المؤلف مع ما في الاستقصا ج7:100 .

(537) هو: الحسن بن رحال بن أحمد التدلاوي، المعداني المتوفي سنة 1140 هـ/ 1728م: فقيه مالكي، تولى القضاء بفاس ثم بمكناس. وله مؤلفات في الفقه. أنظر: نشر المثاني، ج 3:294 اليواقيت الثمينة: 135-137، إتحاف أعلام الناس، ج 3:7-9 ، شجرة النور: 334، الفكر السامي، ج 2:276 ، النبوغ المغربي، ج 1:287، الدليل، ج 1:189، 214، 268، الموسوعة ج 1: 103، الاعلام للزركلي، ج 2:190 الحياة الأدبية: 205-212 معجم المؤلفين، ج 3: 224 .

(*) 173أ.

[مجمل أعمال المولى إسماعيل]

ومن مفاخره ما تقدم من هذه حصوننا في المغرب للكفرة، وخراب ديار لأهل الشرك والفجرة، وتشييد المآثر الدالة على سبقيته وضخامة ملكه، التي لا تفنيها طول الأيام، واشتداد حزمه في تهدين المغرب، حتى تمهد له من أقصى الظهرا إلى وادي نون والساقية الحمراء، ومن البحر إلى أقصى الصحراء قبلة، وقال الشيخ أبو رأس: وتمهدت له البلاد، وأطاعته العباد، حتى استولى على تخوم السودان، وبلغ إلى قرب الصعيد في المشرق، وإلى الزاب حيث بلغ ملك الذهبي، وبلغ في التلول إلى أقصى المغرب وبالمشرق إلى مازونة و(مندا‌س)(538)، انتهى.

ورزق من بركة العمر ما ألحق به الأحفاد بالأجداد، وكان فيه حياة الأغوار والأنجاد، فكثرت عمارته جدا، وجدد في أيامه للعلوم عهدا، فكانت أسواق العلوم في دولته عامرة، ونجوم أفلاكه نيرة زاهرة، وأدرك الهناء في أيامه كثير من الضعفاء والأيتام، وقام فيه كثير من الناس بالعلم والدين أتم قيام، وكان الناس في أيامه يغتبطون حياته، وذلك اغتباطا بما أمد الله على رعيته من الظل الظليل، ونالوا من بركته من العز الجليل، كما نقول ذلك نحن في أيام المولى الحسن المنصور بالله أدام الله مفاخره وخلد مآثره.

عدد أولاد مولاي إسماعيل 500 ونيف

وترك -رحمه الله- من الأولاد على ما قيل وتواتر: خمسمائة ولد ونيف من الذكور، ومثلها من الإناث. قال الزياني: والذي عقب من أولاده وشاهدناه عيانا في دفتر أمير المؤمنين سيدي محمد بن عبد الله -رحمهما الله- إذ كان يصلهم في كل سنة، *ويوجهنا لتفريق الصلة عليهم بسجلماسة مائة دار وخمس ديار لأولاده لصلبه، وأما الذين لم يعقبوا أو عقبوا وانقطع عقبهم، فليسوا في الدفتر، وأما الحفدة و(الأسباط)(539)، فكان عددهم في أيام سيدي محمد بن عبد الله ألفا وخمسمائة وستين، وزاد اليوم في دولة مولاي سليمان، ولازال يصلهم على دفتر والده، ومن ازداد يزاد له واجبه، وأما الذين أدركناهم من أبناء صلبه في دولة سيدي محمد -رحمه الله- فثمانية وعشرون نعرفهم بالإسم والصفة. ومن بنات صلبه ثمان وعشرون أيضا، أنزلهن السلطان بقصر (حم بك)(540) من سجلماسة، ورتب

---

(538) في الخبر المعرب: ورقة 49 ب: بستاس. هذا النص يوجد في الخبر المعرب مخ، خ، ع، ر، 2273 ك، ورقة 89 ب، بنفس اللفظ.
(539) في جميع النسخ :الأنباط. والتصحيح من الجيش، ج 1: 91. والاستقصا ج 7: 101.
(540) في الاستقصا ج 7: 101 : حمر بن بكة.
(*) * 73 ب.

لهن (النفقة)[541] والكسوة، والصلة في كل سنة، ومعهن الحفدات (اللواتي)[542] لا أزواج لهن وكل واحد من هذه المائة والخمس ديار لأولاده لصلبه الذين هم في الدفتر كان بنى له والده بسجلماسة قصراً وداراً، وأعطاه نخيلا وأرضا للحراثة والغرس. ومماليك يقومون بخدمة نخله وحرثه، وكل واحد كان له من الأصل على [قدر][543] مرتبته ومرتبة أمه عنده. وتناسلوا فزكت فروعهم، وزكت جموعهم، بارك الله فيهم وفي أعقابهم[544] انتهى.

(541) في البستان الظريف: 44: العولة. وفي الاستقصا ج 7:101: المؤونة.
(542) في جميع النسخ: التي والتصحيح من البستان الظريف: 44 .
(543) ما بين المعقوفتين ساقطة من ك.
(544) هذا النص يوجد في البستان الظريف: 44-45 باختلاف يسير في اللفظ. كما يوجد في الجيش ج 1:91 والاستقصا ج 7:101-102 بكثير من الاختلاف في اللفظ.
(*) * 73 ب.

هذا الفهرس مأخوذ من الجزء الثاني

الفهرس العام

فهرس موضوعات الجزء الأول

تقديم 5

القسم الأول : الدراسة 7

مقدمة : اختيار الموضوع 9

المبحث الأول : المنهج المتبع في التحقيق والدراسة 12

منهج العمل في التحقيق 12

1- دراسة وصفية للنسخ الخطية 13

2- وضع الهوامش 20

3- وضع الرموز والاختزالات 21

4- تقسيم نص المؤلف 22

5- دراسة عصر المؤلف وبيئته وحياته 25

6- دراسة تحليلية للكتاب 26

المبحث الثاني : عصر المشرفي من خلال كتابه الحلل البهية 28

ملامح نهضوية (1290 ـ 1311 / 1873 ـ 1894) 28

1- الجانب السياسي 28

2- الجانب الاجتماعي 29

3- الجانب الأدبي 30

4- الجانب العلمي 30

5- الجانب العسكري 31

احتلال توات (1318/ 1900) 33

1- احتلال توات 33

2- حجج الفرنسيين 33

3- موقف المشرفي 33

المقترحات الإنجليزية في الإصلاح (1319/ 1901) 35

1- المحاولات الإنجليزية لتمرير الإصلاحات 36

2- الميادين التي همتها الإصلاحات 36

3- موقف المشرفي 37

المبحث الثالث : بيئة المشرفي 38

الحياة السياسية 38

1- الخليفة 39

2- العامل 39

3- القاضي 40

4- المحتسب........ 41
5- الأمين........ 41
6- المقدم........ 41
الحياة الاجتماعية........ 43
1- العناصر السكانية........ 43
2- التصنيف الطبقي........ 45
3- الارتباط بالعادات والتقاليد........ 46
الحياة الاقتصادية 46
1- التجارة........ 46
2- الصناعة........ 47
3- الفلاحة........ 48
- الحياة الفكرية........ 49
1- تيار الفكر الصوفي........ 49
2- تيار الفكر السلفي........ 50
المبحث الرابع : حياة المشرفي........ 55
أسرة المشرفي........ 55
1- المشرفيون بغريس........ 55
2- المشرفيون بفاس........ 57
دراسة تعريفية ونقدية لمصادر حياة المشرفي........ 60
1- المصادر التي ألفها المشرفي........ 61
2- المصادر المعاصرة للمشرفي........ 62
3- المصادر اللاحقة........ 64
حياة المشرفي........ 65
1- اسمه ونسبه........ 65
2- مولده........ 65
3- هجرته إلى فاس ونشأته بها........ 66
4- دراسته........ 67
5- تكوينه العلمي........ 68
6- مؤلفاته........ 71
7- شيوخه. 76
8- علاقته الاجتماعية. 79
9- عمله........ 79
10- رحلاته........ 82
11- وفاته........ 85
المبحث الخامس : المشرفي وكتابه الحلل البهية........ 86
الغالي بن سليمان وقصيدته........ 86

1- نبذة عن حياة الغالي بن سليمان.. 86
2- التعريف بقصيدته.. 86
ظرفية ودواعي تأليف الكتاب.. 90
1- تاريخ التأليف.. 90
2- أسباب التأليف.. 91
المضامين الأساسية للكتاب.. 92
1- مؤسسة السلطان.. 93
2- مؤسسة الحكومة.. 94
3- مؤسسة الجيش.. 94
4- الثورات المعارضة.. 95
5- العادات القبلية.. 96
6- العناية بالعلماء.. 98
7- علاقات المغرب الخارجية.. 98
8- المنشآت المدنية والعسكرية.. 101
المشرفي المؤرخ.. 101
1- المشرفي والتاريخ.. 101
2- مفهوم التاريخ عند المشرفي.. 102
3- الحس التاريخي عند المشرفي.. 102
4- منهجيته في الكتاب.. 103
5- أهم مصادره التاريخية.. 104
قيمة الكتاب التاريخية 106
1- الكتب المعاصرة له ومقارنتها به.. 107
2- الباحثون والحلل البهية.. 112
القسم الثاني : نص كتاب الحلل البهية 115
خطبة الكتاب/ دواعي التأليف.. 117
مقدمة / التاريخ والمؤرخون.. 121
المقصد الأول : علم التاريخ وذكر بعض من ألف فيه.. 121
- شرف علم التاريخ 121
* أصل التاريخ 122
* فضيلته.. 122
* أول من أرخ.. 123
* التاريخ لغة واصطلاحا.. 125
* بعض من ألف في التاريخ من العلماء.. 125
* إنكار مالك الانتساب فوق عدنان.. 135
* نسابة التابعين. 137
المقصد الثاني : التعريف بالناظم وقصيدته.. 139
- التعريف بناظم القصيدة : الغالي بن المكي بن سليمان 139

* بكاء الخفاجي الأندلس.................................... 140
رجوع المؤلف للتعريف بالناظم.................................... 141
* تأليف الناظم.................................... 141
- ذكر شيوخ الناظم.................................... 144
- القصيدة وما يتعلق بها من علم العروض والقوافي.................................... 149
* أول من أنشد الشعر.................................... 150
* أعظم الوسائل عند رسول الله ﷺ الشعر.................................... 151
* أفضل صناعة الرجل الأبيات من الشعر.................................... 153
* اعتراف الروم بأفضلية لغة العرب.................................... 155
شرح القصيدة / تركيز السلطة ومواجهة التهافت الأوربي.................................... 156
المقصد الثالث : أفضلية الدولة العلوية.................................... 157
- الحمد وأقسامه.................................... 157
* حكمة الحمد في العطاس.................................... 157
* أفضل المحامد صيغة.................................... 159
* الصلاة لغة.................................... 160
* تاريخ مشروعية الصلاة على النبي ﷺ.................................... 162
- صفة لواء الحمد.................................... 163
- الاختلاف في أول من تكلم بأما بعد.................................... 163
* أول من نطق بالعربية.................................... 165
* أول من ركب الخيل.................................... 167
* أول من اختتن.................................... 168
* أول من رتب العسكر.................................... 168
- العلم وأفضليته.................................... 169
- علم التاريخ وأفضليته.................................... 170
* الفضائل النفيسة.................................... 174
* دأب معاوية كل ليلة.................................... 175
- فتح موسى بن نصير الأندلس.................................... 176
- الدولة العلوية أحق بالمدح من غيرها.................................... 178
- صفة الكاتب المعتبر.................................... 180
- تأكيد المؤلف على أحقية مدح الدولة العلوية.................................... 181
- اهتمام الملوك والخلفاء بالجوهر.................................... 184
* وزن للدرة اليتيمية.................................... 186
* حكاية في صدق المحبة.................................... 187
- السبب الموجب لمدح الدولة العلوية.................................... 188
- نقائص دولة بنى أمية.................................... 188
- نقائص دولة بني العباس.................................... 189
- نقائص دولة الأدارسة.................................... 190
- نقائص دولة لمتونة.................................... 190
- نقائص دولة الموحدين.................................... 191
- نقائص دولة بني مرين.................................... 191

ملاحظة: وضعنا علامة (*) أمام عناوين المؤلف التي اعتمدنا فيها على نسخة د ـ لتمييزها عن العناوين التي وضعناها نحن.

- نقائص دولة السعديين.. 191
المقصد الرابع : بداية تكوين الدولة العلوية...................................... 191
* أول ملوك الدولة العلوية... 192
- منازعة المولى محمد للثوار.. 192
- مناقب المولى محمد.. 193
- جواب المولى محمد على رسالة الدلائي................................ 196
- تمهيد المولى محمد للصحراء والمغرب الأوسط........................ 197
* كتاب الترك للمولى محمد... 199
- جواب المولى محمد على كتاب الترك.................................. 200
- عقد الصلح بين المولى محمد والترك.................................. 203
* نسب الدولة العلوية... 204
- التحقيق في تاريخ دخول المولى الحسن بن قاسم إلى المغرب........... 204
- سبب القدوم بالمولى الحسن بن قاسم إلى المغرب...................... 208
- مناقب المولى الحسن بن قاسم... 211
* وفاة مولاي الحسن الداخل.. 213
- ذرية المولى الحسن بن قاسم... 213
- أخبار المولى علي الشريف.. 214
- أولاد المولى علي الشريف.. 214
المقصد الخامس : الدول المتعاقبة على المغرب قبل الدولة العلوية.............. 219
* **1 - دولة الأدارسة**... 221
- أخبار المولى إدريس بن عبد الله.. 221
* وفاة مولانا إدريس بن عبد الله الكامل................................. 221
- بيعة المولى إدريس الثاني واختطاطه مدينة فاس....................... 222
- استفتاح المغرب الأقصى والأوسط..................................... 222
- مناقب المولى إدريس الثاني ووفاته.................................... 223
- تولية محمد بن إدريس الثاني ووفاته.................................... 223
- تولية علي بن محمد ووفاته ومناقبه..................................... 223
- أخبار الحسن بن محمد 224
- انقراض دولة الأدارسة.. 224
2- دولة آل بن أبي العافية 225
- تاريخ قيام موسى بن أبي العافية وذكر ملوك من ذريته................. 226
- أرجوزة الفاسي في ذكر أمراء الأدارسة 226
3-دولة المرابطين 227
- سبب تسميتهم بالمرابطين.. 228
- سبب تسميتهم باللمتونيين والملثمين.................................... 228
- إبطال المكوس.. 228
- تولية أبي بكر بن عمر ثم يوسف بن تاشفين............................ 229
* بناء مراكش.. 229
- بناء تلمسان.. 229
- فتح فاس... 230
- فتح تلمسان.. 231
- فتح وهران... 231

- العبور إلى الأندلس ووقوع معركة الزلاقة........ 231
- وفاة يوسف بن تاشفين........ 232
- مناقبه........ 232
- تولية علي بن يوسف وأعماله........ 233
- تولية تاشفين بن علي وانهزامه أمام الموحدين........ 233
- بيعة إبراهيم ثم إسحاق وسقوط الدولة المرابطية........ 234
- ذكر أمراء المرابطين بالتتابع........ 234

4- دولة الموحدين 234

- أخبار المهدي بن تومرت........ 236
- ترتيب المهدي أهل دولته........ 236
* وفاة المهدي سنة 524........ 236
- تولية عبد المؤمن بن علي وأعماله........ 237
- وفاته........ 238
- تولية أبي يعقوب يوسف وأعماله........ 239
- تولية يعقوب المنصور وأعماله........ 239
* سبب قولهم أن يعقوب المنصور زهد في الملك ومات بالشام........ 239
- تولية محمد بن يعقوب الناصر........ 241
- وقعه العقاب........ 243
- تولية المستنصر يوسف بن الناصر........ 243
- استبداد الأشياخ بأمراء الموحدين........ 244
- استيلاء المأمون إدريس على مراكش........ 245
- تولية أبي محمد الرشيد ووفاته........ 245
- تولية أبي الحسن علي وانهزامه........ 245
- تولية عمر بن أبي إبراهيم و خصاله........ 245
- تغلب إدريس بن محمد على المرتضى........ 246
- انهزام إدريس بن محمد أمام المرينيين........ 246
* مدة دولة الموحدين 246
بقية أخبار عبد المؤمن بن علي........ 247
- أرجوزة الفاسي في ذكر أمراد الموحدين........ 247

5- دولة بني مرين 248

- موطن بني مرين........ 249
- تحقيق نسب عبد الحق بن محيو........ 249
- مناقب عبد الحق بن محيو........ 249
- تولية عثمان بن عبد الحق ومناقبه........ 250
- تولية أبي معرف ومناقبه........ 250
- تولية أبي بكر وأعماله........ 251
- تولية أبي يوسف يعقوب وأعماله........ 251
- تولية يوسف بن يعقوب وفتوحاته 252
- تولية عامر وعقده الصلح مع أمير تلمسان........ 253
- تولية أبي الربيع سليمان........ 253
- تولية أبي سعيد عثمان وتغلبه على ابنه عمر........ 254
- تولية أبي الحسن علي وأعماله........ 254

- تولية أبي عنان وأعماله 254
- نزاع خلفاء أبي عنان على الحكم وانقراض دولة بني مرين 257
- أرجوزة الفاسي في ذكر أمراء بني مرين 258
6- دولة بني وطاس 258
- بيعة أبي عبد ا لله محمد الشيخ ووفاته 259
- تولية محمد بن محمد الشيخ ووفاته 259
- تولية أبي حسون علي ثم خلعه 259
- بيعة أحمد وانقراض دولة بني وطاس 259
7- دولة السعديين 259
- نسب أبي عبد الله محمد القائم بأمر الله 260
- سبب بيعة محمد القائم بأمر الله 260
- بيعة أبي العباس أحمد الأعرج 260
- إجلاء النصارى من بعض السواحل المغربية 261
- تغلب محمد الشيخ على أخيه أبي العباس 261
- تولية عبد الله وفرار إخوته إلى الجزائر 261
- استنجاد عبد الملك بالسلطان العثماني 262
- بيعة أبي مروان عبد الملك وذكر وقعة وادي المخازن 263
- تولية أحمد المنصور الذهبي وأعماله 263
- تولية زيدان ومحاربته لإخوته 263
- تولية عبد الملك وانتصاره على أخويه 264
- تولية الوليد وخصاله 264
- تولية محمد الشيخ وانحصار سلطته بمراكش 265
- تولية العباس وانقراض الدولة السعدية 265
المقصد السادس : استكمال تكوين الدولة العلوية 265
- تغلب المولى الرشيد على أخيه محمد 266
- فتح تازا 266
- فتح فاس 267
- القضاء على الدلائيين والشبانات 267
- تمهيد سوس الأقصى 268
- التعريف بالسوس 268
- شرح كلمة الصحاري 268
- التعريف بالبربر 270
- أول ملوك البربر في الإسلام 270
- ذكر بعض ملوك بربر صنهاجة 271
- ذكر بعض علماء بربر صنهاجة 271
- التعريف بمغراوة 272
- ذكر بعض علماء مغراوة 273
- التحقيق في الفرق بين البربر وزناتة 274
- النمو والتقدم في ظل السياسة الرشيدية 275
- بناء قنطرة وادي سبو وتجديد قنطرة الرصيف 275

- وفاة المولى الرشيد.. 276
- سبب وفاة المولى الرشيد.. 276
- تواضع المولى الرشيد ومحبته للعلم والعلماء.................................. 277
المقصد السابع : توطيد السلطة وتوحيد البلاد.................................. 278
- تولية المولى إسماعيل وبيعته بفاس.. 279
-دخول المولى إسماعيل إلى مراكش ثم رجوعه إلى فاس.......................... 279
- محاربة الثائر أحمد بن محرز.. 280
- محاربة الثائر الحران... 280
- القضاء على الثائر الخضر غيلان... 282
- القضاء على الثائر أبي العباس أحمد الدلائي.................................. 283
- الإعراض عن الثائرين : حمادي ومحرز....................................... 284
- محاربة الثائر المولى محمد وقتله.. 285
- نص ظهير يفيد ندم المولى إسماعيل على قتل ولده محمد.......................... 285
- اهتمام المولى محمد بالعلم والعلماء... 289
- وفاة المولى زيدان.. 290
- تمهيد المولى إسماعيل لناحية أنكاد والسوس والشرق............................ 291
- تمهيد بني يزناسن وبسيط أنكاد... 292
- تمهيد جبل فازاز.. 293
- التمهيد الثاني لجبل فازاز.. 293
- استباحة جروان... 293
- توجه المولى إسماعيل إلى المغرب الأوسط..................................... 294
* جنود مولاي إسماعيل.. 295
- مبلغ ملك المولى إسماعيل... 296
- مقدمة عن فتوحات المولى إسماعيل.. 300
- فتح المهدية.. 300
- فتح طنجة.. 301
- فتح العرائش.. 303
- فتح أصيلا... 305
- أعمال المولى إسماعيل.. 312
* تاريخ بناء ضريح مولانا إدريس الأ؛ بر رضي الله عنه.............................. 313
* تاريخ ظهور قبر مولانا إدريس باني فاس...................................... 317
- رجوع المؤلف لأعمال المولى إسماعيل.. 318
* ما غرس من البساتين.. 320
- بقية أعمال المولى إسماعيل.. 322
- حصار سبتة المحتلة.. 323
- مباغتة النصارى للمسلمين أثناء حصار سبتة.................................... 325
- حصار حصن بادس.. 325
- مدة خلافة المولى إسماعيل... 326
- وفاة المولى إسماعيل.. 326
- مجمل أعمال المولى إسماعيل... 328
* عدد أولاد مولاي إسماعيل 500 ونيف... 329